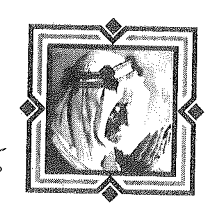


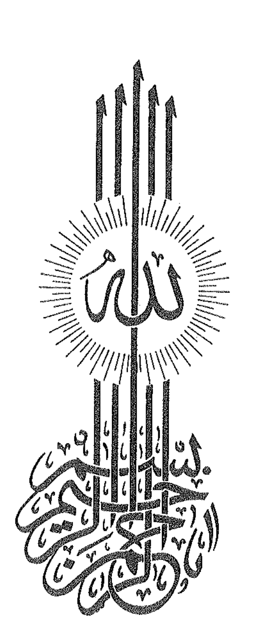
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

وراقو بغداد في العصر العباسي

الدكتور خير الله سعيد

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ/٢٠٠٠م





ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
سعيد، خير الله
وراقو بغداد في العصر العباسي - الرياض.
٦٥٢ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: X-٤١- ٧٢٦-٩٩٦٠
١ - الوراقة ٢- الوراقة - تراجم أ- العنوان
ديوي ٥ر٠٧٠ ٢٠/١٧٣٣

رقم الإيداع: ٢٠/١٧٣٢

ردمك: X-٤١-٧٢٦-٩٩٦٠

المحتويــــات

تقديم

كشفت مأساة بغداد عندما احتلها الغزاة التتار عن حجم الخسارة التي حلّت بالحضارة الإنسانية عموماً، وبالحضارة الإسلامية ـ العربية خصوصاً عندما ألقوا الكتب في نهر دجلة وظلت مياهه أياماً وهي سودٌ من حبر الكتب.

قال ابن خلدون: «وألقيت كتب العلم التي كانت في خزائنهم بدجلة...»[1].

وجاء في النجوم الزاهرة: «وخُرِّبت بغداد الخراب العظيم، وأحرقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي ماكانت في الدنيا. وقيل: بنوا جسوراً من الكتب بدلاً من الآجُرِّ والطين، وقيل قول آخر»[2].

وبيّنت هذه المأساة في الوقت نفسه مدى ازدهار الكتب والمكتبات وحركة الوراقين في بغداد بنسخ الكتب وبيعها.

حركة الوراقين هذه هي التي تصدى إلى تتبعها الأخ الأستاذ خيرالله سعيد في كتابه: وراقو بغداد. وأنت في هذا الكتاب تلمس لمس اليد مقدار الجهد الذي بذله الوراقون والعلماء والأدباء في نشر العلم والثقافة والأدب، ثم مقدار الجهد الذي بذله الأستاذ سعيد في كشْف هذا الجهد وتتبعه في بغداد

(١) كتاب العبر ٥/ ٥٤٣، طبعة بولاق.

(٢) ٧/ ٥١.

على مدى عدة قرون.

وأعتقد ـ دون مبالغة ـ أن جهود الأستاذ سعيد في هذا الكتاب النفيس قل أن يكون لها نظير.. فقد تسقَّط أخبار الوراقة والوراقين في بغداد وكشف أخبارهم وأسرار صناعتهم، ووضع تراجم لعدد غير قليل منهم وروى بعض أشعارهم، حتى إننا نستطيع أن نعلن في صدق أنه استطاع أن يحيط بهذه المهنة الحضارية إحاطةً تكاد تكون كاملة، ويتجلى ذلك في الكتاب نفسه أولاً، ثم في عدد المراجع والمصادر التاريخية والأدبية التي راجعها وعاد إليها في جمع مادة كتابه الكبير.

خطة المؤلف:

يتبع المؤلف في كتابه الخطة الآتية:

١ ـ يمهد للكتاب بمقدمة تاريخية موجزة تتناول إنشاء بغداد في زمن المنصور وتطورها الحضاري وازدهارها ثم يصفها وصفاً مختصراً.

٢ ـ ينتقل إلى صناعة الكتابة وظهور الكتّاب ومقدمات الكتابة وأدواتها، فلا يكاد يترك شيئاً من هذه الأدوات. ثم يتحدث عن الورق وأنواعه، والأقلام والمحابر وطرائق بري الأقلام، والسكين وأنواع الحبر، ويورد كثيراً مما قيل فيها شعراً ونثراً.

٣ ـ يتحدث عن ظهور مهنة الوراقة في بغداد وأسبابها ويعرِّفها ويذكر منهجها، كما يتحدث عن نساخي الكتب وأصناف الوراقين، وأخلاقهم، ومعاناتهم.

ويحاول المؤلف محاولة ناجحة في تحديد موقع سوق الوراقين في بغداد، ويذكر أساليب البيع في هذه السوق وما يقع فيها من نوادر وطرف، ويتحدث

عن مجالس العلماء والأدباء في هذه السوق.

ثم يسرد قائمة طويلة بأشهر الوراقين في بغداد ويصنفهم على الشكل الآتي:

١ـ المستملون.

٢ـ وراقو الحديث.

٣ـ الوراقون العلماء.

٤ـ الوراقون الأدباء.

٥ـ الوراقون الشعراء.

٦ـ الوراقون النساخون.

٧ـ وراقو العلماء والأدباء والوزراء.

٨ـ الوراقون الدلالون.

٩ـ الوراقون القضاة.

١٠ـ الوراقون الفولكلوريون.

١١ـ تراجم عارضة.

وهكذا يضع المؤلف خطته العلمية الواضحة لكتابه ويتقيد بهذه الخطة تقيداً تاماً، ليخرج علينا بكتاب كامل عن الوراقة والوراقين في أزهى عصور الدولة العباسية، وفي بغداد العاصمة العراقية لهذه الدولة خلال خمسة قرون أو تزيد.

أرجو للمؤلف والباحث الأستاذ خيرالله سعيد النجاح والاستمرار في تقديم أبحاثه الموضوعية الدقيقة في ميدان العلم والأدب والتاريخ...

وأخيراً أشكر المؤلف على ماقدّمه للمكتبة العربية من أثر ثمين، يكاد

يكون موسوعةً تلم بأطراف هذه المهنة الحضارية التي أمدت العالم بكنز من المعرفة، داسته ـ وياللأسف ـ سنابك خيل البرابرة وألقت بكثير من نفائسه في نهر دجلة الحزين الذي ظل أياماً يلبس الحداد أسفاً على ضياع جزءٍ غير قليل من ذلك الكنز العظيم .

عبدالمعين الملُّوحي

عضو المجمع العلمي العربي

دمشق

مقدمة

كنت في مراحل دراستي الأولى الابتدائية والإعدادية شغوفاً بمحاضرات علامة العراق الراحل مصطفى جواد، وهو يلقيها على الجمهور من خلال الشاشة الصغيرة ضمن البرنامج الشهري: «الندوة الثقافية». ومن خلال هذا البرنامج كنت أتابعه باهتمام بالغ، حتى إن صاحب المقهى كان يضطر إلى المتابعة معي على رغم خلو المقهى من الرواد، فقد كان هذا البرنامج من ضمن برامج السهرة.

ويوماً بعد يوم وسنة بعد أخرى كان يتسلل التراث إلى روحي، فتابعته منذ بدايات تفتحي الثقافي على العلوم والتاريخ عند العرب، ورحت أحفظ المقالات والخطب والقصائد الشعرية الجاهلية والأمثال والوقائع والأحداث، فيما كان أبي رجلاً أميًا، إلاّ أنه كان حفاظاً للتراث الشعبي، وكنت نديمَه الوحيد، والمصغي إليه بكل الأحاسيس، فزرع فيَّ ما زرع من عظمة فولوكلورنا الجميل، وكان أول خزين ثقافي تجمعه ذاكرتي.

وحين ترتفع وتائر الوعي الثقافي، وتتداخل النظريات الأيديولوجية في وعي الذات، فإن مصادر الفكر تبدأ بتمييز ما هو أصلح وأفيد لها، ولكن ورغم انشغالي عن البحث التراثي لمدة عقدين من الزمن، إلا أن هاجسه كان يتراكم في ذاكرتي شيئاً فشيئاً، وكانت نوازع الروح تهفو إلى حياضه، فهو

النبع الأروى لهـا، والفضـاء الأرحب، فسارت نـحوه بهدي العـقل، وتروّي العارف، وحكمة المطّلع، وثبات الخطو.

وحـينما يصطدم الإنسان بوعي الحـضارات وهو يـعيش حـالة المنفى، فلاشك أن عودته إلى تراثه وحضارته تكون من الأمور الأولية والأساسية، لأن هـذه العودة تشكل لديه موقفاً وطنياً أولاً، وأساساً ثقـافياً ثانياً، ووعياً حضارياً ـ بالدرجـة الأشمل ـ ثالثـاً. وضمن هذا المنظور، فـإن الباحث عن الحـقيـقة التاريخية، يَشترط عليه الوعي معرفة السابق لربطه باللاحق والآني الراهن، كي تكون معادلة الفهم التاريخي للحضارة والحـياة مبنية على أساسٍ من المعرفة في الواقع المعاش. ومـن هذه الزاوية كانت اندفاعـاتي تتعـاظم نحو كنوز ثقـافتنا وتراثنا النيّر، وراحت حـاسة الإدراك تبرمج الزمن، بغية السـيطرة والتزود من الزاد الأشهى، فاندفعت الروح بكامل طاقتها نحو ذلك المشرب.

شكّل التـراث العربي الإسـلامي بالنسبـة لي أساسـاً ثقافـياً وسـياسـياً وحضارياً، فرحت أتلمّس فيه طريقاً موصلاً إلى غاياتي الإنسانية بفهم حضاري شامل، فـقادتني خطاي المعرفيـة إلى البدء من «تاريخ بغداد»، وحـصرت جل اهتماماتي بتاريخها الاجتماعي والسياسي، وضمن علاقاتها التحتيـة بـدءاً من تأسيـسـها عام ١٤٥هـ، إلى سـقوطهـا على يد المغول عام ٦٥٦هـ، مـحاولاً جهدي قدر الإمكان تفحّص كل ذلك التاريخ الممتـد، وضمن ظواهر اجتماعية ثقافيـة، تماشياً مع رغبـاتي النفسية، ومـداركي العقلية النازعة صـوب التاريخ والأدب، أي إن الظواهر الاجتماعية التي أحاول دراستها تخضع لهذين النازعين.

وبغداد ـ كـحاضرة إسـلامية ـ طغت شـهرتها عـلى كثيـر من العواصم العالميـة في عز مجدها أيـام العباسيين، وشكل تاريـخها الناهض وقتـذاك مادةً أساسـية لكثيـر من الباحثين من العـرب والعجم، نظراً لما حـفلت به من تقدم

وازدهار حضاري وسياسي وثقافي، فقد أنتجت ثقافة هائلة لا تزال قابلة للدراسة والتحليل وإعادة الإنتاج. ولا نبالغ إذا قلنا: إن أركان الثقافة العربية الإسلامية من فكر وأدب وعلوم لم تستقر إلا بها، نظراً لما قدمه رجالاتها وتياراتها العقلية والفكرية ومدارسها الأدبية والفنية من تراث هائل، لم يجر الكشف عنه بشكل كامل، فآلاف المخطوطات، بل الملايين لا تزال تنتظر منا نفض الغبار عنها.

وضمن تلك الظواهر الثقافية الاجتماعية، كانت روحي تطوف حول أولئك المنسيين وجنود الثقافة المجهولين. ذلك أن التاريخ العربي الإسلامي كان أكثره تاريخاً للسلطات السياسية، وما يفعله الحكام والخلفاء والوزراء وما شاكلهم في البناء الفوقي للمجتمع، فيما كانت ساحات القاع التحتي الاجتماعي تفور بظواهر ثقافية حضارية وسياسية لاتقل شأناً في سلم الحضارة عما يقوم به ساسة ذاك الزمان من فعل ووجود. وهذا الجانب الاجتماعي الثقافي يكاد يُغيّب عمداً، أو تسدل دونه الستائر. وهو أمر لافت للانتباه لاسيما في هذا القرن، حتى إن الباحث في مثل هذا الميدان يجد صعوبات جمة، على رغم أن حركة تحقيق المخطوطات في النصف الثاني من هذا القرن سارت بشكل جيد، ولكن نوازع الثقافات الاستعمارية الغازية لبلداننا تحاول إعاقة هذه النهضة الحضارية. وقد أفلحت في أكثر من مكان، ونجحت بأكثر من وسيلة.

لقد دفعني لمثل هذا العمل عدة أمور؛ كان على رأسها الموقف من التراث نفسه، إضافة إلى التحديات الثقافية التي تحاول طمس ثقافتنا وحضارتنا. كما كان هناك دافع آخر هو الحافز الشخصي من قبل بعض الباحثين المهتمين بهذا التراث، فلقد أغراني الأستاذ «حبيب زيات» وراق هذا العصر لأن أكمل

مشواره الذي بدأه مع الوراقين، فقد نشر في عـام ١٩٤٧م دراسةً قصيرةً تحمل عنوان «الوراقة والوراقون في الإسلام»، وصدرت هذه الدراسة في كراس صغير عن المطبعة الكاثوليكيـة ببيروت، وعلى رغم أهمية هذه الدراسة؛ فـإنها كانت عاجلة، خـضعت للمـؤثرات الثقـافية في تلك الـفترة، لكنهـا كانت أسـاساً لدراستي الطويلة هذه عن الورّاقين.

وقد انطلقت بتلك الـدراسة على أمل أن تسد فراغـاً في المكتبة العـربية بهذا الموضوع حصراً، فليس هناك مرجع عن الوراقين يمكن الرجوع إليه لتقصي الظاهرة من كل وجوهها. هذا مـن ناحية، ومن ناحية أخرى فـإن إعادة قراءة التاريخ تتطلـب العودة إلى الجذور بدءًا من القـاع الاجتمـاعي، فكان الوراقون هم أوضح ظاهرة بعـد الكُتّـاب في هذا القـاع، لذلك كـان الاهتـمـام بهـا، وإعطاؤها الوقت الكافي للدراسة، حـيث إن هؤلاء هم الذين حفظوا لنا تراث تلك الحـضارة، من خـلال نسخـهم لكنوز ثقافـتهـا، إضافـة إلى أن الظاهرة تبرعمت وتبلورت واكتملت في العصر العباسي، لعدة أسباب بيَّناها في مقدمة الدراسة. وكـانت بغداد حاضنها الأرحب والأوسـع، ومنها انتشرت إلى بقـية الأمصار الإسلامية. وعلى هذا الأسـاس جاءت تسمية البحث بـ «وراقو بغداد في العـصر العبـاسي». ونظراً لحجم الـظاهرة وسعة انتـشارها، مما يقـتضي منا الإحاطة التامة بكل نواحيها، فقـد قسمنا هذه الدراسة على ستة أبواب، كانت بمجملها عن التطورات الحضارية والتـاريخية والاجتماعية والثقافـية والاقتصادية والسياسـية التي أثَّرت في وجود الظاهرة. كمـا حددنا فيهـا كيفية ظـهور مهنة الوراقة، وأصناف الوراقين، وكـشفنا عن حـياتهم من خلال عـملهم في سوق الوراقين، بالإضافة إلـى ذلك خصصنا بابًا خاصًا بـــ «أعلام الوراقين»، حيث ترجمنا فـيه لكل الشخـصيات التي مرت مـعنا، وتكشفت أسمـاؤها لنا، وقد

تجاوز عدد الأعلام ٢٥٠ وراقاً.

وقد راعينا في هذه الدراسة الاعتماد على المصادر التراثية أولاً وأخيراً، وكان الهدف الأساس لهذه الدراسة هو إبراز التراث الحضاري الثقافي للعصر العباسي، وما تركه للأجيال، وانعكاسات هذا التراث على عصرنا الراهن، بحيث تكون هذه الدراسة كشفاً للواقع الحالي ومتناقضاته، اعتماداً على دروس الماضي وأخذ العبرة منه، وقد مازجنا بين التاريخي والأدبي، اقتداءً بأسلوب الجاحظ، بغية تقديمه بحُلّة مزينة تقبلها العين، ويستسيغها السماع، وتهفو لها الروح دون ضجر.

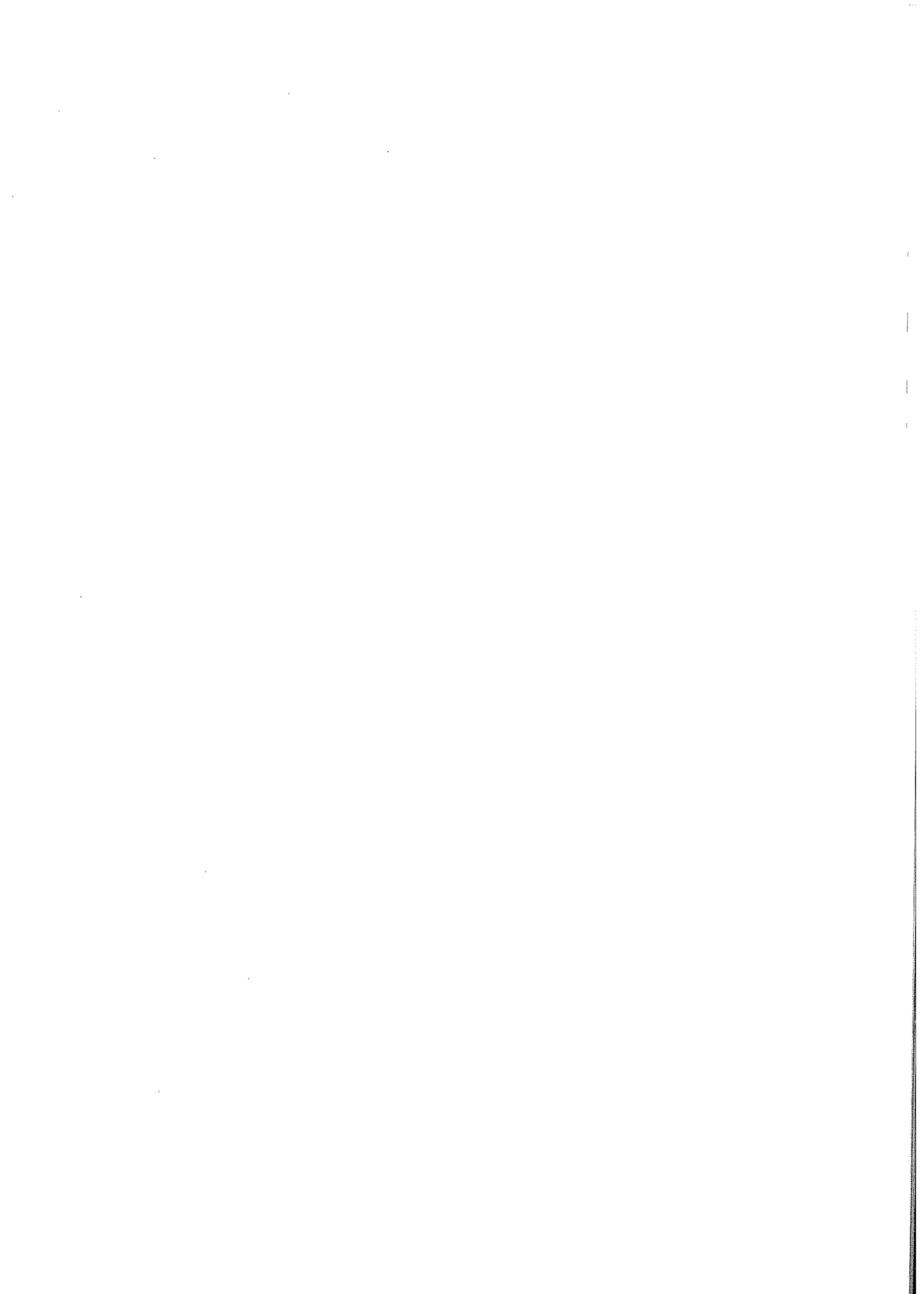
ونود هنا الإشارة إلى أن بعض فصول البحث، لاسيما «أزياء الوراقين» قد أجل الخوض فيه، نظراً لانعدام المصادر من جهة، ومن جهة أخرى، كان تطوافنا من بلد لبلد سبباً حال دون التقاط المصادر والمظانّ، ناهيك عن افتقار بعض المكتبات لبعض المراجع لسبب أو لآخر.

إننا نأمل أن نكون قد أسدينا خدمةً لهذا التراث الغني، وقدمنا فائدة لدارسيه، وفي الوقت نفسه لا نبرئ أنفسنا من الأخطاء، لذا نقدم العذر للقارئ الكريم سلفاً.

خيرالله سعيد

الباب الأول

المهدات الحضارية والتاريخية



الفصل الأول

تمهيد تاريخي عن بغداد

ما إن انتصرت الدعوة العباسية في العراق سنة ١٣٢هـ[(١)] حتى استقرت حكومة أبي العباس السفاح بالكوفة، متخذة منها عاصمة لها على بقية الأمصار، على اعتبار أنها القلعة الأولى لبدء دعوتهم إلى جانب خراسان.

ثمة أمر هام جاءت به الدولة العباسية في بادئ أمرها، ألا وهو وجود جيش نظامي، وهذه المسألة هامة وجديدة على الصعيد الإداري والسياسي في تطور الدولة الإسلامية، وشكل هذا الجيش في قوام الدولة البديل الأقوى والأثبت للجند المقاتلين الذين ترسلهم القبائل. وكان العباسيون قد خالطوا أقواماً أخرى، وخصوصاً الفرس الذين عرفوا بحسن الإدارة والتنظيم في الدولة الساسانية. وهذا الأمر أحدث تلاقحاً فكرياً بين ثقافتين، فارسية وعربية، وهو ما برز فعلاً على الصعيد السياسي والاجتماعي والأدبي، فآل ساسان والبرامكة وآل سهل عائلات فارسية معروفة، كان لها نفوذها وحضورها في الدولة العباسية منذ بداياتها. وظل هذا الحضور قائماً حتى بعد نكبة البرامكة أيام

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٤٠٨/٥ ومابعدها.

الرشيد سنة ١٨٧هـ[١]. كانت فكرة إيجاد مركز للخلافة العباسية قائمة في أذهان الخلفاء العباسيين منذ قيام الدعوة العباسية. وحتى مسألة قيام المركز في الكوفة والأنبار كان على مضض من قبل السفاح، فقد وردت على لسان أبيه محمد بن علي أنه أشاد بفضل خراسان على أساس ولائها السياسي لهم واصفاً البصرة بأنها عثمانية تدين (بالكف عن القتال)، واعتبر الجزيرة الفراتية حرورية مارقة وأعراباً كأعلاج. وواصفاً مكة والمدينة بأنهما قد غلب عليهما (أبوبكر وعمر)، أي أنهما تتمسكان بذكرى الراشدين، وأما الكوفة فقد غلب عليها حب (علي وآله)[٢]. ومن هذا المنظور تكون فكرة إيجاد البقعة البديلة عن الأنبار وغيرها قائمة أصلاً عند خلفاء بني العباس الأوائل، لذلك عندما جاء المنصور للخلافة سنة ١٣٦هـ[٣] كان همّه الأول إيجاد عاصمة له، تكون مركزاً بعيداً عن العصبيات المناوئة لهم، وفي الوقت نفسه تكون لهم السيطرة فيها على كل الأقاليم الخاضعة لدولتهم، إضافة إلى وجود عامل طبيعي يساعدهم في تسيير أمورهم الاقتصادية والزراعية والتجارية، وقد كان المنصور جال الأرض فبلغ طنجة وأقام بالبصرة ودخلها غير مرة ووصل إلى أصبهان وكان يحج ويجاور مكة ويدخل الكوفة ويقيم فيها، وجال في بلدان الجزيرة وديار ربيعة ومضر، وكان مع أبيه وعمومته في الشراة، ومع هذا كان طلاّبة للأدب والعلوم، محباً للسياسة، بعيد الهمة، جيد الرأي والتدبير، وكان مقداماً

---

(١) راجع عن البرامكة ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ ترجمة أحمد الشنتاوي وجماعته ٣/ ٤٩٢-٤٩٩.

(٢) عبدالعزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ط٢ (بيروت: منشورات دار الطليعة، ١٩٧٨م)، ص ٧٥.

(٣) انظر: ابن الفقيه، بغداد مدينة السلام، تحقيق صالح أحمد العلي، ط٢، (بغداد: منشورات وزارة الإعلام، د.ن)، ص ٨٨ ومابعدها. وراجع خيرالدين الزركلي، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين بيروت، ١٩٨٠م)، ج٤، ص١١٧.

على أجلِّ الأمور دون تردد، كتوماً لأمره، لا يطلع أحد على سريرته، وقد أجاد ابن هرمة في وصفه:(١).

إذا ما أراد الأمر ناجى ضميره	فناجى ضميراً غير مختلف العقل
ولم يشرك الأدنين في جل أمره	إذا انتفضت بالأضعفين قوى الحبل

ويشير ابن الفقيه في عبارة دقيقة إلى خبرة المنصور وحزمه، وطول أناته وبعد نظره، إضافة إلى جانب سياسي مهم في بناء مدينة بغداد فيقول:(٢)

«فبهذا الحزم، وهذه التجربة، وبُعد هذه الهمّة، والأسفار الكثيرة، ومشاهدة البلدان البعيدة، رأى أن يختار هذا الموضع مدينةً ومنزلاً ومستقراً، هذا وخراسان تتمخض، وفي أكناف الشام جماعة من بني أمية، يحاولون طلب الملك، وبالحرمين طالبيون يرون أنهم أحق الناس بالملك».

وثمة مسألة أخرى كانت قائمة في ذهن المنصور حسبما نعتقد، وهي أن توسط الموقع لإقليم العراق سيساعد على الإشراف على بقية الأقاليم لإدارتها جيداً وقمع أي تحرك فيها قبل استفحاله. وقد تمكن المنصور من ملاحقة عبدالجبار بن عبدالرحمن في خراسان حتى أخذ أسيراً، ومحمد النفس الزكية، حتى بلغ مراده كما يقول ابن الفقيه. كما أمكنه أن يوجه المهدي إلى الري وطبرستان وجرجان. وأمكن المهدي من توجيه الهادي إلى جرجان، والرشيد إلى صائفة الروم، وأن يمضي الرشيد بنفسه يريد سمرقند، وأن يوجه الأمينُ عليَّ بن عيسى بن ماهان إلى خراسان، وأن يوجه المأمونُ عبدالله بن طاهر إلى مصر، ويشرف على بابك بالجبال، وأن يفتح طبرستان وعمورية. ولولا توسط بغداد لكان الأمر أعسر، والطلب أبعد والأخبار أبطأ.

---

(١) ابن الفقيه، بغداد مدينة السلام، ص ٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٨.

ومن هذا تتضح الأهمية الإستراتيجية لهذا الموقع الجغرافي لبغداد التي لم تكن مدينة في الماضي، إنما كانت قرية من قرى طسوج بادوريّا، لم يكن فيها إلاّ دير للنصارى النسطورية، عُرف في العصر الإسلامي بالدير العتيق[1].

وقد اختار المنصور موضع بغداد بعد اختبار شخصي للمكان ذاته، حدد فيه بعض المعالم التي تصلح لإقامته وإقامة جنده والناس من حوله، قال المنصور لبعض أصحابه: "أريد موضعاً ترتفق به الرعية ويوافقها، ولاتغلو عليها فيه الأسعار، ولا تشتد فيه المؤونة، فإني إن أقمت في موضع لا يُجلب إليه في البر والبحر غلت الأسعار، وقلّت المادة واشتدت المؤونة وشقّ ذلك على الناس. وقد مررت في طريقي بموضع قد اجتمعت فيه هذه الخصال، فأنا راجع إليه وبائت فيه، فإن اجتمع لي ما أريد من طيب الليل فهو موافق لما أريده لي وللناس. قال فأتى موضع بغداد"[2]. وبعد أن تم الاختيار وجه المنصور في حشر الصنّاع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة فأُحضروا، وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة، فجمعهم وتقدم إليهم أن يشرفوا على البناء، وكان فيمن أُحضِر الحجاج بن أرطأة. ثم أمر بخط المدينة وحفر الأساسات، وضرب اللَّبِن، وطبخ الآجر، فبدئ بذلك سنة ١٤٥هـ، وتم الفراغ من بناء (مدينة السلام) سنة ١٤٦هـ، فيما أتم بناء السور والفراغ من الخندق وإحكام جميع أمر المدينة سنة ١٤٩هـ. وتحول إليها المنصور من الهاشمية سنة ١٤٦هـ، وأرّخ

(١) اليعقوبي، البلدان (لايدن [هولندا]، ١٨٩١م) ،ص ٣ ـ ٢٠. وانظر: طبعة النجف العراقية من الكتاب نفسه، ط٣، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ، ص ٢٣٥.

(٢) ابن الفقيه ،ص ٣٠ -٣١.

ابن الفقيه ذلك بالعربية / الهجرية، وبالفارسية والشمسية قائلا: [1] «وكان تحوّل المنصور من الهاشمية إلى بغداد والابتداء ببنائها سنة خمس وأربعين ومئة وذلك في اليوم الثامن عشر من مردادماه سنة إحدى وثلاثين ومئة ليزدجرد [فارسي] وآخر يوم من تموز سنة ألف وثلاثمائة وسبعين للإسكندر، والشمس في الأسد ثماني درجات وعشر دقائق». وفي سنة ١٥٣هـ نزل المهدي ابن المنصور وولي العهد بالرصافة، فاختط قصره بها، وحفر نهراً يأخذ من النهروان سماه نهر المهدي، في الجانب الشرقي، وأقطع المنصور إخوته وقوّاده، مثلما فعل في الجانب الغربي (الكَرْخ) وهو جانب مدينته. وقُسمت القطائع في هذا الجانب (الرُّصَافة) وتنافس الناس في النزول على المهدي لمحبتهم له ولاتساعه عليهم بالأموال والعطايا. كما أن الرصافة كانت أوسع الجانبين أرضاً ولأن الناس سبقوا إلى الجانب الغربي، وهو جزيرة بين دجلة والفرات، فبنوا فيه وصارت فيه الأسواق والتجارات، ولما ابتدئ البناء في الجانب الشرقي امتنع على من أراد سعة البناء. فقد كان المجتمع الإسلامي يخرج من التنظيم القبلي إلى التنظيم السكني باتجاه قيام مجتمع متماسك تتوفر فيه شروط الاستقرار السياسي والاجتماعي. فلقد سكن بغداد مختلف الأجناس من العرب والعجم، فيهم المروزية (من مرو)، والخراسانية، والكرمانية وأهل فارياب، والأفارقة والديلم والبغيّين [2].

لم تكن فكرة إنشاء بغداد فكرة عابرة قطعاً خطرت في بال المنصور، بل كانت رؤية إستراتيجية، فلقد كان يرمي إلى أبعاد سياسية، محصلتها إقامة

---

(١) ابن الفقيه، ص ٣٩ – ٤١.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٤٨-٢٥١.

تحالفات جديدة بين أجناس مختلفة كما يقول أحد المعاصرين.[1]

وقد كان للموالي حظ كبير في أيام العباسيين، بعد أن كانت لهم مشاركة فعلية في الثورة العباسية، وقد استهوتهم سياسة العباسيين الإسلامية المنفتحة على غير العرب.[2] إن هذا التمازج أمر له مردوده على بغداد خاصة، ومدن العراق عامة، وبالأعم على بقية أقاليم الدولة العباسية، إذ كان من شأنه اكتساب عادات وتقاليد جديدة متطورة بعض الشيء، ونازعة في أغلبها نحو التمدن، وهو ماسوف يظهر بشكل جلي وواضح على الحياة الاجتماعية والثقافية لعامة أهل بغداد ووسطها الثقافي من علماء وكتّاب ووراقين وخازني الدور والمكتبات والظّراف والمحدثين وغيرهم.

ينقسم تاريخ بغداد الذي بدأ بالمنصور على عصرين عظيمين، الأول عصر بني العباس الذي دام حوالي خمسمئة سنة، كانت فيه بغداد قصبة دولة إسلامية عظيمة ـ ما خلا خمسة وخمسين عاماً منها ـ وغدت مركز الحياة العقلية وأهم مركز تجاري في الشرق، وكسفت شمسها حواضر الولايات في العالم الإسلامي، بل إنها احتلت أرفع مكان في العالم المتمدن آنذاك بفضل اتساعها وازدهارها.

أما العصر الثاني فبدأ بسقوط الخلافة العباسية على يد المغول سنة ٦٥٦هـ وحتى وقتنا الحاضر. وبلغت المدينة أزهى عصورها في القرن الذي أعقب وفاة المنصور، أو بوجه أدقّ في عهد خلفائه الخمسة من المهدي إلى المأمون، أي من

(١) فهمي عبدالرزاق سعد، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين (بيروت: منشورات الأهلية للتوزيع، ١٩٨٣م)، ص ١٥.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبدالعزيز الدوري والمطّلبي (بيروت: د. ناشر، ١٩٧١م)، ص ٢٨٧ ومابعدها.

عام ١٥٩هـ ـ ٢١٨هـ/ ٧٧٥ ـ ٨٣٣م. وقد أثّرت فيها سلباً الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون، حيث حوصرت لأول مرة في تاريخها، ودام هذا الحصار أربعة عشر شهراً، وامتلأ زمن الحصار بالدسائس والغدر على اختلاف أنواعه، ورزح الجانب الغربي (الكرخ) تحت المجانيق، وخُرِّب الجزء الأكبر من نصفها الشمالي المعروف بـ (الحربية)، ووجد الخليفة الأمين نفسه آخر الأمر منعزلاً في قصر (الخلد) على شاطئ دجلة، وما لبث أن وقع في الأسر وهو يحاول الفرار، وقتل في أوائل عام ١٩٨هـ/ ٨١٣م وبموته رفع الحصار عن بغداد.[١]

ثم نقل المعتصم العاصمة العباسية إلى (سُرَّ مَنْ رأى) ـ سامراء ـ فراراً بجنوده الأتراك من أهل بغداد سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، إلا أن بغداد لم تفقد كل بريقها. وفي هذا العهد ـ أي العهد السامرائي ـ حدث الحصار الثاني لبغداد، الذي استمر طوال عام ٢٥١هـ/ ٨٦٥م تقريباً، حين فر الخليفة المستعين إلى بغداد بالقسم الأصغر من جنده، وبقي القسم الأكبر من جنده الأتراك في سامراء، وبايعوا المعتز ابن عم المستعين بالخلافة، وحاصر المعتز بغداد، وقد استبسل أهل بغداد في الدفاع عنها، وعلى رأس هؤلاء المدافعين كان العيّارون، فقد تمكنوا من الصمود أمام الجيش النظامي من الأتراك، وتمكنوا مع من انضم إليهم من المبيضة والغوغاء من إعطاب مجانيق الترك، وتمكنوا من إلحاق الهزائم بالأتراك بعد أن نصبوا لهم الكمائن، حتى قتلوا منهم الكثير وشحنوا رؤوس القتلى إلى بغداد بالشبارات، يقول الطبري[٢]: إن محمد بن عبدالله الطاهري قائد شرطة بغداد أصدر سلسلة من الإجراءات العسكرية، وأمر أن يقبل في

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٤/ ٨ ـ مادة ـ بغداد.

(٢) تاريخ الطبري ـ ضمن أحداث سنة ٢٥١ ـ تحقيق أبوالفضل إبراهيم ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٨م/ ٩/ ٢٨٢.

الجيش من يرغب من العيارين، وأن يجعل عليهم العرفاء، وتُصنع لهم التراس من البواري[1] المقيرة، وأن يُعمل لهم مخال تملأ بالحجارة، كما أصدر أمراً بإعطاء خمسين درهماً لكل من جاء برأس تركي أو مغربي، وقد كان أكثر ذلك العمل للمبيضة[2] والعيارين.

في هذا الدفاع عن بغداد أكثر من مرمى، في أعلاها حسٌّ البغدادي بوجوده وشخصيته من خلال دفاعه عن مدينته، صحيح أنه بالمحصلة يدافع ضمناً عن السلطة، لكن الدفاع عن المدينة هو الأوضح، وذلك ماكشفته الأحداث اللاحقة. وثمة أمر هام في الاستبسال، هو أنه مكّن العامة من ابتكار أشكال وأساليب متتالية لم تخطر ببال، فقد استطاع العيارون أن يثبتوا موقفاً ميّزهم عن بقية فئات المجتمع البغدادي حين دافعوا بالحجارة. وقد شمل هذا الدفاع مختلف فئات الناس، ولكن صورة العيارين هي الأبقى، حتى كان منهم الغلام الذي لم يبلغ الحلم كما يقول الطبري[3]، فقد كانت معه المخلاة وفيها الحجر يرمي بها الأتراك غزاة مدينته فلا يُخطئ وجوههم.

إن هذا الاستبسال المقاوم لم تكن سلطة المستعين في مستواه لأنها تقاتل متفرجة ومن على شرفات القصور، فقد ظهر فيها حبل التراجع واضحاً وبدأت المفاوضات والمساومات مع أصحاب المعتز فثارت العامة بمحمد بن عبدالله بن طاهر، وَسبُّوه وشتموه، وطوقوا داره التي فيها المستعين عدة مرات، وطلبوا إلى الخليفة الانتقال عنها، وجهزوا الزواريق بالنفاطين واستعدوا لضرب محمد ابن عبدالله بن طاهر، وحاولوا منع المستعين من التنازل، لكنه كان قد اندحر

---

(١) البواري، جمع بارية، والبارية حصير منسوج من القصب، مشهور في العراق، لا سيما الجنوب منه.

(٢) المبيضة: الذين يرفعون شعاراً أبيض (علَم) عكس الشعار العباسي الأسود والمقصود بهم هنا: جميع الذين يخلعون السلطة العباسية ويقاتلون ضدها ــ انظر العامة في بغداد ص ٣٠١ ــ هامش رقم ١٨.

(٣) تاريخ الطبري، الجزء التاسع، أحداث سنة ٢٥١هـ.

من الداخل واضطر إلى التسليم بشروط مهينة، وتنازل عن كل حق له في الخلافة. لكن العيارين لم تهدأ حركاتهم بعد هذا الحدث، فقد اغتنموا فرصة شغب الجند من أجل الحصول على رواتبهم فانضموا إليهم ومنعوا الخطبة للمعتز، وتحرك عامة الجانب الغربي وانتهبوا مراكز الإدارة، فأمر ابن طاهر بإحراق الدكاكين التي على باب الجسر تأديباً لأصحابها من التجار والعامة الذين ناصروا الجنود.[1] هذه الأحداث وغيرها في مختلف العصور العباسية أثبتت أنه أصبح للعامة شأن في تقرير أمور الدولة والحكم بعد أن مسها سوط التسلط التركي. وقد مال هذا الأمر بميزانه إلى جانب الخلافة الشرعية إذ تضامن في هذا الموقف عامة سامراء مع عامة بغداد، مما أخاف رجال الجيش من أهل بغداد، فتقرب الخليفة المعتز منهم بعد تسلمه زمام الخلافة فيها، وهذا الوجل ظل قائماً مدة طويلة. وقد كشف لنا تاريخ التطور الاجتماعي والسياسي لبغداد، أن الحساسية السياسية من لدن العامة ضد الخلافة العباسية التركية كانت قابلة للانفجار في أية لحظة، وكان الجمهور نقطة التفجير في الأغلب، ففي سنة ٢٦٩هـ وثبت العامة بالجند بعد رمي أحدهم امرأة بغدادية بسهم، فاستعدي السلطان على رئيس الجندي فامتنع عن تأديبه، بل قام أصحاب الجندي برمي الناس بالسهام فقتلوا وجرحوا جماعة، فردّت العامة بأن قتلت جنديين ونهبت دار القائد ودوابه ففرّ هارباً من بغداد.[2] وفي سنة ٢٧٩هـ عاد المعتمد من سامراء إلى بغداد وجعلها حاضرة الدولة للمرة الثانية تقرباً لأهلها، ولكن ذلك لم يمنع من تفشي روح المعارضة عند البغداديين، ففي سنة ٢٨٤هـ ثار أهل بغداد بالمعتضد نتيجة انتصار الخليفة لخدمه، بعد أن

(١) الطبري، المكان السابق، والعامة في بغداد ص ٣٠١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٧/ ٣٩٦.

صاح بهم الناس: «ياعقيق صب مـاء واطرح دقيق، ياعاق ياطويل الساق»[1]، وكانوا يلاحقونهم في الأزقة والشوارع فاشتـكوا إلى الخليفة، فأمر بجماعة من العامة فضربوا بالسيـاط، مما كان له مردوده العكسي فتظاهروا في المدينة. وفي سنة ٢٨٩هـ توفي وصيف الخادم في السجن، وصُلبت جثته على جسر بغداد، فخـرجت العامة وعمـدت إلى الجثة وتماجنت بها، فـقد خرج نحو مـئة ألف شخص يحمـلون الجثة ويصيحـون حولها: «لقد وجب علينـا حق الأستاذ أبي علي وصيف الخادم لطول مجاورته لنا، وصبره لا يبلى على هذه الخشبة» فلفوه في رداء بعضهـم وحملوه على أكتافهـم، يرقصون ويغنون حوله ويصـيحون: «الأستاذ الأسـتاذ». فلما ضجروا من ذلك طرحـوه في دجلة، فغرق في ذلك اليوم منهم قوم في دجلة.[2]

ازدهـار بغـداد:

ما إن استُوطنت بغداد بعد إكمال عمـارتها حتى بدأ العراقيون يتقاطرون عليها من كل صـوب، وشكّل توافدهم هجرة متواصلة للاستـقرار في بغداد، حتى إن مؤرخها ابن الفـقيه يحار في إحصاء عدد الوافدين عليـها، فيقول[3]: «كثير ممّا لا نذكره ونحصيه، ولا نعلمه فـنستوفيه فيما بين كل بلد وقراه، وكل قـرية ونظائرها ممن لا يحصى عـددهم، ولا يَعلم كنه عُـددهم إلا خالقـهم، مستجـيرين بمدينة السلام، فوجدوا مـحلاً لاتضيق بهم دياره، ولا يمتلي منهم أقطاره، ولا تغلو بكثرتهم أسـعاره، ولا يتحاكم في أقواتهم تجّـاره، ولا يعجز

(١) تعليقات البغداديين إحدى الأساسيات في الفولكلور البغدادي، وهي ظريفة جداً.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، طبعة الجامعة اللبنانية ـ بعناية شارل بيلا ـ بيروت ١٩٧٤م، ١٧١/٥.

(٣) بغداد مدينة السلام ص ٩٣.

عن ميرتهم ممتاره (من الميرة)[1]، ولا يحس أهله بالواردين منهم إذا أتوا ولا الصادرين إذا مضوا».

هذا النص يكشف بجلاء تزايد الهجرة إلى بغداد وتوسع رقعتها الجغرافية واستقرار أسعارها وقتذاك. وقد أورد ابن الفقيه رقماً تقريبياً إن لم يكن مبالغاً فيه، وهو أن بغداد استوعبت ستة وتسعين ألف ألف إنسان[2] ويضيف قائلاً: ثم إذا أضفنا إليهم مثلهم في وقت من الزمان من المستجيرين بهم من أهل البصرة والأبلّة وكور دجلة وسواد الأهواز والنهروانات، والزواني وسقي جوخى وكثير من أودية الفرات، اجتمع من ذلك تقريباً مئة واثنان وتسعون ألف ألف إنسان، أي ما يقارب المليون والربع، وهذا العدد في ذلك الأوان ليس من اليسير تأمين غذائه ومعاشه. وقد بلغ عدد المنازل اثني عشر ألف ألف منزل، وزاد عدد الحمّامات على مئتي ألف حمام[3].

وإزاء هذا التوسع العمراني والسكاني لمدينة بغداد أصبح من الضروري أن يكون لها ظهير إقليمي زراعي، يمدها بما تحتاج إليه من المنتوجات الزراعية، والزراعة وقتذاك كانت أسلوباً رئيساً في الإنتاج، إلى جانب الصناعات الحرفيّة، فلقد عُرف أن أرض العراق اعتبرت ملكاً مشتركاً للأمة الإسلامية، ولو أنه وجد في العراق أنواع مختلفة من الملكية، حيث كانت شروط استغلال الأراضي تعتمد عادة على أشخاص أصحابها ومراكزهم، كما أن الأراضي

(١) هكذا وردت في النص، ولا معنى لها في السياق.

(٢) المصدر السابق ص ٩٩ ـ ١١١، وهذا الرقم مبالغ فيه قطعاً، حيث إنه يساوي «٩٦ مليوناً» وربما كان الصحيح ٩٦ ألفاً، ونعتقد أن هذه الأرقام زيدت عليها كلمة «الف»، لأن سكان العراق بأكمله لم يبلغوا هذا الرقم، وكذلك عدد المنازل والحمامات، ومن المحتمل جداً أن يكون الناسخ سها بإضافة الألف الثانية.

(٣) المصدر السابق ص ٩١.

كانت مسجلة في ديوان الخراج المركزي في بغداد، كما كانت مسجلة في الدواوين المحلية، كل أرض في منطقتها[1]. وقد تطورت الزراعة فيما بعد تطوراً ملحوظاً، يستدل عليه من خلال تطور عدد أنواع المحاصيل الزراعية، ففي نادرة لطيفة يوردها ابن الفقيه[2] يذكر أن مهرويه باغيان السلطان زعَم أنه يعرف بمدينة السلام نيفاً وسبعين صنفاً من التفاح، ثم عدّها، فتبسم أخوه شهريار، ثم قال: كذا وكذا، زيادة على ما قال أخوه بنحو أربعمئة نوع وتسعة أصناف. ثم يذكر جملة من الفواكه والخضار كثيرة، منها الأترج والنارنج والزعفران والأقحوان والفستق واللوز والزعرور والموز والشاه بلوط والجوز والغبيراء والجلوز والسدر والحبة الخضراء واللقاح والبندق والبلوط والمقل والسبستان والهليون والريباس والفوة والمحروت والاشترغاز والراس والأنجذان والعضل والأسقيل والداذي والبلسخية والرزين والتمر والقطن.

وما إن أطل القرن الرابع الهجري برأسه على بغداد حتى بدت ملامح الإقطاع آخذة في التبلور والوضوح، وآسرة علاقات المجتمع وبنيته الطبقية في سياق نسيجها، ومن ثم أصبح الإقطاع أسلوباً رئيساً للإنتاج تحدد على ضوئه البنية الاقتصادية وتطوراتها في حياة المجتمع العباسي. وقد لحظ في ذلك القرن خمسة أصناف رئيسة من الإقطاعات هي: ١ ـ الضياع السلطانية ٢ـ الإقطاعات ٣ ـ أراضي الملك ٤ ـ أراضي الوقف ٥ ـ الأراضي المشاعة.[3]

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة القاهرة ١٩١٩-١٩٢٢م، ١٤/ ١٢٤، وكذلك عبدالعزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ص ٢٥.

(٢) بغداد مدينة السلام، ص ٧٠.

(٣) راجع تفصيلات ذلك عند عبدالعزيز الدوري، تاريخ العراق، مرجع سابق، ص ٢٥ ومابعدها.

والجانب الاقتصادي الثاني الذي يعتمد عليه الاقتصاد العباسي إلى جانب الزراعة هو الاقتصاد المدني، فقد شهد هو الآخر تطوراً ملحوظاً، حيث توسعت التجارة ونمت الحياة المدنية وازدهرت المؤسسات المصرفية[1] ، مما رفع مستوى المعيشة في المدن، بينما برز التباين الاجتماعي واضحاً من خلال مداخيل الأفراد، فقد ذكر مسكويه أن واردات بيت المال الخاصة «بالخليفة» للفترة من (٢٦٩هـ ـ ٣٢٠هـ) أي أكثر من ربع قرن كان «٠٠٠ر٨٣٠ر٨٩» ديناراً، صرف منها ١٧ مليوناً لأغراض رسمية، بينما صرف الباقي على نفقات البلاط التي بلغت (٠٠٠ر٨٨٠ر٢) ديناراً سنوياً، أي (٠٠٠ر٢٤٠) دينار شهرياً، كما ذكر مقادير رواتب موظفي الدولة في مختلف الشؤون.[2]

كانت التجارة قد نشطت في القرن الثالث نتيجة لقوة الدولة العباسية من جهة، وكان الموقف التشريعي الإسلامي من جهة ثانية لا يتعارض كثيراً مع التجارة والتجار. وتشير المصادر إلى أنه في نهاية القرن الثاني أخذت مجموعة ولو قليلة من الأبحاث الفقهية تعلن تبني الفقه للأوضاع الاقتصادية الجديدة التي سمحت بالتعامل وفقاً للشريعة، فوضع محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) كتاباً في «المكاسب»، وفيه اعتبر التجارة أحد النشاطات الاقتصادية المباحة. كما وضع كتاباً في «المخارج والحيل» الذي اعتبر دليلاً للتجّار العراقيين يساعدهم على تفهم أرحب لنظرة الإسلام إلى البيوع. كما عالج الشيباني العلاقات التجارية بين دار الإسلام ودار الحرب في كتابه السير. وأخرج الفقه الجعفري التجارة من دائرة المحرمات، ورأى أحد المتصوفين أن على التاجر تعلم

---

(١) يورد الدوري جداول للأسعار ولمختلف الحاجيات والبضائع والمواد الزراعية وارتفاع المهور وغيرها. راجع ص ٢٣٩ ـ ٢٤٤ من المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٩ ـ ٢٦٦.

البيع والشراء والأخذ والعطاء، ومعاملـة الناس في البيوع، ومعرفة أبواب الربا ليعلم ذلك قبل الوقوع فيه.[1]

كل هذه التطورات الاقتـصادية والتشريعيـة انعكست بشكل إيجابي على حيـاة الناس وأحوالهم المعـاشية، حـتى غدت مـسألة «المعاش» رخـيصـة جداً بالقياس إلى مابعـد تفكك الدولة العباسية وسقوطها إبان الغـزو المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ.

يحكي صاحب مصارع العشاق أن فتى هوى جارية، ودفع كل ما يملكه وهو سبعمئة دينار لعله يحصل عليها، فلم يفلح ومات كمداً ووجداً.[2] ويورد خبراً آخر يوضح الأبعـاد الاقتصادية المتناقضة بين شـخص وآخر، لكنها ترجح نسبـة الرخاء كثيـراً، يقول[3]: عن إسحاق بن إبراهيم المـوصلي قال: حدثني إبراهيم بن ميـمون قال: حججت في أيام الـرشيد، فبينمـا أنا بمكة أجول في سككها، فـإذا أنا بسوداء قائمة سـاهية، فأنكرت حـالها، ووقفت أنظر إليـها، فمكثت كذلك ساعة ثم قالت:

أعـــمـــرو لماذا تجنبـــتـني	أخـــذت فـــؤادي فـــعـذبتني
فلو كنـت ياعـمـرو خـبّـرتني	أخـذت حـــذاري فـمـا نـلتني

قال فدنوت منهـا وقلت: ياهذه من عمرو؟ فارتاعـت من قولي وقالت: زوجي، ثم شرحت لي مـاكان بينهما من ود ومـحبة، وأنه تركهـا ومضى إلى جدة لضـيق حالٍ ألمّ به، فقـال إبراهيم بن ميـمون: أتحبين أن أجمع بينكما؟

---

(١) راجع فصل التجارة في: العامة في بغداد، ص ١٢٠-١٣٠.

(٢) الشيخ أبومـحمد جـعفر بـن أحمد بن الحـسين السراج، مصارع العشاق، ط١. مطبعـة الجوائب، القسطنطينية ١٣٠١، ص ٥.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

قالت فكيف لي بذلك؟ وظنتني أهزأ بها، قال: فركبت راحلتي وتوجهت إلى جدة، ووقفت في المرفأ أتبصر من يعمل في السفن وأصوّت: ياعمرو، ياعمرو. فإذا أنا به خارج من سفينته، وعلى عنقه «صَن» فعرفته بالصفة فقلت: «أعمرو علام تجنبتني» فقال: هيّه، هيّه، رأيتها وسمعته منها، ثم أطرق هنيهة، ثم اندفع يغنيه، فأخذته منه وقلت له: ألا ترجع؟ فقال: بأبي أنت وأمي ومن لي بذلك، ذلك والله أحب الأشياء إليّ، ولكنْ منع منه طلب المعاش، قلت كم يكفيك كل سنة؟ قال : ثلاثمئة درهم، فأعطيته ثلاثة آلاف درهم وقلت: هذه لعشر سنين ورددته إليها، وقلت له: إذا فنيت وقاربت الفناء، قدمت عليّ فسررتك وإلا وجهت إليك وكان ذلك أحب إليّ من حجي». هذه الحوادث تؤكد وجود التناقض في مداخل الأفراد كما أشرنا، ومن ناحية أخرى توضح البعد الإنساني وسموه أحياناً على البعد المادي «المالي». وكانت الحياة مليئة بمثل هذه المواقف والعِبَر، وهي كثيرة، لقد ازدادت مدخولات الناس بعد التوسع الاقتصادي التجاري الذي شهدته بغداد، وراحت تلتفت إلى حياتها الخاصة، فبدؤوا بالبيوت وأخذوا يفكرون بتحسين هندسة بنائها وتهويتها لاسيما في أوقات الصيف القائظ، وعرفوا من عهد المنصور طرقاً للتبريد، فقد كان يُنصب الخيش الغليظ على قبة، ثم يبلونها بالماء فتُبرّد الجو، ثم اتخذت بعدها الشرائح، فاتخذها الناس.[1]

إن مسألة التطور الاقتصادي انعكست بتناقضاتها على التركيبة الطبقية في المجتمع البغدادي أكثر من غيره، وبرزت بشكل واضح في أبهاء الحكم العباسي ومظاهره الرسمية، وصار التمايز الاجتماعي واضح القسمات على أساس

---

(١) لطائف المعارف، للثعالبي طبعة البابي الحلبي، تحقيق إبراهيم الإبياري ص ٢٠، وآدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، طبعة القاهرة، ط٣، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ٢/ ٢٠٥.

النسب والمال، ففي العصر العباسي الأول كان التفريق بين العربي والنبطي[1] قائماً ، كما أن الفرق بين العرب والموالي لم تزل آثاره باقية لدى البعض، لاسيما أن بعض المذاهب الفقهية قد ساهمت بشكل أو بآخر ببقائه، فقد جاء عند مالك بن أنس أنه إذا قيل للرجل من العرب: «يانبطي» فإنه يُضرب الحد، ولم يجرِ ذلك الحكم على بقية الأقوام من غير العرب.[2] وأصبح من الظاهر والمألوف الدخول على الخليفة وفق ترتيب معين يدخل فيه الرجال كل حسب مرتبته، وكان التميّز يجري بمستوى المعيشة، وكان التفريق يجري بين من نشأ في قصور الخلافة وبين من نشأ بين العامة والبدو، كما كان التميّز قائماً على حقل الأخلاق، فالمعيار: الأبوة والنعمة والعِرق والكِتْبة.[3] وأدت التطورات الاجتماعية التي نتج عنها قيام طبقة واسعة من العمال والحرفيين والتجار إلى اختفاء بعض المعايير الاجتماعية القديمة كما يقول باحث معاصر.[4] ومنذ القرن الثالث الهجري أصبح الناس يتعارفون بمهنهم فيقال: الجواليقي، أو الرفّاء، أو الكاتب أو الشاهد أو السقطي، وربما تعارفوا بمواطنهم فكان يقال: البغدادي والبصري والموصلي والكوفي والبخاري والسمرقندي.[5]

إن اكتمال بناء سلطة الدولة ومؤسساتها وبروز التمايزات الاجتماعية في

---

(١) راجع خبر العباس بن الأحنف وفوز في الأغاني ومابعدها ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠/ ١٧/ ٦٩ للوقوف على هذه التمايزات.

(٢) انظر: المدونة الكبرى لمالك بن أنس باب «فيمن نسب رجلاً من العرب أو من الموالي إلى غير قومه»، ط ١. المطبعة الخيرية، ١٣٢٤هـ، ٤/ ٣٩٣.

(٣) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي ٢/ ٢٢٨ طبعة سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م. وانظر كذلك فهمي عبدالرزاق سعد، العامة في بغداد، ص ٥٧.

(٤) فهمي عبدالرزاق سعد، المصدر السابق، المكان نفسه.

(٥) راجع ذلك في تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، فقد ترجم للعديد من الشخصيات وذكرها بألقابها.

بنية المجتمع أمر له دلالات تاريخية، تؤشر إلى رقي وتطور حضاري، ونهوض صاعد، سوف يسم كل مظاهر الحياة بميسمه، ويُدلل على وجود تناحر اجتماعي سيفضي بالنتيجة إلى تطور مُطرد، من شأنه أن يحثّ على إنهاض فكري عام.

لقد أصبحت الحياة في ظل الخلافة العباسية ـ لاسيما في القرن الرابع الهجري ـ تُشير إلى تأطير واضح في البنية الطبقية للمجتمع، يُحكم بعلاقات «السيد والمسود». وقد كان للصفوة المثقفة من الأدباء والمفكرين والوراقين الذين كانوا ظاهرة ثقافية متميزة دور هام في إبرازها للسطح، من خلال التعامل الثقافي المهني فيما بين هذه الفئة، وقد استطاع هؤلاء المثقفون تلمّس التناحر الاجتماعي القائم وذكروه في مؤلفاتهم الغنية.

ولقد قسّمَ أبوسليمان السجستاني ـ رأس مناطقة بغداد ـ فئات المجتمع على أساس أخلاقي، منطلقاً من سلوكهم في المجتمع وعلى أساس التعامل البشري ضمن مفهوم الصراحة الإنسانية، إذ يقول:[1] «فأما الملوك فقد جلّوا عن الصداقة... وأما الثنّاء وأصحاب الضياع فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير، وأما التُجّار فكسب الدوانيق سد بينهم وبين كل مروءة وحاجز لهم عن كل مايتعلق بالفتوة، وأما الكتّاب وأهل العلم فإنهم إذا خلوا من التنافس والتحاسد والتماري والتماحك فربما صحّت لهم الصداقة، وظهر منهم الوفاء، وذلك قليل، وهذا القليل من الأصل القليل». يضاف إلى هؤلاء مختلف العمال والكسبة والصنّاع في مختلف المهن، حتى صارت لهم أصناف (نقابات) تنظم شؤونهم، وصار لديهم (حس طبقي) إن جازت التسمية، وأدى هذا

(١) أبوحيان التوحيدي، رسالة في الصداقة والصديق، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار الفكر بدمشق ١٩٦٤م، ص ٦٥.

الشعــور إلى تكتل الأصناف المُنظّم، حيث شــعروا بدورهم ومقــدرتهم. وثمة حادثة هامة في هذا السيــاق يوردها الصولي، يقول:[١] «طالب الديلم التجار بأموال فصار إليهم رجل يُعرف بـعبدون كان هذا متضمناً لأمر الزواريق المصعدة والمنحدرة من مدينة السلام والبصرة، ففتح على الناس أبواباً من البلاء عظاماً، فلحقــه قوم من غلمــان التمّارين وغــيرهم في سُــميرية فـقتلوه وأخــذوا رأسه فنصبوه في التمّارين، فاضطرب الديلم لذلك وحملوا السلاح وقصدوا التمارين ليحرقوه (يقصد سوق التمارين) ويتعدوا ذلك إلى ما يليهم من أسواق الكرخ، فمنعهم كــورتكين ـ أحد الديالم، من قواد المتقي باللــه ـ وضبط الديلم ووجه إلى التــمّاريــن أن لا يعاودوا مــثل هذا الفــعل». وهذه الحــادثة جعــلت بقيــة الأصناف يتخذون منها عبرة في التــراص الطبقي والمهني، كل في مهنته. فلقد حذا الملاحون حذو التمّارين في مسألة التضامن فقاوموا طغيان الجند من الديلم في بغداد[٢]، وامتنــع الحلاقون عن الحــلاقة حــتى طالت شعــور الناس، ولم يعودوا إلى عملهم إلا بعد أن اعتــذر الناس إليهم. وفي سنة ٣٨٩هـ قاد عمال النسيج حملة تعبئة داخل أفراد صنعتهم ضد الرسوم والضرائب التي أراد صمصام الدولة البويهي أن يفــرضها على الثياب المنســوجة من الإبريسم والقطن، ونتج عن ذلك اضطرابات واسعة داخل بغداد، اضطــر علــى أثرهــا صمصــام الدولــة أن يعــدم أربعــة من «القــامة» ـ قــادة العمــال ـ كي يُهدئ موجــة الاضطرابات تلك[٣]. إن الشعور الطبــقي لدى العمال والصنّاع أخذ يتنامى بصــورة واضحة عند مختلف المهن والصناعات، حتى غــدا التماسك من مميزات أهل الأسواق،

---

(١) الأوراق، أخبار الراضي والمتقي، تحقيق ج. هيورث.، مطبعة الصاوي بمصر، ص ٢٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٣) فهمي عبدالرزاق سعد، العامة في بغداد، ص ١٧٦.

فكان القصابون يتعاطفون مع من تكسد بضاعته، فيخلّون له السوق أو يعملون لحسابه حتى يعتدل وضعه. وقد انتبه الجاحظ إلى هذه الميزة وراح يقارنها مع أخلاق الكتاب الذين ينتمي إليهم، فينهاهم عن التحاسد ويطلب منهم ـ أي من الكتّاب ـ أن يحتذوا هؤلاء القصابين قائلاً[1]: «وإنه يبلغني أن رجلاً من القصابين يكون في سوقه، فيتلف ما في يديه، فيخلي له القصابون سوقهم يوماً ويجعلون له أرباحهم فيكون بربحها منفرداً، فيسدون بذلك خلّته ويجبرون منه كسره». هذا التضامن والتكافل الاجتماعي عند أهل الأسواق جعلهم يتقاربون من بعضهم أكثر فأكثر، حتى غدت الحميمية عند أهل السوق الواحد تظهر فيهم. وقد اشتعلت عدة حوادث في سنة ٤٢٢هـ، كانت الأسواق مسرحاً لعملياتها، فتضامن أهل كل السوق في القتال. وقد كان للصراع بين السنة والشيعة في بغداد أثرُه في هذه الأحداث، فقد شارك القلاؤون وأهل الكرخ وأهل سوق السلاح وأهل سوق الثلاثاء والأساكفة والرهادرة (صغار الباعة) في اقتتال الأسواق. وفي العام نفسه اقتتل الخلقان وأصحاب الأكيسة في الكرخ في منافسة تجارية، وفي سنة ٤٢٣هـ قاد أهل الكرخ حملة ضد العيارين الذين سلبوا جزاراً، فاضطر هؤلاء لأن يعيدوا بعض ما أخذوا[2].

هذا الاتجاه الواعي المتنامي في مجتمع بغداد العباسي قد خلق حالة من التأزم السياسي بين الناس والسلطة العباسية، وأثار سلسلة من الاضطرابات داخل بغداد كان الجند أبطالها في بعض الفترات؛ ففي سنة ٣٠٢هـ تحرك الجند

---

(١) رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ٢/ ٢٠٠-٢٠١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ط١، حيدر آباد، ١٣٥٩هـ، ٨/ ٥٤-٦٢ ،وراجع: العامة في بغداد، ص ١٧٦.

مطالبين بزيادة رواتبهم، وفي سنة ٣٠٦هـ طالبوا بأرزاقهم التي لم يقبضوها مدة ثلاثة أشهر، فأُقيل الوزير ابن الفرات وأوكلت الوزارة إلى شخصية ضعيفة هو «حامد بن العباس» الذي استعان بعلي بن عيسى ليقوم بأعمال الإدارة بدلاً منه. وفي نهاية عام ٣٠٨هـ شبّت في بغداد انتفاضة عارمة كان الغلاء سببها المباشر، وقد أشار مسكويه[1] للأسباب الداخلية مؤكداً أن حامد بن العباس قد ساءه تفرّد علي بن عيسى بتدبير الوزارة، فعزم على أن يوفر له سلطة لدى الخليفة ويبعد علي بن عيسى، فتضمن حامد أعمال الخراج بالسواد والأهواز وأصبهان ودفع أربعمئة ألف دينار زيادة عن متوسط خراجها فما كان من المقتدر إلا القبول بهذا العرض رغم تحذير علي بن عيسى بأن هذه الضمان سيؤدّي إلى زعزعة الأوضاع الاقتصادية. ولم تمض أشهر حتى انفجرت العامة والخاصة بسبب الغلاء وشغبوا شغباً متصلاً أشرف به النظام على الزوال، وبغداد على الخراب، وقد وصف حمزة الأصفهاني[2] خطورة هذه الاضطرابات بأنها أزالت عن الجند والرعية هيبتهم، وأنها كانت فاتحة لسلسلة من الاضطرابات امتدت نحو ربع قرن، بدأت هذه الحركة باجتماع العامة وتظلمهم من زيادة الأسعار، وضجوا في وجه علي بن عيسى، ثم توجهوا إلى دكاكين الدقاقين ببغداد فنهبوها، وانتقلوا إلى باب الخليفة وعلت صيحاتهم بالاحتجاج، ويشير مسكويه[3] إلى أن ثورة العامة بدأت بخطباء الجمعة، وقطعهم الصلاة واستلابهم الثياب ورجمهم ممثلي السلطة بالآجر، واجتماع الكثير منهم في

(١) تجارب الأمم، بعناية آمدروز، مطبعة التمدن، القاهرة، ١٩١٤-١٩١٥م، ١/ ٥٩ -٧٣، جزءان وملحقان لهما ص ١٧٦، وانظر: العامة في بغداد، ص ٣٠٥.

(٢) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦١م، ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم، ١/ ٧٣-٧٤.

المسجد الجامع بدار الخليفة، حتى إنهم وثبوا بالحاجب ورموه بالآجر، ثم ساروا إلى دار حامد الذي أمر غلمانه برمي العامة بالنشّاب، فقتلوا جماعة منهم، كما أن حامداً أرسل جماعة من رجاله فدخلوا المسجد الجامع الغربي على دوابهم وقتلوا جماعة من العامة، فخرج أنصارهم يطوفون بالأسواق يحملون قتلاهم ويندون بالسلطة، وفي اليوم التالي اجتمع عدد كبير من العامة فأحرقوا وفتحوا السجون، ونهبوا دار صاحب الشرطة ودور غيره، مما اضطر المقتدر لإنزال قوة من الجند لوقف شغب العامة، لكن الجند شاركوا العامة الثورة، وضج الرجالة المصافية في دار الخلافة ضيقاً بالغلاء، ولم تهدأ ثورة العامة والجند إلاّ بعد أن أمر المقتدر بفتح الدكاكين والمخازن التي لحامد وللسيدة شغب والأمراء أولاد الخليفة والوجوه من أهل الدولة، بعد أن لاقت فيها بغداد الخراب والدمار طوال أربعة أشهر من نهاية ذي القعدة إلى نهاية ربيع الأول[1].

لقد أصبحت العلاقة بين السلطة العباسية والعامة في بغداد مشوبة بالحذر والتوجس، وبدأت ملامح الخوف تظهر من السلطة، فقد أشار مسكويه[2] إلى أن العامة ضجت في سنة ٣١٠هـ نتيجة اعتداء أحد رجال الشرطة على عروس زُفّت إلى زوجها، فغصبها وأدخلها إلى داره، فقامت قائمة الناس وتدارك الخليفة الأمر بأن أعفى صاحب الشرطة من مهامه.

وقد أثرت التطورات السياسية في هذا الجانب، فصارت السلطة ـ بشكل أو بآخر ـ مسؤولة أمام العامة عن تصرفات جهازها ورجالاتها، وهو ما نفتقر إليه اليوم، وكأن تلك الأحداث ليست من تاريخنا، تلك كانت بعض

(١) هناك تفاصيل هامة عن هذه الأحداث أوردها الأستاذ محمد عبدالرزاق سعد في كتابه: العامة في بغداد، ص ٣٠٦-٣٢٣، حرية بالمتابعة والتقصي لمن يريد الاستزادة.

(٢) تجارب الأمم، ١/ ١٢١ـ١٢٢.

الإطلالات على تطور الحالة الاجتماعية والسياسية لبغداد حتى القرن الرابع وما رافقها من تطور اقتصادي، عكس ظلاله على حياة الناس والمجتمع، وسوف نعرض في الفصل القادم إلى التطور الثقافي لبغداد، وما رافق هذه الحالة من تطور فكري واقتصادي وروحي أدى إلى وجود حركة أدبية ثقافية وسَمَت العصر العباسي بسماتها.

* * *

الفصل الثاني
تنامي المعرفة في بغداد

إن التفاعل الاجتماعي الحضاري في بغداد ظل يتفاعل إيجابياً مع كل المؤثرات المحيطة به، فلقد انطلقت الثقافة العربية ـ الإسلامية من مكوناتها الأولى أولاً، القرآن والحديث والسنة، حيث شكل المسجد نقطة التجمع الأولى للنشاط الثقافي، وكان بناء الدولة قد شارك فيه أكثر من عنصر ضموا إلى أحضانها ـ كالفرس والسريان وغيرهم ـ بما يحملونه من تراث فكري، ورحب صدر الدولة والمجتمع لهذا الخلاف الثقافي المتداخل لكل هؤلاء، فقرّبت الدولة رجال العلم والأدب، وأغدقت عليهم الهبات والعطايا والجرايات، وعُرف ذو الفضل بفضله، فرفع الأديب وأكرم العالم، وجالت صولة الأدب، واختلط العالم بالفقيه، وتناظر العلماء، واختلف الفقهاء، وتوسعت دائرة المعرفة بالتناظر، وعرفت الدولة مجالس المناظرة والمنادمة، وأكبَّ كثيرون على العلم والتأليف، وقد قامت الترجمة[1] بدور بارز في تلاقح الثقافات، فقرّبت البعيد فأصبح في متناول اليد، وحركت العقول، وظهرت الفلسفة ـ فيما بعد ـ متخطية علم الكلام، وظهرت آراء المذاهب والفرق، وتطاحنت في ساحة النضال الفكري فتوسعت المدارك وتلاقحت العقول، وفُلسف الدين وشُرِّحت المذاهب، وراحت ملامح «الآيديولوجيات النظرية» تظهر بجلاء، وقد كان للمعتزلة دور بارز في تحريك الوعي الثقافي العام في الدولة الإسلامية، وساهم

(١) سوف نفرد في دراسة خاصة بحثاً مستقلاً عن مترجمي بغداد في العصر العباسي إن شاء الله.

المأمون في تبني مذهبهم وفي انتشاره في مستهل القرن الثالث، وأصبحت بغداد متألقة بشعاع لا مثيل له في العصر العباسي الأول، وقد شكلت «دار الحكمة» أكبر جامعة في العالم الإسلامي أيام المأمون، وذاع صيتها وقصدها المتعلمون من مختلف أرجاء الأرض، وبرز العلماء والأدباء والفلاسفة والمتكلمون، وظهرت التيارات الفكرية بمقولاتها وأدبائها ورجالاتها، فأُلّفت الكتب وانتشرت المعارف وكان للجدل أثره في انتشار هذه الظواهر، وكانت مهنة الوراقة قد سارعت بالنمو والتطور فشاعت الثقافة وانتشرت العلوم، وتحولت المظاهر الثقافية إلى صفة شعبية متخطية حاجز قصر الخلافة أو بيوت الأمراء، وصارت مطارحات الأدباء ومناظرات العلماء في بيوتات العامة والخاصة، وشهد سوق الوراقين هذه الظاهرة بشكل يومي. وقد لوحظ أن هناك سيادة للنثر على الشعر في العصور العباسية، نظراً لكون المعرفة بكافة فروعها تخاطب العقل البشري، وهو ما انعكس على كل العلماء والأدباء، فلقد كان العالم باللغة عالماً بالفقه والتفسير، فيما يكون الفيلسوف أشمل من غيره في أكثر العلوم، وكان للأديب الكبير ابن المقفع دور هام في سيادة نمط خاص من الكتابة، شاع في بدايات الدولة العباسية، واستطاع أن يترك بصماته على الجيل الذي تلاه، ووسع الجاحظ دائرة الكتابة الأدبية لتشتمل على أغلب حقول المعرفة، ومن ثم كان له الفضل في غربلة التراث الأدبي وتخليصه ممّا علقَ به من شوائب، وإقامة معيار منصف عقلاني لمختلف العناصر الثقافية، وتقديم توفيق بين المعارف بطريقة أدبية لإنسان العصر في آنه، فلقد حافظ الجاحظ ـ بوصفه أديباً قبل كل شيء ـ على طريقة الكُتّاب إلى حد كبير كما يقول شارل بيللا[1]، وكانت «مدرسة الجاحظ» متعددة الاتجاهات لكن يغلب عليها أو يلفها الأدب، على رغم أنه وسَّعَ نشاطه إلى حقول العلوم والجغرافيا والتاريخ والنقد الأدبي والكلام على

(١) النثر العربي في بغداد، مقال، مجلة المورد، العدد ٤، المجلد ٨، ١٩٧٩م، ص ٤٨٥-٤٩٠.

الطريقة المعتزلية، باعتباره أحد رجالاتها المعدودين في الجانب الأدبي أكثر منه في الجانب الفلسفي، وإليه يعود الفضل ـ نتيجةَ ديناميكية عقله الوقاد ـ في إيجاد شكل من الأدب الشخصي الذي ينصَبُّ على تصوير الأخلاق والمجتمع، دون الانقطاع عن تكريس جزء من نشاطه للمشاكل السياسية والدينية.(١) إلا أن الأساسيات الثقافية التي أوجدها الجاحظ أظهرت أسلوباً رصيناً للكتابة، وهو بهذا الفن يكون قد كسر قيد النثر المسجوع، الذي دأب عليه كتّاب الدواوين منذ أيام الدولة الأموية، وهو أوضح ما يبين في كتابه البيان والتبيين، وقد تميز أسلوب الجاحظ في أغلب مؤلفاته بسعة العبارة المؤلفة منْ جمل مقطعة أو من تفريعات تبرز فيها لفظة ذات غنى خارق، بشكل يتألف من أمثالها وحدة كمية، غالباً متساوية أو متجاورة، وبمعنى مماثل أو مضاد، دون أن تستعمل القافية إلا عرضاً.(٢)

قلنا: إن المعتزلة حركوا الساحة الفكرية في بغداد والعالم الإسلامي، مما حفزَ بقية الفرق والمذاهب لأن تعيد النظر في مناهجها الفكرية، وتشحذ همم رجالها، لمجاراة تلك الزوبعة الفكرية التي أثارها المعتزلة في أدبهم وثقافتهم المتنوعة، وقد كان للنَّظَّام الدور الأخطر والأجل في رفع الفكر المعتزلي، بينما سيطر أسلوب الجاحظ على منتصف القرن الثالث حتى طغى على القرن الرابع وماتلاه، وتلك حقيقة يقر بها الجميع، ونظراً لميل الناس عامة إلى الأدب؛ فقد ظهر بعد الجاحظ كتّاب من بقية المذاهب حاولوا أن يكونوا أنداداً للجاحظ أو بموازاته كابن قتيبة، الذي أوجد شيئاً من عقلانية المنهج مستفيداً من أزمة الثقة

---

(١) شارل بيللا، المرجع السابق.

(٢) للاستزادة في معرفة أسلوب الجاحظ، راجع شارل بيللا، النثر العربي في بغداد، ص ٤٨٧ من مجلة المورد، العدد ٤، وراجع شفيق جبري، الجاحظ معلم العقل والأدب.

بين المعتزلة والجمهور، وهذا الرجل كان فقيهاً ونحوياً لذلك كان بعيداً عن الروح التي يحظى بها الجاحظ، ومع ذلك فإنه استطاع أن يَثْبُتَ في حدود الثقافة العامة، واستطاع أن يحدد حقلها، مع سيادة بتنمية قوام ثقافته الدينية، في الوقت الذي كان فيه الجاحظ ـ بوصفه معتزلياً ـ لم يفصل بطبيعة الحال الثقافة الدينية عن الثقافة الدنيوية، ولكنه استعان بالعقل والمنطق لاستغلال المنابع العامة للمعارف البشرية فأحسن الاستغلال، وابن قتيبة ـ بوصفه معتدلاً ـ وضع النقاط على حروف الشريعة الإسلامية، واجتهد في تنسيق الأسانيد وتصنيفها، على أنه شديد الحساسية تجاه التأثير الإغريقي، إذ أعطى الأولوية للسنة الكوفية كما يقول بيللا[1]، وقد استطاع ابن قتيبة أن يجد للكتّاب طريقاً من طرق الأسلوب الكتابي، يحدد لهم عملهم في الدواوين يتلمسونه بشكل واضح، وذلك في كتابه المهم **أدب الكاتب**[*] كما وضع موسوعة أدبية، تُعد من أهم المصادر في المجال الأدبي هي **عيون الأخبار** و**كتاب الشعر والشعراء**.

وإلى جانب ابن قتيبة، ظهر معاصره اليعقوبي، ذلك الأديب المؤرخ الذي أسس للتاريخ العام بأسلوب أدبي رشيق يفصح عن سعة النظرة.

وما إن تطورت صناعة الورق في بغداد حتى أخذ التأليف يشق طريقه بقوة وانتشرت الوراقة، حتى شهدت نهاية القرن الرابع أعمالاً ضخمة من الكتب والتصانيف، وقد برز اسم النديم ـ ذلك الوراق الحاذق ـ وصنّف كتابه الأهم **الفهرست** مؤسساً لمنهج مؤدٍّ إلى فهارس أخرى نحت منحاه. فيما راح

---

(1) شارل بيللا، المرجع السابق ص ٤٨٨.

(*) عَدَّ ابن خلدون هذا الكتاب واحداً من أهم أصول كتب الأدب الأربعة، وهي: **البيان والتبيين** للجاحظ، و**أدب الكاتب** لابن قتيبة، و**الكامل** للمبرّد، و**كتاب النوادر** لأبي علي القالي البغدادي. انظر: مقدمة ابن خلدون، منشورات دار إحياء التراث، بيروت، ص ٥٥٣-٥٥٤.

المسعودي يختط منهجاً وصفياً في الجغرافية، ممازجاً بين الأدب والتاريخ بصيغ جميلة، وراحت تصنيفات المؤرخين توجد مدرسة خاصة لها، تربع على عرشها الطبري والبلاذري، وظهر ترسل الكتّاب على يد الصولي، فيما أخذ يظهر شكل آخر من التاريخ يمثله أبوالفرج الأصفهاني في كتابه المهم الأغاني، الذي جمع فيه أخبار الشعراء والموسيقيين وشخصيات المجتمع المهمة، وحوى هذا الكتاب من المعلومات التاريخية والأدبية ما لم يحوه أي كتاب آخر موازٍ له.

فيما قَدَّمَ قدامة بن جعفر نقداً للشعر، وقدم أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين الكتابة والشعر مستوحياً فيه أسلوب الجاحظ، وعارضاً بطريقة منهجية قواعد البلاغة العربية، فيما قدم معاصره الباقلاني الدليل على إعجاز القرآن، بينما عكست الحياة الاجتماعية ظلالها على بعض الأدباء فصوروا حياة العامة والخاصة، فهذا الوشّاء يستلهم الجاحظ فيضع كتابه الموشى مسلطاً الضوء على أحوال الأوساط المتميزة ومتأنقي عصره، فيما استطاع أبو المطهر الأزدي تبيان لوحة الحياة البغدادية بكتابه النادر حكاية أبي القاسم البغدادي وأظهرت كتابات أبي حيان التوحيدي متانة الأسلوب المتفرد والعبارة المفخمة ذات الطابع الفلسفي، التي لا تخلو من نقد لاذع لمعاصريه من علية السلطة وغيرهم، وهو ما يتضح في كتابه أخلاق الوزيرين، وتجلت إبداعاته المتنوعة في الإمتاع والمؤانسة فيما حفلت المقابسات بالأسلوب الفلسفي الموشى بالأدب، وقد ميّز ياقوت الحموي شخصية التوحيدي الفذة بقوله: «فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة»(١) .

لقد أغنى التوحيدي النثر العربي بأسلوبه، وعلَّم عليه ببصماته، وهو حقاً سيد الموقف في النثر بعد الجاحظ، لأنه يعترف له بالأسبقية والفضل،

---

(١) انظر ترجمة التوحيدي عند ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء، ص ٥٤.

ولكن القرن الرابع الهجري يعترف للتوحيدي بالأولوية دون غيره في هذا الباب، إن سيادة نمط التوحيدي أغرت كتّاب نثر آخرين بمجاراة أسلوبه بنثر مسجوع، وقد تميز في هذا الباب بديع الزمان الهمذاني مبتكر فن المقامة، ذلك الأدب الناقد الجريء، الذي اكتمل بنيانه فيما بعد على يد الحريري في القرن السادس.

أما في باب الفلسفة، فقد شهد القرنان الثالث والرابع الهجريان تطوراً ملحوظاً، أثبت جدارته وخطورته وعلو شأنه على يد الكندي والفارابي والرازي وابن سينا وغيرهم، فيما طغت فلسفة إخوان الصفا بشعبيتها على كامل القرن الرابع، وهي حالة مثلى يصل إليها المجتمع البغدادي، كما برز الخطيب البغدادي في النصف الثاني من القرن الخامس، ليدون كل أحداث بغداد وتواريخها بموسوعته الشهيرة تاريخ بغداد، وهو وثيقة هامة لعلمائها وشعرائها وساداتها وخلفائها، تلك هي بغداد بعلومها وثقافاتها، استطاعت أن تشمخ بوجه التاريخ الحضاري في العالم، وإذا كانت الثقافة هي ما يبقى حين ننسى كل شيء كما يقول بيللا، فإنها في بغداد خير ما يبقى عندما تطرح التوابع عن رضى وطواعية، والخطر يكمن في أن الجوهر يوشك في يد الأغرار أن يرفض لمصلحة التوابع، وهذا ما لم يلبث أن وقع.(١)

لاشك أن ظاهرة بهذا العمق والاتساع المعرفي والثقافي ستَسِم أهل ذاك الزمان بميسمها، وتلفهم في فلكها الواسع، ويجب أن نعترف هنا أن للسلطة العباسية دورها المميز والمهم في رعاية العلماء والفلاسفة والأدباء، وكان الخلفاء

(١) راجع مقالته: النثر العربي في بغداد، مجلة المورد، عدد ٤، ص ٤٨٦ ومابعدها.

يتذوقون الأدب والعلوم الأخرى والفنون بذائقة الناقد العارف، وفي هذا الصدد ينقل ثعلب بمجالسه[1] أن ابن قادم قال: «كتب فُلان إلى المأمون كتاباً فيه: «وهذا المال مالاً من حاله كذا» فكتب إليه: أتكاتبني بكاتب يلحن في كلامه؟ فقال: مالحنتُ، وما هو إلا صواب. قال ابن قادم فدعاني المأمون، فلما أردت الدخول عليه قال لي ذلك الرجل: ما تقول لأمير المؤمنين إذا سألك؟ قال: قلت: أقول له: الوجه ماقال أمير المؤمنين، وهذا جائز، قال: فلما دخلت قال لي: ماتقول في هذا الحرف؟ قال: فقلت: الرفعُ أوجه، والنصب جائز، قال: فقال لي: مُر، كل شيء عندكم جائز.. ثم التفت إلى ذلك وقال: لا تكتبنَّ إليّ كتاباً حتى تعرضه».

وعلى مايبدو، فإن تاريخ بغداد السياسي كان له فضل في رفع الوعي الثقافي بكل العلوم من لدن الخلفاء وغيرهم، فقد حرص الخلفاء على تعليم أولادهم بواسطة نخبة من العلماء كل حسب زمانه، فالمنصور ضم الشرقي بن القطامي إلى ابنه المهدي وأوصاه أن يعلمه أخبار العرب ومكارم الأخلاق وقراءة الأشعار. والرشيد عهد بتعليم ابنه الأمين إلى الأحمر النحوي ثم الكسائي، وعهد بتأديب المأمون إلى اليزيدي وسيبويه، ومن جميل ما يذكر في هذا الجانب، تلك الوصية المهمة التي عهد بها الرشيد إلى مؤدب ولده الأمين ونصها: «ياأحمرُ، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصيّر يَدَكَ عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئهُ القرآن وعرّفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلمه السُنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا

---

(١) انظر: مجالس ثعلب، القسم الأول، بعناية عبدالسلام هارون، ص ١٢.

دخلوا عليه، ورفع مجالس القُوّاد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهُما فعليك بالشدة والغلظة».[1]

تعكس هذه الوصية مسؤولية الخليفة بالدرجة الأولى إزاء حالة العصر الثقافية والسياسية، فالعلوم والثقافة يريدها الرشيد في أبنائه بهذه الصورة، فكيف يجب أن تكون حالة من ينادمون الخليفة أو يشرفون على دولته؟ حقاً إنها نظرة واضحة لما يريده العصر من حُسن التأدب والمعرفة بكل الأمور، وقد عُرف عن الرشيد بالذات أنه كان طلاّبة للعلم، قال القاضي الفاضل[2]: «ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم إلا الرشيد، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك». وهذا الجانب المعرفي المهم في شخصية الرشيد حالة فرضها واقعه الذاتي من جهة، وارتفاع وتيرة الثقافة في عهده من جهة أخرى، مما جعله على هذا المستوى من التطور، فقد عرف عنه أنه كان يأتي بنفسه إلى بيت الفضيل بن عياض[3] إجلالاً له ولعلمه.

وإلى جانب ذلك فقد كان الرشيد ذوّاقاً للفن، راعياً لأهله، وقد صنّفهم إلى طبقات ومراتب، وهو أول من طلب أن يختار من الأصوات أجملها، يقول إسحاق الموصلي: إن أباه أخبره أن الرشيد أمر المغنين ـ وهم يومئذ

---

(١) أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون، الجزء الأول، ط ٢، دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، بعناية محمد محيي الدين عبدالحميد، ط١، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ص ٢٩٤.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٤.

متوفرون ـ أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء، فأجمعوا على ثلاثة أصوات، وكان الرشيد قد طلب من هؤلاء المغنين أن يختاروا له مئة صوت ثم أمرهم باختيار عشرة منها، ثم اختاروا الثلاثة ففعلوا[1].

إن الحس النقدي والفني عند الرشيد يتجلى هنا، فهو من ناحية ثبّت تاريخاً للموسيقى العربية، وبرّز الأصوات المتعددة فيها، وهذا الأمر يعني (أرشفة) الموسيقى بشكل أو بآخر، وفي الوقت نفسه أظهر ماكان مدفوناً في الصدور من غناء فأحياه بهذا الإجراء، وهنا يكمن البعد التاريخي، أما من الناحية الثانية فتظهر الذائقة الفنية لديه من خلال التدرج في اختيار الأصوات، ولا يمكن أن يُصنف الرشيد المغنين إلى «طبقات» لو لم يكن لديه الحس النقدي لمعرفة أصول الغناء، وثمة حادثة ينقلها الجاحظ يقول: «قال إبراهيم الموصلي: سأل الرشيد يوماً برصوماً الزامر فقال له: يا إسحق.. ماتقول في ابن جامع؟ فحرّك رأسه وقال: خمرُ قطربل، يعقل الرجل ويذهب العقل، قال: فما تقول في إبراهيم الموصلي؟ قال: بستان فيه خوخ وكمثرى وتفاح وشوك وخرنوب، قال: فما تقول في سليم بن سلام؟ فقال: ما أحسن خضابه، قال: فما تقول في عمرو الغزال؟ قال: ماأحسن بنانه»[2] وهذه الأسماء لأشهر المغنين والعازفين الموسيقيين ندماء الخليفة، لذلك يسأل واحداً منهم لترجيح الرأي الفني على الذائقة الحسية. والرشيد بهذا الاستنطاق النقدي للفنان، يؤكد معرفته بجوانب الحضارة في مُلكه، والرقي الروحي لدى ندمائه وخاصته، وبالضرورة تنتقل هذه الظاهرة إلى عامة الناس، وهو ماظهر فعلاً في القرن

---

(١) أبوالفرج الأصفهاني، الأغاني، نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط ١، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م، ١/٧.

(٢) التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، ط١، القاهرة، ١٣٢٢هـ/ ١٩١٤م، ص ٣٩.

الرابع، وقد استطاع أبوحيان التوحيدي أن يصور هذه الحالة في كتابه الإمتاع والمؤانسة، فهو يذكر أن عدد المغنيات بالكرخ فقط ٤٦٠ مغنية قينة و١٢٠ حرة و٩٥ من الصبيان سوى الذين لم يستطع أن يصل إليهم.[١]

وعندما وصل المأمون سنة ١٩٨هـ إلى سدة الخلافة، كانت بغداد تشهد أوج ازدهارها في العلوم والمعرفة، وأكبّ الناس على العلم والتأليف والترجمة، فنقلت مؤلفات الفلسفة اليونانية والطب والحكمة والسياسة والفلك والمنطق والتنجيم، وألف المسلمون في الفقه والنحو والحديث، وقد اختار المأمون وزراءه وكتابه من علية القوم النابهين والمعروفين بالعلم والكياسة.[٢]

كما عُرف عنه أنه صاحب بلاغة وجهارة وحلاوة وفخامة، وجودة اللهجة والطلاوة، حتى إن ثُمامة بن أشرس النميري يقول عنه: مارأيت رجلاً أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون، وكان المأمون يطرب للطرف واللغة، وقد قال يوماً لولده: «اعتبروا في علو الهمة بمن ترون من وزرائي وخاصتي، إنهم والله مابلغوا مراتبهم عندي إلا بأنفسهم، إنه من اتبع منكم صغار الأمور تبعه التصغير والتحقير، وكان قليل ما يفتقد من كبارها أكثر من كثير مايستدرك من الصغار، فترفعوا عن دناءة الهمة، وتفرغوا لجلائل الأمور والتدبير، واستكفوا الثقات، وكونوا مثل كراع السباع التي لا تشتغل بصغار الطير والوحش بل بجليلها وكبارها، واعلموا أن إقدامكم إن لم يتقدم بكم فإن قائدكم لا

---

(١) أبوحيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، طبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م، ٢/١٨٣.

(٢) انظر حال الوزارة في أيامه عند ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق محمود توفيق الكتبي، منشورات المطبعة الرحمانية بمصر، ص ١٦٤-١٧٠.

يقدمكم، ولا يغني الولي عنكم شيئاً مالم تعطوه حقه»[1]. ويكفي أن نذكر من فضله أن دار الحكمة في عصره قد فاقت كل دور الكتب في العالم الإسلامي وغيره، فقد حوت مختلف العلوم وأسند رئاستها إلى سهل بن هارون، كما حشر فيها مختلف العلماء ليشرفوا على فروعها وأروقتها، ومن أبرزهم: يحيى بن أبي منصور الموصلي المنجم المعروف وأحد أصحاب الأرصاد في عصر المأمون، ومحمد بن موسى الخوارزمي صاحب الأزياج وصورة الأرض، كما كان في دار الحكمة جد أحمد الطيبي المعروف بالصنوبري الحلبي، والفضل بن نوبخت وأولاد شاكر وغيرهم، وكان علاّن الشعوبي النسابة المعروف ينسخ في دار الحكمة[2]. ويقال: إنه رأى حلماً في منامه وشاهد فيه «أرسطوطاليس» يخطب، وساءله عن الحسن فقال له: الحسن ما استحسنتهُ العقول، فقلت: ثم ماذا، قال: مااستحسنته الشريعة، قلت: ثم ماذا، قال: ما استحسنه الجمهور، قلت: ثم ماذا، قال: ثم لا ثم، وعلى ضوء هذه الرؤيا، يستدعي المأمون «علماء دار الحكمة» ويجتمع بهم، ويقرر إرسال وفد علمي إلى ملك الروم، كي ينقل ما يختار من العلوم القديمة ببلد الروم، فيجيبه الملك إلى ذلك بعد امتناع، فيرسل المأمون الوفد المنتقى والمنتخب إلى هذه المهمة وهم: الحجاج بن مطر وابن بطريق، وسُلّم صاحب بيت الحكمة، وقيل إن يوحنا بن ماسويه كان معهم، وغيرهم، فاختاروا مااختاروه من العلوم، فأوعز المأمون إلى المترجمين، وعلى رأسهم حنين بن إسحاق، وكان فتي السن، وأمره بنقل مايقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى

---

(١) انظر: عصر المأمون، ١/٣٥٨-٣٥٩.

(٢) الفهرست، للنديم، ص ١٧٤-١٧٥.

العربية، وإصلاح ماينقله غيره فامتثل أمره.

تحويل الحلم إلى واقع ليس مسألة سهلة، ولكن العقل المعرفي هو الأقدر على مثل هذه المهمة، ولولا وجود مثل هذا العقل عند المأمون لما طبّق هذا الحلم، ولو كان غيره لاستدعى منجماً ليُفسر له ذلك الحلم، واعتبره «أضغاث أحلام» لكن القلق المعرفي الذي يتلبّس المأمون، حدا به إلى هذه الخطوة، وألحقها بخطوة أجرأ وأسرع وهي الإصرار على ترجمة تلك العلوم إلى العربية، وبتشجيع سخي لا يقارَب في أيامنا قطعاً، فقد كان المأمون يعطي «حُنيناً» من الذهب زنة ماينقله من الكتب إلى العربية مثلاً بمثل، ويقول أبوسليمان المنطقي: إن بني شاكر[1] وهم محمد وأحمد والحسن كانوا يُرزِقون جماعة من النقلة، منهم حنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة وغيرهم، في الشهر خمسمئة دينار، للنقل والملازمة[2].

وقد أشارت المصادر[3] إلى أنه نقل من كتب الفلسفة سبعة وعشرون كتاباً، وفي الطب وفروعه ثمانية وخمسون كتاباً، وكتب الرياضيات والنجوم وسائر العلوم أكثر من عشرة كتب، وهذه الكتب نُقلت عن اليونانية، فيما نقلت عن الفارسية كتبٌ في الأدب والأخبار والسير والأشعار، وبعضها في النجوم. نقل آل نوبخت وعلي بن زياد والتميمي وغيرهم أكثر من عشرين

---

(١) انظر تفصيلات الخبر عند ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ضمن ترجمة حنين بن إسحق، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) هم بنو موسى بن شاكر ـ ثلاثة إخوة اشتهروا بعلم الحساب والهيئة والآلات، من عهد المأمون إلى عهد المتوكل، وكانوا يشرفون على حركة الترجمة وجلب المخطوطات من آسيا الصغرى إلى بغداد. انظر: طبقات الأطباء، ص ٢٦٠، هامش رقم ١.

(٣) طبقات الأطباء، ص ٢٦٠.

كـتاباً، ونُـقل عن الهندية (السنسكريتـيـة) الكثـير من كـتب الطب والنجـوم والرياضيـات والحساب والأسمـار والتواريخ وكتب الطب، حـتى إن يحيى بن خالد اسـتقدم بضعـة أطباء إلى بغداد منهم «كنكه وبـازيكر وقليرفل وسندباز» وغيرهم[١]، وقد استطاع المترجمون نقل عشرة كتب في الطب من الهندية إلى العربيـة[٢]، وذلك عن طريق ترجمتـها إلى الفارسيـة أولاً ثم إلى العربية[٣]، وهذه الحالة تؤرخ تطور مفـهوم الترجمة واتساعهـا في الوقت نفسه وازدهارها في عصر المأمون، ومن أبـرز مانقل عن كتب الأدب الهندية خمسة عـشر كتاباً كـان أبرزها: كليلة ودمنة، والسندباد الـكبيـر، وكـتـاب أدب الهند والصين وغيرها[٤]، كما نقلت كتب كثيرة عن النبطية والعبرانية واللاتينية والقبطية.[٥]

* * *

(١) المصدر السابق، في أكثر من مكان، وعصر المأمون، ص ٣٨١-٣٩٤ حيث فيه تفصيل بأسماء الكتب المترجمة.

(٢) عصر المأمون، ١/ ٣٨٨.

(٣) المرجع السابق، ١/ ٣٩٠.

(٤) راجعها في: عصر المأمون، ١/ ٣٩٢.

(٥) المرجع السابق، ١/ ٣٩٣.

الباب الثاني

أدوات الكتابـة

مدخـــل

كان للكتـاب والوراقين الأثر الأهم في تطور الظاهرة الثقـافية بأكـملها، فهـذا يؤلف وذاك ينسخ وآخر يجلد ورابـع يخط، حتى إنك عندمـا تمر بسوق الوراقين تشاهد نشاطاً كخـلايا النحل، إلا أنه في صنعة الكتابة التي هي أحلى من العسل عند البعض، وأمرّ من العلقم عند البعض الآخر.

ولما صارت الكتابة مهنة يُعتـاش منها، تطلب الأمر أن تكون هناك سوق خاصة لأهل هذه الصناعة، توفر لهم مـا يحتاجونه من الأدوات التي تساعدهم على إتمام عملية الكتابة، لذلك أنشئت سـوق الوراقين في ربض وضاح، وفيها أكثـر من مئة حانوت كـما يقول اليعـقوبي[١]، وفي هذه السوق يجد الكاتب مايحـتاج إليه من أدوات الكتـابة، وهي: الأقلام والحـبر والدواة، والسكاكين لقطع الأقلام وغيـرها من الأمور الثانوية، إضافة إلى مـواد الكتابة التي يُشكل الورق مادتها[٢] الأساسية.

ونظراً لأهمـية كل أداة من أدوات الكتابة؛ سـوف نفرد لكل منهـا نقطة محورية بغية الإحاطة بكل أداة.

---

(١) كتاب البلدان، ص ٢٤٥، مطبوع على ذيل: **الأعلاق النفيسة**، لابن رستة، ليدن، ١٨٩١م. وراجع كذلك: دليل خارطة بغداد، مصطفى جواد وأحمد سوسة، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ٨٦.

(٢) سيكون الباب الثالث من هذه الدراسة خاصًا بصناعة الورق، نظرًا للأهمية التي ينطوي عليها تاريخها حضاريًا.

الفصل الأول
الأقلام

بدأ تاريخ استخدام الأقلام من أيام السومريين وأهل العراق القديم، فقد كانوا يتخذونها من الحديد والخشب، يُضغط بها على الطين، فترسم الحروف أو الخطوط، وكان للقلم عندهم أشكال، منها المثلث والمربع، وكان إما ثقيلاً أو خفيفاً من الطرفين، وأخيراً، صُنع ثقيلاً من طرف دون الآخر، حتى تبرز الخطوط، وهذا ماتوضحه الخطوط المسمارية في العراق.(١)

وعندما جاء الإسلام كانت آيات القرآن الأولى عرجت على ذكر القلم، فقد ورد في التنزيل: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[القلم: ١]، فيما تذكر أحاديث السنة، على لسان محمد بن عمر المدائني بسنده إلى مجاهد: «إن أول ماخلق الله اليراع، ثم خلق من اليراع القلم، فقال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: ماهو كائن، قال: فَزَبَرَ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة». ويروى أن الله خلقه قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة(٢). وهذا الإسقاط الأسطوري للقلم يعطيه الأهمية والتعظيم، وجلالة القدر في الفهم الإسلامي لوظيفته ومعناه، ويشرح القلقشندي هذا البعد منطلقاً من الآية أعلاه قائلاً(٣):

---

(١) سهيلة الجبوري، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق، بغداد، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ص ١١٩.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ٤٣٥.

(٣) صبح الأعشى، ٢/ ٤٣٥.

«واعلم أن القلم أشرف آلات الكتـابة وأعلاها رتبة، إذ هو المباشـر دون غيره، وغيره من آلات الكتـابة كالأعوان». وعلى هذا الأساس يعتـقد القلقشندي أنه أُقسم به، ويستعير للتعبير عن هذا الشرف للقلم قول أبي الفتح البستي[1]:

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم وعدُّوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتّاب عزاً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وجاءت للقلم عدة تسميات منها: (المِزبر) بكسر الميم، وهو مأخوذ عن قولهم: زبرت الكتاب، إذا أتقنت كتابته، ومنه سميت الكتب زبراً كما جاء في القرآن: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]. وسمي القلم قلماً، إما لاستقامته، أو لأنه مأخوذ من «القلام» وهو شجر رخو، أو لقلم رأسه، والقلم قبل بريه يسمى قصبة ولا يسمى القلم قلماً حتى يُبرى، وكأن اشتقاق القلم من التقليم، ومنه تقليم حافر الدابة، ومنه قلمت ظفري[3].

ويتعدى معناه إلى غيره من المعاني، جاء في لسان العرب : والقلم : الزلم، والقلم ـ السهم الذي يجال بين القوم في القمار، وجمعها أقلام، وإنما قيل للسهم القلم، لأنه يقلم، أي يبرى. ويُسمى الوعاء الذي توضع فيه الأقلام (مقلمة)[4].

قيل لأعرابي: ماالقلم؟.. ففكر ساعة، وقلب يده، ثم قال: لا أدري، فقيل له: توهمه. فقال: هو عود قُلِّم من جوانبه كتقليم الظفر، فسمي قلماً[5].

---

(١) صبح الأعشى.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٤٣٤.

(٣) الصولي، أدب الكتاب ٨٧. والقلقشندي ٢/ ٤٤٠. وسهيلة الجبوري، الخط العربي، ص ١١٩.

(٤) مادة قلم.

(٥) صبح الأعشى، ٢/ ٤٤٠.

وقد ارتضوا للقلم مواصفات عـديدة، دأبوا على الالتزام بها، كالصلابة واللين، والرشاقة لجسم العود والاستواء فـي القصبة، والشق المستوي، وتجاوز القط عند العقدة، وغيرها من الأمور، وقـد أورد الصولي أربعة أبيات شعرية، جمعت الكثير من مواصفات القلم، وهي لأبي أسامة الكاتب[1]:

وأعـجف مـشـتق الـشـبـاة مـقلَّم	موشى القـرى طاوي الحشـا أسود الفم
تبين خـــفي الســـيـــر آثـاره لنا	ويعـربُ عن غـيـر الضـمـيـر المكتمِ
يُؤدي صحـيح القول عـنه مخاطـبًا	به العـين دون الســمـع لا بالتكـلمِ
إذا استـغزرتهُ الكف فاضت سـجاله	من الفـكر فـيض الرايح المتـغـيـمِ

وقـد كان كـبار الكتّـاب والولاة والأمـراء والسلاطين ومن ذوي الشـأن وأصحاب الحرفـة ينتبهون إلى كتّابهم الأدنى ـ المتعلمـين ـ عند الكتابة، فيدلون لهم بإرشـاداتهم منذ الخطوات الأولى لتعـلم الكتابة والخط، يقـول إبراهيم بن العباس لغلام بين يديه يعلمه الخط[2]: «ليكن قلمك صلباً، بين الدقة والغلظ، ولاتبره عند عقدة، فإن فيــه تعقيد الأمور، ولا تكتب بقلم ملتو، ولا ذي شق غيـر مستـو، وإن أعوزك البحـري والفارسي، واضطررت إلى الأقـلام النبطية فاختر منها ما يميل إلى السمرة».

ونظراً لكثرة الكتّـاب والوراقين وسعة انتـشار الكتابة؛ فقـد راح الكتّاب الكبار يبحثون عن المـواصفات الأجود لاختيار أقلامهم، فـهذا الأصمعي يسأل العتـابي وهما بدار الرشيـد عن الأنابيب ـ القصب ـ الأصلح للكتابة والأصـبر عليها، فيجيبه: «ما نشف بالهجير ماؤه، وستره من تلويحه غشاؤه، من التبريّة القشور، الدريّة الظهور، الغضية الكسور»[3].

(١) أدب الكتّاب، ٢/ ٤٤٠.

(٢) صبح الأعشى، ٢/ ٤٤١.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٤٤١.

وقد أصبحت هذه المواصفات إحدى الثوابت في اختيار الأقلام، وأصبح التهادي بهذه الأنواع من الأمور المرغوب فيها، والمطلوب الذي يرام، لاسيما وأن بعض الأقاليم والأمصار الإسلامية ينبت فيها قصب تتوفر فيه تلك المواصفات، فهذا كاتب يُدعى علي بن الأزهر يكتب إلى صديق له يطلب منه أقلاماً، يقول[1]:

«أما بعد، فإنّا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم، ولزمت لزوم الوسم، فحلت محل الأنساب، وجرت مجرى الألقاب، وجدنا الأقلام الصخرية أجرى في الكواغد، وأمرّ في الجلود، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس، وألين في المعاطف، وأشدّ لتصرف الخط فيها، ونحن في بلد قليل القصب رديئه، وقد أحببت أن تتقدم في اختيار أقلام صخرية، وتتنوّق (من الأناقة) في اقتنائها قِبَلَك، وتطلبها من مظانها ومنابتها، من شطوط الأنهار، وأرجاء الكروم، وأن تتيمن باختيارك منها الشديدة الصلبة، النقية الجلود، القليلة الشحوم، الكثيرة اللحوم، الضيقة الأجواف، الرزينة المحمل، فإنها أبقى على الكتابة، وأبعد من الحفاء، وأن تقصد بانتقائك الرقاق القضبان، المقومات المتون، الملس المعاقد، الصافية القشور، الطويلة الأنابيب، البعيدة مابين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، المستحكمة يبساً، وهي قائمة على أصولها لم تُعجل عن إبّان ينعها، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة عليها من خضر الشتاء، وعفن الأنداء، فإذا استجمعت عندك، أمرت بقطعها ذراعاً ذراعاً، قطعاً رفيعاً، ثم عبأت منها حزماً فيما يصونها من الأوعية، ووجهتها مع مَنْ يؤدي الأمانة في حراستها وحفظها وإيصالها[2]، وتكتب معه

---

(١) سقط هذا النص من صبح الأعشى، وأثبته ابن عبد ربه في العقد الفريد طبعة أحمد الزين وأحمد أمين وإبراهيم الإبياري ـ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، ٤/ ٢٠٠.

(٢) صبح الأعشى، ٢/ ٤٤٣.

بعدتها وأصنافها من غير تأخير ولا توان».

إن هذه الرسالة هي الأوضح إبانة لمواصفات الأقلام، ومايرجوه الكتّاب من القلم الذي يكتبون به، والحقيقة أنها تثبت بين سطورها قاعدة لاختيار القلم ونوعيته ومادته.

ثم راعوا فيها خواص أخرى أرادوا بها تحقيق التفاعل النفسي بين القلم والكاتب، لتأليف وحدة إيقاعية متكاملة لهيجان الفكرة وسهولة نقلها بالأداة على الورق أو الكاغد، لذلك قال ابن الزيات[1]: «خير الأقلام مااستحكم نضجه وخف بزره، قد تساعدت عليه السعود في فلك البروج حولاً كاملاً، تؤلفه بمختلف أركانها وطباعها، ومتباين أنوائها وأنحائها، حتى إذا بلغ أشدّه واستوى، وشقّت بوازله، ورقت شمائله، وابتسم من غشائه، وتأدى من لحائه، وتعرى عنه ثوب المصيف بانقضاء الخريف، وكشف عن لون البيض المكنون والصدف المخزون، قُطع ولم يعجل عن تمام مصلحته، ولم يؤخر إلى الأوقات المخوف عاهاتها عليه من خضر الشتاء، وعفن الأنداء، فجاء مستوي الأنابيب معتدلها، مثقف الكعوب مقومها».

ورأى الكتّاب والمجوّدون من أساتذة الخط أن تكون هناك رعاية لشقة القلم، فبها يُرسم الحرف بكل ألوانه وأشكاله، وعلى ضوئها يتحدد نوع الخط، ويورد القلقشندي[2] رأياً هاماً، يقول: أما مساحة رأس القلم، فاعلم أن رؤوس الأقلام تختلف باختلاف الأقلام التي جرى الاصطلاح عليها بين الكتّاب، أي إن القصبة المعدة للكتابة يجب أن يكون رأسها ـ في القط ـ يؤدي لكتابة نوع

---

(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٥٤.

(٢) راجع مواصفات هذه الأقلام عند القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ٤٥٤ وما بعدها.

معين من الخطوط، فأعظمها وأجلها ـ كما يقول القلقشندي ـ هو قلم الطومار حيث إنه أكثرها مساحة في القرض، وهو قلم كانت الخلفاء تعلم به في المكاتبات وغيرها، وهذا القلم يتخذ من لب الجريد الأخضر، ومن القصب الفارسي، ولابد من ثلاثة شقوق لتسهل الكتابة به، ويجري المداد فيه.(١)

وعندما يجري الحديث عن الأقلام فإن ذيوله تنجر على الخطاطين الذين روّضوا القصب لأياديهم، وجعلوها مطايا سهلة الانقياد لأناملهم، وهو ما كان فعلاً، حيث إنهم أوجدوا أقلاماً لكل نوع من الخط، وعلى هذا الأساس فإن ابن مقلة ـ الوزير الخطاط ـ يرى أنه(٢) ينبغي أن تكون أقلام الكاتب على عدد ما يؤثره من الخطوط، وكأنه يريد أن يكون في دواته قلم مبريّ لنوع الخط الذي يريد الكتابة فيه ليجده مهيئاً، فلا يتأخر لأجل برايته.

أما طول القلم فكان للخطاطين السبق في هذه الناحية، لأنهم أمهر من بقية الكتّاب في تحديد أبعادها الهندسية، يقول ابن مقلة(٣): أحسن قدود القلم أن لا يتجاوز به الشبر بأكثر من جلفته(٤)، فيما قدرت مساحة ريشة الطومار من الخطوط ـ الأقلام ـ بضرب مقدار عرضه وهو أربع وعشرون شعرة (من شعر البرذون) في مثله فتكون خمسمئة وستة وسبعين شعرة وهو طوله، وهنا التقدير لحرف الألف في الخط، وفي قلم الثلث تضرب نسبة عرضه في الطومار وهو ثماني شعرات في مثلها، فيكون طولها أربعاً وستين شعرة وكذلك

---

(١) صبح الأعشى، ٢/٤٥٥.

(٢) انظر: مرتضى الزبيدي، حكمة الإشراق، حققها عبد السلام هارون، ونشرها في نوادر المخطوطات المجموعة الخامسة، ط١، منشورات مكتبة الخانجي بمصر، ص ٧١، ومكتبة المثنى ببغداد، وطبعة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

(٣) صبح الأعشى، ٢/٤٥٤-٤٥٥.

(٤) الجلفة ـ فتحة رأس القلم.

الجميع[١] أي في بقية الأقلام، وفي طول الأقلام قال أحدهم[٢]:

فتى لو حوى الدنيا لأصبح عارياً   من المال معتاضاً ثياباً من الشكرِ
له ترجمان أخرس اللفظ صامت   على قاب شبر بل يزيد على الشبرِ

وعلى ما يبدو فإن مسألة أطوال الأقلام وأعراضها، كان لها علاقة بجودة الخط وسرعة الكتابة وماشابه ذلك. وهو مايحتاجه الورّاقون والكتّاب بوجه عام، ومن خلال التجربة في الكتابة، حمدوا بعض مواصفات الطول أو القصر في القلم وعلاقة ذلك بسيطرة الأنامل عليه، يقول الشيخ عماد الدين الشيرازي[٣]: «أحمدُ الأقلام ما توسطت حالاته في الطول والقصر، والغلظ والدقة، فإن الدقيق الضئيل تجتمع عليه الأنامل، فيبقى مائلاً إلى مابين الثلث، والغلظ المفرط لا تحمله الأنامل».

فيما يرى أحد الذين اتبعوا أسلوب ابن مقلة في الخط وهو الشيخ محمد ابن العفيف[٤] في هذا المجال أن: «صنعة مسكه بالإبهام ـ يقصد القلم ـ والوسطى، وتكون السبابة تمنعه من الميل والاضطراب، وتكون مبسوطة غير مقبوضة، لأن ببسط الأصابع يتمكن الكاتب من إدارة القلم، ولا يتكىء على القلم الاتكاء الشديد المضعف له، ولا يُمسك الإمساك الضعيف فيضعف اقتداره في الخط، لكن يجعل الكاتب اعتماده في ذلك معتدلاً، وأما حاله في الصلابة والرخاوة فإنه تابع للصحيفة، لأنها إذا كانت لينة، احتاجت أن يكون في الأنبوب لِين، وفي لحمه فضل، وفي قشره صلابة، وإن كانت الصحيفة

---

(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٥٤.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٤٤٤.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٤٤٤.

(٤) الزبيدي، حكمة الإشراق، ٧١ -٧٢. وصبح الأعشى، ٢/ ٤٥٤.

صلبة احتاجت أن يكون في الأنبوب يبس وصلابة». ويشرح العلة في ذلك بأن حاجته من المداد في الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته في الصحيفة الصلبة، فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد في الصحيفة الصلبة يكون ماوصل إليها من القلم الصلب الخالي من المداد كافياً.

وهنا نتلمس خاصية أخرى بعد طول القلم، هي صلابته ولينه وتأثير ذلك في عملية الكتابة تبعاً للورق المستخدم، وهذه المسألة تريك مدى الاهتمام بالكتابة من الناحية المهنية والأسلوبية، بل وتضع قواعد عملية لتطوير تلك الحالة، وعلى هذا الأساس قال إسحق بن حمّاد: «القلم للكاتب كالسيف للشجاع»، ويناصره في هذا المعنى قول الضحاك بن عجلان: «يا من تعاطى الكتاب، اجمع قلبك عند ضربك القلم، فإنما هو عقلك تظهره»[1]، وهذا الإيحاء النفسي العميق هو كشف لحالة التوحد مع الكتابة والقلم.

وأوجز قاعدة في اختيار الأقلام من ناحية الطول والعرض؛ هي ما يراها الخطاطون في عملهم، لذلك حدّد ابن مقلة ذلك بقوله: «خير الأقلام ماكان طوله من ست عشرة إصبعاً إلى اثنتي عشرة، وامتلاؤه مابين غلظ السبابة إلى الخنصر»، وهذا الوصف ـ كما يقول القلقشندي[2] ـ جامع لسائر أنواع الأقلام على اختلافها.

لقد اهتم الكتّاب ـ بكافة أصنافهم ـ بالقلم من كل الوجوه كما أوضحنا، ولكنهم أعطوا عناية خاصة لمسألة بري القلم، لأنها تحدد شكل الخط أولاً، وتبرز مهارة الكاتب ثانياً، وتؤكد جودة عمل الكاتب ثالثاً، كما أنها تشكل قاعدة اختبارية ثابتة لعموم الكتّاب، لذلك فطن الجميع لها في أولى مراحل

---

(١) حكمة الإشراق، ص ٧٢.

(٢) صبح الأعشى، ٢/ ٤٤٤.

الكتابة، وبدايات النشء لتعلم قواعد الخط، وهي بهذا المعنى تدخل في أصول الكتابة من الناحية الفنية والمهنية، حتى إنها غدت من ميزات الكتّاب فيما بينهم، وبها يعرف الحاذق دون سواه، بل إنها أصبحت مصدر تنظير عند شيوخ الكتابة والكتّاب، وهي أوضح في عمل الخطاطين لأنهم بها أدرى، وأكثر تعاطياً فيها. ومن الذين نظّروا للبري شيخ الكتّاب في العصر العباسي أبوبكر الصولي في كتابه أدب الكتّاب، وجاراه ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد، ووضع أصوله بشكل معرفي ودقيق القلقشندي في صبح الأعشى، حيث إنه استوفى الكثير مما قيل فيه من قبل سابقيه، والذين جاؤوا بعده قد أخذوا منه وكانوا صدى له، لاسيما مرتضى الزبيدي في حكمة الإشراق ومن جاء بعده[١].

اشتق الاصطلاح من الفعل «برى، يبري، برياً» والبري: النحت[٢]، يقال: بريت القلم أبريه برياً وبراية، غير مهموز، وهو قلم مبري. قال الشاعر[٣]:

«ياباري القوس برياً ليس يحكمه   لا تفسد القوس، أعط القوس باريها»

ويقال أيضاً: بروت القلم والعود بروا، بالواو، والياء أفصح[٤].

وأصبحت مسألة بري القلم عند الكتّاب المجيدين جزءاً من خلالهم وسلوكهم، يقول الحسن بن وهب[٥]: «يحتاج الكاتب إلى خِلال، منها جودة بري القلم وإطالة جلفته، وتحريف قطته، وحسن التأني لامتطاء الأنامل،

---

(١) من المعاصرين الذين رددوا منقولات القلقشندي سهيلة الجبوري في الخط العربي وتطوره في العصور العباسية، ومحمد طاهر الكردي في تاريخ الخط العربي وآدابه، وحسن الدعابة فيما ورد في الخط وأدوات الكتابة.

(٢) اللسان، مادة «بري».

(٣) صبح الأعشى، ٢/ ٤٤٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

وإرسال المدة بعد إشباع الحروف، والتحرز عند فراغها من الكشوف، وترك الشكل على الخطأ والإعجام على التصحيف». وعملية قط القلم أو بريه، هي عملية يراد منها حسن أداء الأداة في يد المؤدي بالكتابة، على أن مسألة البري ليست فقط قطع القطة لجهة معينة، بل يجب أن يكمل ذلك إرهاف جوانب القط وشق الرأس، كي يستوعب القلم المداد اللازم لكتابة كلمة أو حرف، يقول مسلم بن الوليد الأنصاري[1] في صفة بري القلم: «حرّف قطة قلمك قليلاً ليتعلق المداد به، وأرهف جانبيه ليرد ما استودعته إلى مقصده، وشق في رأسه شقاً غير عاد ليحتبس الاستمداد عليه، ورفّع من ثعبتيه ليجمعا حواشي تصويره، فإذا فعلت ذلك استمد القلم برشفه بمقدار ما احتملت ظبته فحينئذ يظهر به ماسداه العقل، وألحمه اللسان، وبلته اللهوات، ولفظته الشفاه، ووعته الأسماع، وقبلته القلوب».

وقد كان بعض الكتّاب يجيد الخط ولا يجيد بري القلم فيُبرى له، واعتبر ذلك عيباً ونقصاً في مهنته، حتى إن البعض يرفض بري القلم لغيره، لأنه يرى فيه شيئاً من الامتهان. قال بعضهم:[2]

«لم ترني قط بارياً قلماً	في بريه كل مهنة وضعه
ماكل من يحمل الحسام لكي	يردي به، سنه ولا طبعه»

ويقول أحدهم في ذم كاتب لا يجيد بري قلمه[3]:

دخيل في الكتابة ليس منها	فما يدرى دبيراً من قبيل
إذا مارام للأنبوب بريا	تنكب عاجزاً قصد السبيل
فكائن ثم من قطع رحيب	لأصبعه ومن قلم قتيل

(١) الصولي، أدب الكتّاب، ص٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٧.

ولغـرض تجنب هذه (الإرباكـات المهنيـة) راحـوا ينصـحون تلامـيـذهم وزملاءهم مـن الكتّاب بالاعـتناء والتروي في القط، وصـاغوا مـجمـوعة من المقالات (شعارات) تحفّز الجميع على الأخذ بها والتذكير في شؤون المهنة، فمن ذلك ماخطه ابن مقلة ـ وهو شيخ شـيوخ الكتّاب ـ حيث قال[1]: «ملاك الخط حسن البراية، ومن أحسنها سـهل عليه الخط، ومن وعى قلبه كثرة أجناس قط الأقلام كان مقتدراً على الخط، ولا يتعلـم ذلك إلا عاقل»، وبهذا التحفيز ربط ابن مقلة عـملية قط القلم بالوعي المعرفي، أي إنـه فرض مسألة القط فـرضاً، وأضاف إلى هذا الفرض شرطاً آخر هو «العـقل»، وبذا يكون قد أحكم منهجاً إبداعيـاً، يتطلب من الكاتب الأخذ به إذا كان عـاقلاً. وعلى هذا المنوال ينشئ المقـر العلائي ابن فـضل الله أحد تلامـيذ ابن مـقلة في «منهج الخط» قـاعدة «فقهية» إن جاز التعبير، ولكن في مجال إبداع القلم فيقول[2]: «من لم يحسن الاستمداد، وبري القلم، وإمـساك الطومار، وقسمة حركـة اليد حال الكتابة، فليس هو من الكتابة في شيء». وهذا التلمـيذ الشيخ يتشدد أكثـر في منهجه، فالكاتب ـ الخطاط ـ عنده هو من يتقن فنية الكتابة بوسائل الكتابة، فكل الأمور المذكورة في منهجه أعلاه تدلل على ذلك، وعلى مـايبدو فإن هذا التشدد حالة فرضت نفسها على عموم الكتّاب ـ وقتذاك ـ ليظهر الغث من السمين، والحس الحضاري عند هؤلاء الشيوخ جعلهم يدركـون أهمية تطور فن الكتابة من خلال هندسة حروفها[3].

يُتابع أساطين الحرف منهـجهم جيلاً بعد جيل، وعـصراً بعد آخر، وكل

---

(١) حكمة الإشراق، ص ٧٨.

(٢) صبح الأعشى، ٢/ ٤٤٥.

(٣) لنا كتاب مُعد للنشر تحت عنوان: خطاطو بغداد في العصر العباسي.

منهم يتابع سلفه، وظل الشعار المحفّز هو الحملة الأنفع في تطور مسار القلم، فهذا الضحاك بن عجلان إذا أراد أن يبري قلماً توارى، بحيث لا يراه أحد خشية الزلَل في عملية البري ويقول: «الخط كله القلم»، ويشايعه في الطريقة نفسها الأنصاري ويزيد عليه بأنه إذا أراد القيام من الديوان قطَع رؤوس الأقلام حتى لا يراها أحد[١]. وقال إسحاق بن حماد ـ وهو من المتأخرين[٢] ـ: «لاحذق لغير مميز لصنوف البراية»، وهنا إشارة إلى وجود درجة في الكتابة هي «الحذق»[٣] أو المهارة في الصنعة، وهي مرتبطة أشد الارتباط ببري القلم، لذلك فإن مسألة (البري) مسألة اختباريّة للكاتب، بها يُميّز ويُعرف، وقد كانت محط اهتمام الجميع، شيوخاً وتلاميذ، فقد شاهد إبراهيم بن المحبس رجلاً يأخذ على جارية قلم الثلث، فقال له: «أعلَّمتها البراية؟ قال: لا. قال: كيف تحسن أن تكتب بما لا تحسن برايته؟ تعليم البراية أكبر من تعليم الخط[٤]». وفي هذا الصدد قال شيخ الخطاطين علي بن هلال المعروف بـ(ابن البواب)[٥]: «كل قلم تقصر جلفته فإن الخط يجيء به أوقص». ويعلق القلقشندي على هذه العبارة بالقول: «الوقص: قصر العنق، ولذلك سمي (متفاعلن) في عروض (الكامل) إذا حذفت منه التاء أوقص، وكأنه يريد بالقصير مادون عقدة الإبهام».

وقال ابن البربري: «إياك والحرق في البراية، وترك التجويد لها، ومن فسدت آلته فسد عمله». ويضيف أحد تلاميذ ابن مقلة وهو ـ الشيخ ابن العفيف ـ: «إذا طالت البراية جاء الخط بها أخف وأضعف وأحلى، وإذا

---

(١) صبح الأعشى، ٢/٤٤٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحاذق = الماهر. انظر: القاموس المحيط، مادة «حذقَ».

(٤) صبح الأعشى، ٢/٤٤٦.

(٥) حكمة الإشراق، ص ٧٩، وصبح الأعشى، ٢/٤٤٨.

قصرت جاء الخط أصفى وأثقل وأقوى»[1].

وبغية أن تكون هناك دقة في البراية وقاعدة يسير عليها الكُتّاب؛ فقد قسموا البري إلى القط والنحت، وقد وضع الوزير الخطاط ابن مقلة قاعدة لذلك تقول[2]: «النحت نوعان، نحت حواشيه ونحت بطنه. أما نحت حواشيه فيجب أن يكون متساوياً من جهتي السن معاً، ولا يحمل على إحدى الجهتين فيضعف سنّه، بل يجب أن يكون الشق متوسطاً لجلفة القلم دقّ أو غلظ. قال: ويجب أن يكون جانباه مسيفين، والتسييف أن يكون أعلاه ذاهباً نحو رأس القلم أكثر من أسفله، فيحسن جري المداد من القلم، قال: وأما نحت بطنه، فيختلف بحسب اختلاف الأقلام في صلابة الشحم ورخاوته، فأما الصلب الشحمة فينبغي أن ينحت وجهه فقط، ثم يجعل مسطحاً، وعرضه كقدر عرض الخط الذي يؤثر الكاتب أن يكتبه. وأما رخو الشحمة فيجب أن تستأصل شحمته حتى تنتهي إلى الموضع الصلب من جرم القلم». ويعطي ابن مقلة ملاحظة مهنية هامة على العبارة الأخيرة تقول: «لأنك إن كتبت بشحمته تشظى القلم، ولم يصْفُ جريانه».

وهذه القاعدة في البري تنسحب على جميع أنواع الأقلام ـ الخطوط ـ وعلى أنواع القصب المستخدم في كتابة تلك الخطوط، والحقيقة أن ابن مقلة هو أميز من غيره في استخدام مختلف الأقلام نظراً لكثرة ممارسته لها، حيث إنه كان إمام الخط في زمانه، وإليه آلت رئاسة الخط العربي، لذلك فإنه أدرى من غيره في التعامل مع مختلف أنواع القصب، وهو الأعرف بشؤون القط، وعليه سار الكتّاب في زمانه وبعده في القط والبراية ومسك القصبة وخط القلم،

---

(١) حكمة الإشراق، المكان نفسه.

(٢) صبح الأعشى، ٢/٤٤٩.

يقول ابن البربري[1] : «لا تقطع البراية ولا تخالف بين حدي القلم، فإن ذلك حياكة، وإذا كان كذلك يكون القلم أحول» وهذا الكلام يحمل شيئاً من التندر مع الثبات المعرفي بالشيء، ويضيف ابن البربري ملاحظات أخرى على عملية القط والبري تستجيب لأنواع الخطوط المستخدمة في زمانه، فمن ذلك قوله:[2] «ثم الجلفة على أنحاء: منها أن يرهف جانبي البرية، ويُسمِّن وسطها شيئاً يسيراً، وهذا يصلح للمبسوط والمعلق والمحقق[3]، ومنها ما تستأصل شحمته كلها، وهذا يصلح للمرسل والممزوج والمفتح[4]، ومنها من جانبه الأيسر ويبقى فيه بقية في الأيمن، وهذا يصلح للطوامير[5] وماشابهها. ومنها مايرهف من جانبي وسطه، ويكون مكان القطة منه أعرض مما تحتها، وهذا يصلح في جميع قلم الثلث[6] وفروعه».

وأوجدوا مسميات للقط شكلت بديهيات عند الكتّاب بكل فئاتهم، يستخدمونها في بري أقلامهم ويتعاطون الحديث بها في لجة عملهم، منها: المحرف، والمستوي، والقائم، والمصوب، وأجودها عندهم المحرفة المعتدلة التحريف، وأفسدها المستوي، لأنه أقل من المحرف تصرفاً[7].

ومع هذه القطّات أوجدوا أدوات للقط أطلقوا عليها اسم (المِقَطّ)، راعوا فيها بعض المواصفات التي تنسجم ومادة القلم، وشكل القطة أو البري، وبهذا

---

(١) صبح الأعشى، ٢/٤٤٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنواع من الخطوط العربية وقتذاك.

(٤) أنواع أخرى من الخطوط.

(٥) نوع من الخط السلطاني، كان يكتب للخليفة في (ديوان الإنشاء).

(٦) الثلث من أشهر الخطوط العربية.

(٧) حكمة الإشراق، ص ٧٩.

الجانب يركن مهنياً إلى ابن مقلة أيضاً، فهو حقاً خبير الأقلام وشؤونها، فقد قال مرة لأخيه: «إذا قططت القلم فلا تقطه إلا على مقط أملس صلب، غير مثلم ولا خشن، لئلا يتشظى القلم، واستحد السكين حداً، ولتكن ماضية جداً، فإنها إذا كانت كالّة جاء الخط رديئاً مضطرباً، وتضجع السكين قليلاً إذا عزمت على القط ولا تنصبها نصباً»[1]، وعلى المقط يُعلّق ابن العفيف بالقول[2]: «يتعين أن يكون من عود صلب كالأبنوس والعاج، ويكون مسطح الوجه الذي يقطع عليه، ولا يكون مستديراً».

ومن بري القلم إلى الشق في رأس القلم وهي الخطوة الثانية، يقول ابن مقلة[3]: «لو كان القلم غير مشقوق ما استمدت به الأنامل، ولا اتصل الخط للكاتب، ولكثُر الاستمداد، وعدم المشق، ولمال المداد إلى أحد جانبي القلم على قدر فتل الكاتب له». أي إن الشق ميزان للمداد، وقد رأى الكتّاب في صفة هذا الشق أن يكون هناك تناسب في قدره وطوله، حسب نوعية القصب المستخدم. يقول ابن مقلة[4]: «ويختلف ذلك بحسب اختلاف القلم في صلابته ورخاوته. فأما المعتدل فيجب أن يكون شقّه إلى مقدار نصف الفتحة أو ثلثيها، والمعنى فيه أنه إذا زاد على ذلك انفتحت سنّا القلم حال الكتابة، وفسد الخط حينئذ، وإذا كان كذلك أمن من ذلك، وأما الصلب فينبغي أن يكون شقه إلى آخر الفتحة، وربما زاد على ذلك بمقدار إفراطه في الصلابة»، وبغية إدراك وفهم ذلك عند الكتاب فقد لجأ أحدهم ـ وهو الشيخ علاء الدين السومري ـ

---

(١) حكمة الإشراق، ص ٧٩-٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٣) صبح الأعشى، ٢/ ٤٥٠.

(٤) المصدر السابق، ٢/ ٤٥٠.

إلى نظم أرجوزة في صفة شق الأقلام، كي تكون مساعدة في ذلك يقول فيها[1]:

واعلم بأن الشق أيضاً يختلف	بحسب الأقلام، فافهم ما أصف
فإن يكن معتدلاً شقّ إلى	مقدار ثلث الجلفة انقل واقبلا
والرخو للنصف أو الثلثين زد	والصلب بالفتحة ألحق تستفد
وربما زادوا على ذاك إذا	أفرط في الصلابة، اعرف ذا وذا

وقد أدرك كتاب ذلك الزمان أهمية الشق بالنسبة للحرف غير العربي، مما يعني أن فئة المترجمين من الكتّاب هي الأخرى أدلت بدلوها في هذا المعنى، وقد انتبه جيداً لهذه المسألة الخطاط البغدادي ابن البوّاب التلميذ المُجوِّد لابن مقلة، والفائق عليه في منهج الخط حيث يقول[2]: «ويجوز أن يكون الأيمن (يقصد سن القلم) أغلظ من الأيسر دون العكس على كل حال، وهذا إنما يأتي إذا كانت الكتابة آخذة من جهة اليمين إلى جهة اليسار، أما إذا كانت آخذة من جهة اليسار إلى جهة اليمين كالقبطية، فإنه يكون بالعكس من ذلك، لأنه يقوى الاعتماد على اليسار دون اليمين». وهذه النقطة ـ بتقديرنا ـ هي اكتمال لحالة تطور فن القلم، صناعة وكتابة وقفزة فنية مدركة.

وبغية المعرفة الدقيقة الشاملة لما تحتاجه البراية فإنهم وقفوا على صفات القلم فيما يتعلق بها، وما لكل من سنّي القلم من الحروف، وأعطوا أسماء لصفات وأوجه كل جانب أو حافة من القلم، كي تدرك أثناء القط. لأنه على أساسها يفهم نوع البري، يقول الشيخ عماد الدين بن العفيف[3]: «من لم يدر

(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٥١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٤٥٣.

وجه القلم، وصدره وعـرضه، فليس من الكتابة في شيء». فوجـهها عند ابن مـقلة حيث تـضع السكين وأنت تريد قطه، وهو مـا يلي لحـمة القلم، وأمـا صدره، فهو ما يلي قشرته، وأما عرضه فهو نزولك فيه على تحريفه. ثم قال: «وحرف القلم هو السن العليا وهي اليمنى»[1].

ومن هذه القواعـد والتسمـيات عرجـوا على وضع مسـاحة رأس القلم ومقدارها مـن حيـث مـوضـع القطـة، وعلى أساس كل نوع من أنواع الأقلام ـ الخطوط ـ متخذين من قلم الطومار قياساً يُتَّبع[2].

ثم ذكروا (المقلمـة) وهي المكان الذي فيه الأقلام، وعـدها البعض منهم من أدوات الكتابة فيما أعرض البعض الآخر عن ذلك[3].

السكين ـ أو المدية ـ هي الآلة الثالثة التي تندرج فـي عملية قط الأقلام، يلفظها الجـاحظ بـ (المدية) وتقال بضم الميم وفـتحـها وكسـرها، وتجمع على مُـدىً، وهي السكين[4]. والسكين في الأصـل لفظ مـذكـر، قـال أبوذؤيب الهذلي[5]:

«يرى ناصحاً لي مابدا فإذا خلا   فذلك سكين على الحلق حاذق».

وتؤنث إذا لفظت مـدية، قال صـاحـب اللسـان: تذكـر وتؤنث، وأورد شاهداً على التأنيث أنشده الكسائي[6]:

فعيّث في السنام، غداة قُرٍّ   بسكيـن موثقـة النصـاب

---

(١) صبح الأعشى.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٤٥٥-٤٥٥.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٤٥٥-٤٥٦، واللسان، مادة «سكن».

(٤) اللسان، مادة «سكن»، وصبح الأعشى، ٢/ ٤٥٥.

(٥) اللسان، مادة «سكن».

(٦) صبح الأعشى، ٢/ ٤٥٦ واللّسان، مادة «سكن».

قال ابن الأعرابي: لم أسمع تأنيث السكين، وقال ثعلب: قد سمعه الفرّاء، قال الجوهري: والغالب عليه التذكير[1] والسكين مُؤنّثة في اللهجة البغدادية.

وسميت (مُدية) أخذاً من مدى الأجل، وهو آخره، لأنها تأتي بالأجل في القتل على آخره، وسميت سكيناً لأنها تسكن حركة الحيوان بالموت، ونصاب السكين أصلها[2].

وارتبطت السكين بأدوات الكتابة، وهي الظل للقلم دائماً، فهي التي تشحذه وترهفه، لذلك سموها (مسن الأقلام) قال بعضهم[3] هي مسن الأقلام، تستحد بها إذا كلّت، وتطلق بها إذا وقفت، وتلمها إذا تشعّثت، فتجب المبالغة في سقيها وإحدادها ليتمكن من البري، فيصفو جوهر القلم، ولا تتشظّى قطّته، وينبغي على الكاتب أن لا يستعملها في غير البراية لئلا تكلّ، يقول الصولي[4]: «وأشعرتُ السكين: جعلت لها شعيرة، وهي الحاجز بين آخر الحديد وأول النصاب، وأقبضت السكين جعلت لها مقبضاً»، ويستطرد الصولي في وصف السكين ومواصفاتها قائلاً: «ويقال هذا حد السكين وشفرته وظبته وغرته وغراره وذبابه، فظبته طرفه، والجمع ظبات، وشفرته حده من أوله إلى آخره، وغراره وشفرته واحد، وذباب كل شيء حده، وأكثر ما يوصف به السيف من الحد يجوز في السكين».

وقد وصف ابن حجة الحموي في الخزانة سكيناً فقال[5]: «وينتهي

---

(١) اللّسان، مادة «سكن».

(٢) صبح الأعشى، ٢/٤٥٦.

(٣) المصدر السابق ٢/٤٥٦

(٤) أدب الكتّاب، ص ١١٧.

(٥) محمد طاهر الكردي، حسن الدعابة، ص ٣٩-٤٠.

وصول السكين إلى قطع المملوك بها أوصال الجفاء، وأضافها إلى الأدوية فحصل بها البرء والشفاء، وتالله ماغابت إلا وصلت الأقلام من تعثرها إلى الجفاء، وزرفاء كم ظهر للبيض منها ألوان خرساء، وفي العجائب أنها لسان كل عنوان، ماشاهدها موسى إلا سجد في محراب النصاب، وذل بعد أن خضعت له الرؤوس والرقاب، كم أيقظت طرف القلم بعدما حظر، وعلى الحقيقة مارؤي مثلها قط، وكم وجد بها الصاحب في المضائق نفعاً، وحكم بحسن صحبتها قطعاً، ماضية العزم، قاطعة السن، فيها جذوة الشباب من وجهين، لأنها بالناب والنصاب معلمة الطرفين، وأنملة صبح دفعت سواد الدُجى، فعوذتها بالضحى والليل إذا سجى، ولسان برق أمت في ظلمات الليل فتنكرت أشعة الأنجم، وما عرف منها سهل هذا، وتقطيعها موزون إذ لم يتجاوز في عروض ضربها الحد، ومعلوم أن السيف والرمح لم يعرفا الجزر والمد، ومن أجل ذا تدخل في مضايق ليس للسيف فيها قط مدخل، وكل مايفله تزجره، والرمح في مقصده مطول، إن هجعت بخفها كانت أمضى من الظرف، وكم لها من خاصة حازت بها الحد على السيف، تنسي حلاوة العسل فلا يظهر لطوله طائل، وتغني عن آلة الحرب بإيقاع ضربها الداخل، إن مرت بشكلها المحلّى تركت المعادن عاطلة، ولم يسمع للحديد في هذه الواقعة مجادلة، شهد الرمح بعدالة أنها أقرب منه إلى الصواب، وحكم لها بصحة ذلك قبل أن تستكمل النصاب، ماطال في رأس القلم شدة إلا سرحتها بإحسان، ولا طالت كتاباً إلا زالت غلطه بالكشط من رأس اللسان، تعقد عليها الخناصر لأنها عدة وعدة، تالله ماوقعت في قبضة إلا أطال لسانها، وتكلمت بحدة إن دخلت إلى القراب، وكانت قد سبكت على النخول، وأبرزت من خيمة كان على طلعتها قبول، تطرف بأشعتها الباهرة عين

الشمس، وبإقامتها لحد الأقلام على مواظبة الخمس، وكم لها من عجائب صار بها جدول السيف في بحر غمده كالغريق، ولو سمع بها قبل ضربه ماحمل التطريق، فلو عارضها أبوطاهر[1] لعركت من قوسه الأذنين وقالت له: جحدت رسالتك ياذا القرنين، فإن جذبت إلى مقاومتها، وكان لك يد تمتد وصلت السكين إلى العظم، وصار عليك قطع وانتهى أمرك إلى هذا الحد، وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم إلا ماحملت ظهورها أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم، ولو لمحها الفاضل[2] لحقق قوله إن خطر سكينه كلّ، أو أدركت ابن نباتة[3] ما أقر برسالة السيف وقل، وقال لقلم رسالته: أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك».

الحقيقة أن هذا الوصف للسكين، كان شاملاً لكل مواصفاتها وفوائدها واستخداماتها، ولا غرو في ذلك، فإن الواصف ـ ابن حجة الحموي ـ هو واحد ممن تعاطوا مهنة الكتابة، وعرفوا فضل أدواتها، ولا ريب أن السكين كانت إحدى الأساسيات في أدوات الكتابة، وبها يكمل القلم مهمته، ومن دونها يحجم عن مهمته بعد حين، وقد أحسن أحد الكتّاب في وصفها شعراً فقال على لسانها[4]:

أنا إن شئت عدة لعدو ... حين يخشى على النفوس الحمام
أنا في السلم خادم لدواة ... وبحدي تُقوّم الأقلامُ

ونظراً لأهمية السكين ووجودها المصاحب مع عدة الكتابة، صارت تُهدى

---

(١) أحد الشعراء المشهورين في العصر العباسي.

(٢) هو القاضي الفاضل له رسائل في وصف السيف ومفاضلته بالقلم، راجع ثمرات الأوراق المسطر على هامش كتاب المستطرف من كل فن مستظرف، للأبشيهي، منشورات دار الفكر، بيروت، ص ١٢٣.

(٣) أحد الكتّاب والشعراء المشهورين.

(٤) صبح الأعشى، ٢/٤٥٧.

وتسرق وتخاف وترصد، وتشترى، فمن ذلك أن أحد كتاب الدواوين في القرن الرابع سرق سكيناً من الشاعر المعروف كشاجم، فغضب عليهم وقال[1]:

يا قاتل الله كُتّاب الدواوين ... ما يستجزون من كسد السكاكين

لقد دهاني لطف منهم ختلٌ ... في ذات حد كحد السيف مسنون

فابتزنيها ولم أشعر به عبثاً ... ولست لو ساءني ظن بمغبون

وأقفرت بعد عمران بموقعها ... منها دواة فتى بالكتب مفتون

يبكي على مدية أودى الزمان بها ... كانت على جائر الأيام تعديني

كانت تقوم أقلامي وتتحفها ... برياً وتسخطها قطاً فترضيني

وتضحك الطرس والقرطاس عن حلل ... تنوب للعين عن نور البساتين

وإن قشرت بها سوداء عن صحفي ... عادت كبعض خدود الخُرّد العين

جزع النصاب لطيفات شعائرها ... محسنات بأصناف التحاسين

هيفاء مرهفة، بيضاء مذهبة ... قال الإله لها سبحانه كوني

مخطوفة الخصر تحكي في تخصرها ... خصر البديع، بديع في الخقاتينِ

كأنها حين يشجيني تذكرها ... في القلب مني وفي الأحشاء تغريني

لكن مقطّي أمسى شامتاً جدلاً ... وكان في ذلّة منها وفي هونِ

فصين حتى يضاهي في صيانته ... جاهي لصونيه عمن لا يدانيني

فلست عنها بسالٍ ما حييت ولا ... بواجد عوضاً منها يسليني

فلو يرد فداء ما فجعت به ... منها فديناه بالدنيا وبالدينِ

(١) انظر ديوانه، ص ٤٧٣-٤٧٥ قافية النون، تحقيق خيرية محمد محفوظ، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، وانظر كذلك: زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحق الحصري القيرواني، تحقيق زكي مبارك، منشورات المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط١، ١٩٢٠م، ٢/ ١٤٠، وكذلك حسن الدعابة، ٤١-٤٢.

وحسن استخدامها في أمور الحياة جعل الكثير من الأدباء والندماء يحسن التعبير عنها في كل موقف، فمن ذلك ماقاله أحمد بن يوسف وهو جالس بين يدي المأمون حينما سأله عن السكين، فناولها له، وقد أمسك أحمد بنصابها وأشار إليه بالحد، فنظر إليه المأمون نظر منكر فقال: «لعل أمير المؤمنين أنكر عليّ أخذي النصاب وإشارتي إليه بالحد، وإنما تفاءلت بذلك أن يكون له الحد على أعدائه»، فعجب المأمون من سرعة فطنته ولطيف جوابه(١). وقال كاتب في وصفها(٢): «سكين ذات منسر بازي، وجوهر هوائي، ونصاب زنجي، إن أرضيت أولت متناً كالدهان، وإن أسخطت اتقت بناب الأفعوان، سكين أحسن من التلاق وأقطع من الفراق، تفعل فعل الأعداء وتنفع نفع الأصدقاء، هي أمضى من القضاء، وأنفذ من القدر المتاح، وأقطع من ظبة السيف الحسام، وألمع من البرق في الغمام، جمعت حسن المنظر، وكرم المخبر، وتملكت عنان القلب والبصر، لم يحوجها عتق الجوهر إلى إمهاء الحجر».

رأينا فيما تقدم أن هناك عدة عمليات فنية، استنبطها الكتّاب من ظروف مهنة الكتابة، كأنواع القصب، وكيفية استخدام القط والمقط، وفنية إمساك السكين والقطع بها، وهذه العمليات المتوالية تشير إلى التفكير الدائم بتطوير أداة الكتابة الرئيسة (القلم)، وهذه المسألة لم تكن حصراً وحكراً على كتّاب الدولة العباسية في بغداد، بل هي همٌّ مشترك عند أمراء وكتّاب الممالك الإسلامية الأخرى، إن كانت في الأندلس أو في مصر الفاطمية، ولقد كان للتنافس السياسي فيما بين هذه الدول دور إيجابي في تطور مجمل الصناعات والعلوم، وقد كان للقلم حضوره في هذا التنافس، نظراً لما هو عليه من تسيير شؤون

(١) زهر الآداب، ٣/ ١٤٠.

(٢) المصدر السابق، ٣/ ١٤١.

الملك، وبغية إيجـاد تفرد معين في فن أو علم مخصـص لهذه الممالك، تنافس به حكومة بغداد العباسية، فقد انبـرت الدولة الفاطمية في مصر لإثبات قدرتها في مجـال التنافس في صناعـة القلم، فقد أشـار القاضي النعـمان ابن حـيون المغربي[1] إلى أن المعز لدين الله الفاطمي طرح فكرة صناعة (قلم الحبر) حيث قال: «نريد أن نعمل قلماً يكتب به بلا اسـتمداد من دواة، يكون مداده داخله، فمـتى شاء الإنسـان كتب به، فأمـده وكتب بذلك ماشـاء، ومتى شـاء تركه، فارتفع المداد، وكان القلم ناشفاً منه، يجـعله الكاتب في كمه، أو حيث شاء، فلا يؤثر فـيه ولا يرشح شيء من المداد عنه، ولا يكون ذلك إلا عندما يبـتغى منه ويراد الكتابة به، فـيكون آلة عجيبـة لم نعلم أنّا سُبقنا إليهـا، ودليلاً على حكمة بالغـة لمن تأملها، وعرف وجه المعنى فـيها»، ويضيف القاضـي النعمان تعقيبـاً على قول المعز قال: «فما مر بعد ذلك إلا أيام قـلائل حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعـة به، مـعـمولاً مـن ذهب، فأودعـه المداد، وكـتب به فكتب، وزاد شيئاً من المداد على مقدار الحـاجة، فأمر المعز بإصلاح شيء منه، فأصلحه. وجاء به فإذا هو قلم يقلب في اليد، ويميل إلى كل ناحية، فلا يبدو منه شيء، فإذا أخذه الكاتب وكتب به، كتب أحسن كتاب ماشاء أن يكتب به، ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك عن المداد»[2].

---

(١) كتاب المجالس والمسايرات، الجزء الخـامس عشر، تحـقيق الحـبيب الفقي وإبراهيم شـبوح ومحـمد اليعلاوي، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٨م، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٢) وبهذا الاختـراع يكون المعز لدين الله الفاطمي (٣١٩-٣٦٥هـ/ ٩٣١-٩٧٥م) هو أول مـخترع لقلم الحبر، وهو سابق على اختراع القلم الخازن للحبـر في أوروبا بثمانية قرون، حيث يشار إلى قلم F.B. foelsh سنة ١٨٠٩م ثم قلم S. scheffer سنة ١٨١٩م، انظر بهذا الصـدد: الهامش رقم ١ ص ٣١٩ من كـتاب المجـالس والمسايرات، وانظر ترجـمة المعز في الأعـلام، للزركلي، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م، ٧/ ٢٦٥.

وعلى مايبدو أن دواوين الدولة العباسية في ذلك الوقت (القرن الرابع) لم تعر ذلك أيَّ اهتمام، وأضربت عن ذكره ولم تتعاط فيه، بل استمرت في استخدام القصبة، وتفننت في ذلك وأوجدت منها أنواعاً للخطوط، بل أوجدت مدرسة للخط في بغداد، كان على رأسها عبدالله بن مقلة الوزير الخطاط، ثم انتقلت إلى يد المجوّد الأحذق ابن البواب، وانتهت رياسة هذه المدرسة إلى ياقوت المستعصمي، وعن هذه المدرسة أخذ العالم الإسلامي أصول الخط العربي وقواعده.

ماقيل في الأقلام:

قالوا: القلم أحد اللسانين، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب، على لغات مختلفة، من معان معقودة بحروف معلومة مؤلفة، متباينة الصور، مختلفة الجهات، لقاحها التفكير ونتاجها التدبير، تخرس منفردات، وتنطق مزدوجات، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسن محدودة، ولا حركات ظاهرة، خلا قلم حرّف باريه قطته ليعلق المداد به، وأرهف جانبيه ليردّ ما انتشر عنه إليه، وشقّ رأسه ليحتبس المداد عليه، فهنالك استمدّ القلم بشقّه، ونثر في القرطاس بخطّه، حروفاً أحكمها التفكّر وجرى على أسلة الكلام الذي سداه العقل وألحمه اللسان، ونهسته اللهوات، وقطعته الأسنان، ولفظته الشفاه، ودعته الأسماع على أنحاء شتّى من صفات وأسماء، وفيه قال أبوالحسن محمد ابن عبدالملك بن صالح الهاشمي[1]:

وأسمر طاوي الكشح أخرس ناطق ... له ذملان في بطون المهارقِ
إذا استعجلته الكفّ أمطر وبله ... بلا صوت أرعاد ولا ضوء بارقِ

(١) العقد الفريد، ٤/ ١٩١.

إذا ما حدا عزّ القوافي رأيتها ... مجلية تمضي أمام السوابقِ

كأن عليه من دجى الليل حلّة ... إذا ما استهلت مزنه بالصواعقِ

كأن اللآلي والزبرجد نطقه ... ونور الخزامى في عيون الحدائقِ

حدّث محمد بن أحمد الأنصاري قال: دخل عيسى بن قرخانشاه على جارية وهي تكتب خطاً حسناً فقال[1]:

سريعة جري الخط تنظم لؤلؤاً ... وينشر دراً لفظها المترشف

وزادت لدينا حظوة ثم أقبلت ... وفي أصبعيها أسمر اللون مرْهف

أصمّ سميع ساكن متحرك ... ينال جسيمات المدى وهو أعجف

وقال أحد الورّاقين، يصف قلمه ويمدحه ويذكر استغناءه[2]:

يا مجيري من سطوة الأمراء ... وعميدي في نومة اللأواء[3]

والذي صان حرّ ديباجة الوجـ ... ـه عن الأسخياء والبخلاء

والذي لا أزال أنعت في الشعـ ... ـر وأطريه غاية الأطراء

وسفيري بما أريد من الأمـ ... ـر إلى إخوتي من الأدباء

والذي لا يزال يخبر في المهر ... ق عن سالف الأنباءِ

والذي ما ابتعثته أمتن كالثا ... قب يُغري دجنة الظلماء

وقال عبدالله بن المعتز في قلم القاسم بن عبدالله:

قلم ما أراه أو فلك يجـ ... ـري بما شاء قاسم ويدور

راكع ساجد يقلّب قرطا ... ساً كما قلّب البساط شكور

---

(١) أدب الكتاب، ص ٨٤.

(٢) المصدر السابق، المكان نفسه.

(٣) اللأواء: الشدة.

وفيه يقول:

عليم بأعقاب الأمور كأنه ... لمختلفات الظن يسمع أو يرى

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه ... يفتح نورًا أو ينظم جوهرا

وقال ابن الرومي مفضّلاً القلم على السيف[(١)]:

لعمرك ما السيف سيف الكمّي ... بأخوف من قلم الكاتب

له شاهد إن تأملته ... ظهرت على سرِّهِ الغائب

أداة المنيّة في جانبيه ... فمن مثله رهبة الراهب

ألم تر في صدره كالسنا ... نِ وفي الردف كالمرهف القاضب

دخل محمد بن ذؤيب العماني الراجز على الرشيد فأنشده أرجوزة يصف فيها فرساً شبّه أذنيه فيها بقلم محرّف[(٢)]:

كأن أذنيه إذا تشوفا ... قادمة أو قلما محرّفا

فقال له الرشيد: «دع ـ كأن ـ وقل: «تخال أذنيه إذا تشوّفا» حتى يستوي الإعراب».

وأورد القلقشندي جملة أبيات في مفاخرة القلم، منها قول ابن الرومي[(٣)]:

أن يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب ودانت خوفه الأمم

فالموت ـ والموت لا شيء يغالبه ـ ... ما زال يتبع ما يجري به القلم

كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... إن السيوف لها ـ مُذ أُرهفت ـ خدمُ

---

(١) أدب الكتاب، ص ٨٥، ج٢، تحقيق كامل كيلاني، منشورات المطبعة التجارية بمصر، ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٦.

(٣) صبح الأعشى، ١/ ٤٥، وديوان ابن الرومي، ٣/ ٣٧٢.

الفصل الثاني

الـــدواة

يقـال: دواة ودويات في أدنى العـدد، وفي الكثيـر دويّ ودوىً، بضم الدّال وكسرها[1]، وقال صاحب المتن[2]: «الدواة، هذه المتخذة لمدة القلم في الكتابـة. أَوَّلَ بعض المفسّريـن قوله: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] بأن «النون» هي الدواة، وعلى أية حـال فإن الدواة هي أم آلات الكتابة، وسـمطها الجامع لها، حتى إن ابن سابور يقول: «مثل الـكاتب بغير دواة كمثل من يسير إلى الهيجاء بغير سلاح»[3].

ويرادف الدواة المحبرة، والجمع مـحابر، مع اختلاف في وضعهـما كما سيأتي.

وبالنظر لأهميـة الدواة بالنسبة للكتّاب والورّاقين ودواويـن الوزارة، فقد اتخـذت صناعتـها من أصناف مـعيّنة من الخـشب، مثل: الأبنوس والسـاسم والصندل، فيـما تطوّر مـعدن صناعتـها فـيما بعـد، فقد غلب عـلى الكتّاب المتأخـرين اتخاذ المحـابر من النحاس الأصـفر والفـولاذ، وتغالوا في أثمـانها

---

(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٣١.

(٢) متن اللغة، للشيخ أحـمد رضا، مادة «دوي»، منشورات مكتبـة الحياة، بيروت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، وراجع الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة «دوي»، وعلى مـا يبدو أن أغلب المعـاجم اللغوية: اللسان، القاموس، لم تتوقف عندها، نظراً لكونها معروفة كأداة لجمع المداد (الحبر).

(٣) صبح الأعشى، ٢/ ٤٣٠-٤٣١.

وبالغوا في تحسينها[1]، لكن الملاحظ أن النحاس كان أكثر استعمالاً، والفولاذ أقل لعزته ونفاسته، ولكنه كان يخصص بأعلى درجات الرياسة كالوزارة وماضاهاها. أما محابر الخشب، فقد بطل استعمالها إلا الأبنوس والصندل الأحمر، فقد قال القلقشندي: «إنه اختص باستخدامها قضاة الحكم وموقعوهم وبعض شهود الدواوين[2]. وأصحابنا الورّاقون كانوا إلى الخشب أميل، وأكثر استخداماً».

ولكون الدواة تعطي هيبة لطقس الكتابة وموضع الكاتب، فقد مال غالبيّة الكتاب إلى تحليتها وزركشتها بالحُلي، كالذهب والفضة وغيرها من المعادن، وفي هذا قال الحسن بن وهب، وهو من جلّة الكتاب في العصر العباسي: «سبيل الدواة أن يكون عليها من الحلية أخف مايكون ويمكن أن تحلّى به الدّويّ في وثاقة ولطف، ليأمن أن تنكسر أو تنقصم في مجلسه»، وأضاف: «وحق الحلية أن تكون ساذجة بغير حفر ولاثنيات فيها، ليأمن من مسارعة القذى والدّنس إليها، ولا يكون عليها نقش ولاصورة»[3].

هذه المواصفات التجميلية للدواة، جعلت القلقشندي يسقط عليها بتعليقاته شيئاً من محموله الآيديولوجي ـ الديني، حيث أشار[4]: «وحقّ هذه الحلية مع ماذكره ابن وهب أن تكون من النحاس ونحوه، دون الفضة والذهب، على أن بعض الكتاب في زماننا[5] قد اعتاد التحلية بالفضة، ولا يخفى أن حكم ذلك حكم الفضة في الإناء فتحرم مع الكبر والزينة وتكره مع

(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٣١.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٤٣٢.

(٣) المصدر السابق، المكان نفسه.

(٤) المصدر السابق، المكان نفسه.

(٥) يقصد القرن الثامن الهجري ـ حيث إنه ولد سنة ٧٥٦هـ ـ ٨٢١هـ، راجع الزركلي ١/ ١٧٧.

الصِغَر والزينة والكبر والحاجة، وتباح مع الصغر والحاجة من كسر ونحوه، كما قرّره أصحابنا الشافعية، نعم يحرم التكفيت بالذهب والفضة، وكذلك التمويه إذا كان يحصل منه بالعرض على النار شيء».

وكان لحجم الدواة أثره في اختيارها بالنسبة للكاتب أكثر من غيره كالوزراء وكتّاب الدواوين، وقد التفت الصولي إلى ذلك موضحاً أهمية الحجم، حيث أشار إلى أن حكم الدواة أن تكون متوسطة في قدرها، نصفاً في قدّها، لا باللطيفة جداً فتقصر أقلامها، ولا بالكبيرة فيثقل حملها، لأن الكاتب ـ ولو كان وزيراً له مائة غلام مرسومون بحمل دواته ـ مضطر في بعض الأوقات إلى حملها ووضعها ورفعها بين يدي رئيسه، حيث لا يحسن أن يتولى ذلك منها غيره، ولا يتحملها عنه سواه، وأن يكون عليها من الحلية أخف مايتهيأ أن يتحلى الدوي به[1].

وارتأوا أن يكون طولها بمقدار عظم الذراع أو فويق ذلك قليلاً؛ لتكون مناسبة لمقدار القلم، وقد أشار القلقشندي[2] إلى اختلاف مقاصد أهل الزمان في هيئة الدواة، من التدوير والتربيع، يقول: فأمّا كتّاب الإنشاء فإنهم يتخذونها مستطيلة مدورّة الرأسين، لطيفة القدّ، طلباً للخفّة، ولأنهم إنما يتعانون في كتابتهم الدّرج[3]، وهو غير لائق بالدواة في الجملة، على أن الصغير من الدرج لا يأبى جعله في الدواة المدوّرة. وأمّا كتّاب الأموال فإنهم يتخذونها مستطيلة مربعة الزوايا، ليجعلوا في باطن غطائها ماستخفّوهُ ممّا يحتاجون إليه من ورق الحساب الديواني المناسب لهذه الدواة في القطع، وعلى

(١) الصولي، أدب الكتاب، ص ٩٦.

(٢) صبح الأعشى، ٢/ ٤٣٢ -٤٣٣.

(٣) الدرج = الذي يكتب فيه، وهو في العادة أسطواني على شكل لفيفة ـ والدرج ـ بالتحريك، يقال أنفذته في درج الكتاب أي في طيه، اللسان، مادة «درج».

هذا الأنموذج يتخذ قضاة الحكم وموقعوهم دويّهم، وينبغي للكاتب أن يجتهد في تحسين الدواة وتجويدها وصونها، وقد جعلوا ذلك من منابع وعيهم، ولزاميّات خواطرهم، يقول المدائني[١].

جوّد دواتك واجتهد في صونها   إنّ الدويَّ خزائن الآداب

ومن هذه الزاوية في الاهتمام بالدواة صارت محطّ أنظار الكتّاب، والبضاعة النفيسة التي تعشقها روح الكاتب، لذلك بدأ تبادل الهدايا بها، قال أبوالطيب عبدالرحمن بن أحمد بن زيد الكاتب جملة أبيات في دواة من الأبنوس محلاّة أهداها لأحد أصدقائه[٢]:

لم أر سوداء قبلها ملكت   نواظر الخلق والقلوب معا

لا الطول أزرى بها ولا قِصَرٌ   لكن أتت للوصول مجتمعا

فوقك جنح من الظلام بها   وبارق بائتلاقها، لمعا

خذها لدرٍّ بها تنظمه   يروق في الحسن كل من سمعا

أما المحبرة المفردة عن الدواة فقد اختلف الناس فيها كما يقول القلقشندي[٣]، فمنهم من رجّحها ومالوا إلى اتخاذها لخفة حملها، وقالوا: بها يكتب القرآن والحديث والعلم، وكرهها بعضهم واستقبحها من حيث إنها آلة النسخ الذي هو من أشدّ الحِرَف وأتعبها وأقلها مكسبا، وتشاءموا منها كثيراً. يروى أن شعبة ـ أحد رجالات الحديث ـ رأى في يد رجل محبرة، فقال له: «ارم بها فإنها مشئومة لايبقى معها أهل ولا ولد ولا أم ولا أب»[٤]، والشؤم هذا نابع من كون صاحبها يرتزق منها في صنعة الوراقة المتعبة لأهلها.

(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٣٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٤٣٣.

(٤) المصدر السابق، ٢/ ٤٣٤.

ماقيل في الدواة:

قال أحدهم في وصف الدواة[1]: «الدواة من أنفع الأدوات، وهي للكتابة عتاد، وللمخاطر زناد، وغدير لا يرده غير الأفهام، ولا يمنح بغير أرشية الأقلام، دواة أنيقة الصيغة، رشيقة، مسكيّة الجَلد، كافورية الحكاية، غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره، وتساق سحب البلاغة من قراره، دواة تداوي مرض عفاتك وتداوي لقلوب عداتك، على مرفع يؤذن بدوام رفعتك، وارتفاع النوائب عن ساحتك، ومواد كسواد العين وسويداء القلوب، وجناح الغراب ولعاب الليل، وألوان دهم الخيل، مداد ناسب خافية الغراب، واستعار لون شرخ الشباب، وأقلام جمّة المحاسن، بعيدة عن المطاعن، تعاطي الكاسب، وتمانع النافر القاسي، أنابيب ناسبت رماح الخط في أجناسها، وشاكلت الذهب في ألوانها، وضاهت الحديد في لمعانها، أقلام كأنها الأميال استواء، والآجال مضاء، بطيئة الخطى، قوية القوى، لا يشطبها القَط، ولا ينشعب بها الخط، أقلام بحرية، موشية اللّيط، رائعة التخطيط، قلم معتدل الكعوب، طويل الأنبوب، باسق الفروع، رويُّ الينبوع، هو أولى باليد من البنان، وأخفى للسرّ من اللسان، هو للأنامل مطيّة، وعلى الكتابة معونة مرضية، نعم العدة القلم».

وقال أبوالفتح كشاجم فيها مركزاً الوصف على المحبرة[2]:

محبرة جاد لي بها قمر	مستحسن الخلق مرتضى الخلقِ
جوهرة خصني بجوهرة	ناطت له المكرمات في عنقي
بيضاء والحبر في قرارتها	أسود كالمسك جدُّ منفتقِ

(١) حسن الدعابة فيما ورد في الخط وأدوات الكتابة، ص ٣٣-٣٤.

(٢) انظر ديوانه، ص ٣٦٨-٣٦٩، قافية القاف، المقطوعة رقم (٣٥٨).

مثل بياض العيون زيّنه ... مسودّ أشباههُ من الحدقِ
كأنما حبرها إذا نثرت ... أقلامنا طلّة على الورقِ
كحل مرتُه الدموعُ من مقل ... نُجل فأوفت به على يَقَقِ[1]
خرساء لكنها تكون لنا ... عونا على علم أفصح النُطُقِ

قال الصولي: أنشدنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال: أنشدني أبو هفّان[2]:

آلة المجلس الظريف إذا ما ... كنت فيه الدواة والأقلام
يتهادى فيه البلاغة والآ ... داب منثورها معاً والنظام

وقال الصولي: أما المشهود مما قيل فيها، فشعر بعض الكتّاب، وقد أهدى دواة محلاة بذهب وهي من الأبنوس[3]:

قد بعثنا إليك أمّ المنايا ... والعطايا نجيّة الأحسابِ
تتزيّا بصفرة وكذا الزنـ ... ـج تزيا عجباً بصفر الثيابِ
ريقها ريق نحلة مع صاب ... حين يجري لعابها في الكتابِ
في حشاها لغير حرب حراب ... هنّ أمضى من مرهفات الحرابِ

وقال ورّاق فيها ملغزاً المعنى [4]:

وما أمّ أولادٍ ولمّا تلدهم ... عقام إذا ما استنجدت لم تكلمِ
وأولادها خرس ويأتيك عنهم ... أحاديث من أيام طسم وجرهمِ[5]
إذا استعجلوا في حالة أرقلت[6] بهم ... أثافي من لحم كريم ومن دمِ

---

(١) يقق = شديد البياض، يقال لجمارة النخلة، اللسان ـ مادة ـ يقق.
(٢) أدب الكتاب، ص ٩٢.
(٣) المصدر السابق، المكان نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٩٢-٩٣.
(٥) طسم وجديس ـ قبائل من عاد انقرضوا، وجرهم حي من اليمن وهو ابن قحطان بن عامر ـ راجع الأنساب للسمعاني.
(٦) ضرب سريع من السير، راجع أدب الكتّاب، ص ٩٣، هامش ٢.

وقال علي بن الصباح في وصف دواة[1]:

دواة حديد زيّن الله خلقها ... بكفِ فتىً حلو الكتابة حاذق

تدير العطايا والمنايا حرابها ... إذا طعنت في شاكلات المهارق

وقال أحمد بن إسماعيل واصفاً القلم وملغزاً بالدواة[2]:

في كفه مثل سنان الصعدَهْ ... أرقش، بز الأفعوان جلده

يلتهم الجيش اللهام وحده ... كأنه متشح ببرده

لو صادم الطود المنيف هدّه ... أو صافح السيف الحسام قدّه

يأوي إلى طير له معده ... يمزج فيه صبره بشهده

ترضعه من مقلة مسوده ... يمدّها جار كثيف العدّه

كأنه الليل إذا استمده ... مقلتها مكحولة بنده

قال أبوبكر الصولي[3] حدثني أحمد بن محمد الأنصاري قال: قيل لورّاق: ماتشتهي؟ فقال: قلماً مشاقاً، وحبراً براقاً، وجلوداً رقاقاً.

وقال أحد الورّاقين في وصفها[4]:

ترى الرشا والحبل أنبوبه ... يقلب ماء أسوداً من قليب

روض الندى ينبت زهر اللهى ... وهذه تنبت زهر القلوب

وقال أحمد بن ثور يصف ناقته[5]:

كأن توشى أقرانها ... إذا مانشحن مخطّ الدوى

---

(١) أدب الكتاب، ص ٩٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٩٣-٩٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٥-٩٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٧.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٩٨.

حدّث أحمد بن يزيد المهلبي قال: حدّثني أبوهفّان قال : سألت ورّاقاً عن حاله فقال: عيشتي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من المسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس أشدّ سواداً من الحبر، وحظي أحقر من شقّ القلم، وبدني أضعف من قصبة، وطعامي أمرّ من العفص، وسوء الحال ألزم لي من الصبغ. فقلت له: عبّرت عن بلاء ببلاء[1].

وقال ورّاق في وصفها[2]:

وسوداء مقلتها مثلها ... وأجفانها من لجين صقيل
إذا ذرفت عبرة خلتها ... كخالية فوق خدّ أسيل

ووصفها ابن كريم[3]:

ومسودّة قد خضعت حالها ... كخالية فوق خدّ تزفر
خميص الحشا يروي على كل مشرب ... أميناً على سرّ الأمير المسلط

وأوجز أحد الورّاقين القول فيها، وقد راح يتغزل بها شغفاً[4]:

وما روض الجنان وقد زهاه ... ندى الأسحار يأرجُ بالغداةِ
بأضوع أو بأسطع من نسيم ... تؤديه الأفاوه من دواةِ

وختم القول فيها الشيخ شمس الدين بن المزيّن حيث قال على لسان الدواة[5]:

إن السعادة حيث كنت مقيمةٌ ... والبحر أخبار الندى عنّي روى
كم من عليل مقاصد أبرأته ... فأنا الدواة حقيقة وأنا الدوا

---

(١) الصولي، أدب الكتاب، ص ٩٧.

(٢) الكردي، حسن الدعابة، ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٦، وأصلها عند الصولي، أدب الكتاب، ص ٩٤.

(٤) الكردي، حسن الدعابة، ص ٣٦.

(٥) المصدر السابق، المكان نفسه.

ويلحق بالدواة آلات فرعية تكمّل عملها، وتكون جزءاً منها، وهذه الآلات هي:

أ ـ الجونة: وهي التي فيها حقّ المداد، وينبغي أن يكون شكلاً مدوّر الرأس، تجتمع على زاويتين قائمتين، ولا يكون مربعاً على حال، لأنه إذا كان مربّعاً يتكاثف المداد فيه، فإذا كان مستديراً كان أنقى للمداد وأسعد في الاستمداد[1].

ب ـ اللّيقة: هي ما اجتمع في رقبة الدواة من سوادها بمائها، جاء في اللسان[2] ألاق الدواة ليقاً، وألاقها إلاقة فلاقت: لزق المداد بصوفها، قال ابن الأعرابي: دواة ملوقة أي مليقة إذا أصلحت مدادها، والاصطلاح جاء من معنى اللزق واللصق، يقال في اللغة: ألاق الدواة، أي أدار المداد فيها حتى لصق وعلق، حدّث الأصمعي قال: قدمت على الرشيد في بعض قدماتي فقلت: «ماألاقتني الأرض حتى رأيت أمير المؤمنين» فلما خرج قال: مامعنى «ألاقتني»؟ قلت: ماألصقتني بها ولا قبلتني[3]، يقول أبوبكر الصولي[4]: والصواب المختار أن يقول: ألقت الدواة فأنا مليقها وهي مُلاقة، وأنشد للكسائي:

لو يكتب الكتّاب عرفك فرغوا ليق الدوي وأنفدوا الأقلاما

ورأى البعض أن الليقة هي الكرسف نفسه[5] فيما ميّز الصولي ذلك بالقول[6]: الكرسف القطن خاصة دون غيره، ثم صاروا يسمّون كل شيء وقع

---

(١) حكمة الإشراق، ص ٧٣.

(٢) اللسان: مادة «لوق».

(٣) الصولي، أدب الكتّاب، ص ٩٩.

(٤) المصدر السابق، المكان نفسه.

(٥) حكمة الإشراق، ص ٧٣.

(٦) أدب الكتاب، ص ١٠٠.

موقعه في الدواة من صوف وخرقة كرسفا، وأضاف: كرسفت الدواة: جعل لها كرسفاً، والجمع كراسف، واستشهد بقول وهب الهمداني:

سحاب حكى القرطاس لون صبيره[1] وعاد به جو العواطف أكلفا
إذا كتبت فيه يد البرق أسطراً يلبّس وجه الأرض بالثلج كرسفا

وسميت الليقة، لأنها تلاقي الدواة بالنقس وهو المبراد[2]. واشترطوا أن يكون الكرسف في نهاية مايكون من السواد، والليقة التي فيها الكرسف في نهاية اللين والنعمة، والأجود أن تكون مستديرة، لأن الصولي يرى في ذلك أن يسميها الكاتب «روق القلم»[3]. ويضيف: ولا يلحق كلفة ولا إبطاء في الاستمداد، وإن حفر الموضع الواقع على الليقة من الغطاء وغشى بأرقّ مايكون من الفضة، حتى إذا أطبقت الدواة، تجافى ذلك الموضع عن الليقة، فلم ينله شيء من سوادها ـ كان أدعى للنظافة والسلامة، وأكثر الدوّى لا تسلم منها مالم تكن على ماوصفنا.

وثمة اشتراط آخر رآه أساطين الكتابة في العصر العباسي، هو عمليّة تعهّد الليقة والكرسف بالملح والكافور، وأن تُغيّر في كل يومين أو ثلاثة، وربما أغفل ذلك، فاستكرهت الرائحة، وظهر من نتنها ما يخجل له[4]، وهذه المسألة ـ أي نتن الدواة ـ كثيراً ما كانت تأتي باللوم والشؤم على صاحبها، وربما تعرّض للفصل والإقصاء من وظيفته، فمن ذلك ما نقله الصولي عن بعض الكتاب الذين أهملوا جوانب دواتهم قال[5]: «تهيأ ذلك على بعض الكتاب

(١) الصبير: السحابة البيضاء التي يصير بعضها فوق بعض.

(٢) سهيلة الجبوري، الخط العربي وتطوره، ص ١٣٨.

(٣) أدب الكتّاب، ص ١٠٠.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٠١.

حتى ظن رئيسه أنه أبخر، فشكا ذلك إلى نديم له فقال النديم: ماعرفت ذلك منه ولكن لعله أغفل ذلك من أمر الدواة وتفقدها؟ فقال الرئيس: عذره في بخره أبسط عندي منه في نتن دواته، لأنه في ذلك مضطر، وهو في هذا مختار، ثم قبل نديمه على ذلك، فلم يجر عليه بعد»، وهذه الحالة كانت محطّ ازدراء للكتّاب من قبل الشعراء، وهو مايعكس شيئاً من روح التندر عليهم، يقول أحد الشعراء في هذا المعنى، يهجو كاتباً[1]:

دخيل في الكتابة ليس منها ... فلا فكر يُعد ولا بديه
تشاكل أمره خلقاً وخلقاً ... فظاهره لباطنه شبيه
كأن دواته من ريق فيه ... تلاق فنشرها أبداً كريه

فيما يرى الحسن بن وهب أن اكتمال الأخلاق الحميدة يجب أن تكون في الكاتب وأدواته جزءًا من أخلاقه حيث يقول[2]:

مداد مثل خافية الغراب ... وقرطاس كرقراق السحاب
وأقلام كمرهفة الحراب ... وألفاظ كأيام الشباب

والليقة، لا تستحق هذا الاسم حتى تلاق في الدواة بالنقس، وهو المداد، كما يقول الجاحظ[3].

وقد رأى بعض الكتّاب أن تؤخذ الليقة، أو الكرسف، من الحرير والصوف والقطن والبرس والطوط والعطب، والأولى أن تكون من الحرير الخشن، وعللوا ذلك بالقول[4]: «لأن انتفاشها في المحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة».

---

(١) أدب الكتاب، ص ١٠١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) صبح الأعشى، ٢/٤٥٨.

(٤) المصدر السابق، ٢/٤٥٩.

والملاحظ أن كبار الكتّاب من المتقدمين والمتأخرين، ركّزوا على الاهتمام بالليقة، وتشددوا في ذلك كثيراً، مما يعكس بعداً اجتماعياً على المهنة، إضافة إلى البعد الإبداعي، فقد تواصوا بها جيلاً بعد جيل، وشيخاً بعد شيخ، وكاتباً بعد آخر، حتى إنك تحسّ أن الليقة هي الأساس بالدواة، وبتقديرنا أن «التفاعل الكيمياوي» بين المواد التي تصنع منها الليقة والحبر، وتفاعلها مع الهواء، قد تفسد حتى مجلس الكتابة، ومن هنا جاء التشديد في العناية بها، قال أحد الكتّاب: وتعيّن على الكاتب أن يتفقد الليقة ويطيبها بأجود مايكون، فإنها تروح على طول الزمن[1]. وقد ربط بعض الكتّاب جودة الكتابة والكاتب مع جودة التفقد للدواة، واعتبروها جزءاً من الظرف، وقد قال قائلهم[2]:

أن الفتى لا كان غير ظريفِ	متظرّفٌ شهدت عليه دواته
موصوفة للكاتب الموصوفِ	إن التفقّد للدواة فضيلة

فهذه المباراة الأخلاقية ـ الفنية، كانت تساعد الكثيرين من الكتّاب والورّاقين على الاهتمام بأدواتهم، والتفقد الدائم لها، حتى إن بعضهم كان يطيّب دواته بأطيب ماعنده من طيب نفسه، وسألوه عن ذلك فقال[3]: «لأني أكتب بها اسم الله تعالى واسم رسوله ﷺ واسم أمير المؤمنين ـ أطال بقاءه ـ وربما سبق القلم بغير إرادتنا فنلحسه بألسنتنا ونمحوه بأكمامنا».

هناك شروط فرضها شيوخ الكتّاب في خصوص الدواة والليقة تتشكل بها قواعد السلوك، فمن ذلك ماقاله الشيخ علاء الدين السرمّري[4] ـ نسبة إلى سامراء، أو سرّ من رأى ـ: «يتعيّن على الكاتب تجديد الليقة في كل شهر، وأنه

---

(١) صبح الأعشى، المكان نفسه.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٤٥٩.

(٣) المصدر السابق، المكان نفسه.

(٤) نفسه، وحكمة الإشراق، ص٧٥.

حين فراغه من الكتابة يطبّق المحبرة لأجل مايقع فيها من التراب ونحوه فيفسد الخط، ونظم في ذلك أرجوزته فقال:

وجدد الليقة كل شهر فشيخنا كان بهذا يُغري
لأجل مايقع فيها من قذى فينتشي من ذاك في الخط أذى

وانعكس هذا المحمول الأخلاقي والفني على الحياة العامة، بشكل أو بآخر، حتى إن معلمي الصبيان كانوا يزجرون صبيانهم من البصق في الدواة[1].

ومع هذه الاهتمامات بالدواة والليقة، ركّز الكتّاب على عملية الاستمداد من الدواة، كي تأخذ المسألة بعداً فنياً وجمالياً، ينسجم وتلك التعليمات، فقد قال المقر العلائي بن فضل الله[2]: «ينبغي للكاتب أن لا يكثر الاستمداد، بل يمدّ مداً معتدلاً، ولا يحرك اللّيقة من مكانها، ولا ينثر بالقلم، ولا يرد القلم إلى الليقة، حتى يستوعب ما فيه من المداد، ولا يدخل منه الدواة كثيراً، بل إلى حد شقّيه، ولا يجوز ذلك إلى آخر الفتحة».

ومن الآلات الملحقة بالدواة «الملواق»، وهو عود من الخشب، يشبه مرود المكحلة، اشتقّ اسمه من الفعل «لوق»[3] وهو على وزن ـ مفعال ـ لأنه من أسماء الآلة، وسمّي بهذا الاسم، لأن به تلاق الدواة، وأحسن أصنافه مايكون من الأبنوس، لكي لا يغيّره لون المداد ويكون مستديراً، مخروطاً، عريض الرأس نحيفه[4].

والكتّاب الأوائل، وشيوخ الصنعة ـ من أمثال الصولي ـ يسمونه «محراك

---

(١) صبح الأعشى، ٢/٤٥٩.

(٢) حكمة الإشراق، ص ٧٥.

(٣) اللسان: مادة «لوق».

(٤) حكمة الإشراق، ص ٧٥.

الدواة» ويستند الصولي في هذه التسمية إلى مسمّيات كتّاب عصره، ويستشهد بشعر أحدهم[١]:

بدر من الديوان لم يختـرم	ضياءه بالنقص أفلاكه
صيّر جسمي قلما هجره	يردي دم العشاق سفاكه
وقلب الهجر هواه كما	يقلب الكرسف محراكه

ومن الآلات الأخرى التي قد تلحق بالدواة «المرفع» ويكاد ينحصر استخدامه عند الكتّاب المترفين، وخدمة السلطان وذوي الجاه، ويعرّفه الصولي بقوله[٢]: المرفع: ضرب من الكبر، وفضيله في الآلة، وترفه مفرط لا يليق بذوي التقدم في العمل والصبر عليه والتجرد له، وما يسرع إليه إلا كل ذي نخوة ورياسة محدثة. وهو أحسن في مجالس الخلوات منه في الجماعات ـ ثم يستطرد الصولي شارحاً بعض مواصفاته واستخداماته، فيقول: فأمّا مجالس الرياسة والجدّ في الأعمال فلا موقع له فيها.

قال أحمد بن إسماعيل[٣]: قلّما رأيت سيداً رئيساً يجعل بين دواته وبين الأرض مرفعاً في مجالس رياسته، وإذا عجز الكاتب عن الاستمداد من الدواة على الأرض فيغنم[٤] رفعها إلى يده بهذه الآلة، وتقريب متناولها، فهو عمّا سوى ذلك من تمشية الأعمال وتنفيذ الأمور أعجز. وعلى مايبدو أن هذه الآلة، لم يستسغها الكتّاب في عملهم، لذلك كثر فيها القول والهجاء،

(١) أدب الكتاب، ص ١١٢-١١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١١١.

(٣) المصدر السابق، ص ١١١.

(٤) المصدر السابق، ص ١١١، هكذا وردت وقال عنها المحقق بهجت الأثري ـ كذا ـ في الهامش رقم ٢ من ص ١١١، أدب الكتاب، ولعلها فينعم.

وتندروا على مستخدميها، فمن ذلك ما هجي به أحدهم[1]:

إني (ابتليت)[2] بجاهل متغافل ... متكلف في فعله متصنع
حاز الكتابة حين فضّض مرفعاً ... وجرت أنامله بخط مسرع
متتايه في الحفل يبغي عزة ... فيدلّ في مرأى هناك ومسمع
فكلامه دون المدى متواضع ... ودواته للطرف فوق المرفع

قال الصولي[3]: «حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال: دخلت أنا وأبوعلي ابن المرزبان على يحيى بن مناوة الكاتب، وبين يديه مرفع قد قارب صدره، عليه دواته، فقلت لابن المرزبان: أما ترى هذا المرفع؟ فقال: هذا مرفع وصاحبه رقيع لارفيع».

وقيل لبعض الرؤساء ـ وقد جعل دواته على مرفع ـ: «ماكلّ الأجلاّء تفعل هذا؟ فقال: من جلس على فرش تعليه قليلاً بعدت عليه مسافة الاستمداد، فأمّا من كان على حصير أو سماط فلا عذر له فيه»[4].

ووصف بعضهم مرفعاً مفضضاً واحتجّ له فقال[5]:

قرّب البعد مركب لدواة ... ملجّمٌ من حلية بلجام
فضّة تستضيء في أبنوس ... مثل ضوء الإصباح في الإظلام
كخوان الطعام سهل للآكـ ... ـلِ منه ماكان صعب المرام

ومن الآلات الأخرى التي تدخل ضمن مجموعة الدواة: «المرملة»، أو

---

(١) أدب الكتاب، ص ١١١.

(٢) سقطت من البيت، وأشار إليها المحقّق، ومن دونها لا يستقيم الوزن، انظر الهامش رقم (٣) من ص ١١١ من أدب الكتاب.

(٣) أدب الكتاب، ص ١١٢.

(٤) المصدر السابق، ص ١١٢.

(٥) المصدر السابق، ص ١١٢.

«المتربة»، وهو الاسم القديم لها، حيث جعلت آلة للتراب، إذ كان هو الذي تترب به الكتب، والمرملة تشتمل على شيئين: الأول: الظرف الذي يجعل فيه الرمل، وهو المسمّى بذلك، ويكون من جنس الدواة، خشباً أو نحاساً ونحوهما، ومحلها من الدواة ما يلي الكاتب ممّا بين المحبرة وباطن الدواة، ممّا يقابل المنشأة ـ آلة أخرى، سيأتي ذكرها ـ ويكون فيها شبّاك يمنع وصول الرمل الخشن إلى باطنها، وربما اتخذت مرملة أخرى أكبر من ذلك تكون في باطن الدواة لاحتمال أن تضيق تلك عن الكفاية لصغرها. والمرملة الكبيرة ـ كما يقول القلقشندي[1] تستخدم عند أرباب الرياسة من الوزراء والأمراء ونحوهم تقارب حبّة الرانج، لها عنق في أعلاها، قال القاضي شهاب الدين ابن بنت الأعز لغزاً فيها[2]:

ظريفة الشكل والتمثال قد صنعت	تحكي العروس ولكن ليس تغتلم
كأنها من ذوي الألباب خاشعة	تبكي الدماء على ماسطّر القلم

القسم الثاني من المرملة يسمى: الرمل، وقد اختار الكتّاب لذلك الرمل الأحمر دون غيره، لأنه يكسو الخط الأسود من البهجة ما لا يكسوه غيره من أصناف الرمل، وخيره ما كان دقيقاً، وهو على أنواع: الأول ما يؤتى به من الجبل الأحمر الملاصق لجبل المقطم في الديار المصرية، وهو أكثر الأنواع وأعمّها وجوداً. والثاني: يؤتى به من الواحات، وهو رمل متحجر شديد الحمرة يتخذ منه الكتّاب حجارة لطافاً تُحتُّ بالسكين ونحوها على الكتابة. النوع الثالث: يؤتى به من جزيرة ببحر القلزم ـ من نواحي طور سيناء ـ وهو رمل دقيق أصفر اللون، قريب من الزعفران وله بهجة على الخط، إلاّ أنه عزيز الوجود. الرابع:

(١) صبح الأعشى، ٢/٤٦٤.

(٢) المصدر السابق.

رمل بين الحمرة والصفرة، به شذور بصاصة، يخالها الناظر شذور الذهب، وهو عزيز الوجود جداً، وبه يرمّل الملوك ومن شابههم[1].

«المنشأة»: وهي آلة تتخذ لمزج النشاء ببعض المواد الأخرى، قال عنها القلقشندي[2]: «تشتمل على شيئين:

الأول: الظرف ـ وحاله كحال المرملة في الهيئة والمحل من الدواة، من جهة الغطاء إلاّ أنه لا شبّاك في فمه ليتوصل إلى اللصاق، وربما اتخذ بعض ظرفاء الكتّاب منشأة أخرى، غير التي في صدر الدواة من رصاص على هيئة حقّ لطيف، ويجعلها في باطن الدواة كالمرملة المتوسطة، فإن اللصاق بها قد يتغيّر بمكثه في النحاس بخلاف الرصاص.

الثاني: ويسمى اللّصاق: وهو على نوعين: أحدهما النّشا المتخذ من البرّ، وطريقه أن يطبخ على النار كما يطبخ للقماش، إلا أنه يكون أشدّ منه، ثم يجعل بالمنشأة، وهو الذي يستعمله كتّاب الإنشاء، ولا يعولون على غيره، لسرعة اللصاق به، وموافقة لونه للورق في نصاعة البياض ـ والثاني: المتخذ من الكثيراء، وهو أن تبل الكثيراء بالماء حتى تصير في قوام اللّصاق ثم تجعل في المنشأة، وكثيراً مايستعمله كتّاب الديّونة، وهو سريع التغير إلى الخضرة، ولا يسرع اللصاق به، ورأوا أن يستعمل في اللصاق في الجملة الماورد والكافور لتطيب رائحته»[3].

ومن الآلات الأخرى، التي تنتظم في سلك الدواة هي: «المِلزمة»: وهي آلة تتخذ من النحاس ونحوه، ذات دفتين يلتقيان على رأس الدّرج حال الكتابة

---

(١) صبح الأعشى، ٢/٤٦٩ وسهيلة الجبوري، ص ١٢٩.

(٢) صبح الأعشى، المكان نفسه.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٤٧٠.

ليمنع الدرج من الرجوع على الكاتب، ويحبس بمحبس على الدفتين[1].

ومّا يلحق بالدواة آلة أخرى تسمّى: المفرشة، وهي آلة تتخذ من خرق الكتّان بطانة وظهارة، أو من صوف ونحوه، تفرش تحت الأقلام، ومافي معناها ممّا يكون في بطن الدواة[2].

وهناك «الممسحة»، وتسمى الدفتر أيضاً، وهي آلة تُتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أو حرير وغير ذلك من نفيس القماش، يمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسد، وتكون مدوّرة مخزومة من وسطها، وربما كانت مستطيلة، ويكون مقدارها على قدر سعة الدواة. يقول فيها القاضي الفاضل[3]:

ممسحة نهارها ... يجنُّ ليل الظّلم
كأنها مذ خلقت ... منديل كمّ القلم

وممّن مدح الممسحة المولى ناصر الدين شافع بن عبدالظاهر، حيث قال فيها[4]:

وممسحة تناهى الحسن فيها ... فأضحت في الملاحة لاتبارى
ولانكر على القلم الموافي ... إذا في وصلها خَلَع العِذارا

وينتظم في مجموعة الدواة آلة صغيرة تسمى المسقاة، تتخذ لصبّ الماء في المحبرة، ويطلق عليها أحياناً اسم «الماورديّة» لأن الغالب أن يجعل في المحبرة عوض الماء ماورد لتطيب رائحتها، وأيضاً فإن المياه المستخرجة كماء

(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٠.

(٢) المصدر السابق، المكان نفسه.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٤٧١.

(٤) المصدر السابق نفسه.

الورد والخلاف والريحان ونحو ذلك لا تحل الحبر ولا تفسده بخلاف الماء، وتتخذ هذه الآلة، كما يقول القلقشندي من الحلزون في الغالب[1]، والذي يخرج من البحر المالح، وربما صنعت من النحاس ونحوه، والمعنى فيها أن لا تخرج المحبرة من مكانها، ولا يصب من إناء واسع الفم كالكوز ونحوه، فربما زاد الصب على قدر الحاجة.

وتضم إلى الدواة آلة «المسطرة»، وهي آلة من خشب، مستقيمة الجنبين، يسطّر عليها مايحتاج إلى تسطيره من الكتابة ومتعلّقاتها، وأكثر من يحتاج إليها المُذَهِّب[2].

ومن آلات الدواة الأخرى « المصقلة»، وهي آلة يُصقل بها الذهب بعد الكتابة[3]، وهي من الآلات الأساسية للخطاطين، ذلك الصنف المبدع من الورّاقين.

وهناك «المِسَنّ»، وهو آلة تتخذ لإحداد السكاكين، وهي نوعان: أكهب[4] اللون ويسمى الرومي، وأخضر وهو على نوعين: حجازي، وقوصي، والرومي أجودها، والحجازي أجوده الأخضر[5].

* * *

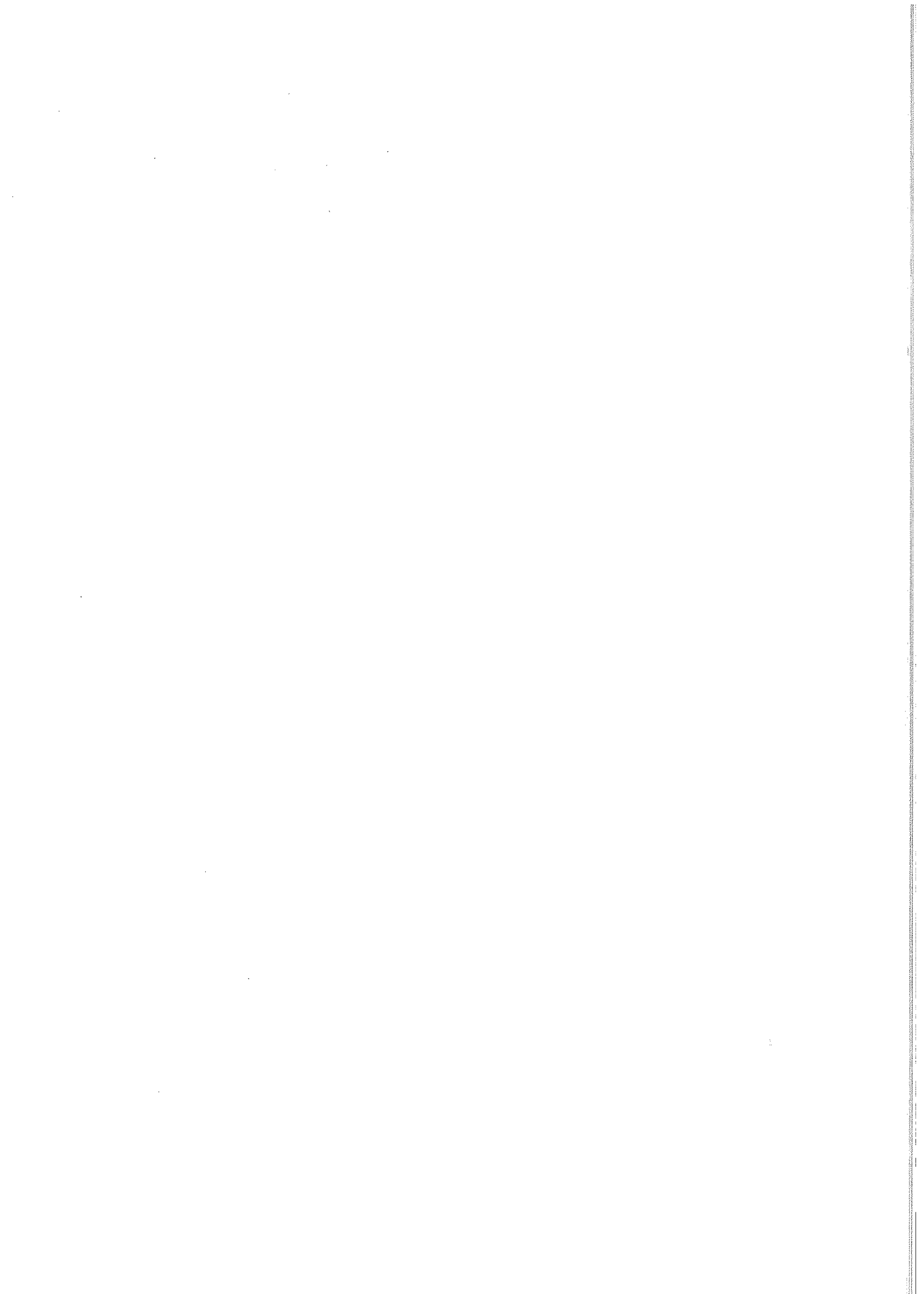
(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٧١.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٤٧٢.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٤٧٢.

(٤) الكهبة: غبرة مشربة سواداً يداني ألوان الإبل وهو لون ليس بخالص في الحمرة، اللسان: مادة «كهب»، وهو ما يعرف اليوم باسم «المبرد الحديدي».

(٥) صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٢.



الفصل الثالث

الحبـــــر

لقـد اجتهـد الورّاقون في أمـور مهنتـهم، حتـى عرفوا أدق تـفاصيلـها ومكوناتها، وأوجدوا المسـوّغات لديمومة مهنتهم ـ الوراقة ـ فـعرفوا أصّنافاً من كل أداة من أدواتهم، وتوصلوا إلى أسرار لم يهتد غيرهم إليها، لأنهم تعايشوا معها، ونبهتهم تلك الأدوات إلى ما يمكـن الاستعاضة عنه، والبديل عوضاً منه فتفننوا وأجـادوا، واخترعوا وأضافوا، ومن ذلك ما أوجـدوه من أنواع الحبر، ومايـلائم كل نوع من أنواع الورق والقرطاس والأديم والجلود والمـواد الأخرى التي كانـوا يستخـدمونهـا في الكتابة، وقـد اهتدوا إلى اكتـشاف الأحـبار من مختلف النباتات والبقول والمعادن وغيرها، وهذه الاكتشافات في صناعة الحبر، كانت وليدة الحاجـة، كما كان لتطور قوى الإنتاج وازدهار الحـضارة أثره البالغ في رفع وعي الناس ليـساير حـركة التطور الصـاعدة وقـتذاك، ونظراً لأهمـية الكتابة والكتّـاب في تسيير أمور المُلك، فمن البـداهة أن تكون صناعة أدوات الكتابة في أوليـات الأمور الواردة في أذهان الكتّـاب، حتى إن قوى المعـارضة الإسلامـية في العصـر العباسي كـان لها الدور الإيجابي في اكـتشاف «الحـبر السـري»، وهي بهذا تكون قـد أدت قسطهـا في دفع عجلة التطور إلـى الأمام بعكس حالة المعارضة القائمة الآن، فهي تقتل حالة الإبداع عند المبدع.

والحبر ـ مادة أساسية في عمل الكتّاب والورّاقين، وأرباب الرياسة والسياسة.

واصطلاح الحبر، يشاطره في المعنى المداد، ويتوحد معه في التقبّل الذهني عند الكتّاب، فقد جاء في اللسان[1]: الحبر: الذي يكتب به وموضعه المحبرة، بالكسر، قال ابن سيده: الحبرُ المداد، والحِبْرُ والحَبْرُ: العالم، ذمياً كان أو مُسلماً، سأل عبدالله بن سلاّم كعباً عن الحبر، فقال: هو الرجل الصالح. وكان يطلق على عبدالله بن عبّاس، «حَبْرُ الأمة»، أو المُحبرِّ، وكان يقال لطفيل الغنوي في الجاهلية: محبّر، لتحسينه الشعر، وهو مأخوذ من التحبير وحسن الخطّ والمنطق.

والحبر هو الظل الملازم للدواة وعدّة الكتابة، وبها يتصل كاتصال التوريق بالكتابة والورّاقين بالكتّاب، كما يقول الصولي، ويضيف[2]: وبالحبر تكتب المصاحف والسجلات ومايراد بقاؤه.

وسمي الحبر حبراً لتحسينه الخط في قولهم: حبّرت الشيء تحبيراً وحبَرته حبراً: زينته وحسّنته، والاسم، الحبر. قال ابن أحمر[3]:

لبسنا حبرهُ حتى اقتضينا بأعمال وآجال قضينا

وقيل: الحبر مأخوذ من الحبار، وهو أثر الشيء، كأنه أثر الكتابة[4].

فيما رأى المتأخرون من الكتاب[5] أن الحبر أصله اللون، يقال: فلان ناصع الحبر، يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء، قال ابن أحمر[6]

(١) مادة ـ حبر ـ.

(٢) أدب الكتاب، ١٠٣-١٠٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) القلقشندي، ومن عاصره، انظر: صبح الأعشى، ٢/ ٤٦١.

(٦) ابن أحمر/ شاعر جاهلي، يكنى أبا الخطاب أدرك الإسلام وأسلم، توفي على عهد عثمان بعد أن بلغ=

يصف المرأة:

تتيه بفاحم جعد وأبيض ناصع الحبر

قال المبرّد[1]: قال التوزيّ: سألت الفرّاء عن المداد لم سمي حبراً؟ فقال: يقال للمعلّم حَبر وحِبر بفتح الحاء وكسرها، فأرادوا مداد حبر، أي مداد عالم، فحذفوا مدادًا وجعلوا مكانه حبراً. وقال المبرّد[2]: وأنا أحسب أنه سميّ بذلك لأن الكتاب يحبرّ به، أي يحسّن.

وجاءت تسمية المداد لأنه يمدّ القلم، أي يعينه، قالوا: وكل شيء مددت به شيئًا فهو مداد، قال الأخطل:[3]

رأت بارقات بالأكف كأنها مصابيح سرج أوقدت بمداد

ويسمّى الحبر: نِقْسٌ ونَقْس، بكسر النون وفتحها، وسكون القاف، وسين مهملة، والكسر أفصح ـ كما يقول القلقشندي، ويجمع على أنقاس[4].

وقد أضفى الإسلام جانباً روحياً على الحبر لطالب العلم وليس لسواه، فقد ذكرت المصادر[5] أنه «يؤتى بمداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة، فيوضع أحدهما في كفّة الميزان والآخر في الكفة الأخرى، فلا يرجح أحدهما على الآخر» وهذا الإسقاط الديني من باب التشريف للعلم والعلماء.

قال بعض الحكماء: «صورة المداد في الأبصار سوداء وفي البصائر بيضاء»[6].

= سنًا عالية، انظر ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، طبعة الحلبي، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٤٢.

(١) صبح الأعشى، ٢/٤٦١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ٢/ ٤٦٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق، ٢/٤٦١.

(٦) المصدر السابق.

ومن هذه الناحية اختير اللون الأسود للحبر، وفضّل على بقية الألوان، وتدرجوا في تلاوينه فيقال: أسود قاتم، وهو أول درجة السواد، وحالك وحانك وجُلكوك، وحُلبوب، وداجٍ، ودجوجيّ، وديجور، وأدهم، ومدهام، وهذه التسميات قال بها المدائني(1).

نظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر المداد، وهو يستره منه، فقال له:(2) ياهذا إن المداد من المروءة، وأنشد أبوزيد:

إذا ما المسك طيّب ريح قوم	كفتني ذاك رائحة المداد
وماشيء بأحسن من ثياب	على حافاتها حِمَمُ السوادِ

ومن هذا المنطلق راح الكثير من الأدباء والكتّاب لا يخجلون من وجود آثار الحبر على ملابسهم وأيديهم وقراطيسهم، فقد قال بعضهم(3): عطروا دفاتر الآداب بسواد الحبر. وكان في حجر إبراهيم بن العباس قرطاس يشق فيه كلاماً فأسقط، فمسحه بكمّه، فقيل له: لو مسحته بغيره؟ فقال: المال فرع والعلم أصل، والأصل أحقّ بالصون من الفرع وأنشد في ذلك:

إنما الزعفران عطر العذارى	ومداد الدويّ عطر الرجال

وصارت مسألة وجود الحبر على ثياب الكاتب صفة مميّزة يتباهى بها الكثير من الكتّاب والورّاقين، قال أحدهم(4):

من كان يعجبه أن مسّ عارضه	مسك يطيّب منه الريح والنّسما
فإن مسكي مداد فوق أنملتي	إذا الأصابع يوماً مسّت القلما

---

(1) صبح الأعشى، ص ٤٦٣.

(2) المصدر السابق، ٢/٤٦٢

(3) المصدر السابق، ٢/٤٦٢.

(4) المصدر نفسه والمكان.

على أن بعضهم قد أنكر ذلك وقال: المداد في ثوب الكاتب سخافة ودناوة منه وقلة نظافة، وقال أبوالعالية: تعلمت القرآن والكتابة وماشعر بي أهلي، ومارؤي في ثوبي مداد قط، وأنشدوا[1]:

دخيل في الكتابة يدّعيها ... كدعوى آل حرب في زياد

يشبّه ثوبه للمحو فيه ... إذا أبصرته ثوب الحداد

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو لطّخت ثوبك بالمداد

وقال ابن الوردي يصف كاتباً انقلب الحبر على ثوبه[2]:

انقلب الحبر على ... ثوبك فأبشر بالأربْ

فحبر كل كاتب ... ربح إذا هو انقلبْ

وأنشد محمد بن موسى الرازي لمحمد بن مهران[3] أبياتاً في لطخ الحبر بالثياب:

لا تجزعنّ من المداد ولطخه ... إن المداد خلوق ثوب الكاتب

وابهج بذلك إنه لك زينة ... هبة من الله الجواد الواهب

لولا المداد ويسرنا بدليله ... ما صحّ في مال حساب الحاسب

ولما تبيّنت الأمور لطالب ... ولكان شاهدنا شبيه الغائب

ثم دأب الكتّاب والورّاقون على التغزل بالحبر والتهادي به، لاسيما إذا كان قد علق بكبار الكتاب، أو الذين اتخذوا الكتابة مهنة. قال أحمد بن إسماعيل[4]:

وإذا نمنمت بنانك خطا ... معرباً عن إصابة وسداد

عجب الناس من بياض معان ... يجتني من سواد ذاك المداد

(١) صبح الأعشى، ٤٦٢/٢.

(٢) حسن الدعابة، ص ٣٧.

(٣) أدب الكتّاب، ص ١٠٣.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠١.

حتى إنهم قالوا: «المداد خضاب الرجال»[1] يثبتون حالة التعايش معه، وارتباطه بحياتهم الإبداعية والمعاشية، وفي هذا الأمر يقول إبراهيم بن العباس[2]:

إذا ما الفكر أظهر حسن لفظ   وأداه الضمير إلى العيان

رأيت حلى البنان منورات   تضاحك بينها صور المعاني

وقال ضياء الدين المناوي يصف حبراً له، ويتغزل فيه[3]:

وعندي حبر ودت العين لونه   سواداً وترضاهُ الحسان خضابا

غدا سائلاً من فرط سقم ورقة   وأصبح للسّمر الرقاق رضابا

كأني لما بتّ أشكو صبابتي   إلى الليل بالأشواق رقّ وذابا

وأهدى الشيخ برهان الدين القيراطي حبراً لأحد أصدقائه وكتب مع الإهداء[4]:

ليراعكم أهديت إنسان النظر   شباب طرس شاب من فرط الكبرْ

أرسلته عبداً دعوه عنبرا   إذ فاح طيب نشره بين البشرْ

أقلامه أخذته حال كتابة   سبحاً وألقته على طرس دُ رَ رْ

ويود مرسله إلى أبوابكم   لو زاد فيه سواد قلب أو بصرْ

ليل وإن أبدى لنا ألفاظكم   في صبح طرس أبيض قالوا سحرْ

---

(١) أدب الكتّاب، ص ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) حسن الدعابة، ص ٣٨.

(٤) المصدر السابق نفسه.

وأصبحت مسألة «الحبر» وفضائله تدور على كل لسان، فمن ذلك ماقاله فارس بن حاتم[1]: «ببريق الحبر تهتدي العقول لجنايا الحكم، لأنه أبقى على الدهر، وأنسى للذكر، وأزيد للأجر». وقال القلقشندي[2]: واعلم أن المداد ركن من أركان الكتابة، وعليه مدار الرّبع. وأنشد لبعضهم:

رُبع الكتابة في سواد مدادها والرّبع حسن صناعة الكتّاب

والربع من قلم تسوّى بريه وعلى الكواغد رابع الأسباب

ووصلت الحال ببعض الكتّاب لأن يطلب من صديق له حبراً، للدعابة من جهة، ولضيق الحال من جهة أخرى، فقد كتب جعفر بن حدّار بن محمد إلى دعلج بن محمد يستهديه مداداً[3]:

يا أخي للوِداد لا للمداد وصديقي من بين هذا العباد

والذي فيه ألف مجد طريف قد أمدّت بألف مجد تلاد

أنا أشكو إليك حال دواتي أصبحت تقتضي قميص حداد

وغدت إعارة الحبر والمحبرة من المكارم والظرف التي تحكى في المجالس، فقد ذكر أن وكيع بن الجراح أتاه رجل يدعي أنه يمت إليه بحرمة، فقال له: وماحرمتك؟ فقال: كنت تكتب من محبرتي عند الأعمش. فوثب وكيع ودخل منزله، ثم أخرج له بضعة دنانير وقال له: اعذر فما أملك غيرها[4].

---

(١) صبح الأعشى، ٢/٤٦٢.

(٢) المصدر نفسه السابق ٢/٤٦٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) العقد الفريد، ٤/٢٠١.

وساهم الشعراء في رفع منزلة الحبر، فهذا ابن الرومي يصف حبر أبي حفص الورّاق[1]:

كأن ألوان دهم الخيل ... حبر أبي حفص لعاب الليل

يسيل للإخوان أيّ سيل ... بغير ميزان وغير كيل

وقال أحد الورّاقين في الحبر يصفه بأنه جامع لكل الحروف باسمه[2]:

جمعت حروف الحرف في الحبر كلها ... ولولا شقائي ماعرفت المحابرا

وقد زاد بي الإخفاق في كل موطن ... لحملي في كمّي إليه الدفاترا

وسطر في أثناء قلبي تعلّلا ... طلابي لما أن عرفت الساطرا

صناعة الحبر:

لبّت صناعة الحبر ماكان يحتاجه الكتّاب وأصحاب الدواوين من حاجات كانوا بأمسّ الحاجة إليها، وقد استخدم الكتّاب والوراقون المواد المتيسّرة في حياض بيئتهم، من نبات ومعادن وغيرها، وقد استطاعوا أن يجدوا لكل نوع من الأوراق أو الجلود أو الكاغد حبراً خاصاً به، ودخل الماء والنفط والعسل والملح والصمغ والعفص وغيرها من المواد في تركيبه،[3] إذ توصلوا إلى عدة طرق في صناعته، فمن ذلك ما أورده القلقشندي حيث قال[4]: «واعلم أن المواد لذلك منها ما يستعمل بأصله ولا يحتاج فيه إلى كبير علاج وتدبير،

(١) انظر ديوانه ـ قافية اللام، وراجع الصولي، أدب الكتّاب، ص ٩٤.

(٢) أدب الكتّاب، ص ٩٥.

(٣) انظر: صبح الأعشى، ٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥.

(٤) المصدر السابق، ٢/ ٤٦٤.

كالعفص والساج والصمغ، وما أشبهها، ومنها مايحتاج إلى علاج وتدبير وهو الدّخان، حيث يتوخى فيه أن يكون من شيء له دهنيّة ولا يكون من دخان شيء يابس في الأصل، لأن دخان كل شيء مثله راجع إليه، كما يقول أبوالقاسم خلوف بن شعبة الكاتب».

وقد كان صنّاع الحبر الجيّد يتكتمون في إفشاء طرق صناعته، كي لا تسرق منهم، وهو أمر معروف لديهم، بغية الحفاظ على الجودة والامتياز عند هؤلاء، إلاّ أن الكتّاب الحاذقين يعرفون كيف يتوصلون بهم ويسرقون منهم براءة الاختراع، يقول أحمد بن يوسف الكاتب[1]: كان يأتينا فيّ أيّام خمارويه[2] بمداد لم أر أنعم منه، ولا أشدّ سواداً منه، فسألته من أيّ شيء استخرجته، فكتم ذلك عنيّ، ثم تلطفت به بعد ذلك، فقال لي: من دهن بزر الفجل والكتّان، أضع دهن ذلك في مسارج وأوقدها، ثم أجعل عليه طاساً حتى إذا نفد الدهن، رفعت الطاس، وجمعت مافيها بماء الآس والصمغ العربي ـ قال: وإنما جمعه بماء الآس ليكون سواده مائلا إلى الخضرة، والصمغ يجمعه ويمنعه من التطاير.

ثم انتبهوا إلى النباتات والغلاّت واستخرجوا منها الحبر، وذلك عن طريق الدخان، يقول صاحب الحلية[3]: إن شئت أخذت من دخان مقالي الحمص وشبهه، وتلقي عليه الماء، وتأخذ ما يعلو فوقه، وتجمعه بماء الآس والعسل والكافور والصمغ العربي والملح، وتمدّه وتقطعه شوابير.

وقد توصل الوزير الخطاط ابن مقلة إلى أجود الطرق لإنتاج أجود أنواع

---

(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٦٤.

(٢) خمارويه بن أحمد بن طولون (٢٥٠ ـ ٢٨٢هـ/ ٨٦٤ ـ ٨٩٦م) انظر الأعلام للزركلي ٢/ ٣٢٤.

(٣) صبح الأعشى، ٢/ ٤٦٤.

المداد في القرن الرابع الهجري، حيث إنه يرى أن أجود المداد ما اتخذ من سخام النفط وبالطريقة التالية: يؤخذ منه ثلاثة أرطال، فيجاد نخله وتصفيته، ثم يلقى في طنجير، ويصبّ عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العسل رطل واحد، ومن الملح خمسة عشر درهماً[1]، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهماً، ومن العفص عشرة دراهم، ولا يزال يساط على نار لينة حتى يثخن جرمه، ويصير في هيئة الطين، ثم يترك في إناء، ويرفع إلى وقت الحاجة[2].

وقد رأى المتأخرون من الكتّاب «كصاحب الحلية والصبح» أن العملية لا تنحصر في سخام النفط فقط، بل تتعداه إلى دخان غيره، بإضافة الكافور إليه لتطيب رائحته، والصّبر ليمنع من وقوع الذباب عليه، وقيل: إن الكافور يقوم مقام الملح في غير الطيب[3].

ونتيجة الاختبار والتعامل مع الورق في الحبر، اكتشفوا أن حبرهم هذا يقبله نوع معيّن من القراطيس، فيما يرفضه الكاغد، أو بعض الرقوق، لذلك اهتدوا إلى طرق أخرى لتصنيع أصناف مختلفة من الأحبار، فالحبر الذي يناسب الكاغد ـ أي الورق ـ هو حبر الدخان، وهو يصنع على الطريقة التالية[4]: يؤخذ من العفص الشامي قدر رطل يدقّ جريشاً، وينقع في ستة أرطال ماء، مع قليل من الآس (المرسين) أسبوعاً، ثم يُغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئزر، ويترك ثلاثة أيام، ثم يصفّى ثانياً، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي، ومن

(١) ظل التعامل بمكاييل الدراهم عند أهل العراق حتى السبعينات من هذا القرن، وكثيراً ما يستعمل الباعة المتجولون هذه المكاييل، ومنها كيال يعرف بـ «ست ادراهم» وقد أصبح الآن من الفولكلور.

(٢) صبح الأعشى، ٢/٤٦٥.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق والمكان.

الزاج القبرصي كذلك، ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة، ولابّد له مع ذلك من الصبّر والعسل، ليمتنع بالصبّر وقوع الذباب فيه، ويحفظ بالعسل على طول الزمن، ويجعل من الدخان لكل رطل من الحبر (ثلث أوقية)[1]، بعد أن تسحق الدخان بكلوة كفّك بالسكر النبات، والزعفران الشعر والزنجار، إلى أن تجيد سحقه، ولا تصحنه في صلاية ولا هاون يفسد عليك.

أما الحبر الذي يناسب الرق، فأطلقوا عليه اسم «الحبر الرأس» ولا يدخل الدخان فيه؛ لذلك يجيء بصّاصاً برّاقاً، وبه أضرار للبصر في النظر إليه من جهة بريقه، وهذا الحبر يفسد الكاغد، وطريقة تحضيره تتمّ على النحو التالي[2]: يؤخذ من العفص الشامي رطل واحد فيجرش، ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أرطال، ويجعل في طنجير، ويوضع على النار، ويوقد تحته بنار ليّنة حتى ينضج، وعلامة نضجه، أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بصّاصة، ثم يلقى عليه من الصمغ العربي ثلاث أواق، ومن الزاج أوقية، ثم يصفّى ويودع في إناء جديد، ويستعمل عند الحاجة.

وهناك نوع آخر من الحبر، أطلقوا عليه اسم «حبر سفري» يصاحبهم في حلهم وترحالهم، يعمل على البارد، من غير نار، حيث يؤخذ العفص فيجرش جرشاً جيداً، ويسحق لكل أوقية عفص درهم واحد من الزاج، ودرهم من الصمغ العربي، ويلقى عليه، ويرفع إلى وقت الحاجة، فإذا احتيج إليه صبّ عليه من الماء قدر الكفاية واستعمله[3].

---

(١) في الأصل بياض، وقد أشار إليها محققو صبح الأعشى، في الهامش - انظر ٢/٤٦٦.

(٢) صبح الأعشى، ٢/٤٦٦.

(٣) المصدر السابق، ٢/٤٦٦.

الحبر السري، هو أحد مكتشفات الفرق الإسلامية المعارضة للسلطة العباسية[1]، حيث إنهم وجدوا «تضمين الأسرار في الكتب» من المهمات التنظيمية الملحة. يقول ابن عبدربّه الأندلسي[2]: قد تعلقت العامة بكتاب إسماعيل بن محمد القمّي والحسن بن عبدالله الأصبهاني[3]، بطريقة تضمين الأسرار في الكتب ففيه أدب تجب معرفته، يقول ابن عبدربّه الأندلسي: كان أبوحاتم سهل بن محمد، قد وصف لي منهما أشياء جليلة من تبديل الحروف، وذلك ممكن لكل إنسان، غير أن اللطيف من ذلك أن تأخذ لبناً حليباً فتكتب به في القرطاس، فيذر المكتوب له عليه رماداً سخناً من رماد القراطيس فيظهر ماكتبت، ويضيف: وإن شئت كتبت بماء الزاج الأبيض، فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمرّ عليه شيئاً من غبار الزاج، وإن أحببت أن لا يقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة[4].

لقد تابع أساطين اليراع في بغداد ما بدأه الأوائل أيام العباسيين، وساروا على منوالهم، في الطريقة والتحضير لأنواع من الحبر، فهذا هاشم محمد الخطاط البغدادي، يحذو حذو شيخه الأول ابن البواب، وهو ـ أي هاشم ـ واحد من أشهر الخطاطين في العالم العربي في هذا القرن، يسير على ذاك المنهج العباسي وفق الطرق التالية، يقول[5] في أنواع الحبر، وهي سبعة لديه، عرفها.

---

(١) راجع الرسالة ٧ و٨ من رسائل إخوان الصفا ـ المجلد الأول.

(٢) العقد الفريد، ٤/ ١٩٠.

(٣) راجع ترجمتهما في الفهرست للنديم.

(٤) العقد الفريد، ٤/ ١٩٠.

(٥) في حديث للسيدة سهيلة الجبوري، وقد أوردته في دراستها القيّمة، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية، ص ١٢٣-١٢٦، وأوردته أيضًا في دراسة لها نشرتها في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٤، آب ١٩٦١م، الصفحات ٤٦٧- ٤٦٨.

النوع الأول: يؤخذ من العفص، بعد دقّه إلى أن يكون مسحوقاً ناعماً، ثم يمزج من ماء الورد ويوضع في الشمس لمدة (٤٠) يوماً في أيام الصيف، ومن ثمّ يصفّى ويكتب به.

والنوع الثاني: ويسمى ـ حبر الرز ـ ويكون لونه أسود، وتظهر منه مادته الدهنية، ومن ثمّ يدقّ حتى يصبح مسحوقاً ناعماً في هاون خشبي، أو من الرخام، ولم يستعمل الهاون المعدني خوفاً من تأثيره على المواد المسحوقة، ثم يضاف لمسحوق الرز مقدار من الماء، ويضاف له كمية من الصمغ العربي بنسبة ٣٠٪، وإذا ظهر لون هذا الحبر خفيفاً، سارع الخطاط إلى وضعه في الشمس، حتى يصبح لونه غامقاً.

والنوع الثالث: هو حبر زيت الزيتون، يتمّ تحضيره بحرق الزيتون، ويؤخذ (النيليج)[1] الناتج عن حرقه، ويمزج من الصمغ العربي بنسبة ٤٠٪ ثم تخلط بالماء لمدة أسبوع، حيث ينتج حبر ذو لون مقارب للأسود، إلا أنه لمّاع جداً.

والنوع الرابع: هو حبر البصل، أو الحبر السري، ويعدّ بطريقتين: الأولى: يؤخذ عصير البصل ويكتب به، وعند القراءة تحمّى الورقة على النار، فتظهر الكتابة واضحة، وهو يستعمل للرسائل السرية. والطريقة الثانية: هي بدقّ قشور البصل الأحمر بصورة متواصلة، حتى يصبح كتلة متراصة «شبه عجينة» تباع على هذا الشكل للخطّاطين، فإذا أريد الكتابة بها وضعها على النار مع إضافة شيء من الماء حتى تذوب، ومن ثم يبدأ بالكتابة، وهذا الحبر لونه بنّي «قهوائي»[2].

---

(١) بذور بعض النباتات الخاصة بصبغ الألوان، معروف في العراق كثيراً، والنيليج هو نتاج المادة المحروقة من تلك البذور.

(٢) لا يزال هذا الحبر مستعملاً. وقد رأت سهيلة الجبوري لوحة من كتابة هذا الحبر عند الخطاط هاشم محمد البغدادي.

النوع الخامس: حبر الباقلاء: ويتم تصنيعه بتنقيع الباقلاء «الفول» لمدة (٤٠) يوماً في الشمس ويؤخذ ماؤهُ، ويصنع هذا الحبر في الصيف عادة، وذلك لشدة حرارة الشمس في بغداد، ويضاف له الصمغ العربي بنسبة ٢٠٪.

النوع السادس: وهو ما يعرف بـ«الحبر الحديدي» حيث يصنع بإضافة الحديد إلى ماء الورد ويوضع في الشمس لمدة شهر، ليتأكسد، ويجفّ ماؤه، ثم يخلط بالماء وفق نسب معيّنة ويصفّى بعد ذلك لإخراج المواد الحديدية، ثم يضاف الصمغ العربي بنسبة ٢٠٪.

النوع السابع: حبر الذهب، تستعمل في صناعته صحائف رقيقة جداً من الذهب الخالص، حيث تخلط هذه الصحائف مع الصمغ العربي بنسب معيّنة، ويخلط في إناء بلّوري، ويحرّك بالسبابة، وبعد إذابة ذرات الذهب في الصمغ، يضاف له كمية من الماء لكي يطفو الصمغ العربي، ويترسب الذهب في قعر الإناء، ويترك لمدة ٢٤ ساعة ثم يسكب ذلك الماء عن الذهب المترسّب في الإناء، ويوضع غيره، حتى يتأكد الصانع من خلوّه من الصمغ العربي، ثم يؤتى بغرى السمك الجاف[1] ويذوّب بالماء الساخن جداً، ثم يضاف إلى الذهب المصفى من الماء والصمغ العربي، وحينئذ يصبح حبراً معداً للكتابة والتزويق.

وطريقة استعمال الحبر الذهبي كانت مقتصرة على الإنشاء والديونة، كما يقول القلقشندي[2]، وفي فواتح الكلام، أي في «الترويسة» والطغراوات، وفي الأسماء الجليلة، وكانت طريقة صنعه والكتابة به، هي بحلّ ورق الذهب الذي كان يستعمل في الطلاء ونحوه، ويجعل في شراب الليمون الصافي النقي، ويقتل في إناء صيني أو نحوه حتى يضمحل جرمه فيه، ثم يصبّ عليه

---

(١) غرى السمك الجاف، مادة لزجة مستخرجة من جسم السمك، يستعمل بدلها الآن مادة جيلاتينية.

(٢) صبح الأعشى، ٢/٤٦٦.

الماء الصافي النقي، ويغسل من جوانب الإناء، حتى يمتزج الماء والشراب، ويترك ساعة حتى يرسب الذهب ثم يصفّى الماء عنه، ويؤخذ مارسب في الإناء فيجعل في مفتلة زجاج ضيقة الأسفل، ويجعل معه قليل من الليقة، والنزر اليسير من الزعفران، بحيث لا يخرجه عن لون الذهب، وقليل من ماء الصمغ المحلول، ويكتب به، فإذا جفّ صقل بمصقلة من جزع حتى يأخذ حدّه، ثم يزمّك[1] بالحبر من جوانب الحرف[2].

وهناك صنف ثان يكتب به افتتاحيات للأبواب والفصول وابتداءات الكلام والبسملة وغيرها، هو اللازورد: وأنواعه كثيرة، أجودها المعدني، وباقي ذلك مصنوع لا يناسب الكتابة كما يقول القلقشندي[3]، وإنما يستعمل في الدهانات ونحوها، وطريقة الكتابة به هو أن يذاب بالماء ويلقى عليه قليل من الصمغ العربي، ويجعل في دواة، كتلك المستخدمة للذهب، وكلما رسب حرّك بالقلم، ولا يكثر به الصمغ كي لا يسود ويفسد.

كما يوجد صنف ثالث يستخدم في هذه الافتتاحيات هو الزُّنْجَفْرُ، وأجوده المغربي، وطريق الكتابة به أن يسحق بالماء حتى ينعم، وإن سحق بماء الرمّان فهو أحسن، ثم يضاف عليه ماء الصمغ، ثم يلاق بليقة كما يلاق الحبر، ويجعل في دواة ويكتب به [4].

والصنف الرابع لكتابة هذه الافتتاحيات هو: المغرة العراقية، وهي خاصة بكتابة نفائس الكتب الخاصة بمراسلات الملوك، وطريقة الكتابة بها كما في الزنجفر[5].

---

(١) الزّمك = إدخال الشيء بعضه في بعض، انظر: اللسان، مادة «زمك».

(٢) صبح الأعشى، ٢/ ٤٦٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق، ٢/ ٤٦٨.

الفصل الرابع
ألغاز في أدوات الكتابة

بسبب العمل الروتيني الممل للورّاقين والكتّاب، ولغرض تجاوز مثل هذه الحالات في العمل، كانوا يتبادلون الأحاجي والألغاز فيما بينهم، قتلاً للوقت ليس إلاّ، ونظراً لكون حالة الأدب قد تلبست الجميع، من أدباء وورّاقين، فقد كانوا يستخدمون أدبهم المهني في هذه الملح والنوادر، فمنها الأدب الرفيع، ومنها الشعر الخليع، ومنها النادرة الحذقة.

والجميل في الأمر أن حوانيت الورّاقين بعد العمل اليومي لهم كانت تشكل شبه منتديات ثقافية، وهو ما تنبَّه إليه أبوحيان التوحيدي، وحكى عنه كثيراً[1]، ولا غرو في ذلك، فما من ورّاق إلاّ وتجمع عنده الكثير من الأدباء والعلماء والشعراء[2]، فيتطارحون ويتهاجون ويتلاغزون، وقد كانت أدوات الكتابة مِفْصَلاً رئيساً في ألغازهم، فاتخذوا منها مطيّة لشعرهم، ونادرة حاضرة البديهة في ألسنتهم، وقالوا الألغاز في الورق وأنواع القراطيس، والدوى والسكاكين، والأقلام والمحابر، والحبر والقصب، وشاعت هذه الظاهرة في سوق الورّاقين، وتعدتها إلى بقية الأسواق والصناعات الأخرى، وعمّت سائر

(١) راجع كتابه المهم، المقابسات.

(٢) سوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل في باب سوق «الورّاقين» من هذه الدراسة.

المدن الإسلامية في الشام ومصر وغيرها، وقد تبرّع السعاة في نقل هذه الألغاز، من بلد إلى آخر، وانعقدت حولها مجالس الأدب للردّ والإجابة، وهذه الظاهرة مازالت حتى اليوم يتعاطاها أهل جنوب العراق والفرات الأوسط، وشكل هذا النوع من الأدب ما عرف بـ «شعر الإخوانيات» فيما بعد، فمن ذلك ما قاله أحدهم في الورق[1]:

وشيء بلا جرم يصلب تارة ... ويقطع حيناً في حضور وأسفار
ومن قدم قد بيّض الله وجهه ... على أنه ما انفك يوماً عن القار[2]

وقال آخر في الدواة [3]:

ململمة الجبين موردة الدمِ ... ومحمرّة الأذنين مفتوحة الفم
لها صنم كالديك ينقر جوفها ... تساوي إذا قوّمتها نصف درهم

وكتب الشيخ بدرالدين الدماميني لغزاً في دواة وجهزه إلى أمين الدين صاحب ديوان الإنشاء في الشام [4]:

كتبت وأعذاري إليك تقرر ... ونظمي بها يا كاتب السرّ يجهر
أتتك بأبيات المعاني قرضتها ... وحكت حبير اللفظ وهو محررُ
وحليت أهل العصر إذ كنت خاتماً ... لهم فعليك الآن يعقد خنصرُ
وما أنت إلا البحر جاش عبابه ... ولكن رأينا منك عِلماً يجسَّرُ
فما كلمة أفديك دام اعتلالها ... وفيها دواء إن عراها تغيرُ
ويحفظها ذو السِر وهي التي وشت ... وذلك من عادتها ليس ينكرُ

---

(١) حسن الدعابة، ص ٤٢.

(٢) هناك كناية للتعبير عن الحبر الأسود، شبّه بالقير.

(٣) حسن الدعابة، ص ٤٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٣.

ومامسّها إلا وجادت بنقسها وصحف ترى المقصود بالنقسِ يظهرُ

وتحمل سمر الخط رايات ملكها على الرأس عبّاسيّة حين تخطرُ

كحيلة طرف تعشق العين شكلها ويحسن مرآها إذا ما تحبرُ

مؤنثةٌ قد ذكرتنا بلونها عهود الصبا والشيء بالشيء يذكرُ

وكم قد رآنا ريقها من مسلسل يلذّ به في الذوق وردٌ ومصدرُ

وكم لاقت الأخبار منها محاسناً فعادت لها الجُهّال بالعيّ تحصرُ

مسوّدة إن ترض فالعيش أخضر وإن غضبت فالموت لا شكّ أحمرُ

ويعذب للسمر الرقاق رضابها فتنهل منها مورداً لا يكدّرُ

لقد أحكمت والنسخ مازال دأبها بذلك قد جاء الكتاب المسطرُ

وماهي إلا ذات متربة غدت وكم ذي غنى عن قصدها ليس يفترُ

ولسنا نراها غير سائلة ولم تفه بسؤال فاعترانا التحيّرُ

فأنعم بحل اللغز ياخير منعم فأنت به والله أجدى وأجدرُ

فلا زالت الأقلام تسعى لشكركم على رأسها طول المدى لا تقصرُ

فكتب إليه أمين الدين جوابه بعد أيام، فقال[1] :

مواقع أقلام لها الفضل ينشر وروضة آداب بها القلب يجبرُ

تحرر معنى حسنه نسج وحده فياحبذا الإسكندري المحررُ

تشقّ على الأفهام شقة شأوها فكم من بليغ عن مداها يقصرُ

أتت سهلة الألفاظ ممنوعة الذرا حماها من العلياء لا يتسوّرُ

تشير إلى الحبلى التي عزّ وضعها فأحشاؤها فيها الأجنة تقبرُ

ينامون لا تغشاهم سنة الكرى فإن هبّ فرد ظل يسعى ويحضرُ

وإن أرشفتهُ من زلال رُضابها تهادى بها نشوان يمشي ويعثرُ

وأمّا إذا اعتمُّوا السواد فكلهم خطيب له فوق الأنامل منبرُ

(١) حسن الدعابة، ص ٤٤.

وينطق عن علم وطول نباهة ... وعمّا رآه في المنام يُعبرُ
تطاول سمر الخط أنّى تشامخت ... سمواً ومع هذا على الطول تقصرُ
وكل بني الآداب تلفي بيوتهم ... فقام بها بين الأنام وتعمرُ
فأكرم بماقد ولّدتهُ وأنشأت ... وربت، ويكفيها بذلك مفخرُ
تحية وجهي إن جلستُ ووجهها ... تجاهي وجاهي عندها ليس يحقرُ
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت ... وأنى استقالت فهي في ذاك تعذرُ
فلا زلتم أهل الجمال وخيركم ... لدى النقص مثلي فهو حظّ موفرُ
بمدحكمُ الأقلام يضحك سنّها ... بحقّ وأفواه الدواة تقطرُ

ولم تتوقف ألغاز الورّاقين عند أداة واحدة من أدواتهم، بل تعدى ذلك إلى كل الأدوات المستخدمة في مهنتهم، وقد أعطوا القلم الشيء الكثير من هذه الألغاز، واستفاضت آثارهم الأدبية في ذكر ذلك، وينبغي ألا ننسى أن الوراقين كان بينهم من كبار الأدباء والمحدثين، والشيوخ، والقضاة. اسمع ما يقول أحدهم في القلم بصيغة اللّغز[(١)] :

فلا هو يمشي لا ولا هو مقعد ... وما إن له رأس ولا كف لامس
ولا هو حيّ لا ولا هو ميّت ... ولكنه شخص يُرى في المجالس
يزيد على سمّ الأفاعي لعابه ... يدبّ دبيباً في الدجى والحنادس
يفرّق أوصالاً لصمت بجنبه ... وتغرى به الأوداج تحت القلانس
إذا ما رأته العين تحقر شأنه ... وهيهات تبدو النفس عند الكرادس

وألغزه آخر قائلاً [(٢)] :

وأرقش مرهوف الشباة مهفهف ... يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقاً ومغرباً ... وتعنو له ملاكها وتطيع
حمى المَلكَ مفطوماً كما كان تحتمي ... به الأُسد في الآجام وهو رضيع

(١) حسن الدعابة، ص ٤٤-٤٥.

(٢) المرجع السابق.

فأجاب آخر على المنوال نفسه:

وساكن رمس طعمه عند رأسه إذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
يقوم ويمشي صامتاً متكلماً ويرجع في القبر الذي منه قوما
وليس بحيّ يستحق كرامة وليس بميت يستحق الترحما

وقال ابن أبي البغل الكاتب في القلم، وهو من مشاهير ذلك الزمان، ويعدّ بطبقة التوحيدي:

أصمّ عن المنادي لا يجيبُ به تخبو وتشتعل الخطوبُ
ضئيل الجسم، أعلم[1] ليس تخفى عليه غيوب ما تخفي القلوبُ
تراه راجلاً روح فيه ويحييه وينطقه الركوبُ
يبين لسانه ما كان سوداً مفارقه ويخرسه المشيبُ
يقسّم في الورى بؤسى ونعمى ويحكم والقضاء له مجيبُ
عجبت لسطوة فيه وضعف وكل أموره عجب عجيبُ

ووصفه أحدهم مشبّهاً إياه بالعاشق تارة، وبالواشي تارة أخرى، يقول[2]:

سألتك ما واش يراد حديثه ويهوى الغريب النازح الدار إفصاحه
تراه مدى الأيام أصفر ناحلاً كمثل عليل وهو قد لازم الراحه

وقال آخر ملغزاً المعنى:

وطائر في وكره نائم يطير في الأرض بأسراره
حياته في قطع أوداجه وعيشه في قطّ منقاره
يكرع من مستنقع القار كي يأخذ بالمنقار من قاره[3]

---

(١) أعلم، أي مشقوق الشفة.

(٢) حسن الدعابة، ٤٦.

(٣) شبّه الحبر بالقار (الزفت) بجامع السواد في كل منهما.

وتنادم ورّاقون ذات مساء، وجروا على ذكر القلم في آثار كبار الأدباء والشعراء، فقال أحدهم: لقد قرأت أبياتاً في لغز القلم لجمال الدين بن نباتة(١):

مولاي ما اسم ناحل دنف ... وما به علّة ولا سقمُ
لسان قوم فإن حذفت وإن ... صحّفت بعض الحروف فهو فمُ

وقال ورّاق آخر: سمعت بباب الطاق أن أحدهم سمع الحريري ذكر القلم في مقاماته، فقال(٢):

ومأموم به عرف الإمام ... كما باهت بصحبته الكرام
له إذ يرتوي طيشان صاد ... ويسكن حين يعروه الأوام(٣)
ويذري حين يستسقي دموعاً ... يرقن كما يروق الإبتسام

ومن جميل ماجاء في باب الألغاز في ذكر أدوات الكتابة عند الورّاقين، وتناقلوه في أخبارهم الأدبية ونوادرهم الملاح: ماكتبه الشيخ جمال الدين محمد ابن أحمد الشاهد سؤالاً، بعث به للشيخ عبدالرحمن المرشدي، ملغزاً في القلم، قال(٤):

وجيه الدين يا رأس الموالي ... وقرّة عين أرباب المعالي
ومن ببديع منطقه يرينا ... بياناً للمعالي في الأمالي
ومَنْ مِنْ نثره زهر الليالي ... ومَنْ مِنْ نظمه عقد اللآلي

---

(١) راجع ديوانه. وكذلك حسن الدعابة، ص ٤٦.

(٢) انظر المقامة رقم ٤٢ المعروفة بـ النجرانية، وحسن الدعابة، ص ٤٧.

(٣) أي أنه يعتريه ويصيبه العطش، أي أنه حين يجف من المداد يترك الكتابة ويسكن/ انظرها من المقامة المذكورة.

(٤) حسن الدعابة، ص ٤٧-٤٨.

ومَنْ ألِفاتُه فاقت غصوناً ومَنْ نوناتُه شبه الهلالِ
فهذي أطلعت أدباً نثيراً وتلك سمت علواً عن مثالِ
إليك لغزت في شيء براه الـ ـبرايا وهو صنعة ذي الجلالِ
ويحدث راكعاً فيتمّ فرضاً ولا يقضي ويقدم وهو تالِ
ومن أهل اليمين على بساط الـ ـسجود ولا يميل إلى الشمالِ
وخالي الجوف ذا وضع ثلاثي له التصريف في ملأ ومالِ
يجوّد واسع الأحرار حتى غدا كالعبد في أيدي الموالي
ولا يختار من مولاه عتقاً سوى فضل الكتابة بابتهالِ
خطيب في البلاغة لا يداني كتوم السر ثبّات المقالِ
كما اختلس المحيّا من ضمير قسيم القطع في قطع الوصالِ
وإن حققت فهو أمين سِرٍّ رشيد وهو هاد من ضلالِ
يعرّى زاهداً لكن رأينا ملابسه من القصب العوالي
أفدنا عنه أوصافاً حساناً تناديه المجالس في المحالِ
وواسطة غدا هو عن ضمير فأظهر ما أريد من المنالِ
جعلت لسانه عنّي إليكم رسولاً شارحاً في الرقّ حالي
لأنشر من مطاوي الفضل عنكم بملتمس الإجابة عن سؤالي

فأجابه الشيخ عبدالرحمن المرشدي قائلاً[1] :

سطور في طروس كاللآلي أم الأيام نبت بالليالي

حتى وصل إلى قوله الذي يرد به على ماطلب سائله، فأوضح:

وتبدي في الخطاب جواب لغز به ألغزت ياعين الأهالي
فقد سرحت طرف الطرف فيه ورضت أبيّه الصعب المنالِ
فألفى الفكر أوّله محيطاً وثانيهِ يشير إلى الليالي

---

(١) حسن الدعابة، ص ٤٨-٤٩.

وتمّ بثـالث مقـياس مـوسى فكم توصـيفـه أعـيـا المعـالي

قـصـيـر كـان جـدع الأنف منه لأمــر مـــا نفـــاق علـى الطوالِ

لفــيـف وهو مــفــروق تراه وأجـوف سـالماً مـن ذي اعـتـلالِ

صـحـيـح إن تكسـره تجـده يزد كـمّـا وكـيف بـه نغـالي

خطيب والســواد له شـعـار إلى العــبّـاس يـعـزى أم لآلِ

يـرى من قـــبل باريه وهـذا وأيم اللـه من قـسـم المحـالِ

وكـم عـنـدي لـه وصـف بـديـع ومـعنى لـم أضـمّـنه مـقـالي

لكوني بـالأهم غـدوت مـغـرى وعن فنّ المداعـبـة اشـتغـالي

ولولا خـشـيـة العـزوى لعـجـز لما أخـطرتـه حـيـنا ببـالي

فـدونك نبـذة فـيـهـا اكـتـفـاء لمن رام الجـواب عـن السـؤال

وتأخـيـر الجـواب لعـذر باس أصـاب جـوانحي فـأسـاء حـالي

فكن لـي عـاذراً فـالعـذر باد ومـقـبـول لـدى أهل المعـالي

وصلّـى الله مـاخطّت سطور بأقـلام البـلاغـة فـي مـجـالِ

علـى طه خـتـام الرسـل طراً وأهلـيـه الـكرام أولي الجـلالِ

* * *

الباب الثالث

صناعة الورق[1]

(١) لقد أفادنا كثيراً شيخ الباحثين، الأستاذ كوركيس عوّاد ببحثه الموسوم بـ «الورق أو الكاغد ـ صناعته في العصور الإسلامية» المنشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ في الجزء الثالث ١/ تموز/١٩٤٨م ضمن المجلد رقم ٢٣، يقع بين ص ٤٠٩ ـ ٤٣٨، فله السبق والفضل في ذلك..

الفصل الأول

تمهيد تاريخي

كان للحضارة في أفقها الإنساني دور فاعل في تحفيز الذات، فراحت الأمم من مختلف الأجناس، تكمل نتائج بعضها بعضاً، كتواصل تاريخي للبشرية، أملته ظروف الحياة، وقد كانت هناك صناعات تشكّل طفرة في هذا المجتمع أو ذاك، فاتحة الباب على مصراعيه ليدخل من يدخل إليه من تلك الشعوب الطامحة إلى بناء ذاتها وشخصيتها، ومن تلك الصناعات الجليلة كانت صناعة الورق، هذه الصناعة التي كان لها دور مهم في إيقاظ البشرية لتدوين علومها وآدابها وفنونها، وقد ساهمت أغلب شعوب الأرض في تطوير هذه الصناعة، كل حسب زمانه ومكانه إلى هذا اليوم.

وقد أشارت المصادر القديمة إلى أن الطيّن كان أول مادة استخدمت للكتابة، فقد ذكر النديم[1] أن أوّل من كتب على الطين كان آدم أبو البشر، ومن هنا يتضّح العمق التاريخي لاهتمام الإنسان بالكتابة، فقد كانوا يصنعونه على هيئة قوالب ويكتبون عليه وهو مازال طرياً، ثم يجففونه بالشمس أو بالنار، وقد عثر المنقبون في العراق وفي غيره من بلدان الشرق الأدنى على عشرات الألوف من ألواح الطين المكتوبة بالخطوط المسمارية، تلك الخطوط التي

---

(١) الفهرست، ص ٣١، المطبعة الرحمانية بمصر.

كتب بها الأقدمون من الشعوب، كالسومرية والأكّدية وغيرها[1].

وتوالت الأحقاب التاريخية لتلك الأقوام، وواكبت تطوّر المعادن واكتشافها، فظهر للسطح النحاس، واستخدم في الكتابة والنقوش[2]، وتلاه الحجر وهو أبقى من الطين، إلاّ أنه أثقل وزناً، فكان العزوف عنه سريعاً، ثم كتب على الخشب وورق الشجر، كما كتبوا في التوز الذي تعلى به القسي للخلود، ثم دبغت الجلود، فكتب الناس عليها[3]، وقد كان للهند شجر باسق كالنخل والنارجيل، ذو ثمر يؤكل وأوراق في طول ذراع، وعرض ثلاث أصابع مضمومة يسمونها «تاري». قال البيروني[4]: كانوا يكتبون عليها، ويضمّ كتّابهم منها خيط ينظمها من ثقبة في أوساطها فينفذ في جميعها، وأمّا في أواسط المملكة وشمالها (يقصد الهند)، فإنهم يأخذون من لحاء شجر التوز الذي يستعمل نوع منه في أغشية القسيّ ويسمونه «بهوج» في طول ذراع وعرض أصابع ممدودة فما دونه، ويعملون به عملاً كالتدهين والصقل يَصْلُبُ به ويتملّس، ثم يكتبون عليها وهي متفرقة، يعرف نظامها بأرقام العدد المتوالي، ويكون جملة الكتاب ملفوفة في قطعة ثوب مشدودة بين لوحين بقدرهما، واسم هذه الكتب «بوتي»، ورسائلهم وجميع أسبابهم تنفّذ في التوز أيضاً.

كما وجدت الكتابة على لحاء شجر يعرف بـ «الكاذي» مدوّنة بالذهب الأحمر، وهذا النوع من لحاء الشجر يوجد في الهند والصين، يقول عنه المسعودي[5]: هو نوع من النبات عجيب، ذو لون حسن وريح طيبة، لحاؤه

---

(١) كوركيس عواد، الورق أو الكاغد: صناعته في العصور الإسلامية، المرجع المذكور ص ٤٠٩.

(٢) الفهرست، ص ٣١.

(٣) الفهرست، نفس المكان.

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، طبعة لايبسك ١٩٤٥م، ص ٨١.

(٥) مروج الذهب، طبعة باريس، ٢/٢٠٢، وانظر لذلك: كوركيس عواد ـ الورق أو الكاغد، ص ٤١١ من المجلة المذكورة.

أرق من الورق الصيني، يتكاتب فيه ملوك الصين والهند.

فيما كانت الصين تكتب في ورق يصنعونه من الحشيش والكلأ، وعنهم أخذت صناعة الورق[1] وتداولها الناس أهل الحضارات الذين كانوا مواكبين لهذا النهوض؛ كالهنود والساميين وغيرهم، كما عرف في الهند أيضاً أنهم كانوا يكتبون في خرق الحرير الأبيض، وكذلك الروم، فيما كان الفرس يكتبون في الجلود المدبوغة من جلود الجواميس والبقر والغنم والوحوش، وكتب العرب في أكتاف الإبل واللخاف؛ «وهي الحجر الرقيق الأبيض»، كما كتبوا في عسب النخل[2].

وقد أشار النديم[3] إلى وجود الورق الخراساني الذي يعمل من الكتّان، إلا أنه لم يجزم بتحديد زمانه، حيث قال: إنه حدث في أيام بني أميّة، وقيل في الدولة العباسية، وقيل: إنه قديم العمل، وقيل: إنه حديث، (أي في زمانه في القرن الرابع)، وقيل: إن صنّاعاً من الصين عملوه في خراسان على مثال الورق الصيني. ونحن أميل إلى الرأي الأخير، لا سيما وأن الإمبراطورية الصينية قديماً كانت قد امتدت تجارتها إلى غرب آسيا للقرب الجغرافي، وعندما ظهرت الدولة الإسلامية كان العرب يكتبون القرآن في اللخاف والعسب، وقد أشار زيد بن ثابت رضي الله عنه إلى ذلك، حيث قال عند جمعه للقرآن: «فجلعت أتبع القرآن من العسيب واللخاف»، وأيّد ذلك الزهري بقوله: «قُبض رسول الله ﷺ والقرآن في العسب»[4]. فيما كان المصريون قد عرفوا بشكل جيّد القرطاس الذي صنعوه من قصب البردي، ويرجع تاريخ هذه الصناعة

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٥.

(٢) عسب النخل = الجريد الذي لا خوص عليه.

(٣) الفهرست، ص ٣٢، وصبح الأعشى، ٢/ ٤٧٥.

(٤) صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٥.

عندهم إلى أيام النبي يوسف عليه السلام، كما يقول النديم.[1]

ونظراً لأهمية صناعة القراطيس، فسوف نتوقف عندها في الفصول القادمة إن شاء الله.

❋ ❋ ❋

---

(٤) الفهرست، ص ٣١.

الفصل الثاني
الرقوق والجلود

بعد أن جرّب الناس مختلف تلك المواد في أمور الكتابة، مالوا للرَّقّ، وقد كان للصحابة الأوائل رأي في ذلك، منبعث من منظور ديني إسلامي، حيث إنهم أجمعوا على كتابة القرآن في الرقّ لطول بقائه ولتوفره حين ذاك[1]، وقد بقي المسلمون على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة، حيث كثر الورق وفشا عمله بين الناس، وأمر أن لا يكتب إلا في الكاغد.

والرَّقّ: هو الصحيفة البيضاء، أو هو: ما يكتب فيه، والمصنوع من جلد رقيق، قال الفرّاء: الرقّ: الصحائف التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة[2].

والرقوق عادة ما تؤخذ من جلود الحيوانات، بعد أن تجري عليها عمليات «كيماوية»، حيث تدبغ بالنورة أول الأمر، وقد أكسبتها هذه النورة جفافاً، إلى أن ظهرت بالكوفة الدباغة الكوفية، حيث استبدلت النورة بالتمر، مما أعطاها ليونة واضحة[3].

وبتطور الاستخدام والصنعة، اتخذ الناس هذه الجلود مادة حسنة للكتابة، تعيش دهراً طويلاً قبل أن ينالها البلى، وبعض هذه الجلود خفيفة،

---

(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٥.

(٢) اللسان، مادة «رقق».

(٣) الفهرست، ص ٣٢.

يبذل جهد في خدمتها بالدباغة والصقل، فيكون منها الرقوق النفيسة.

أوضحت المصادر[1] أن الرقوق كانت مستعملة قبل الإسلام، ثم اتخذت في صدر الإسلام، بيد أن ثمنها الغالي حدّ من استعمالاتها، وانحصر استخدامها في نسخ القرآن والوثائق الرسمية والعقود وغير ذلك، ويؤخذ من كلام البيروني[2] أن اليونانيين القدماء كانوا يستعملون الرقوق، فقد وردت إشارة إلى ذلك على لسان «سقراط» حين سئل عن تركه تصنيف الكتب؛ قال: «لست بناقل للعمل من قلوب البشر الحيّة إلى جلود الضأن الميّتة».

وقد كتب المسلمون على الأدم في صدر الإسلام، كما كتب عهد خيبر[3] بين المسلمين واليهود، وقد كتب النبي محمد ﷺ كتاباً إلى كسرى على الرقّ، كما كتب مصاحف القرآن في جلود الظباء[4].

والجلود هي الأكثر استخداماً في الجاهلية في كتابات العرب وصدر الإسلام، نظراً لكثرة الإبل عندهم، حيث كانت تنحر لإطعام الضيف والقرى، ويسمى المدبوغ منها الأدم[5]. وقد كانت بلاد اليمن الأشهر به، حتى كانوا يكنون بها عن الدراهم، فيقال: ليس بين الدراهم والأدم مثلة، يريدون: بين العراق واليمن، لأن بالعراق يجرى التبايع بالدراهم، فيما كانت اليمن تبايع

---

(١) رسائل الجاحظ ١/ ٢٥٢، والبيروني، تحقيق ما للهند، ص ٨١، وكوركيس عواد، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المذكورة ص ٤١٦.

(٢) تحقيق ما للهند، ٨١.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ٣/ ١٩ وما بعدها، أحداث سنة ٧ هـ.

(٤) كوركيس عواد، المجلة المذكورة، ص ٤١٦.

(٥) حبيب زيّات، الجلود والرقرق والطروس في الإسلام، مجلة الكتاب، يوليه ١٩٤٧م، السنة الثانية، الجزء ٩، منشورات دار المعارف المصرية، ص ١٣٥٨.

بالأدم: قال أوس بن حجر[1]:

وماعدلت نفسي بنفسك سيّداً سمعت به بين الدراهم والأدم

وقد كانت هناك أنواع عديدة من هذه الجلود المستعملة في الكتابة كجلود الغنم والمعز والحمير وسائر الدواب الأهلية والوحشية، وكان جلد الحمر الوحشية يسمونه «الفلجان»[2]. ومن شواهد الكتابة على جلود الماعز «كتاب الجفر» المشهور وقد ذكره أبوالعلاء المعري بقوله[3]:

لقد عجبوا لأهل البيت لمّا أتاهم علمهم في مَسْكِ جفر

والمَسْكُ: هو الجلد، والجفر: ما بلغ من أولاد الماعز أربعة أشهر، وجفر جنباه وانفصل عن أمه، وهذا يعني أن مسأله عمر الحيوان لها علاقة في جلده المستخدم للكتابة، بالنسبة لطراوته وخشونته وصقله ودباغته.

وصعوبة الكتابة على هذه الجلود، كانت واضحة قبل الدباغة الكوفية، حيث استطاعت هذه الدباغة ـ بتحسين طرق معالجتها للجلود ـ أن تجد السهولة للكتابة عليها، إلاّ أن الرائحة المنبعثة من هذه الجلود كانت نتنة، لذلك عمدوا إلى تجفيفها، ولكن الفرس كرهوا رائحة دباغة الجلود حيث كانت ترفع إليهم، فأمروا بتصفيرها بالزعفران وتطييبها بماء الورد[4].

وقد شكلت مسألة نتانة الجلود أمراً مزعجاً لكثير من الرؤساء والكتّاب والمتأدبين والظرّاف، ولكنهم كانوا مجبرين على التعامل به، نظراً للحاجة قبل اكتشاف الورق والقراطيس.

---

(١) حبيب زيّات، المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، المكان نفسه.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٥٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣٦٠.

وثمة نادرة لطيفة في السياق أوردها الخالديّان تقول[1]: حدّثنا أبوالقاسم علي بن أحمد الأصبهاني قال: كان عندنا بأصبهان رجل حسن النعمة، واسع النفس، كامل المروءة يقال له: سماك بن النعمان، وكان يهوى جارية مغنية من أهل أصبهان، لها قدر ومعنى تعرف بـ «أم عمرو» فلإفراط حبه إياها، وصبابته بها، وهب لها عدّة من ضياعه، وكتب عليه بذلك كتباً، وحمل الكتب إليها على بغل، فشاع الخبر بذلك وتحدث الناس به واستعظموه، وكان بأصبهان رجل متخلّف بيّن الركاكة يهوى مغنيّة أخرى، فلما اتصل به ذلك ظنّ بجهله وقلّة عقله أن «سماكاً» إنما أهدى إلى «أم عمرو» جلوداً بيضاء لا كتابة فيها، وأن هذا من الهدايا التي تستحسن ويجلّ موقعها عند من تهدى إليه، فابتاع جلوداً كثيرة، وحملها على بغلين، لتكون هديته ضعف هدية «سماك»، وأنفذها إلى التي يحب، فلما وصلت الجلود إليها ووقفت على الخبر فيها تغيّظت عليه، وكتبت إليه رقعة تشتمه فيها وتحلف أنها لا كلمته أبداً، وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتاً في هذا المعنى لتودعها الرقعة، ففعل وكانت الأبيات:

لا عاد طوعك من عصاكا	وحرمت من وصل مناكا
فلقد فضحت العاشقيـ	ـن بقبح مافعلت يداكا
أرأيت من يهدي الجلو	د إلى عشيقته سواكا
وأظن أنك رمتَ أن	تحكي بفعلك ذا «سماكا»
ذاك الذي أهدى الضيا	ع لأمّ عمرو والصّكاكا

(١) الخالديان، أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان/ كتاب التحف والهدايا، تحقيق سامي الدهان، دار المعارف بمصر، ص ١٧٦-١٧٧، كما أوردها ابن خلكان في وفيات الأعيان، ٥/ ٣٨٠-٣٨١ في ترجمة الشاعر نصر الخبزأرزي، تحقيق إحسان عباس. كما ذكرها حبيب زيّات في المرجع المذكور، ص ١٣٦١.

فبعثت منتنة كأنك قد مسحت بهنّ فاكا
من لي بقربك يارقيع، ولست أهوى أن أراكا
لكن لعلي أن أقطع مابعثت على قفاكا

وقد كان للرقوق والجلود تلازم مع الميثولوجيا العربية، حيث إن كتب الأمان والعُوذ كانت تكتب بها، فلقد ذكر أبوالفرج الأصفهاني[1] أن أمّ ذي الرمّة جاءت إلى الحصين بن عبدة بن نعيم العدوي، وهو يقرئ الأعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاتهم، فقالت له: ياأبا الخليل، إن ابني هذا يُروّع بالليل، فاكتب لي معاذة أعلّقها على عنقه، فقال لها: ائتيني برقّ أكتب فيه، قالت: فإن لم يكن، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له؟ قال: فجيئيني بجلد، فأتته بقطعة جلد غليظ، فكتب له معاذة فيه، فعلقته في عنقه[2].

وعندما جاء الإسلام اختيرت الرقوق ليكتب بها القرآن من موقع الإجلال والتعظيم له، وكذلك الشأن بالنسبة للحديث النبوي، حتى إن بعض العلماء والمحدثين كانوا يرفضون أن يكتب عنهم الحديث إلاّ بالرقّ، رغم وجود القراطيس، لاسيّما في العصور العباسية، وعلى مايبدو فإن هذه الحالة تخضع لمفهوم ديني دأب عليه الخلف من السلف، وأصبح شبه مذهب عند علماء الحديث في العصر العباسي، ففي هذا السياق ينقل الخطيب البغدادي[3] خبراً مفاده أن المعتز بالله بعث بطلب أحمد بن بُدَيل الكوفي ليكتب عنه الحديث، وعندما استعدّ للإملاء، أخذ الكاتب القرطاس والدواة فامتنع المحدّث، وقال: أتكتب حديث رسول الله ﷺ في قرطاس بمداد؟ قال: ففيم نكتب؟ قال: في

(١) الأغاني، أخبار ذي الرمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ٢/١٨.

(٢) انظر بقية الخبر في الأغاني، ٢/١٨.

(٣) تاريخ بغداد، ٤/٥١-٥٢.

رقّ بحبر. فجاؤوا برق وحبر، فأخذ الكاتب يريد أن يكتب، فقال ابن بديل: اكتب بخطّك. فأومأ إليّ أنه لا يكتب، فأمليت عليه حديثين أسخن الله بهما عينيه، قال فسأله ابن البنا أو ابن النعمان، أي حديثين؟ فقال: قلت: قال رسول الله ﷺ: «من استرعى رعيّة فلم يحطها بالنصيحة، حرم الله عليه الجنة»، والثاني: «مامن أمير عشيرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً».

وقد كانت دفاتر ومصاحف أهل المغرب مكتوبة في الرقوق، وغلبت على الدواوين السلطانية في الأندلس الكتابة في جياد الرقوق، وبأجلّ الأقلام، حتى إن الوزير أبا حفص بن برد الأكبر كان يتشدد في ذلك أيما تشدد، فقد نقل عنه[1] «أن قوماً من خدمة الحضرة، قد عادوا لما نهوا عنه، فكتبوا الخط الدقيق في دنيّ الرُقَق دقة من هممهم، ودناءة في اختيارهم، وجهلاً بأن الخطّ جاه الكتاب، وسلك الكلام، به ينظم منشوره، وتفصّل شذوره، ونبله من نبل صاحبه، وهجنته لاحقة بكاتبه، ومن فصول هذه الرسالة، قوله[2]: معشر الخدمة... يجب «أن يحكم الخط فيتم حروفه، ويراعى المداد فيجيد صنعته، ويميّز الرق فيحسن اختياره، وعجزه الحزم النافذ والحكم الصادع، بأن يكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها، والأعداد في رؤوس رسومها، بخط أيدي القوّاد والعمّال، من كان منهم كاتباً فبيده، ومن لم يكتب فبخط كاتب له معروف، ثم يؤكد على أنّه إن ورد لأحد من الخدمة بعد وصول ذلك العهد إليه كتاب اعتراض أو عمل في رقّ رديٍّ أو بمداد دنيّ، أو خطّ خفي، فيه لحن أو كتاب على بشر في عدد، أو رأس رسم ما لم يخف أو يقع في

---

(١) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، المجلد الأول، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، ص ٨٧-٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٦-٨٧.

حشو الكتـاب ويعتذر منه، ليبطلنّ سعي كاتبـه فيما كتب، وليعـاجلن بعقوبة العزل، وإغرام الثابت المال الثابت عدده في ذلك القنداق». [1]

إن هذه التـوكيـدات من لدن أهل الاندلـس هي تجاوب وانجـذاب لأهل المشـرق، الذين راحوا يـسمـون برفع شـأن كل ماهو إبداعي، وكـان للكتـابة والكتاب وتحسين أدواتـهم أمر له أسبقيـة عندهم، لذلك كان أهل الأندلس هم الصدى الأقوى، والرجع الأبعد، وما تلك التـوجيهات الإدارية الفنية إلا دليل على ذلك. وقـد وجـد عند أهل الأندلـس ربض في قـرطبـة يدعى «ربض الرقاقين» تباع فيه الرقوق بالقرب من باب العطارين[2].

وقد عرفت الأندلس، كما عرفت بغـداد إحراق الكتب الفلسفية، وهذه الكتب كانت مدوّنة بالرقوق والقرطاس والكاغد، وقد أحرق لابن حزم[3] عدة كتب أيام ابن عبّاد، وقد رثاها بقوله[4]:

فإن تحـرقو القرطاس لا تحـرقوا الذي ... تضـمّنه القرطاس بل هو في صـدري

يسيـر معي حيث استـقلّت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفـن في قـبـري

دعـوني من إحــراق رقّ وكـاغـد ... وقـولوا بعلم كي يـرى الناس من يدري

وإلا فــعــودوا في المكـاتب بدأة ... فكم دون مـاتبـغـون للّه من سـرّ

وعلى أية حـال، فلقـد كان للرقـوق والجلود حـضـورها في الحضـارة الإسلامـية، حتى نهـاية القرن السادس، وقـد انفرد الرقّ في تلبـية الحـاجات الديوانية فترة غير قصيرة، إلى أن أتيح للكاغد أن يأخذ مكانه[5].

---

(١) القنداق = صحيفة الحساب، اللسان، مادة «قندق».

(٢) حبيب زيّات، مجلة الكتاب، ص ١٣٦٤.

(٣) انظر ترجمته في: الذخيرة، ١/ ١١٠-١٤٧.

(٤) الذخيرة، ١/ ١٤٤، وقد ذكرها حبيب زيّات بمقالته المنشورة بمجلة الكتاب، ص ١٣٦٤.

(٥) راجع بهذا الصدد مقالة طه الحاجري، عن الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية، منشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ١٣/ ١٩٦٥م، ص ٦٣-١٨٨.

وقد استطاع الجاحظ أن يختبر الجلود والرقوق اختباراً عملياً، بحكم علاقته بالكتابة والكتب، وتعايشه اليومي مع الورّاقين، وهو الذي كان يكتري حوانيتهم[1]، فعرف صالحها من طالحها، وثقيلها من خفيفها، وكشف عن التأثيرات الطبيعية فيها إذا تعرّضت للرطوبة أو الشمس أو الماء، حتى كشف عمليات التزوير التي تجري فيها، لا سيما في أنواع منها كالبصري والكوفي والواسطي، وقد صبّ كل ذلك في رسالة الجدّ والهزل[2]، فهو في معرض حديثه عن الورق الصيني والكاغد الخراساني، حيث كان يخاطب الوزير «محمد ابن عبدالملك الزيات» يقول[3]: «وماعليك أن تكون كتبي كلها من الورق الصيني، ومن الكاغد الخراساني قل لي: لم زيّنت النسخ في الجلود، ولم حَثثتني على الأدم، وأنت تعلم أن الجلود جافية الحجم، ثقيلة الوزن، إن أصابها الماء بطلت، وإن كان يوم لثق استرخت، ولو لم يكن فيها إلا أنها تبغّض إلى أربابها نزول الغيث، وتكرّه إلى مالكيها الحب، لكان في ذلك ما كفى ومنع منها».

ثم يبدأ بشرح انعكاسات تلك المواصفات على عمل الورّاق في الكتابة وغيرها، يقول[4]: «قد علمت أن الورّاق لا يخطّ في تلك الأيام سطراً، ولا يقطع فيها جلداً، وإن نديت فضلاً عن أن تمطر، وفضلاً عن أن تغرق، استرسلت فامتدت، ومتى جفّت لم تعد إلى حالها، إلاّ مع تقبّض شديد، وتشنج قبيح، وهي أنتن ريحاً وأكثر ثمناً، وأحمل للغش، يغشّ الكوفيّ بالواسطي، والواسطي بالبصري، وتعتّق لكي يذهب ريحها، وينجاب شعرها، وهي أكثر عقداً وعجراً، وأكثر خباطاً وإسقاطاً. والصفرة إليها أسرع، وسرعة

---

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٦/ ٧٥.

(2) رسائل الجاحظ، ١/ ٢٣١-٢٧٨.

(3) المصدر السابق، ١/ ٢٥٢-٢٥٣.

(4) المصدر السابق، ١/ ٢٥٣.

انسحاق الخطّ فيها أعمّ. ولو أراد صاحب علم أن يحمل منها قدر مايكفيه في سفره، لما كفاه حمل بعير، ولو أراد مثل ذلك من القطني ـ أي المصنوع من القطن ـ لكفاه مايحمل مع زاده».

هذه المفاضلات والمواصفات للجلود يتكلم عنها الجاحظ عن دراية وممارسة واختبار، كما أسلفنا، وهو هنا يريد استظهار الورق عليها، والحث على استخدامه، بالمقابل إسقاط هذه الرقوق والجلود من التداول، وفي الحقيقة هي استجابة حضارية من الجاحظ، وهو سيّد الكتّاب في وقته ـ وحتى اليوم ـ كي يحتذى به، ويصار إلى خطاه، وبغية التشديد على استعمال الورق القطني، فإنه يوغل في الإساءة إلى الجلود حتى يمحو أثرها تماماً، يقول[1]: «وقلت لي: عليك بها، فإنها أحمل للحكّ والتغيير وأبقى على تعاور العارية وعلى تقليب الأيدي، ولرديدها ثمن، ولطرسها مرجوع، والمعاد منها ينوب عن الجدد، وليس لدفاتر القطني أثمان في السوق، وإن كان فيها كل حديث طريف، ولطف مليح، وعلم نفيس، ولو عرضت عليهم عَدْلها في عدد الورق جلوداً، ثم كان فيها كل شعر بارد وكل حديث غثّ، لكانت أثمن ولكانوا عليها أسرع».

ثم يبدأ بذكر استخداماتها والأماكن التي ساد فيها هذا الاستخدام، على لسان مخاطبه، يقول[2]: «وقلت: وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين، وفي الصكاك والعهود، وفي الشروط وصور العقارات، وفيها تكون نموذجات النقوش، ومنها تكون خرائط البرد[3]، وهنّ أصلح للجرب ولعفاص الجرّة وسداد القارورة، وزعمت أن الأرضة إلى الكاغد أسرع، وأنكرت أن تكون

---

(١) رسائل الجاحظ، المكان نفسه.

(٢) المصدر السابق، ١/٢٥٣-٢٥٤.

(٣) الخريطة: وعاء يشبه الكيس مصنوعة من الخرق أو الأدم، تشرح على ما فيها ـ يقابلها الآن الرزم القماشية ـ والبرد: جمع بريد. انظر الهامش رقم ١ من ص ٢٥٤ في المصدر المذكور أعلاه.

الفأرة إلى الجلود أسرع، بل زعمت أنها إلى الكاغد أسرع وله أفسد، فكنت سبب المضرّة في اتخاذ الجلود والاستبدال بالكاغد، وكنت سبب البليّة في تحويل الدفاتر الخفاف في المحمل إلى المصاحف التي تثقل الأيدي وتحطّم الصدور، وتقوس الظهور وتعمي الأبصار».

وهكذا كشف الجاحظ محاسن الجلود ومساوئها، واستخداماتها المختلفة في زمانه وقبله.

الطروس: الصحيفة، ويقال هي التي محيت ثم كتبت، فيما عرّفه ابن سيده[1]: والطّرس، الكتاب الذي محي ثم كتب، والجمع أطراس وطروس، ثم قالوا: الطرس: الكتاب الممحو الذي يستطاع أن تعاد عليه الكتابة، وفعلك به يسمى «التطريس»[2].

ومن هذا التعريف، يعرّج المعنى على أن المراد بهذا هي الجلود والرقوق، أكثر من بقية المواد الخاصة بالكتابة، فهي الوحيدة على تقبل الماء، فالقراطيس والورق لا تقبل ذلك التفاعل بينها وبين الماء.

وعملية التطرس للكتب ناتجة ـ على مايبدو ـ عن وضع طارئ تتعرض له أسواق الكتب، فيحصل شح أو نقص في الورق المطلوب، مما يلجئ إلى الجلود لمحوها والكتابة عليها مجدداً، وهذه الأمور تحدث وقت الأزمات والحروب، فلقد ذكرت المصادر[3] أن الفتنة التي حدثت أيام الأمين عرّضت الدواوين إلى النهب، وأخذ مافيها من الجلود المكتوبة، فمحيت وغسلت، وكتب الناس فيها عدة سنين، كما أن هناك جملة من العلماء والمؤرخين أقبلوا

---

(١) لسان العرب، مادة «طرس».

(٢) المصدر السابق، المادة نفسها.

(٣) حبيب زيّات، مجلة الكتاب، ص ١٣٦٦.

على هذه العملية نتيجة موقف إيماني، أو عقائدي، أو سياسي أو غيره. وقد اشتهر من الأولين ـ أصحاب الحديث ـ سفيان الثوري[1] فقد قيل: إنه لما حضرته الوفاة غسل كتبه كلّها، وإلى ذلك يشير أبوالعلاء المعري في «اللزوميات»[2]:

والخوف ألزم سفيا ... ن أن يغرق كتبه

ومن جميل ما نقله ياقوت الحموي في هذا الشأن قوله[3] في ترجمته لعلي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعيّ: «إنه كان أحد أئمة النحويين وحذّاقهم، قد ألّف كتاباً لشرح كتاب سيبويه في النحو وغسله، نتيجة منازعة بينه وبين أحد بني رضوان التاجر في مسألة نحوية، فقام هذا العالم مُغضباً، وأخذ شرح سيبويه وجعله في إجّانة[4] وصبّ عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة».

وينقل حبيب زيّات [5] عن ابن الدهان الوجيه قوله: إنه حضر بدار الكتب المأمونية، وخازنها يومئذ (أبوالمعالي أحمد بن هبة الله)، فجرى حديث المعرّي، فذمّه الخازن، وقال: كان عندي في الخزانة كتاب من تصنيفه غسلته، فقال له الوجيه: وأي شيء هذا الكتاب؟ قال: كان كتاب نقض القرآن، فقال له: أخطأت في غسله. وهذه المسألة توضّح لنا مدى الخطورة في ضياع الكثير من تراثنا المفقود بهذه الطريقة المخيفة.

* * *

---

(١) راجع عنه، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/٢٢٩، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، وراجع أعلام الزركلي ٣/١٠٤.

(٢) حبيب زيات، مجلة الكتاب، ص ١٣٦٦.

(٣) معجم الأدباء، ١٤/٧٩.

(٤) إناء كبير تغسل فيه الثياب، أصغر من «الطشت».

(٥) مجلة الكتاب، ص ١٣٦٦.



الفصل الثالث

القراطيس

القرطاس هو الصحيفة التي يكتب بها، ويرادفُه في المعنى مصطلح «المهراق»[١]، وجمعها مهاريق. وقد ذكرت في القرآن[٢] جميعها إلاّ «المهراق»، وعرّفه ابن منظور بقوله[٣]: القرطاس معروف يتخذ من بردي يكون بمصر، ثم يضيف: والقُرطاس والقَرطاس والقرطس كله: الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها.

ويرى الجواليقي[٤] أن أصله غير عربي، وقد ذكرت الكثير من المصادر أنه الضارب نحو اللون الأبيض، كما في اللسان[٥]، واستشهد الصولي على ذلك بقول أبي نواس[٦]:

واحتازها لونٌ جرى في جلدها يَقَقٌ كقرطاس الوليد هجان[٧]

حيث أنه شبّه الناقة البيضاء بالقرطاس بهذا القول، ومن نوادر أبي نواس

---

(١) الصولي، أدب الكتّاب، ص ١٠٥.

(٢) سورة الأنعام، آية ٧ و٩١، وغيرها.

(٣) اللسان، مادة «قرطس».

(٤) المعرّب، باب القاف، مادة «القرطاس». تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦١هـ.

(٥) مادة قرطس.

(٦) أدب الكتّاب، ص ١٠٦.

(٧) يقق: أبيض شديد البياض ناصعه: ويقال في الجمع: «يقايق» صفة على غير قياس، ويوصف به «جمار النخيل»، راجع اللسان، مادة «يقق»، والقاموس المحيط، «يقق».

في ذكر القرطاس، ما ذكر أبوالعيناء عن الجمّاز قال[1]: أراد أبونواس أن يكتب إلى إخوان له، فلم يجد شيئاً يكتب فيه، فحلق رأس غلامه وكتب عليه ما أراد، وفي آخرها كتب:

لم يقو عندي على تخريق قرطاسي　　　إلا فتى قلبه من صخرة قاسِ

إن القراطيس من قلبي بمنزلة　　　تكون كالسمع والعينين في الرأسِ

لولا القراطيس مات العاشقون معا　　　هذا بغم، وهذاكم بوسواسِ

وقد كانت مصر أم القراطيس، فهي التي تصدّره إلى جميع الأقطار، حتى إن القلقشندي في تعريفه للقرطاس يقول[2]: القرطاس كاغد يتخذ من بَرْدي مصر، وعلى هذا الأساس عرفت بقراطيسها أكثر من أي مصر إسلامي آخر، حتى إن سمعة القراطيس المصرية كانت دليلاً واستدلالاً على مصر برمتها، فراح ينسب القرطاس إلى مصر، وبه يستشهد، ونقل الثعالبي[3] في ذلك:

حملت إليك عروس الثناء　　　على هودج ما له من بعير

على هودج من قراطيس مصر　　　يلين على الطيّ لين الحرير

كما أن السيوطي[4] ذكر أن من خصائص مصر «القراطيس» وهو الطوامير، وهي أحسن ما كتب فيه، وهو من حشيش أرض مصر، ويعمل طوله ثلاثون ذراعاً وأكثر في عرض مقداره شبر.

وذكر البيروني[5] أن القرطاس يصنع من لب البردي، يبرى في لحمه، وعليه صدرت كتب الخلفاء، حيث أن البردي ليس ينقاد لحك شيء منه

---

(١) أدب الكتّاب، ص ١٠٧.

(٢) صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٤.

(٣) ثمار القلوب، ص ٥٣٠-٥٣١.

(٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ـ طبعة القاهرة، ١٣٢٧هـ، ٢/ ١٧٣.

(٥) تاريخ ما للهند، ص ٨١.

وتغيـره، بل يفسد به، وهناك بلدان أخرى اشـتهرت بوجود نبـات البردي في أراضيـها كـانت تنافس مصر في وجوده، منها جزيرة صـقلية، وقد نوّه بذلك ابن حوقل في حـديثه عن «صقلية»؛ حـيث قال[1]: «وأراضيهـا يغلب عليها السبـاخ والآجام، وفيهـا قصب فارسي، وبحـائر ومقات صالحـة، وفي خلال أراضيـها بقاع قد غلب عليـها البربيـر وهو البردي المعمول منه الطوامـير، ولا أعلم لما بمصر من هذا البـربير نظيراً على وجه الأرض إلاّ بصقليـة منه، وأكثره يفتل حبالاً لمراسي المراكب، وأقلّه يعـمل للسلطان من طوامير القراطيس، ولن يزيد على قلّة كفايته».

ومن هذا يتضح أن شهرة القراطيس المصرية قد ملأت الآفاق، وصارت هي الأبرز والأشهر والأحسن فـي الاستخدام اليومي لمؤسسات الـدولة الإسلامية، بكافة أمصـارها وأسواقها، وقد ذكر البـاحثون أنه كان في مصـر السفلى عدد عظيم من غياض فسيحة تنبت البردي، ذلك النبات الطويل الحسن، الذي يتخذ الورق من لبابه، حيـث إنه يشق إلى شرائح تجعل منها صحـائف بالضغط، ثم تصقل بآلة من العاج، ثم توصل الصحائف بعضـها ببعض، فتصير على شكل لفائف يسـهل استعـمالها، وقـد كانت مدينة الإسكندريـة المركز الرئيس الذي تصدّر منه القراطيس المصنوعة من ذاك البردي[2].

وعلى هذا الأسـاس، اتخذ المسلمـون أوراق البردي للكتـابة عليهـا في بداياتهم الأولى، فقد اعتمدت الخلافة العباسية على قراطيس مصر أيما اعتماد،

---

(١) صورة الأرض، لابن حـوقل ١/ ١٢٢-١٢٣، ط ٢، ليـدن ١٩٣٨م، وكـوركـيس عـواد، المجلة المذكورة، ص ٤١٣.

(٢) كوركيس عواد، المرجع السابق، ص ٤١، وقد ذكر كوركيس عواد أن هناك الكثير من المستشرقين قد عنوا بدراسة أوراق البردي العربية، من أمثال ج. كرابسك، وسي أ. ج بيكر، وا. جروهمان وغيرهم.

حتى امتلأت أسواق القراطيس في بغداد[1] وعرفت باسمها دروب، لاسيما في الكرخ، حيث يوجد درب باسم «درب أصحاب القراطيس»، ذكره الخطيب البغدادي في معرض حديثه عن سعيد بن سليمان سعدويه البزاز[2]، كما نقل الجهشياري رغبة المنصور في بيع قراطيس الدولة الموجودة في خزائنه، حيث قال[3]: «وقف أبوجعفر المنصور على كثرة القراطيس في خزائنه، فدعا بصالح، صاحب المصلّى، فقال له: إني أمرت بإخراج حاصل القراطيس في خزائننا، فوجدته شيئاً كثيراً جداً، فتولّ بيعه، وإن لم تعط بكل طومار إلاّ دانقاً[4]، فإن تحصيل ثمنه أصلح منه، قال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم، إلاّ أن المنصور عاد وتخلّى عن فكرته في اليوم التالي، مشيراً على صالح بقوله: فكرت في كتبنا وأنها قد جرت في القراطيس، وليس يؤمن من حادث بمصر فتنقطع القراطيس عنّا بسببه، فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم نعوّده عمّالنا، فدع القراطيس استظهاراً على حالها».

وهذا الخبر يوضّح مدى الكميات الهائلة الموجودة من جهة، ومن جهة ثانية يشير إلى مكانة مصر في تصدير القراطيس، ومن جهة ثالثة، يؤكد تخوف المنصور من القلاقل الممكنة الحدوث، إضافة إلى أنه يشير الى سعر القراطيس وقتذاك، وهي مسألة هامة توضّح جانباً من تطور الحالة الاقتصادية والثقافية على حدّ سواء.

ثمة مسألة غير واضحة، ولم يذكرها المؤرخون بالدقة، هي صناعة

---

(١) الجاحظ، المحاسن والأضداد، طبعة فان فلوتن، ليدن ١٨٩٨م، ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٢) تاريخ بغداد، ٩/٨٦.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي، ط١، طبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ص ١٣٨.

(٤) الدانق: سدس الدرهم.

القراطيس في بغداد، هل كانت قائمة أم أنها غير موجودة؟ فقد أشار السمعاني[1] إلى وجود عدّة أشخاص غلبت عليهم نسبة القراطيس، والتي يوصف بها من عمل بالقراطيس، من أمثال أبي عثمان سعيد بن بحر القراطيسي، وغيره، كما ذكر الخطيب البغدادي تراجم سبعة رجال عرف كل منهم «القراطيسي»[2]: إلا أن هذين المؤرخين لم يذكرا صناعة لهم باسم القراطيسي، فكما أن اليعقوبي أشار إلى أن المعتصم عندما نقل عاصمته إلى «سرّ من رأى» (سامراء)، حمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها[3]، ومن هذا يتضح أن صناعة القراطيس لم تنشأ في بغداد، إلا أن تجارة القراطيس عرفتها بغداد وإليها ينسب القراطيسيون، إلا أن صناعة الكاغد عرفت بها منذ أيام السفاح.

تعود صناعة القراطيس في مصر إلى أيام الأقباط المسيحيين، وهذه القراطيس كانت تدرّ لهم أرباحاً متواصلة، حيث أنها كانت تدخل بلاد الروم من أرض مصر، وكان العرب يشترونها بالدنانير الرومية[4]، وظلوا على هذه الحال يستعملونها امتيازاً لها من غيرها منذ عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[5]، وظلت صناعة القراطيس مصرية حتى أيام عبدالملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ) حيث نضج كيان الدولة السياسي، وأخذت الدولة الأموية تنتبه إلى تحقيق مظاهر سيادتها في مختلف الميادين،وقد تنبهت الدولة إلى أمر

(١) السمعاني، الأنساب، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، ط١، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ١٠/٨٣-٨٥.

(٢) تاريخ بغداد، ٢/٩١ و٤/ ٤٣٠ و١١/ ٢٣٣ و١٢/ ١٥١ و١٣/ ٤٥.

(٣) البلدان، لليعقوبي، ص ٣٦٤.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع وأخيه عمر، دار النشر للجامعيين ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ص ٣٣٥.

(٥) صبح الأعشى، ٦/ ١٨٩.

القراطيس، كما يقول الحاجري[1]، وأولتها شيئاً من العناية، فاتجهت إلى احتوائها إسلامياً، نظراً لكونها في حياض ديار إسلامية (مصر)، وقد كانت هناك حادثة سياسية اقتصادية، سرّعت العملية بذلك، فقد أشار البلاذري إلى أن عبدالملك بن مروان أحدث في مراسلاته إلى ملك الروم أمراً لم يكن مألوفاً لدى الروم، حيث إنه أبدل طرّة الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير «الصحف»، والتي درج أن يوضع عليها الصليب، فأبدله عبدالملك بقول: «قل هو الله أحد»[2]، الأمر الذي أثار حفيظة ملك الروم، وكتب إلى عبدالملك: «إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه، فإن تركتموه وإلاّ أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه، قال: فكبُر ذلك على عبدالملك، وكره أن يدع سنّة حسنة سنّها، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية، وقال له: يا أبا هاشم، إحدى بنات طبق، وأخبره الخبر، فقال خالد: أفرغ روعك يا أمير المؤمنين، حرّم دنانيرهم، فلا يتعامل بها، واضرب للناس سَككا ولا تعف هؤلاء الكفرة ممّا كرهوا في الطوامير، فقال عبدالملك: فرّجتها عني، فرّج الله عنك، وضرب الدنانير»[3].

* * *

(١) الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية ـ مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٢/١٩٦٥م، ص ١٣٣.

(٢) الآية الأولى من سورة الإخلاص.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٣٥-٣٣٦.

الفصل الرابع
الكاغد أو الورق

الكاغَد: بفتح الغين، لفظ فارسي، عرّب[1]. تتواشج معانيه مع لفظ القرطاس والورق، فهو عند الفيروزآبادي[2]، الكاغد ـ القرطاس، وعند ابن منظور[3]، الكاغد معروف، وهو فارسي معرّب، وعند الشيخ أحمد رضا[4] «الورق ـ الكاغد»، إلا أنه أعطاه صفة البياض، فقال: يتخذ من أدم أو قطن أو كتان. والورق: من أوراق الشجر والكتان، والواحدة ورقة[5]. وقد فصّل القلقشندي الاسمَ، وأزال الكثير من الالتباسات الناشئة في المعاني المرادفة له، من حيث تسمياته بالكاغد والقرطاس والورق، حيث قال: الورق، بفتح الراء: اسم جنس يقع على القليل والكثير، واحده ورقة، وجمعه أوراق، وجمع الورقة ورقات، وبه سمّي الرجل الذي يكتب ورّاقاً[6]. وأضاف: وقد نطق القرآن بتسميته قرطاساً وصحيفة، ويسمى أيضاً الكاغد، وكذلك «المهراق».

وعلى ما يبدو أن مسألة الاستخدام اليومي للورق أو الكاغد أخذت تفرز المعنى الأعمق للاصطلاحين، فالكاغد هو الأسبق في التداول والاستخدام،

---

(١) أدّي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ط١، بيروت ١٩٠٨م، ص ١٣٦.

(٢) القاموس المحيط، مادة «الكاغد».

(٣) اللسان، مادة «كغد».

(٤) متن اللغة، مادة «ورق».

(٥) اللسان، مادة «ورق».

(٦) صبح الأعشى، ٢/٤٧٦.

ودأب الناس عليه، ثم استعيض عنه باصطلاح ـ ورق ـ بعد أن خصّص استعماله للكتابة أكثر من بقية الاستخدامات، وبعد أن حسّنت عجينة صناعته، فاصطلاح كاغد عند العراقيين الآن يعنون به ـ الورق الأسمر ـ حصراً، والمستخدم لصناعة الأكياس الورقية، وبه تعجّ أسواق «الشورجة» في بغداد ـ الرصافة. بينما يتميّزون بفهمهم اصطلاح ـ ورق ـ أنه هو ذاك المتخذ للكتابة وحدها، ومنه تتخذ سجلات الدوائر الحكومية وغيرها.

وعندما توصل المسلمون إلى اكتشاف صناعة الورق، رأوا منه مادة ليّنة، خفيفة، سهلة الحمل والنقل، لا تتطلب حيزاً كبيراً، كالجلود والرقوق، فأكثروا منه إكثاراً عظيماً، جعل من الكتب أضعافاً مضاعفة[1].

يعود الفضل في معرفة صناعة الورق إلى الصين، وكان الورق الصيني، قد عرفه التجار العرب واستوردوه منهم، فقد كان هؤلاء التجار على اتصال تجاري ببلاد الشرق الأقصى[2]. وكان لمدينة سمرقند[3] الفضل الأكبر في إنشاء صناعة الورق في العالم الإسلامي؛ حيث إنها كانت أول مدينة إسلامية صنّع فيها الورق، وهذه المدينة فتحها في العصر الأموي القائد المشهور قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٨٧هـ[4].

وسمرقند «هي المدينة التي عرفت بكواغدها، التي عطلّت قراطيس مصر، وكسّدت الجلود التي كانت الكتابة بها، وكواغدها أنعم وأحسن وأرفق» كما يقول الثعالبي[5].

---

(١) كوركيس عوّاد، مقالة الورق أو الكاغد، المرجع المذكور آنفًا ص ٤١٧.

(٢) المرجع السابق، المكان نفسه.

(٣) انظرها عند ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/٢٤٧-٢٥٠.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٩٢-٥٩٣.

(٥) ثمار القلوب، ص ٥٤٣، ولطائف المعارف، ص ٢١٨.

غزا المسلمون مدينة «أطلح» سنة ١٣٤هـ بقيادة زياد بن صالح[١]، وكانت هذه الوقعة ضمن حدود بلاد الصين، وقد أوضحت المصادر[٢] أن زياداً هذا قد وقع في أسره من تلك المدينة الصينية أناس يعرفون صنعة الكاغد، وأحلّهم في سمرقند، فأنشئوا هناك مصانع لصناعة الورق، وانتشرت الصناعة، وصارت تحمل منها الكواغد إلى سائر البلاد الإسلامية، وراحت سمعة الكواغد السمرقندية تطير في الآفاق، والطلب عليها يزداد، وقد نوّه ابن الوردي[٣] بذلك، وأشار إلى أن خصائص سمرقند بالكواغد التي أزرت بكواغد الأرض في الطول والعرض والجلود الرقاق، التي لا توجد في الدنيا. كما أن السمعاني قد أوضح في الأنساب[٤] أن «الكاغذي نسبة إلى عمل الكاغذ، الذي يكتب عليه وبيعه، وهو لايعمل في المشرق إلاّ بسمرقند، وذكر أسماء طائفة من الذين عرفوا بالكاغذي. وقد أحنى ابن حوقل على ذكر أهل سمرقند ووصفهم بأن لهم الكاغد الذي لا نظير له في الجودة والكثرة[٥]».

ومن هذا يتضح أن الإقبال على أوراق سمرقند أخذ يأتي من كل الممالك الإسلامية، لاسيما عاصمة الدولة العباسية بغداد، نظراً للحاجة الماسّة إليه، وقد أدرك الخلفاء العباسيون أهمية وجود صناعة الورق في بغداد، فقد ذكر

(١) زياد بن صالح الحارثي، كان والي الكوفة عند قيام الدولة العباسية في خراسان والعراق، خرج على بني العباس في ما وراء النهر، قتل سنة ١٣٥هـ على يد أبي مسلم الخراساني، راجع الطبري ٧/٤٦٦، أحداث سنة ١٣٥هـ.

(٢) المسالك والممالك، رواية الثعالبي في الثمار، ص ٥٤٣، والقزويني في: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٣٦، منشورات دار صادر، بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

(٣) ابن الوردي، فريدة العجائب، طبعة محمد شاهين، القاهرة ١٣٨٠هـ، ص ٢٣١، وراجع كوركيس عواد، ص ٤١٩.

(٤) السمعاني، الأنساب، مادة «الكاغذي»، ١٠/٣٢٦.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ٢/٤٦٥، ط٢، طبعة ليون ١٩٣٩م.

ابن خلدون[1] أن العمران واتساع نطاق الدولة سبب كثرة التآليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار، فانتسخت السجلات وجلّدت، وجاءت صناعة الورّاقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين، واختصت بالأمصار العظيمة العمران، ولما طما بحر التأليف والتدوين، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه، وضاق الرّق عن ذلك، أشار الفضل بن يحيى البرمكي مستشار الدولة العباسية بضرورة وجود صناعة الكاغد، فصنّع، وكتبت فيه الرسائل والصكوك السلطانية، ثم اتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الإجادة في صناعته ماشاء الله، ثم غدت صناعة الورق معروفة ومتداولة، ومن المهن الشريفة، حتى إن إخوان الصفا عدوها من الصناعات الروحية[2]، فقد نصّت رسائلهم على أنّ صناعة الورق من الصناعات الروحية، باعتبار أن ماهيّتها من أصول نباتية، لأن لحاء النبات يدخل في تركيبها وصناعتها. وقد راجت أيما رواج وراحت العامة والخاصة من الناس تتعامل بها وتتعاطاها. وما من شك في أن سوق الورّاقين ومهنة الوراقة كانت نتيجة منطقية لهذه القفزة الحضارية، ساهمت في تنشيط هذه الصناعة، بل إن هذه الصناعة ذاتها كانت عامل دعم ووجود وديمومة وتطور لمهنة الوراقة، كما أنها ساهمت في نشر الوعي والثقافة إلى حد كبير.

---

(١) المقدمة: نشرة دار إحياء التراث، ط٤، بيروت، ص ٤٢١.

(٢) رسائل إخوان الصفا بعناية خيرالدين الزركلي، الطبعة المصرية، القاهرة ١٩٢١م، الرسائل ١/ ٢١٤.

صناعة الورق في بغداد:

من إشارة ابن خلدون، المارة الذكر[1]، يمكن تحديد الفترة التي ظهرت فيها صناعة الورق في بغداد. فالفضل بن يحيى البرمكي[2]، هو الذي أنشأ مصنعاً للورق في بغداد، وكان مولده سنة ١٤٧هـ ووفاته سنة ١٩٣هـ، ويمكن الركون إلى أن الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة هو المحط الزمني الذي يمكن اعتماده في تأريخ الحدث ـ صناعة الورق ـ[3]، ولمّا تسنّم أخوه جعفر بن يحيى الوزارة في أيام الرشيد، أحلّ الورق محل الرقّ في دواوين الدولة، وذلك لأن الورق قد كثر في زمان الرشيد، فأمر أن لا يكتب إلاّ في الكاغد[4] تجنّباً لحالة الغش والمحو والإعادة والتزوير التي تحدث في الرقوق، لأن الورَق لا يقبل ذلك.

وعندما حلّ القرن الرابع، وقد زهت بغداد بآدابها وعلومها، ووصلت الحضارة فيها إلى أوجها، كانت مصانع الورق وحوانيته منتشرة في أكثر من مكان، وقد أشار الصولي إلى ذلك في معرض حديثه عن حريق الكرخ العظيم الذي وقع في شهر ذي القعدة من سنة ٣٣٢هـ حيث قال:[5] «ووقع في هذا الشهر بالكرخ حريق عظيم من حد طاق التك إلى السماكين، وعطف على أصحاب الكاغد وأصحاب النعال..». ولم تقتصر سكك الكرخ ودروبه على حوانيت الورق ومصانعه، بل تعداه إلى محال أخرى، حيث ذكر ياقوت الحموي أن محلة «دار القز» وهي محلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء، فيها

---

(١) المقدمة، ص ٤٢١.

(٢) انظر ترجمته في وفيات الأعيان، ٤/ ٢٧، الترجمة رقم ٢٧.

(٣) راجع أيضاً: كوركيس عواد، المقال المذكور، ص ٤٢٦.

(٤) صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٥-٤٧٦.

(٥) أخبار الراضي والمتقي، الأوراق، للصولي، ص ٢٦١-٢٦٢.

يعمل الكاغد[1]، كما ذكر محال أخرى كانت تتعامل بالكاغد من أمثال: «جهارسوج، والنصريّة، والعتابيّون، ودار القز»[2]. وهذه المحال كانت ضمن منطقة الحربية، ومتصلة بعضها ببعض، ظلت ماثلة في آخر خراب بغداد «المئة السابعة للهجرة» وفيها مصانع للورق.

ونظراً لكون بغداد حاضرة الدولة الإسلامية في أيّام العباسيين، فمن المنطقي أن تكون هي المركز التجاري، الذي تتعامل معه بقية أطراف الدولة، لذلك شكّلت عملية تجارة الورق بينها وبين بقية الأقطار حالة دائمة التفاعل ومتطورة، وقد طغت سمعة الورق البغدادي على الكثير من أقطار الخلافة الإسلامية، وظلّت هذه السمعة قائمة طوال عصور الخلافة العباسية ومابعدها، حتى إن المتأخرين من الكتّاب والمؤرخين يذكرون أهمية هذا الورق وميزاته وجودته، وسيادة نوعيته على بقية أنواع الورق، من ذلك ما ذكره القلقشندي[3] من أن أحسن أنواع الورق ما كان ناصع البياض غرفاً صقيلاً، متناسب الأطراف، صبوراً على مرور الزمان، وهو ما كان يتناسب ومواصفات الورق البغدادي، حيث ذكر أنه: ورق ثخين مع ليونة ورقّة حاشية، وتناسب أجزاء، وقطعه وافر جداً، ولا يكتب فيه في الغالب إلاّ المصاحف الشريفة، وربما استعمله كتّاب الإنشاء في مكاتبات القانات ونحوهما في المكاتبات السلطانية[4]، وهذا الأمر يكشف أهمية الورق البغدادي ونفاسته؛ فقد كان يستعمل للأمور الجليلة، كما هو موضّح أعلاه، وهذه الميزات الصناعية والفنية

---

(١) معجم البلدان، ٢/ ٤٢٢، مادة «دار القز».

(٢) المصدر السابق، ٢/ ١٩٣- ١٩٤، مادة «جهارسوج».

(٣) صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٦.

(٤) المصدر السابق.

للورق البغدادي تكشف مدى التطور في صناعة الورق، وتوفّره في بغداد، وندرته في غيرها.

وثمة أفضلية للورق البغدادي على غيره، فقد كان بعض الوزراء يهدونه إبّان تسنّمهم مقاليد الوزارة، هو وبعض الأمور الأخرى كالشمع والثلج[1]، نظراً لغلاء هذه المواد، وقد ذكر ابن الطقطقي أن ابن الفرات ـ الذي تولى الوزارة للمقتدر ثلاث مرّات ـ كلّما ولي الوزارة يغلو الشمع والثلج والكاغد، لكثرة استعماله لذلك، لأنه ما كان يشرب أحد ـ كائناً من كان ـ في داره إلاّ الماء البارد، ولا كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب إلاّ وبين يديه شمعة كبيرة نقيّة، صغيراً كان أو كبيراً، وكان في داره حجرة معروفة بحجرة الكاغد، كل من دخل واحتاج إلى شيء من الكاغد أخذ حاجته[2] منها، وأضاف الصابىء إلى ذلك أن ابن الفرات كان قد خصص مبالغ للصحف والقراطيس والكاغد[3].

ومن بغداد انتقلت صناعة الورق إلى بلاد الشام، فأنشئت فيها معامل صنعت أنواعاً نفيسة من الورق، وقد كانت طرابلس الشام من عيون المدن التي فاقت سواها من البلدان في صنع الورق[4]. فقد ذكر ناصر خسرو أن أهل هذه المدينة يصنعون بها الورق الجميل مثل ورق سمرقند، بل أحسن منه[5]، كما وجدت صناعات للورق في طبرية ودمشق أيضاً[6]، كما أشار محمد

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم، ١/ ١٢٠، وكوركيس عواد، المجلة المذكورة، ص ٤٢٩.

(٢) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، تحقيق محمد توفيق الكتبي، منشورات المطبعة الرحمانية بمصر، ص ١٩٦.

(٣) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبدالستار أحمد فرّاج، طبعة البابي الحلبي، مصر ١٩٥٨م، ص ٢٦.

(٤) كوركيس عواد، المجلة المذكورة، ص ٤٢٩.

(٥) ناصر خسرو، سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٤٥م، ص ١٣.

(٦) كوركيس عوّاد، ص ٤٢٩.

كرد علي[1] إلى وجود صناعة الورق في حلب وحماة ومنبج.

وبمرور الزمن وتطور الأحداث السياسية في بلاد المغرب والأندلس، وسعة انتشار التجارة في البلدان الإسلامية، انتشرت صناعة الورق في الغرب عن طريق صقلية والأندلس ومراكش، ومن هذه البلدان انتقلت صناعة الورق إلى بلاد الإفرنج الأخرى.

فمن المعروف أن العرب كانوا قد أنشأوا في جزيرة صقلية «مصانع لصناعة الورق»، ومنها وصلت إلى المدن الإيطالية[2]، كما عرفت بلاد الأندلس هذه الصناعة، فقد كانت مدينة «شاطبة» أشهر المدن الأندلسية الواقعة في شرق الأندلس مشهورة في صناعة الورق، ذكرها ياقوت الحموي مشيراً إلى أن فيها يعمل الكاغد الجيّد، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الأندلس[3]، أما مصر فمعروفة بقراطيسها المشهورة.

وعلى مايبدو، فإن بغداد تميّزت عن بقية الأمصار الإسلامية بالمحافظة على جودة ورقها، فقد عدّه القلقشندي[4] في المرتبة الأولى، فيما يكون دونه في المرتبة الورق الشامي، ثم يلي ذلك الورق المصري، وهو على نوعين أو قطعين: المنصوري والعادي، والمنصوري أكبر قطعاً، وقلّما يصقل وجهاه جميعاً، وهذا الذي يصقل وجهاه يسمى في عرف الورّاقين بـ «المصلوح»، وغيره عند المصريين على رتبتين: عال ووسط، وفيه صنف بالغويّ، صغير القطع، خشن غليظ، خفيف الغرف، لا ينتفع به في الكتابة، فيتخذ للحلوى والعطر ونحو ذلك[1].

---

(١) خطط الشام، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، ٢/ ٢٤٢-٢٤٤.

(٢) كوركيس عواد، ص ٤٣٢.

(٣) معجم البلدان، ٣/ ٣٠٩، مادة «شاطبة».

(٤) صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٦.

(٥) المصدر السابق، ٢/ ٤٧٧.

أما الورق في الغرب والفرنجة، فهو رديء جداً كما يقول القلقشندي[1]، سريع البلى، قليل المكث، لذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الأولى طلباً لطول البقاء.

مقاطع الورق ومقاساته وأنواعه:

كان للورق دور مهمّ في التجارة، فالنوع البغدادي ـ مثلاً ـ لا يحقق ربحاً مادياً للتاجر فقط، بل يحقق راحة نفسية للكاتب أو الورّاق الذي يشتغل به، ويرتبط النوع بالمادة الأساسية في صناعة عجينته، وشكل ورقته ونعومتها وخشونتها... إلخ، وكان القطن والمواد النباتية الأخرى من الأمور التي استعملها العرب في صناعة الورق.

وقد أوضح القلقشندي[2] أهم الصفات المطلوبة في الورق، كأن يكون ناصع البياض، غرفاً صقيلاً، متناسب الأطراف، صبوراً على مرور الزمان، وذكر النديم[3] أن هناك أصنافاً منه، أشهرها الخراساني الذي يعمل من الكتان، وهناك أنواع منه سمّاها بالسليماني والطلحي والنوحي والفرعوني والجعفري والطاهري، وقد أسند كوركيس عواد هذه الأنواع إلى من نسبت إليه في خراسان. والنوحي كأنه منسوب إلى «نوح» الساماني أحد أمراء الدولة الطاهرية التي حكمت تركستان وفارس، أما الورق الفرعوني[4]، فضرب آخر نافس ورق البردي في عقر داره، وأقدم النصوص العربية التي عثر عليها مدوّنة في

(١) صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٧.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٤٧٦.

(٣) الفهرست، ص ٣١ -٣٢.

(٤) مقالته المذكورة في مجلة المجمع العلمي، مجلد ٢٣، ص ٤٢٢.

هذا الورق يعود تاريخها إلى سنة ١٨٠ ـ ٢٠٠هـ/ ٧٩٦ ـ ٨١٥م[1]. أما الورق الجعفري، فمنسوب إلى جعفر البرمكي، فيما نسب ياقوت الحموي الورق الجيهاني إلى مدينة جيهان في خراسان[2]، والورق المأموني إلى الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد[3]، والعهدة على كوركيس عواد.

وذكر السمعاني[4] أن الكاغد المنصوري، ينسب إلى أبي الفضل منصور ابن عبدالرحيم بن متى بن بحير الكاغدي من أهل سمرقند، وذكر أيضاً أن الكاغد الحسني ينسب إلى أبي علي الحسن بن ناصر الكاغدي المعروف بالدهقان، وهذا الورّاق لم يلحقه من سبقه في جودة الصنعة ونقاء الآلة وبياضها، وهو من أهل سمرقند أيضاً. ويقول المقريزي[5]: إن الورق المنصوري تقع مصانعه بالفسطاط دون القاهرة.

أمّا بلاد فارس فقد اشتهرت مدينة «خونج» فيها بجودة الورق المعروفة بـ«كاغد كنان» أي صنّاع الكاغد[6].

مقاييس الـورق:

خضعت مقاييس الورق وحجوم قطعه إلى حاجاته في الاستخدام بين دوائر الدولة وحاجات سوق الورّاقين منه، ووفق قياسات معيّنة، أخضعها القلقشندي إلى واقع طبقي ملحوظ، كان سائداً في عصره ـ المئة التاسعة ـ إضافة إلى الشكل الرسمي للقطع المستعمل في المراسلات الديوانية ـ السلطانية،

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة «كاغد».

(٢) معجم البلدان، ٢/٢٠٢، مادة «جيهان».

(٣) كوركيس عواد، ص ٤٢٣.

(٤) الأنساب، ١٠/٣٢٧، مادة «الكاغدي».

(٥) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٢/١٨٩، الطبعة المصرية ١٣٢٤هـ.

(٦) ياقوت الحموي، ٢/٤٠٧ مادتا «خونا وخونج».

ومراسلات الشعب في إطار الأدب والإخوانيات، فقد ذكر(١) على لسان محمد ابن عمر المدائني صاحب كتاب القلم والدواة أن الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها في عهد معاوية بن أبي سفيان، وذلك أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار(٢)، وإلى الأمراء من نصف طومار، وإلى العمّال والكتّاب من ثلث وإلى التجار وأشباههم من ربع، وإلى الحسّاب والمسّاح من سدس، ويضيف: فهذه مقادير لقطع الورق في القديم وهي: الثلثان، والنصف، والثلث، والربع، والسدس، ومنها استخرجت المقادير، متخذة القطع البغدادي أساساً في التقسيم والقطع والتميُّز والمفاضلة؛ لأنه يحتمل هذه المقادير، بخلاف الشامي، لاسيما وبغداد إذ ذاك دار الخلافة، فلا يحسن أن يقدر بغير ورقها مع اشتماله على كمال المحاسن(٣).

وقد كانت أبرز المقادير للقطع حتى المئة التاسعة والمستعملة في دواوين الدولة، هي التي ذكرها القلقشندي وهي تسعة مقادير، مبيّنة على النحو التالي(٤):

١ ـ **قطع البغدادي الكامل:** وعرض دَرْجه عرض البغدادي بكماله، وهو ذراع واحد بذراع القماش المصري، وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بالذراع المذكور، وفي هذا النوع كانت تكتب عهود الخلفاء وبيعاتهم، وعهود أكابر الملوك، والمكاتبات إلى الطبقة العليا من الملوك كأكابر القانات(٥) من ملوك الشرق.

(١) صبح الأعشى، ٦/١٨٩.

(٢) الطومار = الورقة الكاملة.

(٣) المصدر السابق، ٦/١٨٩.

(٤) المصدر السابق، ٦/ ١٩٠-١٩٢.

(٥) سياق العبارة يوضح أن المعنى المقصود هو (أكابر الملوك ـ الإمبراطور) ولم أجدها في القاموس التركي ـ العربي ـ مادة (قان)، إلا أنه أوضح أن (خاقان) تعني السلطان الأعظم ـ نفس القاموس ـ مادة خاقان ـ انظر: الدراري اللامعات في منتجات اللغات، أو قاموس اللغة العثمانية، طبعة بيروت ١٣١٨هـ.

٢ ـ **قطع البغدادي الناقص**: وعرض درجه دون عرض البغدادي الكامل بأربع أصابع مطبوقة، وفيه يكتب للطبقة الثانية من الملوك، وأحياناً يكتب فيه للطبقة العليا منهم إذا حصل عوز في البغدادي الكامل.

٣ ـ **قطع الثلثين من الورق المصري**: والمراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري، وعرض درجه ثلثا ذراع بذراع القماش المصري، وفيه تكتب مناشير الأمراء المقدّمين، وتقاليد النوّاب الكبار والوزراء، وأكابر القضاة ومن في معناهم، ولم تجر العادة بمكاتبة الأبواب السلطانية فيه.

٤ ـ **قطع النصف**: والمراد به قطع النصف من الطومار المنصوري، وعرض درجه نصف ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب مناشير الأمراء الطلبخاناه، ومراسيم الطبقة الثانية من النوّاب، والمكاتبات إلى الطبقة الثانية من الملوك.

٥ ـ **قطع الثلث**: والمراد به ثلث القطع المنصوري، وعرض درجه ثلث ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب مناشير أمراء العشرات ومراسيم صغار النوّاب والمكاتبات إلى الطبقة الرابعة من الملوك.

٦ ـ **القطع المعروف بالمنصوري**: وعرضه تقدير ربع ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب مناشير المماليك السلطانية ومقدمي الحلقة ومناشير عشرات التركمان ببعض الممالك الشامية وبعض التواقيع وما في معنى ذلك.

٧ ـ **القطع الصغير**: ويقال فيه قطع العادة، وعرض درجه تقدير سدس ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب عامة المكاتبات لأهل المملكة وحكّامها، وبعض التواقيع والمراسيم الصغار، والمكاتبات إلى حكّام البلاد بالممالك، ومايجري هذا المجرى، وقد كان هذا القطع والذي قبله في أول الدولة التركية على حد تعبير القلقشندي[1]، وطول كل وصل منه شبران وأربع أصابع مطبوقة.

---

(١) صبح الأعشى، ٦/ ١٩١.

٨ ـ قطع الشامي الكامل: وعرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله، وهو قليل الاستعمال بالديوان، إلا أنه ربما كتب فيه بعض المكاتبات.

٩ ـ القطع الصغير: وهو في عرض ثلاث أصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية، وفيه تكتب ملطّفات الكتب وبطائق الحمام.

ونظراً لكون بلاد الشام ومصر توازي بغداد العباسية، فقد خصّها القلقشندي بوقفة صغيرة في مضمار استخدامات الورق ومقاديره المستعملة في كل بلد أو مدينة، مشيراً إلى أنهم كانوا يستخدمون أربعة مقادير ـ هي: قطع الشامي الكامل، وقطع نصف الحموي، وقطع العادة من الشامي، وقطع ورق الطير[١]. ثم ذكر أن حال بقية البلدان ـ غير الشامية والمصرية ـ مختلف، فبلاد المشرق تأخذ بالمقادير التسعة المارة الذكر، أما بلاد المغرب والسودان والفرنج فجرت العادة عندهم في الكتابة في طومار واحد يزيد طوله على عرضه قليلاً، مابين صغير وكبير، بحسب ما يقتضيه حال المكتوب[٢].

أما المؤلفات التي تناولت كيفية صناعة الورق فقد أشار إليها كوركيس عواد في بحثه المنشور في **مجلة مجمع اللغة العربية**[٣].

---

(١) صبح الأعشى، ٦/١٩٢-١٩٣.

(٢) صبح الأعشى، ٦/١٩٣.

(٣) المجلد ٢٣ مج ٣ (تموز) ١٩٤٨م. من هذه المؤلفات القليلة في مصادرنا العربية الإسلامية: مخطوط في خزانة كوركيس عواد يقع في ٥٣ ورقة عنوانه كتاب **فضل القلم والخط وأعمال المداد** لا يعلم اسم مؤلفه، أشار في الباب الحادي عشر منه عنوان «في عمل الكاغد وصقل وترتيب الأقلام» استغرق هذا الباب ٤ صفحات.

ـ وفي دار الكتب المصرية ـ رسالة مخطوطة عنوانها **صناعة الورق والليق والحبر** تأليف محمود=

علاقة حجوم الورق بالأقلام (الخطوط):

لم تفت ورّاقي ذلك الزمان وكتّابه مسألة علاقة القلم بالورقة، هذه العلاقة السرمدية التي لاينفصل بعضها عن بعض مطلقاً، ونظراً للتطور المستمر الحاصل في صناعة الورق من جهة، وتحسّن أداء القلم، وبروز مدارس للخط العربي من جهة ثانية، فإن مصانع الورق أخذت تستجيب لطلب سوق الورّاقين من المقادير المطلوب توفّرها من الورق، والنوعية المحبّذة في ذلك، وهو أمر يشير إلى الإيقاع المتصاعد للحضارة العربية الإسلامية في تلك العصور، وهذه الناحية تكشف رهافة الحس، وجمالية الذوق الفني عند كتّاب تلك الفترة، بحيث إنهم جعلوا لكل قطع من الورق قلمًا خاصًا به، فقد ذكر المقرّ الشهابي ابن فضل الله في كتابه التعريف مايناسب كل مقدار من مقادير الورق من أقلام الخط المنسوب[1]، فقال: إن لقطع البغدادي قلم مختصر الطومّار، ولقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف، ولقطع الثلث قلم التوقيعات، ولقطع العادة قلم الرقّاع، ثم يضيف: ومن ذلك يعلم مايناسب كل قطع من مقادير القطع المستعملة بدواوين الإنشاء في (مصر) والممالك الشامية، فيناسب الشامي الكامل قلم التوقيعات، لأنه في مقدار قطع الثلث البلدي أو قريب منه، ويناسب نصف الحمويّ والعاده من الشامي قلم

= خليفة بن سليمان بن عبدالرحمن بن مصطفى أفندي، تقع في ٤ ورقات.

ـ في الخزانة الآصفية ـ بالهند ـ مخطوطة برقم (٢٢١) من كتاب المخترع في فنون من الصنع كتبها محمد بن قوام بن صفي بن محمد ضياء ترك ناكوري، المعروف بقاضي خان في سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م، يقوم هذا الكتاب من خمسة عشر بابًا، خامسها يحمل عنوان «في عمل الكاغد البلدي على اختلاف أصنافه، ووضع الأسرار في الكتب، وما يمحو الدفاتر والرقوق».

ـ كل هذه الحاشية أخذت من مقالة كوركيس عواد ص ٤٣٥-٤٣٥ من المرجع المذكور.

(١) نوع من أنواع الخط.

الرقّاع، لأنهما في معنى القطع المنصوري، والعادة في الديار المصرية، أما قلم الجناح فلكتابة بطائق الحمام، أما ما يكتب به الخلفاء أسماءهم في الزمن القديم فبقلم الطومار، وهو القلم الجليل الذي لا قلم فوقه[1].

ولم يتوقف كتّاب وورّاقو تلك الفترة الزاهية عند هذا الحد، بل أضافوا إلى الجميل ماهو أجمل، في علاقة الورق بالقلم، حيث إنهم أسقطوا رؤيتهم الجمالية النفسية على تلك العلاقة، فأعطوها دفقاً آخر، ينطلق من بعد معرفي مهني، وذلك بأن جعلوا قواعد فنيّة لشكل ومساحة الكتابة على الورق، من حيث المساحة المتروكة للبياض، وكيفية البدء بالبسملة، وما يترتّب على الحاشية، وموضع التوقيع، وغير ذلك من الأمور الفنية المتعلقة بسطور الكتابة.

يقول القلقشندي[2] في هذا الباب: أمّا مقدار البياض قبل البسملة، فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق، فكلّما عظم قطع الورق، كان البياض فيه أكثر، فقطع البغدادي يترك في ستة أوصال بياضاً، وتكتب البسملة في أول السابع، وقطع الثلثين يترك في خمسة أوصال، وقطع النصف يترك في أربعة أوصال، وقطع الثلث يترك فيه ثلاثة أوصال، وقطع المنصوري والعادة تارة يترك فيه ثلاثة أوصال، وتارة يترك فيه وصلان، بحسب ما تقتضيه الحال، وقطع الشامي الكامل في معنى قطع الثلث، وقطع نصف الحموي والعادة من الشامي في معنى القطع المنصوري والعادة في البلدي. وربما اجتهد الكاتب في زيادة بعض الأوصال ونقصانها، بحسب ما تقتضيه الحال. ثم يضيف[3] وفي المكاتبات الصادرة عن سائر أرباب الدولة في مصر والشام، يترك في جميعها

(١) صبح الأعشى، ٦/ ١٩٤- ١٩٥.

(٢) المصدر السابق، ٦/ ١٩٥.

(٣) المصدر السابق، ٦/ ١٩٥.

قبل البسملة وصل واحد فقط، وفي كتابة الأدنى إلى الأعلى، يترك بعض وصل.

أما في حاشية الكتاب، فبحسب اجتهاد الكاتب فيه، في السعة والضيق، ويشير القلقشندي[1] إلى أنه رأى بعض الكتّاب المعتبرين يقدّر حاشية الكتاب بالربع من عرض الدّرج، وهو اعتبار حسن لا يكاد يخرج عن القانون.

وأما البُعد بين السطور فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق، ففي الكتب الرسمية «السلطانيات» كما يسميها القلقشندي[2] على اختلاف قطع الورق تكتب فيها البسملة في أول الفصل، بعد ما يترك من أوصال البياض في أعلى الدّرج، بحسب ماتقتضيه الحال، ثم يكتب تحت البسملة سطراً ملاصقاً لها بحسب ما يقتضيه القلم المكتوب به في القرب والبعد، وبحسب الدقّة والغلظ، ثم يكتب السطر الثاني في آخر الوصل الذي كتبت البسملة في أوله، بحيث يبقى من الوصل ثلاث أصابع مطبوقة أو نحوها في القطع الكبير، وقدر أصبعين في القطع الصغير وما بينهما بحسبه.

أما في المسافات المتروكة في البياض بين السطور، فقد أشار ابن شيت[3] في «معالم الكتابة» إلى أن مقدار مابين كل سطرين يكون ثلاث أو أربع أصابع، ويعلّق القلقشندي على ذلك بالقول[4]: والذي جرت به عادة الكتّاب في زماننا ـ القرن التاسع الهجري ـ أن يكون في قطع العادة والمنصوري في كل وصل من أوصاله ثلاثة أسطر، وفيما عداه سطران، وربما وقع التفاوت في

(١) صبح الأعشى، ٦/١٩٦.

(٢) المصدر السابق، ٦/١٩٦.

(٣) كان في آخر الدولة الأيوبية، القلقشندي، ٦/١٩٦.

(٤) المصدر السابق، المكان نفسه.

القطع الصغير، بحسب الحال، حتى يكون في التواقيع التي على ظهور القصص «العرائض» ونحوها بين كل سطرين، بعد بيت العلامة قدر إصبعين، وربما تواصلت الأسطر كما في الملطفات ونحوها.

أما ما يكتب عن النوّاب في الولايات والمكاتبات، من سائر أعيان الدولة، فدون السلطانيات، في مقدار خلوّ موضع العلامة، وهو بين قدر خمس أصابع مطبوقة ونحوها، وقدر بعد السطور فيما بعد بيت العلامة من قدر أصبعين إلى مادونهما[1].

إن للعرب والمسلمين الفضل والمبادرة في شيوع مصانع الورق في العالم الإسلامي أولاً، وفي العالم الأوروبي ثانياً، فهم الذين عنوا بنقله منذ عهد بعيد ـ أي منذ المئة الثانية للهجرة ـ كما يقول كوركيس عواد[2]، فقد جاءوا به من بلاد الصين إلى سمرقند، فبغداد فالشام فمصر فالمغرب فالأندلس، وأدخلوا عليه من فنون التحسين والتجويد، كما أن معامل الورق قد ازدهرت في كثير من البلدان الإسلامية، واختلفت باختلاف البلد الذي هي فيه من حيث الجودة والصقل والخشونة واللين، والقطع وغيرها، وهي تعتمد في ذلك على العمل اليدوي، وظلت كذلك حتى القرن التاسع عشر الميلادي حيث أدخلت الآلات لصناعة الورق[3]، وقد كانت الدفعة القوية الثانية لصناعة الورق، عندما أمكن استخدام الطرق الكيميائية، حيث تستخلص الألياف السليلوزية من النباتات،

---

(١) صبح الأعشى، ٦/١٩٦.

(٢) مقالته، الورق أو الكاغد، المتقدمة الذكر، ص ٤٣٨.

(٣) ننوه هنا بدراسة حسين كمال الدين زكي، صناعة الورق: نشأتها تطورها، المنشورة في مجلة الناشر العربي، ليبيا، العدد ٢، فبراير/ شباط ١٩٨٤م، ص ٧٢-٧٥، وكذلك مقالة الأستاذ مفتاح محمد دياب، قصة الطباعة وتطورها، المنشورة في العدد نفسه ص ٧٦-٧٩، حيث فيهما جهد مشكور لمتابعة تطور صناع الورق والطباعة.

وخاصة من أخشاب المناطق الباردة، وقد أدى اختراع الطباعة هذا[1] إلى ازدياد الكتب والمطبوعات بأعداد كبيرة، وفتح الآفاق الجديدة للتطور المعرفي، فنشرت الأعمال الأدبيــة وبعثت حضارات الشعوب، وبرزت مــهنة النشر وبيع الكتب، وشكلت عملاً تجارياً إضافـة إلى محمولها الثقافي، حيث أصـبحت الثقافة في متناول كل طبقات الشعب.

* * *

(١) على ذمة الباحث الأسـتاذ هادي العلوي فإن الطباعـة اخترعها أهل الصين وترجـع إلى القرن التاسع الميلادي، وهناك كتب مطبوعة قبل ظهور غوتنبرغ بأكثر من ستة قرون.

الباب الرابع

ظُهور مِهنة الوراقة



الفصل الأول
تمهيد تاريخي

كان للإسلام ـ ديناً وحضارة ـ دور مهم في تنشئة الثقافة العربية الإسلامية، ورعايتها والحفاظ عليها، فقد ارتبط القرآن باللغة العربية، وبهذا الارتباط أصبح التواشج الروحي الزمني، في وحدة متكاملة لا تعرف الانفصال والتجزّؤ، وقد جاء في التنزيل: ﴿الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)﴾ [يوسف] ، وبذلك توجّب على اللغة العربية وناطقيها أن يكونوا بمستوى هذا النزول والتميّز، من جهة، ومن جهة أخرى كان عليهم فرض تَحدّ حضاري مقابل الديانات السماوية الأخرى التي كانت سابقة على الإسلام من يهودية ومسيحية، لذلك نرى البدايات عند الصحابة والتابعين، قد انصبّت على جمع القرآن وتدوينه، بالأمور الممكنة ـ وقتذاك ـ وشكلت عظام الجمال وأوراق سعف النخيل، وجلود الحيوانات والرقوق، المواد الأساسية الأولى لتدوين القرآن، واستمرت هذه العملية أثناء حياة النبي محمد ﷺ وحتى وفاة عثمان بن عفان ـ الخليفة الثالث ـ، لقد كانت مسألة جمع القرآن وتدوينه رؤية أوليّة في العمق الحضاري للإسلام، إذ جسدت بهذه الخطوة اللبنات الأساسية لتكوين العقل العربي الإسلامي، فقد حددت المسار الفكري للمسلمين، ووضعت الممهدات الأخرى للقيام بعملية أوسع وأكبر لحفظ ثقافة العرب وآدابهم، فظهرت السجلات أو المدونات، كخطوة لاحقة على جمع القرآن وتدوينه.

ويُعد زيد بن ثابت ـ ذلك الصحابي الجليل من الرعيل الأول للمسلمين، وأول كاتب للوحي ـ النموذج للورّاق الأمين، فقد طلب منه أبوبكر الصديق أن يجمع القرآن ويدوّنه، ففعل ذلك بإبداع[1]، وقد كانت هذه المهمة من أشد المهام صعوبة وخطورة، إلا أنها أرست دعائم عملية النسخ والتوريق في الإسلام، ففيها ثبّت مبدأ الأمانة في النقل والتدوين، من وازع ديني وحضاري، وبرؤية إسلامية، وظل هذا المنهج سارياً وثابتاً في الكتابات العربية الإسلامية طوال فترة الخلافة الراشدية.

وعندما انتقلت الخلافة إلى العباسيين ـ بعد سقوط الدولة الأموية ـ تداخلت الثقافات المختلفة في بنية المجتمع العباسي، فتزاوجت الثقافات اليونانية والفارسية وغيرها مع العربية، فأوجدت حالة من «الديناميكية» المتطورة على أساس هذا التفاعل، فالعربية تأثّرت وأثّرت في اللغات والثقافات الوافدة إليها، وأصبح قانون (الداخل والخارج) محسوساً على مستوى الناس، لاسيما العلماء منهم والأدباء، فقد كانت شروحات الفلسفة اليونانية التي أبدعها الفلاسفة المسلمون قفزة حضارية هائلة، سمت بالمجتمع الإسلامي لأن يخطو نحو أفق الإنسانية درجة أعلى، وعلى أثر هذه الخطوة بدأت تتشكل الملامح الأوليّة للفكر الفلسفي الإسلامي، منطلقة من القرآن وماحوته آياته من فكر مثالي.

وهذا التشكّل بدأ يظهر في اللغة العربية، فظهرت المفردات الفلسفية وهي تستعير تعبيرات من الفلسفات الأخرى مسبوكة بإطار معرفي، واشتقاق عربي، ومتضمّنة تجاوزاً لأكثر من حدّ «للماورائية»، فقد ظهرت رؤية مادية واضحة القسمات في الفكر الفلسفي الإسلامي[2] عند الفارابي والكندي وابن سينا،

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢/ ٤٣١، الترجمة رقم ٨٥.

(٢) راجع في هذا الشأن، حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية.

وقد ظهرت هذه النزعات أكثر وضوحاً واشتمالاً في رسائل إخوان الصفا.

وأخذت مناهج الشريعة الإسلامية تطور مبدأ الاجتهاد في ضوء السنّة النبويّة، وأحاديث الرسول والصحابة، مشكلة الرافد الثاني للشريعة بعد القرآن، وجاعلة من الفكر الإسلامي فكراً زمنياً وروحياً[1]، مما حدا بالإنسان العربي والمسلم لأن ينزع نحو تحلل أسارير الروح من القيود الوهمية التي تكبّل عقله، لذلك أصبحت مسألة تعاطي علوم الفلسفة إحدى السمات الأساسية للمجتمع العباسي في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ثمّة مسألة هامّة طوّرت الفكر والحضارة الإسلامية في شروط تاريخيتها، ألا وهي (الفتوحات الإسلامية)؛ فقد أيقظت هذه الفتوح العقل العربي الإسلامي على مكامن الحضارة في تلك البلدان التي فتحوها، فأخذوا منها ماأخذوا، وأضافوا إليها شيئاً من روحهم وثقافتهم ودينهم، ويكفي أن نذكر في هذا الشأن، أن صناعة الورق جاءت نتيجة هذه الفتوحات[2]، مما يسر تطور الحالة الثقافية وتنشيط مهنة الوراقة كي تصبح ملبيّة لحاجات الناس الثقافية.

وقد امتدت هذه الفتوحات من المحيط الأطلسي إلى حدود الصين، وعبرت إلى القارة الأوروبية عن طريق الأندلس، وكان يصاحب هذه الفتوحات اللسان العربي، ذلك الصمّام الذي ظلّ محافظاً على التراث الإسلامي، وفارضاً لغته ومبادئه وفكره على اللغات التي صادفته مثل الآرامية واليونانية والقبطيّة والفارسية والتركية والبربريّة، حيث استسلمت هذه اللغات جميعاً ـ بحكم الفتح ـ أمام اللغة العربية باعتبارها لغة الدين الجديد، ولغة العلم

---

(١) لنا دراسة بهذا الصدد تحمل عنوان النظام الداخلي لحركة إخوان الصفا، نتحدث فيها عن هذه الأبعاد ـ صدرت عن دار عيبال ـ قبرص/عام ١٩٩١م.

(٢) سوف نعرّج على ذلك في الباب السادس الموسوم بـ «أعلام الورّاقين».

الوافد، وهذه المسألة فرضت على العرب والمسلمين أن يتنبهو إلى لغتهم، وهي تنطق في ألسنة غيرهم، ويشوبها التشويه في النطق، والكسر في إيقاعها الموسيقي، وهو ما يعرف بـ«اللحن»، فعالجوه عملياً ونظرياً، بأن وضعوا قواعد للنحو، وأساليب للكتابة والتعلم، وعقدوا الندوات للدرس، في مختلف البلدان التي فتحوها، وأصبحت اللغة العربية تستعمل بغزارة في الحياة العامة، وتحولت إلى لغة العلم والأدب، وهو الأمر الذي توجّب معه أن تكون هناك «مؤسسات» تعنى بعمل الكتاب وإصداره، فكان للورّاقين الدور الأبرز والأوضح في مثل هذه المؤسسات العلمية.

لقد خلقت هذه التطوات حالة في الرقيّ الحضاري، وانعكست هذه التطورات على حالة الصراع المذهبي للأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، حيث نشطت جميعها في الاتجاهات الفكرية، وتوزع هذا النشاط كلٌ في حقله الأرحب، ولقد استطاع العلماء المسلمون توكيد دورهم المعرفي، فألفوا تفاسير القرآن، ونشطوا في مسألة الفقه الإسلامي، وتعددت مذاهبهم فيه، وظهرت الفرق الإسلامية إلى السطح، وزادت عملية الصراع الفكري ثراء، فبرزت إلى الوجود الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة والقدرية والأشعرية والمذاهب الباطنية؛ كالإسماعيلية والقرمطية وغيرها، وصارت الديار الإسلامية ساحة عريضة لهذه التيارات الفكرية، تتصارع في حومتها، بين مؤيد ومعارض، حتى إن الفكر الإسلامي السنّي، السائد والمسيطر تاريخياً، تطور هو الآخر، حيث وجد فيه مذاهب أربعة، شكلت قوامه الأساسي حتى الآن، وهي المذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي.

لقد كان لهذه التيارات الفكرية المتعددة أعلامها ورجالها، ومؤيدوها

ومريدوها، ووراقوها، لذلك نشط كل تيار في إيجاد فكره و«أيديولوجيته» وتثبيتهما، فبرزت ظاهرة جديدة اسمها (الأدب الحزبي) وفق معناها المعاصر، وهذا يعني أن سوق الورّاقين ازدادت نشاطاً وحركة بمثل هذه الظواهر الفكرية والسياسية، وهو ما كان فعلاً.

وثمة مسألة أخرى ثقافية حضارية، لا تقلّ شأناً عن الظواهر السالفة الذكر، عنيت بها «الترجمة»، ذلك الحقل المعرفي الذي نشّط العقل العربي برمته، حيث أثرى المكتبة العربية بمختلف العلوم والفلسفات اليونانية والسريانية والهندية والفارسية وغيرها، وقد كان لبغداد المأمون الدور الريادي والرئيس في هذه العملية العالمية، التي سحبت ظلال وجودها على العصور اللاحقة لها، حتى عصرنا الحالي، نظراً لما تتمتع به من عملية إبداعية ثقافية إنسانية[1]، ولقد كان انعكاس هذه الظاهرة على الورّاقين بحدود غير طبيعية، حيث زادت من نشاطهم الكتابي بشكل خاص، وتفرّغ البعض منهم للنسخ في أروقة «دار الحكمة» المأمونية، مثل علاّن الشعوبي الورّاق.

أثّرت ظاهرة الترجمة في حالة العصر العباسي بأكمله، وصارت تجتذب كبار العلماء الناطقين بأكثر من لسان، وليس هذا فحسب، بل جلبت انتباه كبار الأدباء والمفكرين في ذلك العصر، فهذا الجاحظ يتناول الظاهرة من موقع معرفي، ليحدد أهميتها وخطورتها بشخص المترجم، فيقول[2]: «ولابّد للترجمان أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما

---

(١) لدينا دراسة قصيرة ـ قيد الطبع ـ تحت عنوان مترجمو بغداد في عصر المأمون، سوف ننشرها حال الفراغ من عملنا هذا.

(٢) الحيوان/ ٧١ ـ ٧٦.

سواء وغاية»، ويضيف: «ومتى وجدناه أيضاً قد تكلّم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما».

من هذه الزاوية يشعر الجاحظ بالخطورة المزدوجة على اللغتين، ومن هذا الباب تحديداً، يوجّه الجاحظ السبب في هذا الضيم، إلى وقع الالتباس في ذهن المترجم، يقول[1] «لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها، وكيف يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعتين فيه، كتمكنه إذا تفرد بالواحدة، وإنما له قوّة واحدة، فإن تكلّم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليها، وكذلك إن تكلّم بأكثر من لغتين، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات ، وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل، كان أشدّ على المترجم، وأجدر أن يخطئ فيه، ولن تجد البتّة مترجماً يفي بواحد من هؤلاء العلماء».

هذا النصّ الخطر يوضّح مدى الأهمية لعمل الترجمان، وهو حكم معرفي صادر من شيخ الأدب دون منازع في العصر العباسي، والجاحظ هنا أراد تثبيت الموقف المعرفي لهذه الظاهرة العلمية المهمة التي تداخلت بالثقافة العربية الإسلامية، وهو يدلي بهذا الحكم كي يوجّه الجميع إلى الكيفية التي يتم التعاطي بها مع الترجمة، نظراً لكونه نزيل سوق الورّاقين الدائم، والوراقون أجدر من غيرهم بالأخذ بها، لاسيّما وأن قسماً منهم اشتغل بالترجمة في سياق مهنة الوراقة.

إن جملة هذه الظواهر الحضارية الثقافية، كان لها الدور المهم في دفع عملية الوراقة إلى النمو والاتساع، عرضاً وطولاً، لتتعدى حاضنها الجغرافي ـ بغداد ـ وتنتقل إلى عواصم وحواضر إسلامية أخرى؛ كدمشق والقاهرة

---

(١) الحيوان/ ٧١-٧٦.

وقرطبة، وغيرها من الأمصار، حتى أصبحت مهنة الوراقة ذات أبعاد إسلامية معروفة القسمات.

وإلى جانب هذا التطور الثقافي، كان العامل الاقتصادي هو الأبلغ في التأثير على نمو هذه الظاهرة ـ الوراقة ـ وغيرها من أمور الحياة الاجتماعية الأخرى، فقد شهد العصر العباسي تحولاً كبيراً في النمو الاقتصادي، إذ تحول المجتمع العباسي من كونه زراعياً يسوده الأشراف والملاّكون، إلى مجتمع تجاري يسيطر على الطرق التجارية، وله فعاليات نشطة، شملت العالم القديم بين الشرق الأقصى وحوض البحر المتوسط، وفي ظلّ هذا الازدهار انتشرت المؤسسات الصيرفيّة «الجهبذة والصيرفة» كنتيجة منطقية لهذا النشاط التجاري، من جهة، والتطورات الاقتصادية العامة من جهة أخرى، فإلى جانب هذا التطور التجاري، شهدت الزراعة توسّعاً ملحوظاً، نتيجة التركيز على استغلال الأرض من الأمراء والأشراف والتجار، وبعض الملاكين الذين بدأوا يعيشون على الأرض، ثم صار السكن في الريف ظاهرة مألوفة في القرن الثالث الهجري.(١)

وإلى جانب هذا التطوّر الملحوظ في قطاعي التجارة والزراعة نشطت الصناعة هي الأخرى، فقد توسّعت لتسدّ الحاجات المتزايدة في المدن، واستجابة لطلبات التجارة واتجاه النشاط الاقتصادي، ولوحظ التبدل في هيكل الاقتصاد العام، حيث تحوّل من اقتصاد كفاف إلى اقتصاد السوق والرخاء، ورافق هذا التطور توسّع في الحياة المدنية، إذْ شهدت بغداد وغيرها من المدن الإسلامية توسّعاً واضحاً في السكان والمساحة، كما نشطت مجالات الكسب الكبيرة، وساعد على توسعها أيضاً الهجرة الواسعة من الريف، بسبب الاضطرابات ومشاكل

(١) د. عبدالعزيز الدوري التكوين التاريخي للأمة العربية، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ط١ ـ بيروت ١٩٨٤م/ ص ٩٧.

الجباية، وقد برز في التطور دور العامة، فقد عرفت بغداد منذ نهاية القرن الثاني تنظيمات خاصة للحرف ـ الأصناف «النقابات» ـ حيث ظهرت بينهم روابط شبه عسكرية مثل «العيارين والشطار[1]»، والفتيان[2] وغيرهم.

لقد رافق هذا التطور تحول في العلاقات الاجتماعية، حيث راح التأكيد على النسب يتراجع أمام الإمكانيات المادية، وبرز التفاوت الطبقي واضحاً في المجتمع، حيث أدّى إلى قيام حركات اجتماعية سياسية، تدعو إلى العدالة الاجتماعية، وإلى تحسين الأوضاع المعاشية، مستندة في دعوتها إلى المفاهيم الإسلامية[3].

إن هذه الأوضاع الاقتصادية الناهضة، ومارافقها من تفاوت اجتماعي، لقيت صدىً واضحاً في البنية التحتية للقاع الاجتماعي، وقد كان العلماء والأدباء هم أول المعنيّين بهذا التناقض، فقد عكسوه بشكل أو بآخر في مؤلفاتهم الأدبية والفكرية، وكان أبوحيان التوحيدي النموذج الأمثل في ذلك، لاسيّما في مؤلفاته ـ المقابسات، ومثالب الوزيرين ـ، فقد كان فيها شاهد عيان ومحرّضاً وداعية لتنشيط الأفكار وبلورتها وسبكها وإعادة صياغتها بشكل صحيح، فيما كانت الحركات الفكرية الأخرى داعية لدورها في كشف هذا التناقض وفضحه، ومن ثم إيجاد معارضة فكرية وسياسية ضد نهج السلطة العباسية، وتمثل هذا الدور الخطر عند (إخوان الصفا) لاسيّما في رسائلهم، فقد حاولوا فيها «طرح شعاراتهم السياسية والفكرية، وجعلها برنامج عمل

---

(١) لنا دراسة طويلة بصدد هؤلاء (تحت الطبع) بعنوان لصوص بغداد في القرن الرابع الهجري.

(٢) د. عبدالعزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، ص ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) موريس لومبار الإسلام في فجر عظمته ترجمة حسين العودات ـ مطبعة وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ١٩٧٩م، ص ١٠٩.

للعامة»، كما قاموا بدور كبير في تبسيط المفاهيم الفلسفية، وتقريبها إلى أذهان الناس، بحيث جعلوا من الفلسفة ثقافة شعبية.

ولقد كان للورّاقين الدور المهم في نشر هذه الرسائل وغيرها، تعميماً للمعرفة، وتعميقا للصراع، ويجب ألا ننسى أن بعض الورّاقين كان ينتمي إلى قوى المعارضة[1].

وفي ظلّ هذه الأوضاع كانت الحركة الثقافية تتناغم باطراد وأكثر إيجابية، فقد نشطت حركة التأليف والترجمة، وعظمت صناعة الورق، وتبع ذلك ظهور حرفة الورّاقين، ووجدت أمكنة لهم تتخذ مباءة للعلماء والأدباء، يتزودون فيها بالعلم، وكثرت المكتبات وزخرت بالكتب[2].

وفي القرن الثاني للهجرة، لاسيّما بعد نصفه الأول ـ أي بعد بناء بغداد سنة ١٤٥هـ ـ كان الاتجاه العلمي للثقافة والفكر صوب تميز العلوم بعضها عن بعض، فقد أشار الذهبي إلى أيام حكم أبي جعفر المنصور قائلاً[3]: في سنة ١٤٣هـ شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنّف ابن جريج بمكة[4] (حيث كان أولّ من دون العلم فيها)، ومالك ـ الموطأ ـ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن أبي سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنّف ابن إسحاق المغازي، وصنّف أبوحنيفة الفقه والرأي، ثم بعد وقت يسير صنّف

(١) وسوف نبيّن ذلك في أعلام الورّاقين إن شاء الله.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، طبعة القاهرة ط ٧ ـ سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٣٥م ـ ٢/ ٦١.

(٣) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء، طبعة مصر الأولى سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م ـ ترجمة أبي جعفر المنصور/ ص ٢٦١.

(٤) هكذا وردت عند السيوطي ـ المصدر السابق/ ولم يعلق عليها أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ٢/ ١١ وما بين الأقواس (   ) أضفناه من سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٦ ـ الترجمة رقم ١٣٨ ـ ابن جريج.

هشيم، والليث، وابن لهيعة، ثم ابن المبارك وأبويوسف وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية، واللغة والتاريخ وأيام الناس، ويضيف الذهبي: «وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة»[١].

هذا النصّ يفتح الباب واسعاً أمامنا، لنرى الأهمية القصوى لوجود الورّاقين، لأن مثل هذه العلوم، وهي تمرّ بفترة جديدة ومرحلة متقدمة ـ هي مرحلة التدوين ـ يتطلب نقلها من مصر إلى آخر، ومن مكان لسواه، لذلك كانت مهنة الوراقة هي المطلب الحضاري الذي وجب وجوده لمسايرة هذه الحالة، وقد كان سوق الورّاقين، بعدما أنشئت بغداد واحداً من مشاهير الأسواق، والورّاقون فيه سادة الموقف الثقافي، ولهذا كان أبو المطهر الأزدي يفاخر أهل أصبهان في مثل هؤلاء وغيرهم من أهل الصناعة في بغداد فيقول:[٢] «هل أرى عندكم من أرباب الصناعات والمهن مثل مَا أرى ببغداد من الوراقين والخطاطين والخياطين والزرّادين والمزوقين والطبّاخين والمطربين، ومن لا يُحصى عدداً من الحُذّاق».

❋ ❋ ❋

---

(١) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء، ص ٢٦١.

(٢) حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٢٤.

الفصل الثاني
تعريف الوراقة والوراقين

الورّاق في اللغـة، هو ذلك الذي يمتـهن حـرفة الوراقـة، يقـال: رجل ورّاق، هو الذي يورّق ويكتب، وتـأتي أيضـاً: مورّق الكتـب، أي: حرفتـه الوراقة[1]، فيما عرّف ابن خلدون الورّاقين بقوله: الذين يعانون انتساخ الكتب وتجليدها وتصـحيحها والاشـتغال بسائر أمـور الكتابة[2]. وكنسبة للمـشتغلين بشـؤون الوراقة، فـإن السـمعـاني يعرّف الورّاق بـقوله: الورّاق ـ بفـتح الواو وتشديد الراء في آخرها القاف ـ: هذا اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق ـ وهو الكاغد ببغداد ـ: الورّاق أيضاً.[3]

ومن هذه التعريفات يتضح أن هناك عـدة معان جامعة في هذا الاصطلاح، منها ما هو مهني، أو إبداعي، أو تجاري، أو ديني، والنسخ يكاد يشكّل المهمة الأولى في عمل الورّاق، فيما تأتي تجارة الورق في المحصلة الثانية، إضافة إلى المشتـغلين بكتابة القرآن وعلم الحـديث، ثم اندمج في هذا الاصطلاح كل من يجلّد الكتب، ومن يبـيعهـا. وكانت الوراقة التي تعني عـند ابن خلدون: أنها معاناة الكتب بالانتـساخ والتجليد، والتصـحيح، وضبط الرواية[4]، فالتداخل

(١) انظر اللسان ـ مادة ـ ورق، والقاموس المحيط ـ مادة ورق.

(٢) المقدمة/ ص ٤٢١ ـ الفصل ٣١/ ط ٤ـ دار إحياء التراث.

(٣) السمعاني/ الأنساب ـ باب الواو والراء/ ظهر الورقة ٥٧٩ من طبعة مارجيليوث ـ ليدن ١٩١٢م.

(٤) المقدمة/ ص ٤٢١ ـ الفصل المذكور نفسه.

في الاشتقاق بين لفظة ورّاق ووراقة، واضحة الدلالة من خلال السياق والمعنى، والذي تحويه مهنة الوراقة، ولكن يلاحظ أن معناها أشمل وأوسع من لفظة الورّاق.

في ضوء هذا التعريف: يمكن تقسيم الوراقة على النحو التالي[١]:

أولاً ـ النسخ: ويدخل في خانته التزويق والتصوير والتذهيب والتخطيط.

ثانياً ـ بيع الورق وسائر أدوات الكتابة، كالأقلام والحبر وغيرها.

ثالثاً ـ تجليد الكتب.

رابعاً ـ بيع الكتب[٢].

هذه المحاور الأربعة الأساسية، وتفرعاتها، هي التي تشكل مهنة الوراقة.

من اللافت للانتباه أن المؤرخين الأوائل، والمهتمين بأخبار الرجال، لم يفردوا موضوعاً متكاملاً عن الوراقة والورّاقين، على رغم أن هذه الظاهرة كانت من السعة بمكان، بحيث إنها تصادف طلبة العلم والحديث، والمؤرخين، والإخباريين، والأدباء والكتّاب، من مختلف الأقطار الإسلامية، والوافدين على بغداد أيام عزتها ومنعتها العباسيّة، سوى أنه وجدت بعض الرسائل والمؤلفات الصغيرة عنها، وجميعها مفقودة حتى اليوم تقريباً، وقد أشار الباحث الورّاق حبيب زيّات[٣] إلى أنه لم يظفر إلا بكتاب واحد للشيخ عبدالرحمن بن

---

(١) لابدّ من التنويه هنا بالأستاذ كوركيس عوّاد، حيث سبقنا إلى هذا التقسيم في كتابه (خزائن الكتب القديمة في العراق) ص ٨ - ٩، مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٨م وكذلك الإشادة بالدراسة الوافية الجميلة لورّاق هذا العصر، الأستاذ الفاضل حبيب زيّات، التي نشرها في مجلة المشرق ببيروت عام ١٩٤٧، تحت عنوان الوراقة والورّاقون في الإسلام. وبصدق أقول: إن هذه الدراسة كانت الحافز الأساسي لي لأن أكتب هذا العمل برمته، فله الفضل والسبق في ذلك.

(٢) سنتحدث عن هذه النقطة في الباب الخامس ـ سوق الورّاقين.

(٣) مجلة المشرق/ ص ١ ـ ٢ لعام ١٩٤٧م ـ المطبعة الكاثوليكية عام ١٩٤٧ ـ بيروت/ ص ١ ـ ٢.

أحمد بن مسك السخاوي، المتوفى سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م، عنوانه «تنويق النطاقة في علم الوراقة» لم يبق منه إلا عنوانه وتذكاره فقط، وقد ذكر ياقوت الحموي أن للجاحظ رسالتين في هذا الموضوع هما: رسالة في مدح الورّاق، ورسالة في ذمّ الورّاق(١)، وبتقديرنا أن هاتين الرسالتين المفقودتين حتى اليوم، هما من أمتع وأبلغ ماكتب في هذا الموضوع، لأن الجاحظ كان ملازماً لدكاكين الورّاقين، وكان يبيت فيها ويكتريها، ولو وجدت هاتان الرسالتان، لأضفتا على موضوعنا أشياء علميّة مهمة.(٢)

كما أن الورّاق المشهور النديم، لم يلتفت هو الآخر إلى أبناء صنفه، على رغم ماقدّمه في كتابه القيّم **الفهرست** من معلومات متناثرة عن بعضهم، لكنه لم يؤلف كتاباً أو رسالة في الوراقة والورّاقين، سوى أنه ذكر في ترجمة «أبوزيد البلخي» أنّ له **رسالة في مدح الوراقة**(٣)، هي الأخرى مازالت مفقودة، ولم يعثر عليها حتى الآن، وكنا نأمل من التوحيدي، وهو واحد من الذين قاسوا معاناة الوراقة، أن يطالعنا بكتاب أو رسالة عن هذا الصنف المبدع، ولكنه هو الآخر لم يفعل. وبتقديرنا أن ذلك نابع من عزوفه الشديد عن هذه المهنة التي أذلّته كما يقول في رسائله(٤).

وبتقديرنا أن ياقوتاً الحموي هو أكفأ الأوائل والأواخر من الذين ترجموا للأدباء بشكل عام، ومنهم الورّاقون، لكن دون تخصيص، سوى أنه

(١) معجم الأدباء ١٦/١٠٩ ـ ترجمة الجاحظ.

(٢) نوجّه في هذا المجال نداءنا إلى كل المهتمين بدراسة التراث وتحقيقه إلى إرشادنا إلى مكان هاتين الرسالتين في أي بقعة من الأرض، لأن ما سرق من تراثنا لا يمكن حصره في مكان.

(٣) الفهرست/ ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٤) انظر رسالته إلى القاضي أبي سهل علي بن محمد، وغيرها/ رسائل التوحيدي/ طبعة إبراهيم الكيلاني.

يذكر صفة «الوراق» في بعض أسماء مترجميه، وذلك في كتابه الخالد أبداً **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، أو مايعرف اليوم بـ **معجم الأدباء**.

ونشأت الوراقة كحرفة إسلامية، ومن البديهي جداً أن يكون للدين الإسلامي أثره الواضح فيها، لذلك كانت البدايات الأولى قد اعشوشبت في المساجد ـ كمكان ـ وبعلوم الدين، كبداية للامتهان في هذا الصنف، وقد شكَّل جامع المنصور ببغداد، وهو أكبر جوامعها، نقطة مركزية لبدء ظاهرة الإملاء على طلاب العلم، فقد كان هذا الجامع أشهر مركز للتعليم في الدول الإسلامية[1] حتى العلماء والخطباء، وأساطين اللغة والأدب، كانوا يتوقون للإملاء والتدريس فيه، فقد عرف عن الخطيب البغدادي، صاحب **تاريخ بغداد**، أنه لمّا حج وشرب من ماء زمزم ثلاث شربات، سأل ربّه ثلاث حاجات: فالحاجة الأولى أن يحدّث بتاريخ بغداد، والثانية أن يملي الحديث بجامع المنصور، والثالثة أن يدفن إذا مات عند قبر بشر الحافي[2]، وكان له ماأراد.

وبهذه المساجد والجوامع، بدأت حركة النهضة العلمية والأدبية، حيث كان الفقهاء يملون على تلاميذهم علوم القرآن والحديث والفقه واللغة، فقد عرف عن أبي حامد بن محمد الإسفراييني أنه كان يحاضر بعلوم الفقه الشافعي بمسجد عبدالله بن المبارك ببغداد، وكان يحضر مجلسه مابين ثلاثمئة وسبعمئة فقيه وطالب علم[3]، واللطيف في الأمر أن عدد الطلاب كان يعرف بعدد المحابر التي توضع أمامهم. وثمة حادثة طريفة في هذا السياق، فقد ذكر عن محمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ المعروف، أنه كان من كبار المحدثين

---

(١) آدم ميتز ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ـ ١/ ٣١٤ ـ ط ٣ .

(٢) ياقوت الحموي/ معجم الأدباء ٤/ ١٦ ـ الترجمة رقم ٢ ـ للخطيب البغدادي.

(٣) السبكي/ طبقات الشافعية الكبرى ـ ط ٢ ـ بالمطبعة السنية بمصر ـ ٣/ ٢٥.

والفقهاء، فلما قدم بغداد قصده الحنابلة، وسألوه عن أحمد بن حنبل ـ صاحب مذهبهم ـ وعن حديث الجلوس على العرش، فقال الطبري: أمّا أحمد فلا يعدّ خلافه، فقالوا له: قد ذكره العلماء في الاختلاف، فقال: مارأيته رويَ عنه، ولا رأيت له أصحاباً يعوّل عليهم، وأمّا حديث الجلوس على العرش فمحال، ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

فلما سمع الحنابلة ذلك منه، وثبوا ورموه بمحابرهم، وقيل: كانت ألوفا[1].

منهج الوراقة:

ثمة حادثة مهمّة، تشير إلى البدايات الأولى بفن الوراقة، أوردها النديم في حديثه عن قصة تأليف كتاب **الياقوت في اللغة** لأبي عمر محمد بن عبدالواحد بن أبي هاشم المطرّز المعروف بالزاهد، المتوفى سنة ٣٤٥هـ، قال[2]: ابتدأ أبوعمر الزاهد بإملاء هذا الكتاب، يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم سنة ٣٢٦هـ في جامع المنصور ببغداد ارتجالاً، من غير كتاب ولا دستور، فمضى في الإملاء مجلساً مجلساً، إلى أن انتهى إلى آخره، وكتبت ما أكملاه ـ والحديث لأبي الفتح النحوي ـ مجلساً مجلساً، ثم رأى الزيادة فيه، فزاد فيه أضعاف ما أملاه، وارتجل يواقيت أخر، واختص بهذه الزيادة أبا محمد الصفّار لملازمته وتكرير قراءته لهذا الكتاب على أبي عمر، فأخذ الزيادة منه، ثم جمع الناس على قراءة أبي إسحاق الطبري له، وسميت هذه القراءة «الفذلكة»[3]،

---

(١) معجم الأدباء/١٨/٥٨ ـ الترجمة رقم ١٧ ـ وراجع بقية الحادثة هناك.

(٢) الفهرست/ ص ١١٣.

(٣) فذلك حسابه = أنهاه وفرغ منه/ القاموس المحيط ـ مادة/ فذلك.

فقرأ عليه وسمعه الناس، ثم زاد فيه بعد ذلك، فجمعت أنا في كتابي الزيادات كلّها، وبدأت بقراءة الكتاب عليه يوم الثلاثاء لثلاثٍ بقين من ذي القعدة سنة ٣٢٩هـ، إلى أن فرغت منه في شهر ربيع الآخر سنة ٣٣١هـ، وحضّرت النسخ كلها عند قراءتي نسخة أبي إسحاق الطبري، ونسخة أبي محمد الصفّار، ونسخة أبي محمد بن سعد القُطْرُبُلِّي، ونسخة أبي محمد الحجازي، وزاد لي في قراءتي عليه أشياء، فتوافقنا في الكتاب كله، من أوله إلى آخره، ثم ارتجل بعد ذلك يواقيت أخر وزيادات في أضعاف الكتاب، واختص بهذه الزيادة أبامحمد وهب لملازمته، ثم جمع الناس ووعدهم بعرض أبي إسحاق عليه هذا الكتاب، وتكون آخر عرضة يتقرر عليها الكتاب، فلا يكون بعدها زيادة، وسميت هذه العرضة «البحرانية»، واجتمع الناس يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من سنة ٣٣١هـ، في منزله بحضرة منلة أبي العنبر، فأملى على الناس ما نسخته: قال أبوعمر محمد بن عبدالواحد أبوعمر الزاهد، هذه العرضة هي التي تفرّد بها أبو إسحاق الطبري، آخر عرضة أسمعها بعده، فمن روى عني في هذه النسخة بعد هذه العرضة حرفاً واحداً، فليس من قولي، فهو كذّاب علي، وهي من الساعة إلى الساعة من قراءة أبي إسحاق على سائر الناس وأنا أسمعها حرفاً حرفا[1].

هذا النصّ من الأهمية بمكان، حيث إنه يوقفنا على منهج الوراقة في بداياتها الأولى، أي في مرحلة الإملاء، فهو يبدأ مع المؤلف ـ المستملي ـ وينتهي به، حيث يجيز نسخة واحدة، تكون قد روجعت معه، ومع أقرب التلاميذ الملازمين له، ثم تقرّ هذه النسخة في الجامع، ويشهد الناس بذلك عليها، ومن الملاحظ أيضا أنها تمرّ، في هذه المرحلة، بمدة زمنية طويلة نسبياً،

---

(١) الفهرست/ ص ١١٣ ـ ١١٤ ـ ترجمة ـ أبي عمر الزاهد.

حسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع. وهذا الكتاب الياقوت في اللغة مرّ بهذه المراحل، ولم يصادق عليه المؤلف إلا بعد أن مرّ بالشوط الأخير، وهو ماعرف عندهم بـ«البحرانية»، وبعدها أجازه لواحد، وبرأ ذمته بعد ذلك من كل زيادة تحدث عليه، أمام الناس، بدءاً من ساعة إشهاره، وحتى قيام الساعة، وهذه المرحلة كانت النقطة الأولى في عمل الوراقة، وقد كانت تجري داخل أروقة المساجد والجوامع، وهذا الأمر يشير إلى أهميته من الوجهة الدينية.

ونلاحظ أن هذه المسألة ـ الإملاء ـ كانت بداية لتشكيل حالة أرقى وأوسع انتشارا، نعني بها ظاهرة الوراقة والورّاقين، فيما بعد، ونظراً لأنّ الحالة الأولى كانت في بداياتها هي طريقة تعليم، لا طريقة تكسُّب، فقد كان الوازع الديني يؤدي خدمة مهمة في ديمومتها وشيوعها، كفرض يُتقرَّب به لوجه الله، ولكن عندما أصبحت مهنة «كوراقة»، فإن الدافع الاقتصادي تبوّأ المقام الأوّل، وتراجع الوازع الديني، وانحسر تأثيره في الناحية الأخلاقية عند الورّاق أو الكاتب ـ المؤلف ـ وهذه مسألة تخضع بقانونيتها إلى حركة الفعل الاجتماعي وانعكاساته على الحياة اليومية لدى الناس، بكل حقبة زمنية.

لذلك برزت في القرن الرابع المدارس، ونشأ التدريس خارج إطار المسجد والجامع، حيث من الملاحظ أن فكرة تكوين المساجد وإنشائها كانت لممارسة طقوس العبادة في المقام الأول، ولا يحسن تخصيصها لتكون جامعة للتدريس والتوريق، على رغم أن هذه المسألة ظلت تمارس طويلاً في المساجد، إلا أن حالة الجدل والمناظرة أخرجتها من هذا الإطار، حيث إن هذه المناظرات قد تخرج ـ أحياناً ـ المتكلم أو الأديب أو العالم عن الأدب الذي تجب مراعاته داخل المسجد[1].

---

(١) راجع توسّعات آدم ميتز ـ في هذه النقطة ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٣١٨/١.

مجالس الإملاء:

الإملاء: هو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر، والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله عليه ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً. ويسمونه الإملاء والأمالي[1]، وقد شكّلت هذه الأمالي موسوعات علمية وأدبية في مختلف المجالات، وعرف منها الكثير، من أمثال: الأمالي الخمسمئة للسمعاني، وأمالي ابن الحاجب، وأمالي ابن حجر العسقلاني، وأمالي ابن الحصين، وأمالي ابن دريد اللغوي، وأمالي ابن الشجري، وأمالي ابن شمعون، وأمالي ابن عساكر في الحديث، وأمالي أبي بكر القاضي، وأمالي أبي بكر بن بشار الأنباري، وأمالي أبي بكر الحلواني، وأمالي أبي بكر ريغد موني، وأمالي أبي بكر النسفي، وأمالي أبي بكر الخيزاخيزي، وأمالي أبي جعفر البختري، وأمالي أبي طاهر الزيادي، وأمالي أبي طاهر المخلّص في الحديث، وأمالي أبي عبدالله الضبّي في الحديث، وأمالي أبي عبدالله الحلواني، وأمالي أبي عثمان الأصفهاني، وأمالي أبي عروبة الحرّاني، وأمالي أبي العلاء المعري، وهو مئة كرّاسة، ولم يكمله، وأمالي أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، وأمالي أبي علي وحشي البلخي، وأمالي أبي الفرج السرخسي الشافعي. وأمالي أبي الفضل السلامي، وأمالي أبي القاسم عبدالملك بن بشران البغدادي، وأمالي أبي القاسم البزّار، والأمالي الأصبهانية للمحاملي، وأمالي الإمام الأنصاري، وأمالي بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات، وأمالي ثعلب في النحو، وأمالي جارالله محمود بن عمر الزمخشري، وأمالي الجوهري،

---

(١) كشف الظنون ١/١٦١ ـ وحبيب زيّات ـ الوراقة والورّاقون ص ٧ ـ ونودّ الإشارة هنا إلى أننا سنستخدم اسم «حبيب زيّات» في المرجعية والإحالة للدلالة على بحثه (الوراقة والورّاقون في الإسلام) اختصاراً للعبارة.

وأمالي الحافظ القنطري، وأمالي حسن بن زياد في الفروع، وأمالي الزجّاج في النحـو، وأمالي زرنجرسي البخاري، وأمالي الزعفراني، وأمالي السرخكي، والأمالي الشارحة على مفردات الفاتحة، لأبي بكر القاسم عبدالكريم بن محمد الرفاعي، وأمالي الإمام الشافعي في الفقه، وأمالي الإمام السرخكي، وأمالي الإمام عبدالحميد، وأمالي صدر الإسلام البزدوي في الفروع، وأمالي الصفوة من أشعار العرب لأبي القاسم فضل بن محمد البصرى النحوي، وأمالي ظهير الدين الولوالجي، والأمالي العراقية في شرح الفصول الإيلاقية، و أمالي العشيّات للحاكم النيسابوري، وأمالي الإمام فخرالدين قاضيخان، وأمالي فربري، و أمالي قاضي صدر البزدوي، و أمالي قاضي فخر الارسابندي، وأمالي القاضي عبدالجبار، وأمالي القاضي المارستاني في الحديث، وأمالي القضاعي في الحديث، والأمالي المرضية في شرح العلوية، وأمالي المنذري في الحديث، والأمالي المطلقة للسيوطي، والأمالي على القرآن، للسيوطي أيضاً، والأمالي على الدرة الفاخرة، وأمالي مظهر السنة، وأمالي ميموني، وأمالي نظام الملك في الحديث، وأمالي أبي سعيد النقاش في الحديث، وأمالي وليّ الدين أبي زرعة(١).

ومجالس الإملاء هذه كان لها صداها المدوّي في الآفاق. وممّا يلفت النظر أن أغلب العلماء الذين كانوا يملى لهم من العميان(٢)، لذلك كانوا أحوج من غيرهم لهذه العملية.

ومجالس الإملاء هذه قد تستمر عدة سنين، فقد عرف عن العالم محمد بن القاسم الأنباري أنّه أملى كتابه المشكل في معاني القرآن في عدّة

(١) راجع عن تفاصيلها ومضامينها ـ كشف الظنون ١/ ١٦١ـ ١٦٦.

(٢) حبيب زيّات/ الوراقة والورّاقون في الإسلام/ ص ٧.

سنين[1]، ووصل كتابه غريب الحديث إلى خمسة وأربعين ألف ورقة من حفظه[2]، والموضوع الواحد، عند المستملي، قد يستمر عدة مجالس، فقد ذكر عن أبي السعادات ابن الشجري أنه أملى أماليه المعروفة بـ **الأمالي الشجرية** وهو أكبر تصانيفه وأمتعها، في ٨٤ مجلساً[3] فكم يطول هذا المجلس ياترى؟!

والمستملي، اشتقاق مصدره من ـ ملا ـ قال الفيروز آبادي: استملاه: سأله الإملاء[4]، وجمعه «المستملون». وهؤلاء كانت وظيفتهم في مجالس الاستملاء هي إعادة ألفاظ المحدّث ونقلها عنه إلى الناس[5]، وهذه المهنة أو الوظيفة الشاقة لهذا المنادي المردّد كانت شائعة ومعروفة، وينتخب لها من ذوي الأصوات المسموعة واللسان الفصيح، والإصغاء الحسن ووضوح العبارة، كي لايشكل على الناس مايؤخذ من فيه من عبارات وألفاظ، وبعض المستمعين من العلماء والأدباء لايأخذون إلا من لسان المحدّث[6] زيادة في التحوّط وأوثق للنقل وآمن للنفس والسمع.

وكان المستملي يجلس على مقعد مرتفع ليستنصت الحاضرين، وليعيد كلام المحدّث، حتى يسمعه من كان بعيداً عنه، وجرت العادة في مثل هذه المجالس، أن يبدأ قارئ حسن الصوت بتلاوة القرآن[7]، يليه المحدّث مباشرة مفتتحاً حديثه بالحمد لله، والصلاة والسلام على نبيّه، ثم يدعو للبلد

---

(١) معجم الأدباء ١٨/ ٣١٢ ـ الترجمة رقم ٩١ ـ وحبيب زيّات/ ص ٧.

(٢) معجم الأدباء/ المكان نفسه.

(٣) معجم الأدباء ١٩/ ٢٨٣ ـ الترجمة ١٠٨ ـ وانظر كذلك ترجمة له في/ بغية الوعاة/ للسيوطي.

(٤) القاموس المحيط ـ مادة ـ ملا .

(٥) راجع حبيب زيّات/ ص ٩.

(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢٦.

(٧) آدم ميتز ١/ ٣٤٣.

والسامعين، وبعد أن يستنصت المستملي الناسَ، يبدأ كلامه باسم الله وبالصلاة على النبي، ثم يقول للمحدّث: من . . . أو ماذكرت رحمك الله، وكلما ورد ذكر النبي أو الصحابة أو نحوهم «صلى على النبي ورضى عن الصحابة»[1].

وشكّل الارتجال صفة أساسيّة للعلماء والمحدّثين، وهو ما أشكل على النسّاخ ـ الورّاقين ـ من جهة، وعلى المستمعين من جهة أخرى، فلربما اختلف لفظ الإملاء بالارتجال إذا تكرر إلقاؤه، فتختلف لذلك نسخ الكتاب، وهو ماحدث لكتاب الجمهرة لابن دريد، فقد أملاه بفارس، وأملاه ببغداد من حفظه، فزاد ونقص[2].

إن الإقبال على حبّ المعرفة دفع بالناس إلى التزاحم والإقبال بشغف منقطع النظير، إلى مثل هذه المجالس، وبأعداد غفيرة، تجاوزت في بدايتها المئات، ثم نافت على الألوف، الأمر الذي أخرجها عن حياضها في المسجد، حيث المكان لا يتسع لمثل هذه الحشود، وأصبح المستملي لايؤدي الغرض بمفرده، فازداد عدد المستملين في المجلس الواحد وفي المكان الواحد، لذلك أصبح من اللافت للانتباه ازدياد عدد المستملين وفق عدد المستمعين، ووفق انتشار الحلقات، وبُعد المسافات، فقد كان القاضي المحاملي يحدّث ويردّد حديثه أربعة مستملين[3]، وعلى رغم هذه الزحمة كان الناس يميزون أهل العلم وطالبي الحديث، ففي مجلس المحاملي ذاته، كان يوسف بن عمر القواس يقول: حضرت مجلس المحاملي، وكنت لا أكتب في مجلس الإملاء إلا ما أسمعه من لفظ المحدّث، فقمت قائماً لأني كنت بعيداً من المحاملي، بحيث

---

(١) آدم ميتز ٣١٩/١.

(٢) الفهرست/ ص ٩١ ـ وحبيب زيّات/ ص ٨.

(٣) تاريخ بغداد ٣٢٦/١٤ في الترجمة رقم ٧٦٥٠/ باسم «يوسف بن عمر القواس».

لا أسمع لفظه، فلما رآني الناس أفرجوا لي، وأجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير[1]، وحينما يضج المكان بوافديه، فإن الناس يوسعون مكانهم بمكان آخر.

حدّث الخطيب البغدادي، قال[2]: حدّثنا بشرى بن عبدالله الرومي، قال: سمعت أبا بكر أحمد بن جعفر بن مسلم يقول: لما قدم علينا أبومسلم الكجي أملى الحديث في رحبة غسان، وكان في مجلسه سبعة مستملين، يبلّغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه، وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابر، ثم مسحت الرحبة، وحُسِبَ من حضر بمحبرة ـ ناهيك عن المستمعين الآخرين ـ فبلغ ذلك نيّفاً وأربعين ألف محبرة، سوى النظارة.

وازدادت هذه الظاهرة سعة وانتشاراً، والناس في شوق متزايد، كأنهم أصيبوا بعدوى أو حمّى المعرفة، فقد نقل ابن الجوزي الخبر التالي، قال[3]: «لما ورد جعفر الفريابي إلى بغداد، استقبل بالطيارات والزبازب[4]، وقعد له الناس إلى شارع المنار بباب الكوفة ليسمعوا منه، فاجتمع الناس، فحزر من سمع مجلسه، فقيل: نحو ثلاثين ألفاً، وكان المستملون ثلاثمائة وستة عشر، وكان المجلس يضم من أصحاب المحابر بحدود عشرة آلاف إنسان»[5].

هذا الخبر لايخلو من مبالغة فيه، ومع ذلك، فإنه يوضّح الجموع الغفيرة المقبلة على تعاطي المعرفة والعلوم، وهذا الموقف راح يتكرر في أكثر من زمان

---

(١) تاريخ بغداد، المكان نفسه، وحبيب زيّات/ ص ٩.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ الترجمة ٣١٥١ ـ باسم (إبراهيم بن عبدالله أبو مسلم الكجي).

(٣) المنتظم ٦/ ١٢٤ ـ الترجمة ١٧٦ ـ باسم (جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي).

(٤) أنواع من الزوارق المائية، كانت مستعملة وقتذاك في نهر دجلة.

(٥) المنتظم ٦/ ١٢٤.

ومكان، وبغداد كانت أكثر من غيرها شهرة في احتضان هذه المشاهد؛ فعندما قعد الفرّاء لإملاء النحو ازدحم الناس على مجالسه، وغصت بالقضاة والعلماء، وكان الفرّاء بدأ بإملاء كتاب المعاني، ولم يستطع الأخباريون المؤرخون عدّ الناس الذين اجتمعوا للسماع عليه والأخذ منه، قال الخطيب في رواية: فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً[1].

لقد ألِفَ الناس هذه المجالس، وراحوا يقصدون العلماء في بيوتهم، ويتجمعون في السكك والدروب المحاذية لبيوتهم، قال أبو الحسن بن رزقويه: كان ابن الجعابي يملي مجلسه، فتمتلئ السكة التي يملي فيها والطريق[2]، فيما زاد عدد من حضر مجلس أبي الحسن عاصم بن علي الواسطي على مئة ألف إنسان. ذكر ذلك الخطيب البغدادي، وقال: حدّث ببغداد، في مسجد الرصافة، فكان مجلسه يحزر بأكثر من مائة ألف إنسان، وكان يستملي عليه هارون الديك وهارون مكحلة، وقد كان الواسطي هذا يجلس على سطح المسقطات ـ السقوف ـ وقد استرعى هذا الأمر انتباه الخليفة المعتصم، فوجّه بمن يحزر له مجلس الواسطي[3] في رحبة النخيل التي في جامع الرصافة، وكان كثيراً ما يعيد مقولاته لكثرة الناس، فأعاد أربع عشرة مرّة والناس لا يسمعون، قال: وكان هارون المستملي يركب نخلة معوجّة ويستملي عليها، وحزر المجلس، فكان فيه مائة وعشرون ألفاً[4].

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ١٥٠، وفيات الأعيان ٦/١٧٨ ـ الترجمة ٧٩٨ ـ والفهرست/ ص ٩٩ ـ ومعجم الأدباء ٢٠/٩ وما بعدها.

(٢) تاريخ بغداد ٣/٢٨ الترجمة رقم ٩٥٣.

(٣) كان موفدو الخليفة إلى ذلك المجلس هم من (قطاعي الغنم).

(٤) تاريخ بغداد ١٢/٢٤٨ الترجمة رقم ٦٦٩٦/وحبيب زيّات/ص ١٠.

استطاعت هذه المجالس أن تفرض وجودها على الواقع الثقافي والسياسي، كظاهرة حضارية، وجدت في العصر العباسي، وسحبت ظلالها على الخليفة العباسي نفسه، فقد ذكرت المصادر أنه كان لسليمان بن حرب الواشجي البصري مجلس عند قصر المأمون، فبنى له المأمون شبه منبر، فصعد إليه سليمان، وحضر حوله جماعة من القوّاد وعليهم السواد «شعار العباسيين» وحضر المأمون فوق قصره، وقد فتح باب القصر، وأُرسل ستر يشف وهو خلفه يكتب مايملي، فسئل أول شيء «حديث حوشب بن عقل»، فلعله قد قال: حدّثنا حوشب بن عقل، أكثر من عشر مرّات، وهم يقولون: لا نسمع، حتى قالوا: ليس الرأي إلا أن يحضر هارون المستملي[1]، فذهب جماعة وأحضروه، وقد بلغ مجلس سليمان بن حرب أكثر من أربعين ألفا، ولما حضر هارون المستملي، قال: من ذكرت، فإذ صوته خلاف الرعد، فسكتوا، وقعد المستملون كلهم، واستملى هارون وحده[2].

إذن صارت ظاهرة الإملاء حاضرة في أذهان الناس، بدءاً من الخليفة، وانتهاءً بعامة الناس، وقد تنبّه الوزير ابن الفرات بدراية تامة إلى أهمية المستملي، فوظّف لديه مستملين، وقد كان لديه مجالس إملاء كتبها الدارقطني وتلاميذه، ومنهم أبوحامد ابن الشرقي وأبوسعيد[3] يسعون إليه لجمع الحديث والفقه والعلم والأدب.

---

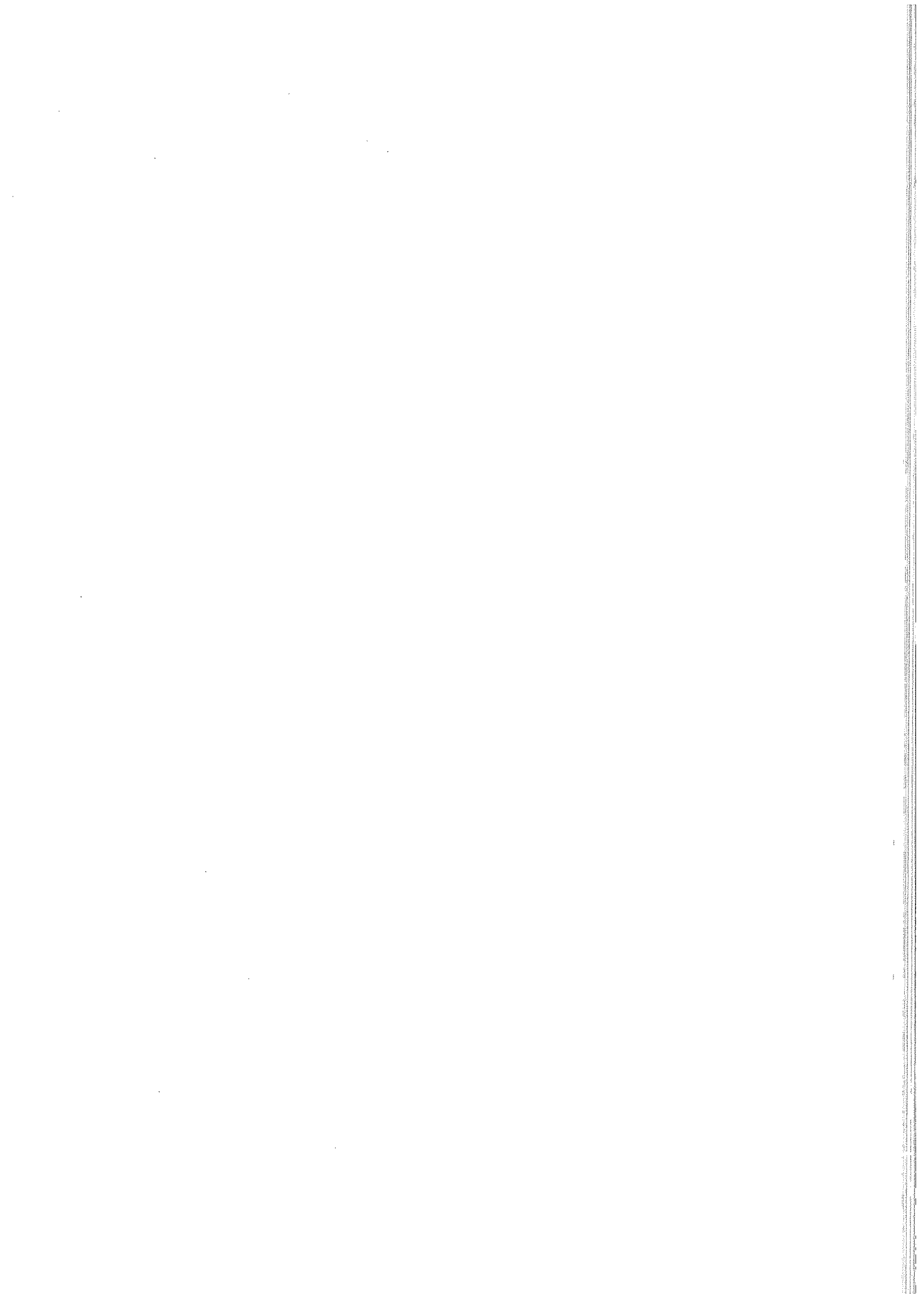
(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤ ـ الترجمة رقم ٧٣٥٦.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٣٣ ـ الترجمة رقم ٤٦٢٢/ وحبيب زيّات/ ص ١٠.

(٣) انظر ـ سير أعلام النبلاء ـ ترجمة الدارقطني ـ رقم ٣٣٢ ـ في ١٦/ ٤٤٩ وما بعدها، وطبقات السبكي ٢/ ٩٧ ـ وآدم ميتز ـ الحضارة الإسلامية ١/ ٣٣٩.

لقد شملت مـجالس الإملاء الطور الأول من بداية ظهـور مهنة الوراقة، فقـد بدأت كظاهرة صوتية مـسموعـة ومرتجلة، ثم تطورت فيـما بعد لتـصبح ظاهرة كتابيّة، تدوّن وتنسخ، محققة بذلك قـفزة حضارية ومعرفية للأمام، في سياق الحالة العلمية والثقافية الناهضـة في الحضارة العباسية في شرطيها الزماني والمكاني، في ضوء معطيات الحالة الاقتصادية والاجتماعية المتطورة.

❋ ❋ ❋



الفصل الثالث
أثمان النسخ والتجليد

أشرنا فيما تقدم من فصول إلى أن مهنة الوراقة كانت شاملة للنسخ وبيع أدوات الكتابة والتجليد وبيع الكتب[1]، ولكن مسألة النسخ تشكل العصب المركزي لمهنة الوراقة وعلى ضوئها يحدد موقع الورّاق من هذه المهنة، فإنها تعتمد على القلم أولاً وأخيراً، ومفهوم القلم هنا يعني جودة الخط، وحسن التأدية، إضافة إلى الإتقان والسرعة، وهذا الأمر أملى ضرورة إيجاد صنف من الورّاقين[2] عرفوا بتجويد الخط وتحسينه، والبلوغ به إلى أعلى مراتب الإتقان، حتى استقلوا فيما بعد عن الوراقين، عنيت بهم «الخطاطين»[3].

ونظراً لعدم وجود آلات كاتبة، فإن الناس كانوا يطلبون النسّاخ لتلبية حاجتهم، وقد ظلّت هذه المسألة ـ النسخ ـ ممتدة زمناً طويلاً من العصور الإسلامية، وشمل كثيراً من الأقطار الإسلامية التي عرفت بميل أهلها إلى العلم والأدب[4]، وقد كان للعراق شهرة واسعة في إحراز السبق في هذا الفن، لاسيما في العصر العباسي، فقد كانت بغداد مركز الخلافة ودار الإسلام، وموئل العلم والعلماء،

---

(١) راجع مقدمة الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) سوف نتحدث في الفصول القادمة عن «أصناف الورّاقين».

(٣) أشرنا سابقاً إلى وجود كتاب مُعد للنشر تحت عنوان خطاطو بغداد في العصر العباسي.

(٤) كوركيس عوّاد/ خزائن الكتب القديمة في العراق/ ص ٩.

فمن البدهي جداً أن تكون الصناعات متركزة فيها، وعرفت بغداد بنسّاخيها ووراّقيها وخطّاطيها، الأمر الذي جعلها مبعث التفاخر والاعتزاز[1].

ونظراً لكون الوراقة حرفة يعتاش منها، ويرتزق بها، فإن العامل الاقتصادي يدخل في منظور تحديد أجرة النسخ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يدخل مبدأ «العرض والطلب» في هذا السياق أيضاً، ولكن هناك أمور أخرى تحدد السعر، تعتمد على حرفيّة الوراّق نفسه، يصح أن نطلق عليها اصطلاح: «مقومات الوراّق»، وأهمّها حسن الخط والضبط، حيث كان الوراّقون يتبارون فيما بينهم لإثبات وجودهم في المهنة، وتحقيق سمعة محمودة في سوق الوراّقين، تشكل رأسمال الوراّق في المقام الأول، فقد كانت جودة الخط، والضبط في النقل، والحذق والتزويق، والتذهيب في كتابة المصاحف، من الأمور الثابتة والمطلوبة في الوراّق[2]، وفي ضوء هذه المقوّمات، إضافة لما سبق ذكره، تحدّد أثمان النسخ.

وهناك أمور أخرى قد ترفع من سعر النسخ، كالسرعة في الكتابة، والمبيت في أحد المنازل للشخص طالب الوراّق الذي يودّ سرعة إنجاز العمل؛ فمن ذلك: أن الشافعي (محمد بن إدريس) أراد تحصيل كتب محمد بن الحسن، فوجّه إلى كاتبه ـ كاتب محمد بن الحسن ـ مائة دينار، وطلب منه جمع الوراّقين في ليلة واحدة، كي ينسخوا كتب محمد بن الحسن، فكتبت[3]. وهنا كان السعر للنسخ مرتفعاً للضرورة التي تطلّبتها الحال، فأنجز العمل بأسرع ما يكون، فيما كان سعر نسخ الورقة الواحدة (كل ٥ ورقات بدرهم) في زمن

(١) انظر: أبو المطهر الأزدي/ حكاية أبي القاسم البغدادي/ تحقيق آدم ميتز ـ طبعة هيدلبرج سنة ١٩٠٢م.

(٢) حبيب زيّات/ ص ١٤.

(٣) معجم الأدباء ١٧/ ٢٨٩ ـ الترجمة رقم ٨٣.

المأمون[١] على أساس سعر السوق، وكان راتب الورّاق في دواوين الدولة العباسية في زمن المكتفي بالله ستة عشر ديناراً شهرياً، والشهر خمسون يوما[٢].

والنسخ ـ ضمن مهنة الوراقة ـ يعتمد على وعي الورّاق الجمالي والحسّي من جهة، ومن جهة أخرى يتطلب الأمر من الوراق أن يكون مدركاً للزمن الذي يورّق فيه في ضوء سعر السوق السائد، فلا يصح أن يكون سريعاً دون عناية ودقة وضبط وجودة خط، ولا يصح أيضاً أن يكون بطيئاً، بحيث يفضي بالورّاق إلى عدم كسب قوت يومه.

وهذه المعادلة كان الورّاقون يدركونها بشكل جيّد، لذلك أوجد عامل الإبداع عندهم حدّاً مقبولاً، يخضع إلى مقوّمات علمية وفنية، تجسَّدت في الخط ونوعيته، لتحقيق شرط السوق في هذه المهنة، لذلك أوجد الورّاقون ثلاثة أنواع من الخطوط، استخدموها في عملية النسخ، هي: الخط الوراقي، والخط المحقق، والخط العراقي[٣]، وهذه الأقلام الثلاثة كانت هي السائدة وقتذاك عند النسّاخين بشكل عام ومشترك، ولكن نسّاخي الحديث كان لهم قلم مختزل، رقيق الحروف، متراصّ، تسهل معه مقاربة ما بين السطور، وتوفير الورق والرق؛ نظراً لكون أسعارها آخذة دوماً في الارتفاع، وهذا الخط سمّي بـ«المقرمط»[٤].

وقد أشار ابن عساكر إلى الفروق بين خطّ الوراقين وخط علماء الحديث، حيث ذكر ذلك في معرض حديثه عن الحسين بن أحمد النيسابوري

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ١٥٠ ترجمة الفرّاء ـ رقم ٤٧٦٧.

(٢) الصولي/ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء/ ص ١٧.

(٣) النديم/ الفهرست ص ١١ ـ ١٢ ـ وحبيب زيّات/ ص ١٥.

(٤) القرمطة = دقة الكتابة ومقاربة الخط. انظر القاموس المحيط/ مادة ـ قرمط.

الحافظ، قال: أفنى عمره في جمع المسند الكبير، ووصف بأنه سفينة عصره في كثرة الكتابة والسماع والرحلة، وقد وقع تصنيفه لهذا المسند في ألف وثلاثمائة جزء، لم يصنف في الإسلام مسند أكبر منه. ويضيف ابن عساكر: ولقد قلت على التحقيق: إنه يقع في خطوط الورّاقين في أكثر من ثلاثة آلاف جزء[1].

وراقة المصاحف:

قلنا: إن مهنة الوراقة مهنة إسلامية[2]، وبذا يكون للشريعة الإسلامية الأثر المباشر على هذه المهنة، فلقد كان للإسلام ـ فكراً وحضارة ـ دوره الإيجابي في مختلف الفنون والآداب، والصنايع والحروف، لذلك انتبه الورّاقون إلى علوم الدين والشريعة، وشكل نسخ القرآن ووراقته مادة هامة وأساسيّة في عملهم، ولقد رأينا في مجالس الإملاء كيف أنها كانت منصبّة على علوم الدين واللغة، على اعتبار أن المصادر الأساسية للثقافة العربية الإسلامية قد صدرت من هذين الفرعين، ومن ثم تطورت إلى العلوم الأخرى، ونظراً لكون الورّاقين واكبوا هذا التطور المعرفي الثقافي، فقد تخصّص قسم منهم في وراقة المصاحف من وازع ديني وثقافي، مضافاً إليه تفتح في رؤية جمالية أضْفَتْ حضورها على الخط العربي إبداعاً وتشكيلاً، وكان الخطّاطون هم الصنف الأبرز لامتهان هذه الوراقة.

أمّا تجليد الكتب، فهو أحد فروع الوراقة، الذي واكبها منذ البدايات، حتى بلغ هذا الفن في العصر العباسي ذروته، وعلى رغم أنه بدأ ساذجاً، إلا أنه تطور فيما بعد أيما تطور، فلم يكن المراد من تجليد الكتاب صيانته داخل

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ـ باب الميم في آباء من اسمه الحسين ـ طبعة روضة الشام سنة ١٣٣٢هـ ٤/ ٢٥٣.

(٢) كوركيس عوّاد/ خزائن الكتب القديمة في العراق/ ص ٢٠.

جلد وحسب، بل كان يراد من الجلد ذاته أن يكون قطعة طريفة يظهر عليها أثر الفن والذوق.

كان المجلّدون الأوائل قليلي التفنن في عملهم هذا، حيث انتبه الورّاقون إلى صناعة دباغة الجلود، تلك الصناعة التي كانت تستخدم جلود دباغ النورة، الشديدة الجفاف، ثم ظهرت الدباغة الكوفية مستخدمة التمر في الدباغة، الأمر الذي أكسبها ليناً ومرونة[1]، مما ساعد على التعامل مع هذه الجلود، واستخدامها في فن التجليد.

لقد كانت القوى والفرق الإسلامية المعارضة للسلطة العباسية، على تماس مباشر مع الورّاقين، ولديهم جماعات منهم، فقد عرّفتنا أحداث سنة ٣٠٩هـ أن أصحاب الحسين بن منصور الحلاّج، عندما جدّ الوزير حامد بن العباس في القبض عليهم، ومنهم ابن حمّاد والقنائي، وعندما كبست دورهم وجد فيها أشياء بخط الحلاّج مكتوبة بماء الذهب في ورق الحرير، مجلّدة بأفخر الجلود[2].

وعلى ما يبدو فإن بداية القرن الرابع الهجري كانت تؤشر بملامح واضحة على تطور فن التجليد، ليس ببغداد وحدها، بل في كثير من المدن الإسلامية الأخرى، فلقد أشار المقدسي في معرض حديثه عن نفسه، حيث ذكر أنه لقّب بـ«ورّاق ومجلّد»[3].. ثم يذكر أنه اشتغل بـ«تجليد المصاحف بالكرى»[4]، ثم يذكر في موضع آخر[5]، أن أهل اليمن يلزقون الدروج ويبطنون الدفاتر

---

(١) النديم/ الفهرست ص ٣٢.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية ١١/ ١٤٠ ـ أحداث سنة ٣٠٩ ـ ترجمة الحلاّج.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ طبعة ليدن ١٩٠٤م ـ ص ٤٣.

(٤) المصدر السابق/ ص ٤٤.

(٥) المصدر السابق/ ص ١٠٠ ـ وكوركيس عوّاد/ المرجع المذكور ص ٢١.

بالنشاء، وبعث إليّ - والحديث للمقدسي - أمير عدن مصحفاً أجلّده، فسألت عن الأشراس[1] بالعطارين فلم يعرفوه، ودلوني على المحتسب، وقالوا: عساه يعرفه، فلما سألته قال: من أين أنت؟ قلت: من فلسطين، قال: أنت من بلدة الرخاء، لو كان لهم أشراس لأكلوه، عليك بالنشاء. وأضاف المقدسي: ويعجبهم التجليد ويبذلون فيه الأجرة الوافرة، وربّما كنت أعطى على المصحف دينارين[2]، وهذا الخبر يوضح مدى انتشار هذا الفن وأهميّته في عملية الوراقة.

وعلى ما يبدو، فإن فن التجليد عند الورّاقين قد وجد مكانه في سوق الورّاقين، وراحت شهرة المشتغلين فيه تنتشر بين الأقاليم والأمصار الإسلامية، حتى إن النديم جاء على ذكر أشهرهم، ومنهم: ابن أبي الحريش، وكان يجلّد في خزانة الحكمة للمأمون، وشفة المقراض العجيقي، وأبوعيسى بن شيران، ودميانة الأعسر بن الحجام، وإبراهيم بن محمد، والحسين بن الصفّار[3].

إن عملية التجليد عند الوراقين جلبت انتباه المعاصرين، نظراً لما لهذه المهنة من وقع حاضر لصدى التاريخ الماضي من جهة، ومن جهة أخرى، كانت فنّاً قائماً ترك آثاره وراح يؤكد حضوره، لذلك صنّف الآثاري «فردريك ساره» كتاباً في التجليد الإسلامي، ضمّنه ستاً وثلاثين لوحة تمثل فنّ تجليد الكتب العربية والإسلامية، كما نشر غيره كتباً في الموضوع نفسه[4].

* * *

(١) إحدى المواد الأساسية في التجليد، ربما كان مادة صمغية.

(٢) أحسن التقاسيم، ص ١٠٠.

(٣) الفهرست، ص ١٤.

(٤) كوركيس عوّاد، خزائن الكتب، ص ٢٢.

الفصل الرابع
النسخ والمقابلة عند الورّاقين

ليس من السهل تصور عمل الورّاق على أنه مجرّد «ناسخ»! فالحقيقة التي تبرز من خلال عملية الوراقة، تدلّل على أمور غاية في الصعوبة، حيث كانت هناك منهجيّة دقيقة يلتزم بها الورّاق، لإتمام عمله، وإلا كسدت سوقه، وتداعت مهنته، وكسفت شموس حظّه، وتجاوزه الزمن.

لقد كان منهج النسخ والمقابلة في عمل الورّاقين هو المنهجية الحقيقية المتطورة لعمل الوراقة، فقد شكلت هذه المنهجية الطور الأعلى والمتقدم لمنهجية الإملاء الأولى التي انطلقت منها عملية الوراقة في البدء، فقد كانت المنهجية الأولى في مجالس الإملاء سماعية ومباشرة، فيما راحت منهجية النسخ والمقابلة تشكل عملية معرفية بالأساس، يدخل الإبداع فيها كعامل مساعد، فيما تنتظم مجموعة عناصر أخرى لإتمام العمل، حيث صار التعامل وفق ماهو مكتوب بيد المؤلف، أو ما يعرف بـ«المخطوط أو الأصل» أو المسوّدة، وعلى ضوء هذا الأصل تأتي بقية الخطوات في منهج الوراقة، ويمكن تحديدها بالنقاط التالية: أ ـ المخطوط أو الأصل. ب ـ الترخيص. جـ ـ القراءة على المؤلف. د ـ الإجازة من المؤلف. هـ ـ السماح بالتداول. ويتبع هذه الأمور المنهجية أمور فنية تخصّ الناحية المهنيّة، من حيث الابتداء والتصدير في أول الصفحة وغيرها، أو ما يعرف اليوم بـ«الإخراج الفنّي»، وسنحاول في هذه الصفحات معرفة كل نقاط المنهج الوراقي، حسبما تكشف لنا في البحث.

أ ـ المخطوط أو الأصل:

هي نسخة الكتاب الذي أنشأه المؤلف، وقام بنسخه بيده، والخط في اللغة يعني الأثر أو العلام الدالّ على الشيء، حيواناً كان أو مكانًا[1]، ومن أصل هذه الكلمة اشتق الاصطلاح فصار المخطوط، والعربية لغة الاشتقاق.

فالمخطوط، نسخة الأصل التي كتبت بخط المؤلف، ووقف عليها بنفسه، قبل أن يطلع عليها غيره، ويطلق عليها أيضاً اسم «المسوّدة»، ودائماً ما تخضع إلى الإضافات أو الحذف أو التهميش، أو الزيادة أو النقصان، فما دامت لم تبيّض، فهي مسوّدة، وإذا نسخت أصبحت مبيّضة، ويجب الالتزام بكل عمليات النسخ ومنهج الوراقة.

ولمسودة العمل أهميتها عند الأوائل، فهي تكشف عن ذاتيّة المؤلف نفسه، وطريقة كتابته، وخطّه، وتعليقاته، لذلك أصبحت من الأمور الثمينة النادرة، وتزاحم عليها أكابر العلماء والأدباء والسلاطين والولاة، تقديراً ومكافأة لصاحبها الأصلي، وتعظيماً لمنزلته العلمية والأدبيّة، لذلك كان سعرها مرتفعا في سوق الورّاقين، ففي هذا الصدد تنقل المصادر أن مسودة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني قد بيعت بسعر مرتفع، وطلبت بعد ذلك ولم يحصل عليها، ينقل ياقوت الحموي هذا الخبر على النحو التالي: «قال أبوجعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد: اتصل بي أن مسوّدة كتاب الأغاني، وهي أصل أبي الفرج، أخرجت إلى سوق الورّاقين لتبتاع، فأنفذت إلى ابن قرابة وسألته إنفاذ صاحبها لأبتاعها منه لي، فجاءني وعرّفني أنها بيعت في

---

(١) انظر ـ التاج واللسان ـ مادة «خطط».

النداء بأربعة آلاف درهم، وأن أكثرها في طروس وبخط التعليق[1]، وأنها اشتريت لأبي أحمد بن محمد بن حفص، فراسلت أبا أحمد، فأنكر أنه يعرف شيئاً من هذا، فبحثت كل البحث فما قدرت عليها[2]، مع العلم أن إحدى نسخ الأغاني بيعت بـ«عشرة آلاف درهم» وهي مبيّضة[3]، الأمر الذي حمل أبا تغلب بن ناصر الدولة أن يتأسّف لإضاعة جهد الورّاق وغبنه، حيث قال: «لقد ظلم ورّاقه المسكين، وإنه ليساوي عندي عشرة آلاف دينار، ولو فقدت لما قدرت عليه الملوك إلا بالرغائب»[4]. وهنا نلاحظ أن متذوّقي الأدب في ذلك العصر، ينطلقون من موقف معرفي لما تحويه مثل هذه الكتب.

ب ـ الترخيص:

هو المبدأ الثاني ضمن منهج الوراقة، وهو المبدأ الأخلاقي الأول للمعاملة بين المؤلف والورّاق، حيث يطلب الورّاق من صاحب المخطوط أن يأذن له[5] في نسخه وهو بعد في طور «المسودة»، وإذا تمت الموافقة من قبل المؤلف؛ يبدأ الورّاق بإعداد العدة للبدء بعملية النسخ، ويبدأ عمله مراعياً كل نقاط منهج الوراقة، المعرفي والفني، أي أنّه يعدّ المسوّدة إلى الخروج بصيغة «كتاب» مستوف لكل شروطه، لكن المؤلف يطلب من الوراق أو الورّاقين، قبل التفويض بالعمل أن يقرأوا عليه «النسخة الأولى التي بين أيديهم، أو يختار

(١) يطلق عليه الآن اسم: الخط الفارسي.

(٢) معجم الأدباء ١٣/١٢٦ ـ ١٢٧ في ترجمة أبي الفرج الأصبهاني ـ الترجمة رقم ١٧.

(٣) المصدر السابق ١٣/١٢٦.

(٤) المصدر السابق ١٣/١٢٥ ـ ١٢٦.

(٥) انظر مادة ـ رخص ـ في اللسان.

واحدة ووراقاً واحداً، ويقوم بعملية المطابقة والتمحيص على الأصل. ويتم ذلك بأن يقرأ النسّاخ المخطوط بصوت مسموع على المؤلف[1]. وتنتج أهمية هذا الإجراء من المحافظة على المخطوط ـ قبل صدوره ككتاب ـ وعلى ما يتضمّن من أفكار وآراء، من ناحية، ومن ناحية ثانية، الحفاظ على العرف السائد ـ وقتذاك ـ والطريقة المتبّعة في نشر العلوم الصحيحة، وتعميمها، إضافة إلى أنها تشكّل مبدأ الإشهار والعلنية لعمل المؤلف من جهة، والحفاظ على حقه وحق الورّاقين من جهة ثانية، كما أن هذه الطريقة لا تخلو من تعميم فائدة للمستمعين إضافة إلى أنها تشكّل بُعداً إعلامياً للكتاب ومؤلفه.

جـ ـ القراءة على المؤلف:

ضمن شرط الترخيص لنسخ الكتاب، أو طبعه، فإنه تجري عملية قراءة ما ينسخ على المؤلف أولاً بأول، ويذكر النسّاخ عبارة «قرأت على فلان، أو قرئت لفلان وفلان»؛ للتأكد من صحة الخبر ونقله، وتجري هذه العملية ـ كما أشرنا ـ بحضور المؤلف، وعلى مشهد ومرأى من الناس. وعلى ما يبدو، فإن هذه الطريقة رافقت الورّاقين منذ مجالس الإملاء، حيث كانت تجري عملية حفظ القرآن بهذه الطريقة، أي «السماع»، فعندما كان الشاب يحفظ القرآن كله، فإنه يتقدم بقراءته أمام عالم بالقرآن، قراءة ونطقاً وإعراباً، كي يجري التأكد من أنه تعلم نطق النصّ بالشكل الصحيح، فقد اختار الرشيد الكسائي النحوي[2] ليشرف على تعليم الأمين القراءة الصحيحة، حيث عرف عنه أنه كان يتلو

---

(١) راجع بهذا الشأن الفصل الثالث من كتاب يوهانس بيدرسون/ الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة/ ص ٤٣ ـ ٥٧.

(٢) راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣١ ـ الترجمة رقم ٤٤ ـ وغيره من المصادر.

وينقطون على المصاحف[1]، وكان الكسائي يجلس أثناء الدرس منحني الرأس، وعندما يرتكب الأمين خطأ كان يرفع رأسه، ويصحح الأمين خطأه[2].

وأثناء عملية القراءة، يعاود المؤلف استحضار مادته المكتوبة، سواء بإملائها على الناسخ، أو بالاستماع إلى قراءتها عليه، وكان غرض الورّاق من القراءة على المؤلف هو الحصول على الترخيص أولاً، ومن ثم الإجازة على النسخ «النشر» ثانياً، ويصادف أحياناً أن أكثر من ورّاق يطلب الإذن والترخيص من المؤلف ليقوم بنسخ كتابه الذي كان قد أملاه في مكان ما، في هذا المسجد أو ذاك الجامع، وكان الورّاقون جالسين فيه فكتبوا ما أملاه، دون أن يشعر هو بذلك، وهذه كثيراً ما ترد، لكنها لا يؤخذ بها، ما لم تجر عملية الترخيص والإجازة من قبل المؤلف ذاته، وبذا يصبح من المفروض عليهم إعادة القراءة عليه كي يجيز تلك النسخ، وإلا أصبحت باطلة، وغير معترف بها في أروقة السوق ومجالس العلم والأدب.

وعملية إعادة القراءة على المؤلف ليست مسألة سهلة، فأمرها يتعلق بوقت المؤلف، وقد تدوم طويلاً، لذلك كان العلماء والأدباء والمؤرخون، يمنحون الورّاقين أوقاتاً معلومة، وعلى هؤلاء الحضور في وقتها المحدد، لغرض المراجعة والتدقيق بغية إعطاء الترخيص والإجازة للعمل الذي سينشر، وأحياناً يريد المؤلف أن ينشر المعرفة من خلال هذه العملية؛ فمن ذلك ما روي عن محمد بن جرير الطبري أنه كان مجوّداً في القراءة موصوفاً بها، يقصده القرّاء

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٢.

(٢) المصدر السابق ـ وكذلك ـ يوهانس بيدرسون/ المرجع المذكور له/ ص ٥٠. وقد جاء عنده «المأمون وليس الأمين».

البعداء من الناس للصلاة خلفه، يسمعون قراءته وتجويده[1]، وعندما طلب منه أبوبكر بن مجاهد أن يسمع منه قراءة عن رواية ورش عن نافع.. عن القراءات التي وردت في كتابه التفسير الكبير على رغم ما لأبي بكر من منزلة عند الطبري، فأبى عليه إلا أن يسمعها من الناس[2]، ويعلّق ياقوت الحموي على ذلك بقوله: «وكان ذلك كرهاً من أبي جعفر ـ الطبري ـ أن يخصّ أحداً بشيء من العلم، وكان في أخلاقه ذلك، لأنه كان إذا سأله إنسان في قراءة كتاب وغاب، لم يقرأ حتى يحضر إلاّ كتاب الفتوى، فإنه كان أي وقت سئل عن شيء منه أجاب فيه».[3]

وقد عرف عن الطبري، ضمن منهجيته في الإملاء، أنه كان يبتدئ بخطبة تصبّ في صلب موضوعه، ثم يبتدئ بدرس كتبه، الأول فالأول، وتكون في جانب حائر[4] إلى أن يفرغ منها، فينقلها إلى الجانب الآخر وهكذا[5]، وقد بدأ هكذا في كتابه المهم **تاريخ الرسل والملوك** وأخرج ذلك إلى الناس على سبيل الإجازة إلى سنة ٢٩٤هـ، ولم يؤرخ للمقتدر الذي كان معاصراً له، ويقع الكتاب في نحو خمسة آلاف ورقة.[6]

وقد شكّلت مسألة المراجعة والقراءة على المؤلف مرحلة من مراحل التأليف، هي من الأهمية بمكان عند المؤلف ذاته، فربما حذف وربما أضاف، وقد نوّه النديم إلى ذلك في معرض حديثه عن «أبي عمر الزاهد» وكيف أضاف

---

(١) معجم الأدباء ١٨/٦٦ ترجمة الطبري ـ رقم ١٧.

(٢) المصدر نفسه ١٨/٦٧.

(٣) المصدر نفسه ١٨/٦٧ ـ ٦٨.

(٤) الحائر = المطمئن.

(٥) معجم الأدباء ١٨/٦٨ ـ ٦٩.

(٦) المصدر نفسه ١٨/ ٧٠.

«يواقيت جديدة» إلى كتابه الياقوت في اللغة وقد أشرنا إلى ذلك[1].

وفي ضوء ذلك يكون الكتاب ـ المخطوط ـ قد مرّ بعدة مراحل، استغرقت زمناً، وبُذل فيه جهد ليس عادياً، فقد لاحظنا أن الكتاب يقرأ للجمهور أولاً ـ في مرحلة الاستملاء ـ ثم يقرأ علناً على الناس بحضور الورّاقين الذين نسخوا عن المؤلف بتلك المجالس، ثم يقرأ ثالثة، وتكون آخر قراءة على المؤلف، يصادق بعدها على إجازة العمل، وفق آخر قراءة له أو عليه، ويكون الشهود في المكان (المجلس أو المسجد أو الجامع) قد سمعوا تلك القراءة، وأقرّ هو بنفسه تلك القراءة أمام الناس علانية.

د ـ إجازة المؤلف:

بعد أن يصل الكتاب إلى مرحلة القراءة الأخيرة على المؤلف، يعطي المؤلف إجازته للعمل، لأن الإجازة شرط مسبق قبل القيام بعمل النقل أو النسخ، وإعطاء الإجازة من قبل المؤلف للورّاق يعني حصول «الموافقة الشرعية»، أو ما يعرف اليوم بـ «توقيع العقد بين الطرفين ـ الناشر والمؤلف»، وإعطاء الإجازة من قبل المؤلف، يعني موافقته الكاملة على نقل الأثر الأدبي أو العلمي، الصادر عنه بالذات[2]. وقد اعتاد الورّاقون ذكر عبارة «سماعاً عنه» ويكتبونها في مستهل الحديث عن الكتاب أو المقدمة، وهو منهج سار عليه الأوائل من قبلهم[3].

وعندما يعطي المؤلف ترخيصه للكتاب، فإن الورّاق يكون قد أكمل

(١) راجع الفهرست/ ص ١١٣ ـ ١١٤ ـ والفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) راجع يوهنس بيدرسون، الكتاب العربي ص ٥٣، حيث أشار إلى ذلك.

(٣) راجع الخطيب البغدادي وكتابه تاريخ بغداد، فهو يوضّح ذلك المنهج.

إجراءات الحيازة الكاملة على الكتاب، وأصبح بدوره مخولاً بنقل الكتاب «نسخه» بالأسلوب نفسه، وأي شخص مفوّض بمثل ذلك يمكنه أن يفوّض آخرين، على شرط أن يتأكد بنفسه أن نسخهم تتفق مع نسخته، وقد كان هذا يحدث بالأسلوب نفسه تماماً، كما حدث عندما منح المؤلف إجازته، تقرأ النسخة الجديدة وتطابق مع حائز النسخة الأصلية المجازة، وهكذا تعتمد المسألة على وجود سلسلة غير منقطعة من الإجازات التي تتصل بنسخة المؤلف الأصلية[1]. وقد شاهد ياقوت الحموي نسخة من كتاب **الأغاني** ذات إجازة متصلة، تصل رجوعاً إلى الدهكي[2] الذي كان قرأها على المؤلف، وتلقى منه الترخيص سنة ٦١٢هـ[3].

وتنشأ ضرورات لإعادة «طبع الكتاب» أو إعادة إملائه أو نسخه مجدداً، فقد يشك المؤلف في وجود تلاعب عند الورّاقين في مخطوطته، وهو مألوف عندهم[4]، لذلك يضطر المؤلف إلى إعادة «صيغة الإجازة»، حيث إن هذه الصيغة تتوقف على ما إذا كانت نقلت عن طريق سلسلة من المستندات أو المراجع الموثوقة، فمن المعروف والشائع عندهم أن كل صيغة للإجازة تخصص لمخطوط واحد.[5]

وقد أورد ياقوت الحموي بعض النماذج من «صيغ الإجازة» التي كانت تعطى للورّاقين، فقد ذكر العبارة التالية[6]: (وجدت على جزء من كتاب

---

(١) يوهنس بيدرسون/ الكتاب العربي/ ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) وردت عند المترجم د. حيدر غيبة باسم «الدهاقي» في كتاب يوهنس بيدرسون/ ص ٥٥.

(٣) معجم الأدباء ١٢/ ٢١٧ الترجمة رقم ٥٣ لعلي بن إبراهيم بن محمد الدّهكي.

(٤) سوف نتحدث عن ذلك في فصل ـ أخلاق الورّاقين.

(٥) يوهنس بيدرسون/ المرجع السابق/ ص ٥٥.

(٦) معجم الأدباء ١٨/ ٤٤ ـ ترجمة الطبري.

التفسير لابن جرير (الطبري) بخط الفرغاني[1]، ما ذكر فيه قطعة من تصانيف ابن جرير فنقلتـه على صورته لذلك، وهو «قد أجزت لك يا علـيّ بن عمران وإبراهيم بن محـمد ما سمعـته من أبي جعفـر الطبري، رحمه اللـه من كتاب التفسـير، المسمى بـ **جامع البيـان عن تأويل آي القرآن**، وكتاب **تاريخ الرسل والأنبيـاء والملوك والخلفاء**، والقطعين من الكتاب، ولم أسمـعه، وإنما أخذته إجازة، وكـتاب تاريخ الرجـال المسمّى بـ **ذيل المذيّل** وكتاب **القراءات وتنزيل القرآن**، وكتاب **لطيف القول وخفيفه في شرائع الإسلام**، وما سمعته من كتاب **التهذيب**، من مسند العشـرة، ومسند ابن عباس إلى حديث المعـراج، وكتاب **آداب القضاة، والمحاضـر والسجلات**، وكتاب **اختـلاف علماء الأمـصار**، فليرويا ذلك عنّي. وكـتب عبدالله بن أحمـد الفرغاني بخطّه في شعـبان سنة ست وثلاثين وثلاثمئة»[2].

هذه الصيغة واضحة الدلالة تماماً، وذات صبغة شرعية، أجازت للمتلقي الأول، وهو الفرغاني، الذي أخـذ عن الطبري ـ المؤلف ـ مباشـرة، والفرغاني واحد من علماء الحديث ورجالات علم التاريخ، وبذا يكون قد صحب المؤلف وأعطاه الإجازة، وقام هذا بدوره بإعطاء الإجازة إلى متلقيين آخرين «ورّاقين»، هما: علي بن عـمران وإبراهيم بن محمد، وقـد أشار نص الصيغـة إلى مبدأ (الأمانة العلمـيّة)، حيـث أشار إلى «ما سـمعتـه» و«لم أسمعـه، وإنما أخذته إجازة»، وبذا يكون النصّ قد أعطي الصيغـة الرسمية للتداول والنشر، بموجب صيـغة التحـويل هذه، إضافة إلى ذكـر عدّة كتب للطبـري، ولا ينسى المخوَّل بإجازة ـ الـفرغاني ـ ذكـر مسـؤوليتـه الشخصـية بذلك، حـيث النص الوارد

---

(١) راجع ترجمته في تاريخ بغداد ٩/ ٣٨٩ وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣٢ .

(٢) معجم الأدباء ١٨/ ٤٤ ـ ٤٥ .

بالصيغة يوضّح ذلك من خلال توقيع الفرغاني ورسمه القائل: «كتب عبدالله ابن أحمد الفرغاني»، إضافة إلى ذكر التاريخ الذي حصلت فيه الإجازة، وهو: سنة ٣٣٦هـ، وفي ضوء هذه الصيغة الواضحة، يكون بمقدور الورّاقين نسخ عدة نسخ من تلك الكتب المذكورة.

ويشترط منهج الوراقة ـ كما أسلفنا ـ موافقة المؤلف، ولكن قد يحدث أحياناً، أن المؤلف يكون في بلد آخر، والوصول إليه صعب ومكلف، ومع ذلك يبقى الورّاق أميناً في الحصول على موافقة المؤلف وأخذ الإجازة منه، وهذا المبدأ ـ بتقديرنا ـ فرضه العرف في صنف الوراقين والوازع الديني الأخلاقي ـ في رؤيته الإسلامية ـ الذي كان يحصّنُ الأصناف التي كانت ترى فيه إيماناً وجدانياً، يجب المحافظة عليه؛ فمن ذلك أن ياقوتاً الحموي، وهو ورّاق مشهور، نسخ كتاب ابن العديم **الأخبار المستفادة من ذكر بني أبي جرادة** وهم أهل ابن العديم ونسبه إليهم، وظلّ محتفظاً به مدة، إلى أن صادفه في إحدى جولاته، وقرأه عليه «فأقرّ به»[1]، وهنا يكون ياقوت قد حصل على الإجازة بعد هذا الإقرار من قبل المؤلف، ويحق له «نسخ الكتاب أي نشره» وفق مقتضى الحال، والجميل في الأمر أن المؤلف، عندما يشاهد مثل هذا التعامل يطمئن إلى ورّاقه ويفوّضه الأمر.

حقوق المؤلف بعد وفاته:

ركّز الورّاقون على الحفاظ في تعاملهم مع المؤلفين، على مبدأ (حقوق النشر للمؤلف) من خلال الأعراف والأخلاق الدينية المتعامل بها، وضمن

---

(١) معجم الأدباء ١٦/٥ ـ ٧ ترجمة ابن العديم ـ رقم ١.

شروط «الإجازة والتفويض» لنقل الأثر بعد صاحبه. وقد أعطوا الأولوية في ذلك إلى «خط المؤلف أو إملائه»، ولكن المسألة هذه تكون سائدة في حالة بقاء المؤلف في قيد الحياة، وعندما يتوفّى المؤلف، فإن عائديّة مخطوطاته تكون للورّاق الذي حصل على «إجازته» قبل الوفاة، أو تكون لأحد أبنائه، أو لأحد تلاميذه، أو تكون منابة عنه لأحد الشيوخ الذين يتساوون معه في القدر والمعرفة، وضمن مجال الاختصاص، في علم من العلوم، أو فنّ من الفنون.

ولكن يحدث أحياناً أن مسألة «الإجازة أو التفويض» قد تكون مزوّرة، لذلك لجأ الورّاقون إلى مبدأ «الشك» في صيغة الإجازة أو التفويض، أو الإهداء، الذي يشكل أحياناً إجازة بأسلوب رشيق ولبق، يروي ياقوت الحموي(1) أن يعقوب بن أحمد أخرج مقتطفات شعرية من تأليفه وآخرين، وقد قابل واحداً من هؤلاء الشعراء وهو أبوعامر، وسأله أن يكتب صيغة الإهداء إليه على الكتاب، وقد شاهد ياقوت هذه النسخة المصادق عليها من قبل أبي عامر، حيث قال: «التي لا يخامرني أي شك نحوها، وهي تتألف من سلسلة من عبارات المديح وغيرها، ويشير بأن يعقوب أفاد أنه أعاد قراءة مخطوطته الشعرية بحضور شخصين آخرين، ويسأل الله أن يمنحه الفائدة والرضاء عنه».

ومسألة الشك قد يتعامل بها الورّاقون أو النقلة بحكم الضرورة والحاجة، وتعتمد على الصيغة للإجازة، فإذا كانت منقولة عن طريق سلسلة من المستندات أو المراجع الموثوقة اعتمد عليها، وإن تعذّر ذلك فإنهم يلجأون إلى

---

(1) والعهدة في ذلك على صاحب كتاب الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة ص ٥٤، وعلى مترجم الكتاب، حيث إني لم أعثر على الخبر في أغلب مُعجم الأدباء، ولم يشر المؤلف يوهنس بيدرسون إلى مصدر الخبر، لذا اقتضى التنويه بذلك.

نسخة أصليّة، تكون من مخلّفات المؤلف المتوفى، وبحيازة أحد المعاصرين له، وتكون قد وصلته عن طريق الإرث والتركة، وبذا تكون موافقة هذا الوارث بمثابة الإجازة أو التفويض لإعادة نشر الكتاب «نسخه ثانية»، أي طبعه ثانية في لغة زماننا، فمن ذلك أن منذر بن سعيد البلوطي ذهب إلى مصر من الأندلس ليستنسخ كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، من أبي جعفر النحاس، فأبى عليه، الأمر الذي دعاه إلى قصد إنسان آخر كان يحتفظ بنسخة من كتاب الخليل اسمه «أبوالعبّاس بن ولاّد، فأعطاه نسخته ونسخ عليها ورحل»[1]، وإذا صحّت نسخة أصلية واحدة أمكن النسخ عليها، وهكذا يعاد نشر الكتاب، بعد أن تكون بقية النسخ قد قوبلت على تلك النسخة الأصليّة.

وضمن منظور «الإجازة وحقوق المؤلف» كان الورّاقون يتبعون أسلوباً معرفياً في إعادة نشر مخطوط، كان صاحبه قد رحل عن الدنيا ولم يترك وريثاً له، وهو ما يشكل إعاقة مهنية في نشر المخطوط بغياب صاحبه، فإنهم أوجدوا طريقة هامّة وعلميّة، تستند في إطارها الثقافي إلى الاختصاص الذي يتطابق ومضمون المخطوطة، فإذا كانت المخطوطة في التاريخ، ذهبوا إلى عالم من أعلام المؤلفين في التاريخ، أو كانت في أمور الفقه والحديث، فإن المحدثين في ذلك كثرة، وقد توقفوا في مثل هذه الأمور عند أحد شيوخ «أساتذة» أهل الفن في ذلك الاختصاص، كي يحصلوا على إجازة العمل فيتسارعوا للقراءة عليه، من ذلك أن المبرّد كان مطلوباً دائماً للقراءة عليه في كتب «النحو وعلوم العربيّة»، ويتقاضى عن ذلك أجراً، على رغم أن الكتب ليست له، إلا أن اختصاصة في اللغة العربية أهّله لأن يكون مرجعاً بها، فقصده القرّاء والنسّاخ، وأحياناً يضنّ هؤلاء الشيوخ ببعض العلوم، فلا يعطونها لأحد، لعزّة تلك

---

(١) معجم الأدباء ٩/١٨٣ ـ ترجمة ـ منذر بن سعيد البلوطي ـ رقم ٥٩.

المخطوطة أو ذاك الكتاب، أو لغرض الانتفاع به، فمن ذلك ما نقله ياقوت عن محمّد بن ولاّد، فقد كان هذا يحب العربية، ويشتغل بعلوم النحو، وله كتاب اسمه «المنسّق» وغيره، أراد أن ينسخ نسخة من «الكتاب لسيبويه» من عند المبّرد، وقد كان المبرّد لا يمكّن أحداً من نسخ ذلك الكتاب، إلا أن ابن ولاّد اتفق معه على شيء سمّاه، أي أن يعطيه شيئاً حتى يقرأه عليه[1]، وهنا أراد ابن ولاّد فرض الأمر الواقع على المبرّد كي يمنحه الإجازة بهذه الطريقة، وأرغمه عليها، إلا أن المبرّد غضب لذلك، وسعى بابن ولاّد إلى بعض خدم السلطان ليعاقبه على ذلك، فالتجأ ابن ولاّد إلى صاحب الخراج ببغداد؛ وكان يؤدب ولده، فأجابه، ثم ألحّ على المبرّد حتى أقرأه الكتاب[2]، وبذا يكون ابن ولاّد قد فاز بإجازة نسخ الكتاب، وكسر قيد الاحتكار بهذه الطريقة الذكيّة.

وقد كانت لبعض الكتب أهميتها التاريخية والمعرفية، على حدّ سواء، فكتاب سيبويه الآنف الذكر، كان الناس يحتاجون إليه، في كل زمان ومكان[3] ويطلبونه من الورّاقين وغيرهم، وتشدّ إليه الرحال لنسخه والاستفادة منه، فهذا أبوعلي الفارسي[4] أحد أعلام العربية في النحو واللغة، يشدّ رحاله من فارس إلى بغداد كي يسمع من أبي بكر السرّاج (محمد بن السري بن سهل)[5] أحد أعلام اللغة في بغداد في القرن الرابع، وأبرز تلاميذه المبرّد، قال عنه ياقوت: قرأ على «المبرّد» كتاب سيبويه، ثم اشتغل بالموسيقى، فسئل عن مسألة بحضرة

---

(١) معجم الأدباء ١٠٦/١٩ ـ ترجمة ـ محمد بن ولاد التميمي ـ رقم ٢٩.

(٢) المصدر السابق ـ المكان نفسه.

(٣) لا زال حاضراً بين ظهرانينا حتى هذه الساعة، وهو واحد من أهم مصادر اللغة العربية.

(٤) انظر ترجمته عند ياقوت ـ معجم الأدباء ٧/ ٢٣٢ الترجمة رقم ٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٧٩ ـ الترجمة ـ ٢٧١.

(٥) انظر ترجمته عند ياقوت ـ معجم الأدباء ١٨/ ١٩٧ ـ الترجمة رقم ٥٣.

الزجّاج، فأخطأ في جوابها، فوبّخه الزجّاج وقال: «مثلك يخطئ في مثل هذه المسألة؟ والله لو كنت في منزلي لضربتك، ولكن المجلس لا يحتمل ذلك، فقال أبوبكر السراج: قد ضربتني يا أبا إسحاق، ثم تفرد لكتاب سيبويه ثانية حتى قالوا: ما زال النحو مجنوناً حتى عقّله ابن السراج بأصوله»[1]. وهذا الخبر يوضّح لنا أن ابن السرّاج هو صاحب «الإجازة» في كتاب سيبويه بتفويض ومصادقة من أستاذه «المبرّد»، وعلى ضوء ذلك جاء أبوعلي الفارسي من بلاده إلى بغداد ليسمع قراءته، وبذا يصبح هو الآخر من أصحاب الإجازة والتفويض، لذلك يقول هو في هذا الشأن: «جئت لأسمع منه كتاب سيبويه، وحملت إليه ماحملت، فلما انتصف الكتاب عسر عليّ إتمامه، فانقطعت عنه لتمكني من مسائله، فقلت في نفسي بعد مدة: إذا عدت إلى فارس وسئلت عن إتمامه، فإن قلت: نعم كذبت، وإن قلت: لا بطلت الرواية»[2].

هنا يتوضّح مقدار المكابدة والمعاناة في تلقي العلوم من جهة، ومن جهة أخرى، فإن مبدأ الصدق في النقل يملي على الناقل عدم تزوير الحقائق، أي أنه كان هناك ربط أخلاقي في المسألة المعرفية، وفي المحصلة النهائية فإن منهج الوراقة حصّن الكثير من النقلة والعلماء للحفاظ على بنوده وثوابته.

ومن هنا أيضاً تبرز لنا أهمية الإجازة، وإن كانت على السماع، وليس ذلك فحسب، بل إن المجيز هو الآخر يحرص على إيداع هذه الإجازة في مكانها الأمين والموثوق، في مستودعات العلم وصدور العلماء وعقولهم، يقول أبوعلي الفارسي، مستأنفاً حديثه السابق: فدعتني الضرورة أن حملت إليه

(١) ياقوت ـ المصدر السابق ١٨/١٩٨.

(٢) المصدر السابق ١٨/٢٠١ و٧/٢٥٢ ـ ٢٥٣.

ـ يقصد ابن السرّاج ـ رزمة وأقبلت إليه، فلما أبصرني من بعيد أنشد[١]:

كم قد تجرّعت من غيظ ومن حنق لكن تجدّد وجدى هوّن الماضي[٢]
وكم غضبت ولم يلووا على غضبي فعدت طوعاً بقلب ساخط راضي[٣]

ومن ثم أصبح التواتر في النقل والتفويض لكتاب واحد، من الأمور المسلّم بها، بحكم الضرورة ولتوالي الأحداث وتعاقب الأزمان، على شرط الحفاظ على مبدأ «الإجازة والتفويض» كنهج لا يمكن الحياد عنه، فـ كتاب سيبويه مثلاً مرّ بهذه التجارب والضرورات، فبعد أبي علي الفارسي كان علي ابن عيسى الرمّاني الورّاق[٤]، حيث كان هو الآخر قد تتلمذ على يد ابن السرّاج وابن دريد والزجّاج، وله كتاب في شرح كتاب سيبويه[٥]، ثم آل الأمر إلى محمد بن المستنير بن أحمد، المعروف بقطرب البصري، حيث أخذ النحو عن سيبويه[٦]، ثم كان الأمر لمحمد بن مسعود الأندلسي[٧]، الذي تتلمذ على يد ابن السرّاج، وأتقن على يده مسائل سيبويه، وتصدر للقراءة في الأندلس، فرحل إليه الناس للقراءة عليه، وبذا يكون هو واحداً من أصحاب التفويض والإجازة بالتواتر أيضاً، بالنسبة لكتاب سيبويه.

---

(١) معجم الأدباء، بمكانيه.

(٢) في ترجمة/أبي علي الفارسي/عند ياقوت أيضًا ـ معجم الأدباء، ورد البيتان على النحو التالي:

وكم تجرعت من غيظ ومن حزنٍ إذا تجدّد حزن هوّن الماضي
وكم غضبت فما يا ليتهم غضبي حتى رجعت بقلب ساخط راضي

(٣) راجع معجم الأدباء ٧/ ٢٥٣.

(٤) انظر ترجمته في معجم الأدباء ١٤/ ٧٣ وما بعدها ـ الترجمة رقم ٢٠.

(٥) انظر إلى قائمة مؤلفاته عند ياقوت ـ معجم الأدباء ١٤/ ٧٥.

(٦) المصدر السابق ١٩/ ٥٢ ـ ٥٣ ـ الترجمة رقم ١٥.

(٧) المصدر السابق ١٩/ ٥٤ ـ الترجمة رقم ١٦.

وتبلغ أحياناً قراءة الورّاق أو التلميذ على شيخه، العالم بأكثر من فن، إبداء التفويض والإجازة، دون أن يكمل الكتاب، نظراً لحسن الدراية ودقة الضبط في القراءة في الفصول الأولى من الكتاب، لذلك يجيزه شيخه على ذلك. فقد ذكر ياقوت الحموي أن أبا الحسن الطبري ـ تلميذ أبي عمر الزاهد[1] ـ كان قد قرأ قصيدة شبل بن عروة الضبعي على أبي عمر الزاهد، وقد أخذها من أبي محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه، وقد قرأ عليه إلى «سيباً من حسر سئل». والقراءة هنا على ابن درستويه، فقال ابن درستويه: قد دفعت إليك كتابي بخطي من يدي إلى يدك، وقد أجزت لك القصيدة، فاروها عني، فإن هذا ينوب عن السماع والقراءة، فقبلت ذلك منه[2]، وعلى هذا النحو كانت الإجازات والتفاويض ترد من شيخ إلى تلميذه، وتدور وتتناقل من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى آخر، حتى وصلت إلينا.

هـ ـ السماح بالتداول:

بعد كل تلك المراحل والخطوات، من عمل الوراقة، والسير وفق المنهج المتبع، فإن العرف الوراقي يبيح تداول الكتاب في أروقة سوق الورّاقين وخارجه، وقد رأينا مسار حركة الكتاب، وما رافقها من تعقيدات وتغييرات، ولولا ذلك المنهج الرصين، وما رافقه من أخلاق وقيم، حافظت على وجودها في سياق المنهج، لما وصل إلينا ذلك التراث الجميل الخالد، ولأصبح مشكوكاً في الكثير من تلك المخطوطات التي وصلت إلينا، وهي الأخرى تحتاج إلى

---

(١) سبقت الإشارة إليه في هذا الفصل.

(٢) معجم الأدباء ١/ ١١٠ ترجمة ـ إبراهيم بن محمد توزون ـ الترجمة رقم ٤.

البذل والمزيد من الجهد لإخـراجها إلى النور، لأن حقّ الأوائل علينا يتطلّب منا متابعـة خطّ سيرهم، والحفاظ عـليه، وبمنهجيّة تقـرّبنا إليهم، كي نكون بارّين بهم، وبالتراث الذي تركوه لنا أمانة.

البعد الفنّي في منهج الوراقة:

كنّا قـد ألمحنا إلى هذه النقطة في بداية هذا الـفصل، حـيث إن الورّاقين كان لهم من الحسّ الفني مـا يوازي تصوّرهم المعرفي، ويكمله في سـياق المهنة والتوريق، لذلك نشاهد أن الورّاقين كانوا أصنافاً متعددة[1]؛ فهذا نسّاخ، وذاك مُذَهِّبٌ، وثالث مجلّد، ورابع منادٍ، وغيرهم. الأمر الذي يوضّح أهمّية الوراقة. وجميع أصناف الوراقين، تعطي للبـعد الفني أهميته في عـملهم، وقد أطلقوا على هذا البعد اسم «رسوم الكتابة»، وتعـني عندهم الالتزام بتصدير الكتاب، ومقـابلة النسخة بالكتاب الأصلـي، ومراجعة اللغـة، وتجاوز الخطأ في النسخ وغيرها[2] من أمور الكتابة، المستخدمة في دواوين الدولة أو عند الورّاقين، وهذا المسلك دأبوا عليه من أسلافهم منذ أيام النبي محمد ﷺ، حيث كانوا يلتزمون بـه[3]، وضمـن الرؤية الإسـلامية، فإن التـصدير[4]: هو التزام الكتّـاب بذكر «بسم الله الرحـمن الرحيم» في أول أي كـتاب يكتب، وقـد ذكر الصـولي أن قريشـاً كانت تكتب في جاهليـتها «باسـمك اللهم»، والتزم النبي محـمد ﷺ

---

(١) سوف نتطرق إلى أصناف الورّاقين في فصول قادمة.

(٢) راجع الصولي/ أدب الكتّاب/ ص ٣٦ ـ ٤٠ وص ١٢٠ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق/ ص ٣٩.

(٤) جاء في تاج العروس للزبيدي/ الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله/ انظر مادة ـ صدر ـ والتصدير على وزن تفعيل، وهو اشتقاق من «صدر» المراد به في هذا الموضع ـ بدء الكتابة في أول صدر الصفحة.

بذلك إلى أن نزلت سورة هود، وفيها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا﴾[1]، فأمر ﷺ بأن يكتب في صدر كتبه «بسم الله»، ثم نزلت في سورة الإسراء: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[2]، فكتب: «بسم الله الرحمن» ثم نزلت سورة النمل، وفيها ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾[3]، فجعل ذلك في صدر الكتب إلى الساعة، وكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول كل سورة من القرآن، إلا في أول سورة التوبة، فإنه يروى عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: لم يكتب بين الأنفال وبراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» والأنفال من أوّل ما أنزل الله في «المدينة» و«براءة» من آخره، إلا أنها تشبهها[4]، وعلى هذا الأساس الديني، جرت العادة في الكتابة، وأصبحت رسماً من رسومها.

وكتابة البسملة[5] يختارها الكاتب (الورّاق) في بداية حاشية القرطاس، ثم يكتبون الدعاء أي تضمين فاتحة الكتاب بعد البسملة عبارة؛ مثل: إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وغيرها[6]، على أن يكون الدعاء تحت البسملة، ومساوياً لها في المساحة، ويشير الصولي إلى أنهم كانوا يستقبحون أن يخرج الكلام من «بسم الله الرحمن الرحيم» فاضلاً بقليل ولا يكتبونها وسطاً ـ يقصد البسملة ـ ويكون الدعاء فاضلاً، ويضيف: وإنما يفعل ذلك بالتراجم[7].

(١) سورة هود الآية رقم ٤١.

(٢) سورة الإسراء الآية رقم ١١٠.

(٣) سورة النمل ـ الآية رقم ٣٠.

(٤) الصولي ـ أدب الكتّاب/ ص ٣١ ـ ٣٢.

(٥) البسملة ـ اختصار لكلمة (بسم الله الرحمن الرحيم).

(٦) انظر الصولي/ أدب الكتّاب/ ص ٣٦ ـ ٣٨.

(٧) المصدر السابق/ ص ٣٦.

وبعض هؤلاء يرى أن يجعل البسملة وسطاً في أسفل الكتاب، بعد انقضاء الدعاء الثاني، وهو دعاء يذيّل به الكتاب أو الصفحة، كنهاية لقول مايراد، كما أنهم يذكرون التاريخ إذا احتاج إلى تبيّن نسخة كتاب متقدم أو حساب ليفرّق بين منزلته من صدر الكتاب وبين عجزه، وهذا المنهج أخذ به بعض الكتاب لا جميعهم[1].

وهناك ملاحظة فنيّة هامة، هي: لا يفسح ما بين «البسملة» وبين السطر الذي يتلوها من الدعاء، ولكن يفسح ما بين الدعاء، إذا استتم، وبين سائر المخاطبة، أما الدعاء فلا يتجاوز به ثلاثة أسطر، ولا يستتم السطر الثالث على المشهور من مذاهب أجلاّء الكتاب، كما يقول الصولي[2].

ومن مراسم الكتابة الأخرى استهلال الكلام، بعد البسملة والدعاء، بكلمة «أما بعد» كعرف سائد في أدب الكتّاب، قيل: إن أوّل من قالها كعب ابن لؤي، وقيل: داود النبي، ويعد هذا فصل الخطاب[3]، ويجري الأخذ به عادة بعد الدعاء، أو بعد قولهم: من فلان إلى فلان، فيفصل بها بين الخطاب المتقدم، وبين الخطاب الذي يجيء بعد، وقد أورد الصولي أبياتاً توضّح هذا المعنى لسابق البربري موجهة إلى عمر بن عبدالعزيز[4]:

باسم الذي أنزلت من عنده السُّور	والحمد لله، أما بعد ياعمرُ
فإن رضيت بما تأتي وما تذر	فكن على حذر قد ينفع الحذرُ

---

(١) الصولي ـ أدب الكتّاب/ ص ٣٦ أيضًا.

(٢) المصدر السابق ـ المكان نفسه.

(٣) المصدر السابق/ ص ٣٦ ـ ٣٧. وقد علّق الأستاذ بهجت الأثري على ذلك بالقول: جملة الأقوال في «أما بعد» سبعة، وقد جمعها أبو الطيّب صديق حسن خان رحمه الله بقوله:

فهاك خلافاً في الذي تقدّما	يُنطقُ بأمّا بعد فاحفظ لتفهما
فداود يعقوب فآدم أقربُ	فَقُس فسحبان فكعب فيعربُ

(٤) أدب الكتّاب/ ص ٣٧.

واشترطوا ـ لغوياً ـ وجود الفاء بعد أمّا، لأن أما لا عمل لها إلاّ اقتضاء الفاء واكتسابها، فإن الفاء تصل بعض الكلام ببعض وصلاً لا انفصال بينه ولا مهلة فيه[1].

وللتصدير أحوال اقتضتها الظروف السياسية والإدارية، وخضعت بذلك إلى مسارها التاريخي، ففي أيام النبي ﷺ يبدأ باسمه ويختم الكتاب باسم كاتبه، وفي زمن الخلافة الإسلامية بـ إمرة المؤمنين والإمامة، والتصدير في أول الكتاب، والدعاء في آخره للإمام وولي العهد والوزير واحد، إلا أنهم قالوا: سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وكذلك لولي العهد في التصدير والدعاء الأخير، ولم يقولوا للوزير: «وبركاته» ليفرقوا بين المحلّين[2].

وكان التصدير ينتهي إلى قوله: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، إلى أن أفضت الخلافة إلى الرشيد، فأمر أن يزاد فيه «وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ»، فكتب به[3].

وهذا الأمر يدلّنا على الأصول الأوليّة في المخاطبات الرسمية الصادرة من ديوان الخليفة، لذلك تبرز الصفة الآمرة، والألقاب المعظّمة، والنعوت الأخرى، لإضفاء الرسمية والهيبة.

ومن الأمور الفنيّة الأخرى في منهج الوراقين، جودة الخط[4]، فعليه يعتمد بدرجة أساسية في مهنة الوراقة، وقد أفرد الصولي باباً مهمّاً في ذلك[5]، كما جاء ذكر جودة الخط عند أبي حيان التوحيدي، حيث خصّه

---

(١) أدب الكتّاب/ ص ٣٨.

(٢) المصدر السابق/ ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سيجد القارئ تفصيلاً دقيقًا في ذلك في الباب الخاص بـ أصناف الورّاقين.

(٥) أدب الكتّاب/ ص ٤١ ـ ٥٧.

برسالة خاصة أسماها: رسالة في علم الكتابة[1].

أما المقابلة، فهي تدقيق ما في المخطوط على المنسوخ، دون زيادة أو نقصان، بحيث يحدث التماثل ويقبل التعارض، حتى يستويا، والمعنى أن ينسخ الشيء فيجيء بمثله بغير مخالفة. ويروى أن أوّل من عمل نسخاً «زياد»[2]، ولعله زياد بن أبيه، وضمن سياق المقابلة، فإن الورّاقين ينتبهون إلى الخطأ، وهو في اللغة ضد الصواب[3]، فيصححونه، ثم لا يأخذون بالمشْق في الكتابة ـ والمشق. السرعة ـ[4]، ولم يتعاطوا في مهنتهم بـ«الزلف»، وهو تجاوز الشيء إلى شيء غيره[5]، ثم إنهم أخذوا بمبدأ «عرض الكتاب» وهو إمرار الطرف عليه بعد الفراغ منه لئلا يقع في خطأ[6]. ومن ثمّ انتبهوا جيّداً إلى مسألة «اللحن في الكتابة» وعدوا ذلك من العيوب، لذلك قالوا: «اللحن في الكتاب أقبح منه في الخطاب»[7]. ثم راعوا مسألة «التوقيع والإيجاز»[8] إذا كانت صادرة من كتّاب الدواوين في الدولة العباسية، والتزموا بأصول الكتابة عند كتابة «العنوان»، والعنوان: العلامة، كأنك عَلّمتهُ حتى عرف بذكر من كتبه ومن كتب إليه[9]، وراعوا في نسخهم «تحرير الكتاب» أي خلوصه من الكدر

---

(١) رسائل التوحيدي/ ص ٤١ ـ ٦١.

(٢) لم يذكر الصولي أيّ زياد منهم ـ أدب الكتّاب ص ١٢٢/ ولم أعثر عليه في الأوائل لأبي هلال العسكري.

(٣) أدب الكتّاب/ ص ١٢٢.

(٤) المصدر السابق/ ص ١٢٣.

(٥) المصدر السابق/ ص ١٢٣.

(٦) المصدر السابق/ ص ١٢٧.

(٧) المصدر السابق/ ص ١٣٠.

(٨) المصدر السابق/ ص ١٣٤.

(٩) المصدر السابق/ ص ١٤٣.

وصفاء ما عليه[1]، ثم إنهم التزموا بقواعد الكتابة والإنشاء التي التزم بها كتّاب العصر العباسي، واستدلّوا بنقد الكتـابة بعد الفراغ منها كفكرة. يقول الصولي حول هذه الفكرة: «إن الابتداء بنظم الكلام ونشـره فتنة تروق، وحدّة تعجب، فإذا سكتت القريحة وعدل المتأمل، وصفت النفس، فليعد النظر، وليكن فرحه بإحسانه، مسـاوياً لغمّه بإساءته»[2]، وهذه الناحية تشـترك في المنظور المعرفي أكثر من اشتراكها في المنظور الفني، لأن فيها مبدأ «النقد» واضح جداً.

ونظراً لكون الورّاقين هم أقـرب إلى العـامة من النـاس، فلذلك يلتجـأ إليهم لكتـابة ماهم بحاجة إليـه من قصص «عرائض» وشكاوى وغيـرها. وقد أورد الصولي نماذج من هذه الأمـور، كجزء من أدب الكتابة وفنهـا، وقد التزم الورّاقون بهـا، ولا بأس من إيراد نموذج منها، اسـتطراداً للسيـاق، وتوضيحـاً للمـعنى، وإتماماً للفائـدة، يقـول الصولـي: «فـأمّا مكاتبـات الـناس إلـى الإمام ـ الخليفة ـ أو إلى وليّ العهد أو إلى الوزير ،فيكتب: «العبد لله فلان بن فلان ـ أميـر المؤمنـين سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إلى أمير المؤمنـين الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمـد عبده ورسولـه ﷺ». ويكون ذلك في سطرين وبعض آخر ـ ثم يـقال: «أما بـعد ـ أطال الله بقاء أمـير المؤمنين، وأدام عزّه وتأييده وكرامـته وسعادته وحـراسته، وأتمّ نعمـته عليـه، وزاد في إحسـانه إليه بفـضله عنده، وجمـيل بلائه لديه، وجزيل قسمه له». وهـذا هو الدعاء، ويكون في سطرين، ثم يقال بعد ذلك: فقد كـان كذا «لأن جواب أما بعد بالفـاء، فقد كان كـذا وكذا، فإذا أتى على

---

(١) أدب الكتّاب/ ص ١٥٦ ويلجأون إلى السـماع بصوت مرتفع بقراءة المخطوط علـى المؤلف ـ أحيانًا ـ للتأكد من صحة المطابقة، معجم الأدباء ٧/ ٢٦٧.

(٢) أدب الكتّاب/ ص ١٥٧.

جميع المعاني المحتاج إلى المكاتبة فيها، فبلغ إلى الدعاء ـ الثاني ـ قال: «أتمّ الله على أمير المؤمنين نعمه وهناه وكرامته، وألبسه عفوه وعافيته، وأمنه وسلامته، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وكتب فلان بن فلان، يوم كذا، في شهر كذا»[1]. وإلى وليّ العهد والوزير مثل ذلك، إلا أن الفرق بين الإمام ـ الخليفة ـ وبينهما: أن يكتب إلى الإمام مع السلام «وبركاته» وفي آخر الكتابة مثل ذلك.

كما التزموا أشدّ الالتزام بتاريخ الكتاب، رسالة كان أو مخطوطة كتاب[2].

تلك هي أهم مقومات منهج الوراقة، من الناحيتين المعرفية والفنيّة، والمتأمل فيها جيّدا، يدرك مقدار المعاناة ومدى الجهد والصبر المبذول في إتمام عملية الوراقة، ولكنه من الناحية الأخرى، يدرك مدى الشغف لحب المهنة والتفاني فيها، فهي مهنة الأدب والفكر، لا مهنة التجارة، كما هو سائد اليوم عند أصحاب دور النشر، وهم الذين يوازونهم في المقام على رغم اختلاف المقال.

على أية حال، فإن هذا المنهج الوراقي كان من المعرفة بمكان، بحيث إنه استطاع أن يصل إلينا، ونطّلع عليه، ونفهم أبعاده ومعانيه، ونأمل أن نكون قد اهتدينا إلى كشفه وتقديمه، كأسلوب منهجي عند الأوائل، كانوا يقتدون به.

---

(١) أدب الكتّاب/ ص ١٦٤.

(٢) راجع المصدر السابق/ ص ١٧٨ ـ ١٧٥.

قواعد أخرى في منهج الوراقة:

في النقطة السابقة والتي قبلها تطرقنا بشـيء من التفصيل والتحديد إلى كل عملية من عـمليات النسخ والتوريق والتأليف، حـيث إن منهج الكتّاب في الدولة العباسية سحب ظلال خيوطه على مناهج الورّاقين بالضرورة، كتحصيل حاصل، فـاشتـرك الورّاقون والكتّـاب في تلك المناهج، وساروا بهـا طويلاً، وعنهم انتقلت تلك الأساليب إلى بقية أمصار الخـلافة العباسيّة، وظلت سائدة إلى ما بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ على يد المغول، بل تطورت وتداخل فيها المنهج المعـرفي مع المنهج الفني، الأمـر الذي يوضّح الديناميـكية عند الكتّـاب والورّاقين على حدّ سـواء، وهذا المنهج ورد كاملاً عند «الشيخ عـبدالباسط بن موسى بن محمد العلمـوي» المتوفى في دمشق سنة ٩٨١هـ، في الباب السادس من كتابه المعروف بـ **المعيد في أدب المفيـد والمستفيد**(١)، كما يقتضي المقام هنا ذكر «ابن جماعـة» وكتابه **تذكرة السامع والمتكلـم في أدب العالم والمتعلّم**(٢)، فقد ذكر هذا المنهج واستفاض في شرحه، إلا أن رواية العلموي أشمل وأوضح وأعمق، لذلك سنعتمدها هنا.

توضّح المسألة الثالثة من الباب السادس(٣)، أن مسألة النسخ كانت تأخذ موافقـة أخلاقية من صـاحبه، فإذا كان الكـتاب وقفاً على من ينتـفع به، غير

---

(١) طبعه للمرة الأولى أحمد عبيد، ونشرته المكتبة العربية بدمشق سنة ١٣٤٩هـ.

(٢) طبع في حيدر آباد سنة ١٣٥٣هـ.

(٣) من الجدير بالملاحظة والإشارة، أن المستشرق الدكتور «فرانتز روزنتال» قد أورد هذا المنهج كاملاً، أي الباب السادس مـن كتاب العلموي أعلاه فـي كتابه **منـاهج العلماء المسلمين في البحث العلمي**، على الصفحات ٢٨ ـ ٤٩ ـ وقام د. أنيس فريحة بترجمة الكـتاب، ونشرته دار الثقافة ببيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ نيويورك ـ وصدر في عام ١٩٦١م بشكل مشترك.

معيّن، فلا بأس بالنسخ مع الاحتياط[1]، فقد كانت هذه الأمور متداولة بين الأدباء والكتّاب للاستفادة الشخصية عن طريق الإعارة، ثم إن الجانب الأخلاقي[2] واضح في طروحات العلموي في هذه العملية، حيث إنه يرى بالمستعير إذا أراد أن ينسخ من الكتاب أو يطالعه، ألا يضعه مفروشاً على الأرض، بل يجعله مرتفعاً[3].

ومن هذا الجانب الأخلاقي، نستشف الجانب المعرفي بتفضيل الكتاب والمحافظة على هيبته باعتباره وسيلة للمعرفة، يتعامل بها الناس على اختلاف طبقاتهم وتمايز درجاتهم المعرفية.

ويضيف العلموي[4]: وإذا وضعت الكتب مصفوفة، فلتكن على شيء مرتفع عن الأرض، لئلا تندى فتبلى، ويراعى الأدب في وضعها باعتبار علومها، فيضع الأشرف أعلى الكل، فإن استوت كتب في فن فيراعى شرف المصنّف فيجعله أعلى، وليجعل المصحف الكريم أعلى الكل، والأولى أن يكون في خريطة[5] ذات عروة في مسمار ونحوه في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس، ثم يلي المصحف، كتب الحديث كالبخاري ومسلم، ثم تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث، ثم الفقه، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم النحو والتصريف، ثم أشعار العرب، ثم العروض ومافي معناه ونحو ذلك.

---

(١) العلموي، المعيد في أدب المفيد، ص ١٣١.

(٢) سوف نتحدث عن أخلاق الورّاقين في الفصل القادم بشكل أكثر تفصيلاً.

(٣) العلموي/ ص ١٣١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الخريطة = هي مثل الكيس من الخرق والأدم، تشرج على ما فيها، ومنه خرائط الكتب ـ اللسان ـ مادة ـ خرط.

وهذا العرف الفني وتسلسله يخضع لمنظور ديني واضح كمسلك فنّي يلتزم به في المكتبات العامة والخاصة ودكاكين الورّاقين، على أن يراعى في ذلك جانب فنّي آخر هو مراعاة عدم وضع الكتب ذوات القطع الكبير فوق ذوات الصغير، كيلا يكثر تساقطها[1].

ومن الأمور الأخرى في صفّ الكتب على الرفوف، أنهم راعوا أن يكون مكتوباً عليها اسم الكتاب في حرف عرضه، ويجعل رؤوس الترجمة إلى مرد الجلد المقابل للسّان، لئلا تصير الكتابة معكوسة[2]، كما راعوا أيضاً في صف الكتب حسن الوضع، وذلك بأن يجعلوا الحبكة في ناحية، والمجلد الآخر يجعل حبكته في الناحية الأخرى، فتكون الكتب قائمة بلا اعوجاج، ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس وغيرها، ولا مخدة ولا مروحة ولا مستنداً ولا متكأ، ولا مقتلة للبقّ، ولا يطوي حاشية الورقة، وزاويتها، كما يفعل كثير من الجهلة[3].

وضمن القواعد والأعراف العامة السائدة في سوق الورّاقين، وتندرج ضمن الأخلاق الأدبية للتعامل بين الأدباء والورّاقين في سياق المنهج، كان التنبيه على طريقة شراء الكتاب، حيث أوجبوا النظر في أول الكتاب وآخره ووسطه، وترتيب أبوابه وكراريسه، واعتبار صحّته، أي التأكّد من صحة مراجعته من خلال مشاهدة الإلحاق والإصلاح فيه، فإن ذلك شاهد له بالصحة، كما يقول الشافعي[4]، إضافة إلى أنهم اعتبروا مقولة «لايضيء الكتاب حتى يظلم» إشارة توضيحية مهمّة المراد منها صحّة إصلاح الكتاب[5].

---

(١) العلموي/ ص ١٣١.

(٢) المصدر السابق/ ص ١٣٢.

(٣) المصدر نفسه والمكان عينه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

وهناك أمور أخرى جرت الإشارة إليها في النقطة السابقة، وردت أيضاً في كتابات العلموي ضمن منهج الوراقة، منها: أن الناسخ إذا نسخ شيئاً من كتب العلوم الشرعية يجب أن يكون على طهارة[1]، ومستقبلاً القبلة، طاهر البدن والثياب والحبر والورق، ويبتدئ كل كتاب بكتابة «بسم الله الرحمن الرحيم»، وإن كان مصنفه تركها فليكتبها هو، ثم طالبوه أن يكتب «قال الشيخ أو قال المصنّف»؛ ليبرئ ذمته من جهة، ومن جهة أخرى لتحميل المؤلف وزر ما كتب في كل ما ورد في الكتاب، وبعد ذلك يشرع بكتابة ماصنّفه المصنّف.

وإذا فرغ من كتابة الكتاب أو الجزء عليه أن يختم الكتابة بالحمدلة والصلاة على الرسول، وليختم بقوله: آخر الجزء الأول أو الثاني ـ مثلاً ـ ويتلوه كذا وكذا، إن لم يكن أكمل الكتاب، فإن أكمله، فليقل: تمّ الكتاب الفلاني[2].

ورأوا أن في مثل هذه الإشارات المعرفية فوائد كثيرة، تنفع القارئ والناسخ والمصنّف على حدّ سواء.

كما اشترطوا على الناسخ أنه: كلما كتب اسم الله تعالى، أتبعه بالتعظيم، مثل: تعالى أو سبحانه، أو عزّ وجلّ، أو تقدّس، أو تبارك، ويتلفظ بذلك، وكلما كتب اسم النبي كتب بعده: الصلاة عليه والسلام[3]، وهذه الالتزامات نهج سايروا عليه أسلافهم بذلك من جهة، ومن جهة ثانية، فإن تعاليم الشريعة الإسلامية، تحضّ على ذلك، حيث جاء في التنزيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١) في فصل أخلاق الورّاقين/ سيجد القارئ تفصيلات أكثر بهذا الجانب الديني الأخلاقي.

(٢) العلموي/ ص ١٣٢.

(٣) المصدر السابق ـ المكان نفسه.

ولكون الوراقة مـهنة إسلامية، فـشروط ذلك توجب الالتزام بأعرافـها، كمـا أنهم ألزموا الورّاق ـ الناسخ ـ أن لا يخـتـصر «الصـلاة» في الكتابة، ولا يسأم من تـكريرها، كما يفـعله البعض حـيث يكتبـون (صلعم، أو صلع، أو صم، أو صلسم» لأن ذلك مكروه في عـرف الشـرع، كمـا ينسبـون ذلك إلى الشيخ العراقي[1]، معتـبرين أن أجر كتـابة الصلاة بكمالها عظيـم، ومن أكبر الفوائد العاجلة، ومـحذرين من التغاضي عن ذلك، مـشيرين إلى أن أوّل من كتب (صلعم) قطعت يده[2].

ثم دأبوا على كتابة ـ رضي الله عنه أو رضـوان الله عليه ـ كلما مرّ اسم أحد من الصحابة أو الأئمة ـ الخلفاء ـ لا سيما الأعلام منهم، وهداة الإسلام، أو يكتب: «رحمه الله، أو رحمة الله عليه، أو تغمّده الله برحمته»، ولا يكتب الصلاة والسلام لغير الأنبياء والملائكة إلا تبعاً لا اختصاصاً، وذلك عرفاً وشرعاً بالأنبيـاء والملائكة[3]، ورأوا ذلك واجبـاً، حيث قالوا: ومـتى سقط من ذلك شيء فلا يتقيّد به، بل يثبته مع النطق به[4].

كما أن مسألة الخط هي الأخرى شغلت المتأخرين من الورّاقين في مناهج عملهم، حـيث أكّدوا على عـدم المبالغـة في تحسين الخط، واهتمّـوا بصحـته وتصحيـحه، وأشاروا إلى أهمية تجنّب التـعليق جداً ـ وهو خلط الحروف التي ينبغي تفـرقها ـ والابتعاد عن المـشق، أي سرعة الكتابة مع بعـثرة الحروف[5]،

---

(١) العلموي/ص ١٣٣. وراجع عن الشيخ العراقي/الأعلام للزركلي ٣/ ٣٤٤ ط ٥.

(٢) المصدر السابق ـ المكان نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر السابق، وليراجع المسألة الرابعة فيه.

(٥) نفسه ـ المسألة الخامسة.

واختاروا لأقلامهم أنواعاً مـن القصب، وأكّدوا على ألا يكون القلم صلباً جداً فيمنع سرعة الجري، ولا رخواً فيسرع إليه الحفى[١].

وفي الكتـابة والنسخ، كرهوا فـصل مضاف اسم الـله منه كعبـدالله أو عبـدالرحمن أو رسـول الله، فلا يكتب عـبد أو رسول آخـر السطر، والله أو الرحمن أو رسـول أول السطر الآخر، لناحيـة جماليـة، حيث ارتأوا في ذلك قبحاً لصورة الكتابة[٢].

وفي مسألة المقابلة رأوا أن على الناسخ مقابلة كتابه بأصل صحيح موثوق به، على اعتبـار أن المقابلة متعـيّنة للكتاب الذي يرام النفع به[٣]، وقد أوردوا شواهد في ذلك من خلال الصحابة الأوائل ومـسلكيتهم في ذلك، فقد أوردوا أن عروة بن الزبير قال لابنه هشام: كتـبت؟ قال: نعم، قال: عرضت كتابك؟ أي: هل عارضته على أصل صحيح، قال: لا، قال: لم تكتب. وأوردوا مثالاً آخـر للشافعي ويحـيى بن أبي كثير؛ حيث قـالا: من كتب ولم يعارض ـ أي يقابل ـ كمن دخل الخلاء ولم يستنج[٤]. ثم رأوا أن الكتاب إذا صحّح بالمقابلة على أصل صحـيح أو على شيخ، فـينبغي أن يُعجَم المُعـجم، ويشكّل المشكل ويضبط الملتبس، ويتفقد مواضع التصحيف، أما ما يفهم بلا نقاط، ولا شكْل، فلا يعتني به لعدم الفائدة، فـإن أهل العلم يكرهون الإعجام والإعراب إلا في الملتبس والمشتبه[٥]، وينطلقون في مثل هذه الإرشادات من قول البلغاء والأدباء

---

(١) العلموي/ ص ١٣٣.

(٢) المصدر السابق/ ص ١٣٤.

(٣) المصدر نفسه/ ص ١٣٥.

(٤) المصدر نفسه/ ص ١٣٥ ـ المسألة السابعة.

(٥) المصدر نفسه والمكان عينه.

الكبار، حيث إن هؤلاء يؤكدون على أن إعجام الخط يمنع من استعجامه، وشكله من إشكاله، وقال بعضهم: ربّ علم لم تعجم فصوله فاستعجم محصوله[1].

وقد انطلقوا ـ أيضاً ـ في مثل هذه الدلائل، من أصل معرفي ثقافي، حيث إنه ليس كل الناس يعرفون النطق، أو القراءة من غير حركات إعجام (علامات الإعراب) ومن الأفضل أن توضع لينتفع بها الناس جميعاً، فقالوا في ذلك: «ينبغي الإعجام والشكل للمكتوب كلّه، والمشكل وغيره، لأجل المبتدئ في ذلك الفن، كما جاء في وصيّة القاضي عياض[2] قوله: لأن المبتدئ لا يميّز ما يشكل وما لا يشكل، ولا صواب الإعراب من خطئه، ولأنه ربما يكون الشيء واضحاً عند قوم، مشكلاً عند آخرين، بل ربما يظن لبراعته المشكل واضحاً، ثم قد يُشكل عليه بعد، وربما وقع النزاع في حكم مستنبط من حديث يكون مستنبطاً من حديث يكون متوقفاً على إعرابه، كحديث «ذكاة الجنين ذكاة أمّه» فجمهور الشافعية والمالكية وغيرهم لا يوجبون ذكاته بناء على رفع ذكاة أمّه بالابتدائية والخبريّة، وهو المشهور في الرواية، والحنفية وغيرهم يوجبونها على نصب ذكاة الثانية على التشبيه، أي يذكّى مثل ذكاة أمه. ومثل هذه الأمور كثيرة، وقد أشاروا إليها[3].

ثم يؤكد العلموي أهمية ضبط الملتبس من الأسماء، إذ لا يدخلها قياس، ولا قبلها ولا بعدها شيء يدل عليها، وأضاف: «وإذا احتاج إلى ضبط الشكل في الكتاب وبيانه في الحاشية قبالته فعل»[4]، أي هنا أجيز استخدام

---

(١) المعطيات السابقة نفسها.

(٢) هو عياض بن موسى بن عمرو اليحصبي السبتي/ راجع الأعلام للزركلي ٥/ ٩٩.

(٣) العلموي/ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ، حيث فيه ذكر لأمور أخرى من هذا القبيل.

(٤) المصدر السابق/ ص ١٣٦.

الحاشية الجانبيّة لتوضيح ذلك الإشكال، وكثير من المخطوطات العربية، فيها ممارسة واضحة من هذا القبيل، ولأنهم يعتقدون في الإشكال وتوضيحه في الحاشية أن الجمع بينهما أبلغ في الإبانة، وإذا كتب ـ الناسخ ـ كلمة مشكلة من القلم لسواد كثير فيه ونحوه، أوضحها في الحاشية، وكتب فوقها كلمة صغيرة (بيان أو ن)، وله أن يكتبها في الحاشية بصورتها، وله أن يكتبها مقطعة الأحرف بالضبط ليأمن اللبس والاشتباه، وله أن يضبطها بالحروف كقوله: بالحاء المهملة والدال المهملة، والتاء المثنّاة، والثاء المثلّثة، ونحو ذلك[1]، ثم إنهم وضعوا إشارات معيّنة لتسهيل القراءة، وهي مما يلتحق بضبط المعجم، كأن يكتب في باطن الكاف المعلقة كافاً صغيرة «ك» أو همزة، ويكتب في باطن اللام هكذا (لام)، ولا يكتب هكذا (ل)[2].

كما أن الشكّ في وقوع الخطأ في المخطوطات، أمر أشكل على الوراقين، حيث إنه يصادفهم بكثرة في كل يوم، بل في كل ورقة ينسخونها، ولغرض تجاوز هذه المسألة، فإن مهنة الوراقة أعطت الحلول لذلك من خلال التجربة العملية، فقد أشار العلموي في المسألة الثامنة إلى ذلك بالقول: ينبغي أن يكتب على ما صححه وضبطه في الكتاب، وهو في محل شك عند مطالعته، أو تطرق احتمال (صح) صغيرة ويكتب فوق ما وقع في التصنيف أو في النسخ وهو خطأ (كذا) صغيرة، أي هكذا رأيته، ويكتب في الحاشية (صوابه كذا)، إن كان يتحققه أو يكتب (لعله كذا) إن غلب على ظنه أنه كذلك، أو يكتب على ما أشكل عليه ولم يظهر له وجَهه (ضبّه)، وهي صورة رأس صاد مهملة

---

(١) العلموي/ ص ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه والمكان ذاته.

مختصة من صحّ، هكذا (صـ)، فإن صحّ بعد ذلك وتحققه، فيصلها بحاء، فتبقى (صحّ)، وإلاّ كتب الصواب في الحاشية كما تقدّم[1].

وربما وقع السهو عند الناسخ، في مثل ذلك، كافتراض، ونسي الـ«صـ» في مكانها دون العودة إليها، نتيجة عدم التحقق، فما العمل؟! يجيب العلموي على ذلك بالقول: قيل: وأشاروا بكتابة الصاد أولاً إلى أن الصحّة لم تكتمل، وإلى تنبيه الناظر فيه على أنه مثبت في نقله غير غافل، فلا يظنّ أنه غلط فيصلحه، وقد تجاسر بعضهم فغيّره والصواب إبقاؤه[2]، أي أن عملية السهو غير مسموح بها في العمل، وتبقى إشارة (صـ) دليلاً على الشك في المعلومية، نتيجة عدم التحقق منها. وهذه المسألة جلبت انتباه الكثير من الورّاقين والكتّاب على حدّ سواء، لأنها شكل قائم في العمل اليومي للنسّاخ والمؤلفين، وهو احتمال قائم أبداً، مازالت عملية الكتابة كفعل ثقافي وحضاري، قائمة.

وقد أشار ياقوت الحموي إلى مثل هذه الحالة عند عليّ بن محمد بن عبيد الأسدي، حيث إنه بالغ في الاحتياط لتجنّب مثل ذلك، ووصفه بالقول: «لم أر أحسن ضبطاً وإتقاناً للكتابة منه، فإنه يجعل الإعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطاً، ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدة مرات: صحّ، صحّ، صحّ»[3]، فانظر إلى مدى المسؤولية في كتابة الكلمة، كي تصل إلينا بأمانة ومعرفة؟!

من خلال المراجعة للمخطوط، بعد الانتهاء من عملية النسخ، قد يجد الكاتب والورّاق، على حدّ سواء، بعض الزيادة، أو بعض العبارات غير

---

(١) العلموي/ص ١٣٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) معجم الأدباء ١٤/١٥٣ ـ ١٤٥ ـ الترجمة رقم ٣٣.

المنسجمة في سياقها في بناء الجملة، الأمر الذي يتطلب حسن التدبير، دون إلحاق الأذى بالمخطوط، فإنهم في ذلك رأوا ما يلي: إذا وقع في الكتاب زيادة، أو كتب فيه شيء على غير وجهه، تخيّر فيه ثلاثة أمور:

الأول: **الكَشط**، وهو سلخ الورق بسكين ونحوها[1]، ويعبّر عنه - في عرفهم - بالبشر وبالحك، حيث هو الأولى في إزالة نقطة أو شكلة.

الثاني: **المحو** وهو الإزالة بغير سلخ، إن أمكن، وهو أولى من الكشط. قال ابن الصلاح[2]: وتتنوع طرقه.

الثالث: **الضرب عليه**، وهو أجود من الكشط والمحو، لاسيما في كتب الحديث[3].

وعلى ما يظهر، فإن البعد الديني في عملية الكشط والمحو لا يفضل استخدام السكين أو غيرها - لاسيما في الأمور التي تخصّ الكتب الدينية، لذلك قال أحد الشيوخ: إنهم يكرهون حضور السكين مجلس السماع، لأن الروايات مختلفة، فعسى أن يبشر شيئاً يكون صحيحاً فيحتاج إلى إثباته ثانياً[4].

ومن هذا الجانب مالوا لاستخدام الضرب، وقد أوجدوا فيه - أي في كيفية الضرب - خمسة أقوال مشهورة:

أولها: أن يصل بالحروف المضروب عليها، ويخلط بها خطا ممتداً.

---

(١) قبل ابتداع ماسحة الحبر - في آننا المعاصر - كان شيوخنا القدماء يستخدمون «الشفرة الخاصة بالحلاقة» لمثل هذه المهمة.

(٢) ابن الصلاح/ هو العلامة الحافظ - تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي، الشهرزوري الموصلي الشافعي، صاحب المقدمة المعروفة باسمه، وهو واحد من المختصين بعلوم الحديث المشهورين - راجع سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٠ الترجمة رقم ١٠٠.

(٣) العلموي - المسألة التاسعة/ ص ١٣٧ - والضرب عليها يعني وضع إشارة ضرب (×).

(٤) المصدر السابق - المسألة التاسعة/ ص ١٣٧.

ثانيها، أن يجعل الخط فوق الحروف منفصلاً عنها، منعطفاً طرفاه على أول المبطل، وآخره، كالباء المقلوبة ـ هكذا «⌐‾‾‾¬».

ثالثها: أن يكتب لفظة «لا» أو لفظة «من» فوق أوله، ولفظة (إلى) فوق آخره، ومعناها: من هنا ساقط إلى هنا.

رابعها: أن يكتب في أول الكلام المبطل وفي آخره نصف دائرة صغيرة: «(   )».

خامسها: أن يكتب في أول الكلام المبطل وفي آخرهِ صفراً، وهو دائرة صغيرة، سميت بذلك لخلو ما أشير إليه بها من الصحة، كتسمية الحساب لها بذلك، لخلو موضعها من عدده، ومثاله هكذا: «٥»[١]، وهو أقرب إلى رسم العدد ٥. وإذا تكررت كلمة أو أكثر سهواً، ضرب على الثانية لوقوع الأولى صواباً في موضعها، إلاّ إذا كانت الثانية أجود صورة وأدلّ على القراءة، وكذلك إذا كانت الأولى آخر سطر، فإن الضرب عليها أولى، صيانة لأول السطر.

وبالجملة فصيانة أول السطور وآخرها متعيّن، إلاّ أن مراعاة أولها أولى كما يقولون[٢].

ومن الناحية اللغوية، تنبهوا إلى أن المكرر قد يكون مضافاً أو مضافاً إليه، أو موصوفاً وصفة، أو مبتدأ وخبراً، أو متعاطفين، فأثبتوا أن مراعاة عدم التفريق بالضرب أولى، إذا كان آخر سطر، كيلا يفرّق بين شيئين بينهما ارتباط، إذ مراعاة المعاني أولى من مراعاة تحسين الصورة في الخط، كما يقول القاضي عياض[٣].

(١) العلموي/ المسألة التاسعة.

(٢) المعطيات السابقة.

(٣) نفسها.

ثم انتبهوا إلى مسألة المقابلة في عملية تصحيح الكتاب، فإن كانت على الشيخ أو على نسخة أخرى، علّم على موضع وقوف كلمة (يبلغ أو بلغ العرض) أو غير ذلك[1] مما يفيد المعنى، وإذا كان الأمر في سماع الحديث كتب: بلغ في الميعاد الأوّل والثاني إلى آخرها، فيعيّن عدده، فإنه مفيد جداً كما يقول العلموي[2].

وثمة مسألة مهمة التفتوا إليها في منهج الوراقة، وطبقوها علميّاً وعملياً، وهي «مبدأ الاختصار والفصل بين الكلام»، حيث أكّد على الناسخ أهمية أن يفصل بين كل كلامين أو حديثين بدائرة، أو قلم غليظ، ولا يصل الكتابة كلها على طريقة واحدة؛ لما فيه من عسر استخراج المقصود، ورجّحوا الدائرة على غيرها، وعليها عمل غالب المحدثين، وصورتها هكذا[3] ⊙، وخضع مبدأ الاختصار عندهم إلى وجود بعض اللفظات المختصرة عن لفظة كاملة، فمثلاً كلمة: «حدّثنا» اختصروها على «ثنا»، وبعضهم وضع (نا)، وبعضهم على (دثنا)، واختصروا كلمة «أخبرنا» على «أنا»، وبعضهم على «أرنا»، وبعضهم على «أبنا»، واختصروا كلمة «حدثني» على «ثني»، وبعضهم على «دثني»، وأبقوا على كلمات «أخبرني، وأنبأنا وأنبأني» فلم يعملوا فيها الاختصار[4].

ثم أوجدوا رموزاً حرفية لبعض المفردات الدالة على الواقعة في الإسناد بين رواية، اختصرها بعضهم قافاً مفردة (هكذا: ق) وجمعها بعضهم بما يليها، هكذا (قثنا)، ومعناها يدل على (قال حدثنا)، وقد علّق العراقي على ذلك

---

(١) العلموي/ ص ١٣٨.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه/ ص ١٣٨.

بالقول: «هو اصطلاح متروك»، ومن هذا القبيل ما يوجد في كتب الأعاجم من اختصار المطلوب على «المط»، واختصار المحال على (مح)، وباطل على (بط)، وحينئذ على (وح)، وفحينئذ على (فح)، وإلى آخره إلى (إلخ)، والمصنف على (المصـ)، ونحو ذلك[1]. ثم نحو ما يختصر جميعه مع النطق به كلفظ "يحدث" في قولهم في الإسناد من مثل سمعت فلاناً عن فلان، يحدّث عن فلان، فرأوا أن اللفظ إذا تكرر ـ كما في صحيح البخاري ـ ثنا ـ صالح ابن حبّال قال: قال عامر الشعبي ـ فتحذف إحداهما خطاً لا نطقاً، ومن ذلك ما يختصر بعضه، وينطق بالبعض الباقي على صفته، والمشهور منه «حاء التحويل» عند الانتقال من سند إلى غيره، فيكتب هكذا (ح) مفردة مهملة مقصورة لفظاً، وهي مختصرة من تحويل، أي من سند إلى سند آخر، وقيل: مختصرة من حائل، لأنها حالت بين الإسنادين، وقيل: من قولهم: الحديث، وهو المنقول عن أهل المغرب، وقيل: من «صح». قال ابن الصلاح: وقد كتب مكانها بدلاً عنها صح، صريحة، واختلف في النطق بها، فالأصح ـ كما يقول العلموي ـ أنه يتعلق بها في القراءة، كما كتبت كذلك مفردة. وقيل: لا ينطق بها، وقيل ينطق بأصلها المختصرة منه، وهو الحديث، أوصحّ، فليعلم ذلك»[2]، هكذا وردت، وبتقديرنا أن الملاحظة الأخيرة هي أقرب إلى الواقع، ودلالتها ترمي إلى المقصود به هو (الحديث).

كما أنهم أوجدوا رموزاً خاصة للدلالة على بعض المصطلحات التي تخصّ كتب الحديث، فإنهم يضعون حرف (خ) لصحيح البخاري و(م) لمسلم، و(ت) للترمذي، و(د) لأبي داود، و (ن) للنسائي، و(جه) لابن ماجه

---

(١) العلموي/ ص ١٣٨.

(٢) المصدر السابق/ ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

القزويني، وأحياناً يرمزون له بـ(ق)، ولكن الرمز الأول هو الشائع والمعروف والمثبت حتى الآن، و (حب) لابن حبّان، و(ط) للدارقطني، ونحو ذلك كثير، ويرمزون بحرف (ع) للعجالة[1]. والعمدة (لابن الملقّن) و (م) للإمام مالك و(ح) لأبي حنيفة، و (أ) لأحمد، ونحو رموز الوجيز والحاوي للأقوال والأوجه والمذاهب وغير ذلك، وهي مشهورة ومعروفة عندهم، ويعلّق العلموي على هذه الرموز بقوله: ومن فعل شيئاً من ذلك أو من غيره في تأليف بيّن اصطلاحه فيه، ولا مشاحّة[2] في الاصطلاح، فبيان الاصطلاح في ديباجة الكتاب ليفهم الخائض فيه معانيها[3].

وهذا المنهج في الرموز يوضّح لنا الأهمية المعرفية عند هؤلاء، حرصاً على سلامة النقل بالشكل العلمي من جهة، ومن جهة أخرى يوضح ذلك العمق الإبداعي في مهنة الورّاقين والمؤلفين، لتجاوز حالات مكررة يتعاملون معها بشكل مستمر ويومي، حتى إن التجاوز المهني في هذه الحالة خلق هذه الرموز ليتجاوز حالة الروتين والملل وانعكاساته النفسية أثناء العمل، وفي الوقت نفسه تكثيفاً للزمن، وليس ذلك فحسب، بل إن هذا المنسك المعرفي فرضه الورّاقون على أنفسهم أولاً، وعلى المؤلفين ثانياً، تسهيلاً للعمل، ودرءاً للخطأ اللغوي والمعنى العلمي، وإيضاحاً للباحث الذي يدرس ذلك المؤلف. وهذا المنهج يكشف لنا الاستمرار الثقافي والاجتماعي، حتى زمن المؤلف العلموي ـ وهو القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي ـ الأمر الذي يعطي البعد التواصلي لحضارتنا العربية الإسلامية، بين الأمس واليوم.

---

(١) انظر تصويبات روزنتال على نصّ العلموي في: مناهج العلماء المسلمين، ص ٤٨ ـ هامش رقم ١.

(٢) المشاحة ـ اشتقاق من «شاحّ فلاناً»: خاصمه وماحكه، ومعنى لا مُشاحّة في الاصطلاح: لا مجادلة فيما تعارفوا عليه. وانظر القاموس ـ مادة ـ شحح.

(٣) العلموي/ ص ١٣٩.

ومن منهج الرموز إلى منهـج الحاشية، ظل الكُـتّـاب والأدباء والورّاقون فيهم، متمسكين بمنهج الحواشي في الكتاب، حيث إنهم وجدوا فيه فوائد جمّة تخدم وتكمّل منهج الرمـوز، فقد أوصوا ألا يكتب في آخـره ـ صح ـ بل ينبّه عليه بإشارة للتخـريج بالهندي مثلاً[1]، وبعضهم يكتب على أول المكتوب في الحاشية (حـ).

ولاينبغي أن يكتب إلاّ الفوائد المهمة المتعلقة بذلك الكتاب والمحل، مثل تنبيه على إشكال، أو احتراز، أو رموز، أو خطأ، ونحو ذلك[2].

كمـا طالبـوا الورّاق والكاتب على حدّ سـواء أن لا يسوّد الكتـاب بنقل المسائـل والفروع الغريبـة، ولا يكثر الحواشي كثرة يظلم فيـها الكتاب، وقالوا: لا بأس بكتابة الأبواب والتراجم والفصول ونحـو ذلك بالحمرة، فإنه أظهر في البيـان وفي فواصل الكلام، ثم أباحـوا للكاتب والناسخ الحقّ في كتـابة شرح ممزوج بالمتن بكتـابته بالحمـرة، أو يخط عليه خطاً منفـصلاً عنه، ممتـداً عليه، ولكن المفضل عندهم والأحسن الكتابة بالحمرة، لأن ذلك أوضح للبيان، حيث إنه قد يمزج الخط بحرف واحد، وقد تكون الكلمة الواحدة بعضها متن وبعضها شرح، فالخط لا يوضح ذلك الإيضاح الذي توضحه الحمرة[3].

وثمّة مسـألة هامة، لم يتناسها الورّاقون ولا الكتّاب، هي مـسألة الأمانة العلمية، كما نسميها اليـوم، وقد نصّ عليها العلموي في المسألة الثالثة، حيث أشار إلى أنه «لا يجوز أن يصلح كتاب غيـره بغير إذن صاحبه»[4]، وأكد ذلك

---

(١) هكذا وردت بالنص/ انظر العلموي ص ١٣٩ .

(٢) المصدر السابق ـ المكان نفسه .

(٣) المصدر السابق/ ص ١٣٩ .

(٤) المصدر السابق/ ص ١٣١ .

في نهاية المسألة الثـامنة، حيث قال: «فلا يظنّ أنه غلط فيصلحـه، وقد تجاسر بعضهم فغيّـر ما الصواب إبقاؤه»[١]، وهذا التنبيه مبدأ هام سار عليه الأوائل، فقد أشار الجاحظ إلى مثل ذلك ونبّه عليه[٢]، كما أن الصولي سار على نفس المنوال في أدب الكتّاب[٣].

وقد كـانت الدقّة والأمانة في النقل عـند الناسخ من الشروط الأساسـية التي يجب توفّرها، وعلى رغم وجـود بعض الأخطاء والسهو، إلا أن التـعمّد في ذلك لم يكن واضـحـاً، أو مـقصـوداً، على رغم وجـود بعض الحـالات النادرة، وقد تدخلت السياسة في ذلك، مما حـرف المنهج عن مساره الصحيح، والأمر ليس واقـعاً على الورّاقين بالدرجة الأساسـية، بل على المؤلفين؛ لأنهم هم الأكثر اشتـغالاً بالفكر، والسياسة تدخل في هذا البـاب، وقد نبّه الخطيب البغدادي إلى ذلك عند بعض رجال الحديث المخلطين الحديث، وأشار إلى بعضهم مثل: ابن الخفاف محمد بن الحسين بن أبي بكر، قال عنه: «غير ثقة، لا أشك أنه كان يركب الأحاديث، ويضعها على من يرويها عنه، ويختلق أسماءً وأنساباً عجـيبة لقوم حـدّث عنهم، وعندي منه من تلك الأباطيل أشيـاء، قال لي ابن الخفاف: احـترق مرّة سوق ببـاب الطاق، فاحترق من كتـبي ألف وثمانون منّاً كلها سماعي»[٤].

وهذه المسألة ـ أعني انـتحال الحديـث ـ كانت سائدة في بعض الأمـصار على ما يبـدو، والأمر الذي قارنه الخطـيب، في معرض حـديثه عن ورع أهل

---

(١) العلموي/ ص١٣٦.

(٢) انظر الحيوان ١/ ٣٨ وما بعدها.

(٣) راجع أدب الكتّاب/ ص ١٢٠ ـ ١٢٢.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٠ الترجمة رقم ٧١٩/ وراجع ـ حبيب زيّات، الوراقة والورّاقون في الإسلام ص ١٧.

الحديث في بغداد، حيث قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: «شبّان البغداديين أورع أو خير من شبان البصرة والكوفة، وهذا قاله سفيان مع صحة رواية البصريين الذين مازالوا بالتحفظ والورع معروفين، وأمّا أهل الكوفة وأهل خراسان أيضاً، فلهم من الأحاديث الموضوعة والأسانيد المصنوعة نسخ كثيرة، وقلّ ما يوجد ـ بحمد الله ـ من محدثي البغداديين ما يوجد في غيرهم من الاشتهار بوضع الحديث والكذب في الرواية، اختصاصاً لهم وتوفيقاً من الله الكريم»(١).

فظلت مسألة الأمانة العلمية إحدى الثوابت الأساسية في منهجهم العلمي والأخلاقي والمهني، حتى إن الناسخ أحياناً يضطر إلى السرعة في العمل، توفيراً للوقت، بناء على أمر طالب النسخ، وهذا يعني أن الخطأ واقع لا محالة، لذلك كانوا يكتبون عبارات تدلّل على أمانتهم؛ مثل: «إنني لم أراجع قراءة المنسوخ لإصلاح الأخطاء، التي ربما وقعت في هذا الكتاب، ولست متيقناً من أن النسخة خالية من الأخطاء، وذلك لأنني كنت مسرعاً»(٢).

منهج التخصص في النسخ:

بعد أن أرسى الورّاقون القواعد الأساسية لمنهجهم في التوريق والنسخ، كانت مهنتهم تتفاعل حضارياً والمستجدات التي تطرأ على حالة العصر، من آن لآن، آخذة الرقي المعرفي بعين الاعتبار، محققة خطوات علمية مزدهرة في الميدان الثقافي، وعلى الرغم من سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ على يد المغول، إلاّ

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٤٤.

(٢) فرانتز روزنتال/ مناهج العلماء المسلمين/ ص ٦٢.

أن تأثيراتها الحضارية ظلّت سارية ومتفاعلة في بقية الأمصار الإسلامية، محافظة على ذلك الوهج العلمي الذي أرسته بغداد إبّان ازدهارها في القرن الرابع وما تلاه من قرون، لاسيّما على الصعيد العلمي والثقافي، وعلى الرغم من النكبة التي أحدثها المغول في بغداد وإسقاط حكوماتها العباسية، إلاّ أن التطور الثقافي ما فارقها لحظة، وكان الأمر رداً على ذلك السقوط السياسي والحربي، الذي تعرضت له عاصمة الدولة الإسلامية آنذاك، وقد برزت ملامح هذا التطور الثقافي بعد فترة وجيزة من سقوط بغداد، لا تتجاوز نصف القرن، أي في مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث أدرك العرب والمسلمون أهميّة حضارتهم والحفاظ على تراثهم وضرورة إحيائه وبعثه من جديد، فنشط التأليف، وتصدّرت الوراقة بقية المهن الإسلامية، وراحت تضفي أبعاداً جديدة على منهج الوراقة السابق، حيث اشترطت مبدأ التخصص في عملها، لا سيّما عند النساخين، في كل فن يشتغلون فيه، بحيث أصبح الناسخ في سياق هذا التخصص، أقرب إلى الناقد، إضافة إلى مهنته كناسخ، وقد أظهر النويري أبعاد هذا المنهج بشكل جيّد في موسوعته الشهيرة **نهاية الأرب في فنون الأدب**[1]، فقد اشترط في ناسخ العلوم كالفقه واللغة العربية والأصول، وما يتعلق بهذا الفن، عدة أمور منها:

أن لا يتقدم إلى كتابة شيء منها إلا بعد اطلاعه على ذلك الفن وقراءته

---

(١) من المؤسف حقًا أن يحقق من هذه الموسوعة ١٨ جزءاً وتترك بقية الأجزاء، حيث إنها (٣٠ جزءًا أو مجلدًا)؛ لأن صاحبها/ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري كان شافعيًا، وكان ينظر نظرة موضوعية للمذاهب والفرق. الأمر الذي ترددت بسببه دار الكتب المصرية «التي حققت العمل وطبعته ناقصًا» فيما أحجمت بقية الدوائر المختصة في الدول العربية عن إكمال تلك الموسوعة/ راجع عن النويري ـ بهذا الصدد ـ كشف الظنون ٢/ ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٩، والأعلام للزركلي ١/ ١٦٥.

وتكراره، ليسلم من الغلط والتحريف، والتبديل والتصحيف، ويعلم مكان الانتقال من باب إلى باب، ومن سؤال إلى جواب، ومن فصل إلى فصل، ومن أصل إلى فرع، أو فرع إلى أصل، ومن تنبيه إلى فائدة، واستطراد لم يجر الأمر فيه على قاعدة، ومن قول قائل وسؤال سائل، ومعارضة معارض، ومناقضة مناقض، فيعلم آخر كلامه، ومنتهى مرامه، فيفصل بين كلّ كلام وكلام بفاصلة تدل على إنجازه، ويبرز قول الآخر بإشارة يستدلّ بها على إبرازه، وإلا فهو حاطب ليل، لا يدري أين يفجأه الصباح، وراكب سيل لا يعرف الغدوّ من الرواح، كما يقول النويري[1].

وقد اشترطوا على ناسخ التاريخ أن يكون عارفاً بأسماء الملوك وألقابهم ونعوتهم وكناهم، خصوصاً ملوك العجم والترك والخوارزمية والتتار، بسبب كون أغلب أسمائهم أعجمية لا تفهم إلا بالنقل[2]، وقالوا: يحتاج الناسخ إذا كتبها إلى تقييدها بضوابط وإشارات وتنبيهات تدلّ عليها، وكذلك يجري التنبيه على مثل ذلك في أسماء المدن والبلاد والقرى والقلاع والرساتيق والكُوَر والأقاليم، فينبّه على ما تشابه منها خطّاً واختلف لفظاً، وماتشابه خطاً ولفظاً واختلف نسبة، نحو (مرو) و (مرو) إحداهما «مرو الرّوذ»[3] والأخرى «مرو الشاهجان»، و(القاهرة) و(القاهرة) إحداهما «القاهرة المعزية»[4]، والأخرى

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ طبعة القاهرة ـ مصور عن دار الكتب المصرية ـ ٩/ ٢١٤.

(٢) المصدر السابق ٩/ ٢١٤.

(٣) مرو الروذ: مدينة بخراسان قريبة من (مرو الشاهجان) وهي تقع على نهر عظيم، فلهذا سميت بذلك، وهي أصغر من مرو الشاهجان، والمرو ـ الحجارة البيضاء تقدح بها النار ـ راجع ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ٥/ ١١٢ مادة مرو.

(٤) القاهرة حاليًا.

«القلعة القاهرة» التي هي «بزَوْزَن»[1]، التي أنشأها مؤيد الملك صاحب «كرمان»، فإن الناسخ متى أطلق اسم القاهرة، ولم يميّزها بمكانها ونسبتها، تبادر إلى ذهن السامع القاهرة المعزية لشهرتها دون غيرها، وهكذا في بقية أسماء المواضع[2].

واشترطوا أن يكون مثل هذا التمييز أيضاً في أسماء الرجال، فمثلا يميز بين عبيدالله بن زياد، وعبيدالله بن زياد، فالأول عبيدالله بن زياد بن أبيه، أو يعرف بابن سميّة الذي ألحقه معاوية بأبيه واعترف بأخوته، والثاني عبيدالله بن زياد بن طبيان، فإن لم يميّز بالوقائع واطّلاع على الأخبار، وأمثال ذلك، يتعيّن على الناسخ تبيانه، وكذلك أسماء أيام العرب، نحو أيام الكُلاب ـ بضم الكاف ـ وأيام الفِجار ـ بكسر الفاء وبالجيم ـ وغير ذلك، فينبه عليه ويشير إليه بما يدل عليه[3].

أما ناسخ الشعر، فقد اشترطوا فيه مقومات (الناقد) في لغتنا المعاصرة، حيث طالبوه بمعرفة أوزان الشعر، وقالوا: إنه يعينه على وضعه على أصله الذي وضع عليه، كما ألزموه بمعرفة العربية والعروض، كي يتمكّن من إقامة وزن البيت إذا أشكل عليه بالتفعيل، فيعلم هل هو على أصله وصفته، أو حصل فيه زحاف من نقص به أو زيادة، فيثبته بعد تحريره، ويضع الضبط في مواضعه، فإن تغييره يخلّ بالمعنى ويفسده، ويحيله عن صفته المقصودة، ثم قالوا: إن الناسخ إذا عرف هذه الفوائد وأتقنها، وحرّر هذه القواعد وفنّنها[4]،

(١) زَوْزَن: كورة واسعة بين نيسابور وهراة، كانت تعرف بالبصرة الصغرى؛ لكثرة ما أخرجت من الفضلاء والأدباء وأهل العلم. معجم البلدان ٣/ ١٥٨ ـ مادة زوزن.

(٢) نهاية الأرب ٩/ ٢١٥.

(٣) المصدر السابق ٩/ ٢١٦.

(٤) يفنّن الكلام: أي اشتق فناً بعد فن ـ راجع اللسان ـ مادة فنن.

وأوضح هذه الأسـماء وبيّنهـا، وسلسل هذه الأسـماء وعنعنهـا[1]، بعد ذلك يصبح من المرغوب في علمه وكتابتـه، وعندما تتوفّر هذه الشروط في أحدهم، قالوا: فليبسط قلمه عند ذلك في العلوم، ويضع به المنثور المنظوم[2].

وعلى هذا الأساس من تلـك الاشتراطات سارت عـملية النسخ بالتـقدم والازدهار عصراً بعد عصر، مستفيدة من مناهج العمل السابقة، ومضيفة أشياء جديدة، لتكمـل ما نسي أو أهمل، وهو ما نتلمّـسه في المخطوطات العـربية، المكتـوبة في القرن الرابـع مثـلاً، والمكتوبة في الـقرن الثـامن، فإن الوضـوح والكمال والحـسن والدقة ظاهرة في مـخطوطات العصـر المتأخـر، وهكذا كان التطور في فنّ الوراقة.

* * *

(١) عنعنها، أي سلسلـها: فلان عن فلان عن فـلان.. وليست العنعنة المعـروفة عند تميم وهي = إبدال العين محل الهمزة كقولهم «عن» يريدون «أن».

(٢) نهاية الأرب.

الفصل الخامس
أخـــلاق الورّاقيـــن

كان للأخـلاق دور مهم في بنيـة العقل العربي الإسـلامي، منذ بدايات تشكّله في العصر الجاهلي، أو تبلوره في العصور الإسـلامية المتعاقبة، وأصبح «علم الأخلاق» واحداً من أهمّ المكوّنات الأساسيّة للفلسـفة العربية الإسلامية، وقـد نظر إليـه مـسكويـه «أحـمـد بن مـحـمـد بن يعـقـوب ـ ت ٤٣١هـ/ ١٠٣٠م»[١]، على اعتـبارهِ أفـضل العلوم، لأنه يعنى بتجـويد أفعـال الإنسان باعتـباره أشـرف المخلوقات[٢]، ويعرّج مـسكويه على أهميّة العمل الجـميل، فيقول: «فأما الأفعال، فإنما يحمد الإنسان بها إذا كانت جميلة، ويذمّ عليها إذا كانت قبيحة»[٣]، وقد انطلق مسكويه من هذا الاعتبار وفق تقـسيماته الفلسفية إلى العلوم حيث قـسمهـا إلى قسمين: العلوم النـظرية والعلوم العلمية، تبـعاً لوجود قـوتين في الإنسان، هما: القـوة العالمة، والقـوة العاملة، حيث تتـجه الأولى إلى العلوم وتشـتاق إليها، ويـبلغ المرء كماله فـيها عندمـا يصدق نظره وتصحّ بصيرته وتسـتقيم رويّته، فلا يغلط في اعتقاد، ولا يشكّك في حـقيقة، وينتهي في العـلم بأمور الموجودات على التـرتيب إلى العلم الإلهي، الذي هو

---

(١) الزركلي ـ الأعلام ١/ ٢١١ ـ ط ٥ .

(٢) مسكويه ـ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق/ ص ٥٥ .

(٣) مسكويه ـ السعادة في فلسفة الأخلاق/ تحقيق محمود علي صبح ـ المطبعة العربية بمصر ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م ـ ص ٤٤ ـ ٤٥.

آخر مرتبة العلوم، ويثق به ويسكن إليه، ويطمئن قلبه وتذهب حيرته، ويتجلى له المطلوب الأخير حتى يتحد به[1]. فيما يرى أن القوة العاملة هي المسؤولة عن ترتيب قوى الإنسان وأفعاله الخاصة بـه، حتى لا تتغالب، وحتى تتسالم، وتصدر كلها بحسب القوّة المميّزة، منتظمة مرتبة كما ينبغي[2].

وقد ربط مسكويه جدليّاً علاقة العلوم النظرية بالعملية، حيث قال: «الكمال الأول النظري، منزلته منزلة الصورة، والكمال الثاني العملي منزلته منزلة المعادة، وليس يتمّ أحدهما إلاّ بالآخر، لأن العلم مبدأ والعمل تمام، والمبدأ بلا تمام يكون ضائعاً، والتمام بلا مبدأ يكون مستحيلاً»[3].

وفي ضوء هذه المقدمات النظرية تحدّد فلسفة مسكويه الإسلامية سعادة الإنسان على نتائج عمله، كغاية منشودة يسعى لنيلها، وفي ضوء هذه النتيجة، نرى ـ مع د. أبوملحم ـ أن علم الأخلاق يمكن تعريفه بأنه: «الفلسفة العملية التي تنظر في أعمال الإنسان الإرادية، التي تصدر عن قواه وملكاته العقلية المميزة»[4].

وهنا نرى أن الفلاسفة المسلمين صاغوا نظرياتهم الفلسفية في ضوء دينهم ودنياهم، وربطوا هاتين المسألتين ربطاً محكماً، نظراً لما لهما من تواشج وترافق في حياتهم اليومية، وعلى أساس نظري، مستلّ من عقيدتهم الإيمانية، أشاعوهُ بين الناس، وقد كان لتلك العقيدة تأثير واضح في أخلاقهم وحياتهم، وتجلّى

---

(١) مسكويه ـ تهذيب الأخلاق/ ص ٥٧ ـ ٥٨ ـ وانظر كذلك/ البحث القيّم (علم الأخلاق عند مسكويه) للدكتور علي أبو ملحم ـ المنشور في مجلة دراسات عربية العدد ١٢ ـ السنة ٢٦ ـ تشرين أول/ أكتوبر ١٩٩٠/ ص ١٠٢ وما بعدها.

(٢) مسكويه ـ تهذيب الأخلاق/ ص ٥٨.

(٣) المصدر السابق/ المكان نفسه.

(٤) دراسات عربية ـ العدد المذكور/ ص ١٠٤.

هذا التأثير في الأصناف الإسلامية، حيث إن الإسلام رفع شأن العمل إلى مصاف العبادة، وجعله من الواجبات المفروضة على المسلم[١]، وقد سار الفقهاء والمشرعون بذلك، مستندين إلى القرآن والسنّة النبوية، فاصلين أمور المعاش عن أوقات العبادة، فقد دعا سعيد بن المسيّب إلى عدم ترك العمل بحجة الانصراف إلى العبادة[٢]، وبجانب هذه المسألة الفقهية للترابط بين الدين والعمل، تنبّه الأوائل إلى حبّ العمل من جانب ديني أولاً، ومن جانب نفسي ثانياً، والثاني يصبح أولاً في كثير من الأحيان، ولكن سيطرة الفكر الآيديولوجية كانت تجعله في المقام الثاني، وقد أشار إلى هذه الناحية مسكويه أيضاً، عندما قال: «إذا أحبّ الإنسان نفسه، أحبّ صورتها، والعلم صورة النفس، ويعرض من محبة صورة نفسه أن يبغض ما ليس له بصورة، فمتى حصل له علم أحبّه، وإذا لم يحصل له أبغضه»[٣]، ويربط العلم بالعمل، فإن الأصناف الإسلامية أخذت به، وقد كان للورّاقين القدح المعلّى في ذلك؛ لأن أغلبهم من العلماء والأدباء والشيوخ والقضاة، وأرباب القلم، فقد أحبّوا مهنتهم رغم معاناتهم منها[٤].

وبغية عدم الإطالة والاستطراد في موضوع الأخلاق عند أرباب المهن الإسلامية، سوف نقتصر فقط على موضوع بحثنا: أخلاق الورّاقين.

في هذا الباب المهم فاتنا الكثير من معرفة أخلاق الورّاقين بضياع رسالتين للجاحظ، كان قد أنشأهما عنهم، الأولى كانت بعنوان رسالة في مدح

---

(١) راجع، صباح إبراهيم سعيد الشيخلي: الأصناف في العصر العباسي، ص ٤٠ ـ ٤١.

(٢) ابن الجوزي/ تلبيس إبليس ـ تحقيق محمد منير الدمشقي ـ القاهرة ـ ص ٢٧٣ والأصناف/ ص ٤٢.

(٣) أبو حيّان التوحيدي ومسكويه الهوامل والشوامل ـ المسألة ٧٥ ـ تحقيق أحمد أمين وأحمد صقر، إصدار لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م/ ص ١٨٩.

(٤) سوف نتطرق ـ في فصل مستقل ـ عن معاناة الورّاقين.

الورّاق، والثانية رسالة في ذمّ الورّاق، وقد ذكر هاتين الرسالتين ياقوت الحموي في ترجمته للجاحظ[1]، ومن المؤسف حقاً أنه لم يعثر عليهما مع بقية كتب الجاحظ العديدة التي تزيد على ثلاثمئة وستين كتاباً[2]، إلاّ أن أهل العلم، الذين جاؤوا بعد الجاحظ، تنبهوا لهذا الجانب عند الورّاقين وبقية الأصناف الإسلامية، فقد أفرد ابن الحاج في «المدخل» فصولاً عديدة عن أخلاقهم، وفق صفات كل صنف ومميّزاته، مبتدئاً بـ«الورّاق» على اعتبار أن هذا المسمَّى يشمل «رب العمل» كاصطلاح جامع للوراقة والورّاقين، يقول في نيّة الورّاق: «اعلم ـ وفقنا الله وإيّاك ـ أن هذا السبب من أعظم الأسباب التي يتقرّب بها إلى المولى سبحانه وتعالى، إذا أحسنت النيّة فيه»[3].

ومن المقدمة للدخول في الموضوع، فإن البعد الديني الإسلامي تتوضّح معالمهُ، حيث إن الخطاب يحمل في ثناياه عمق الوازع الديني، ويخاطب الإيمان عند الورّاق، وهو أمر سارت عليه الحياة اليومية عندهم، وعلى اعتبار أنهم مسلمون، فإن العقيدة الإسلامية تحضّ على حسن الأخلاق في العمل، ومن هذا الجانب يدخل ـ ابن الحاج ـ في التوكيد على «تحسين نيّة الورّاق»، على اعتبار أن القرآن يكتب في الورق، إضافة إلى تفسيره، وعلم الناسخ والمنسوخ وما يتعلق به من العلوم، وكذلك الحديث النبوي وشروحه وما احتوى عليه من الحكم والمعاني، إضافة إلى كتب الفقه، وباقي العلوم الشرعية، إضافة إلى ما يحتاجه

---

(١) معجم الأدباء ١٦/١٠٩.

(٢) انظر فهرست كتبه عند ياقوت/ معجم الأدباء ١٦/١٠٦ ـ ١١٠ وأغلبها مفقودة.

(٣) ابن الحاج/ المدخل مدخل الشرع الشريف على المذاهب ـ منشورات المطبعة المصرية بالأزهر ـ ط ١ سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م ـ ٤/٧٩، وسوف نعتمد على هذا المصدر المهم، نظرًا لعدم وجود مصدر آخر تحدث عن الموضوع بهذه الدقة، وقد سعينا جاهدين للحصول على مصدر مقارب ، فلم نعثر على ذلك؛ لذا نستميح القارئ الكريم عذراً.

الناس من كتب الصدقات، وعقود البياعات، والإجازات والوكالات، وغيرها من أمور الدين[1].

وهذه الأمور جميعاً ينظر إليها بمنظار إسلامي خالص، ومن هنا يكون الورّاق على تماس مباشر بيده وجسده وروحه، وهذه العلوم تحمل صفة القدسية في مضامينها وأسمائها، لذلك جاء هذا التركيز من منظور الشريعة عليها. ومن الناحية الأخرى، فإن في عمل الورّاق تقديم خدمة للناس، من المنظور الديني ذاته، والدنيوي كذلك، لذا وجّه الخطاب له على النحو التالي: فإذا كان المتسبب (طالب الرزق، أي الورّاق) فيها ينوي إعانة إخوانه المؤمنين على قضاء مآربهم فيما يحاولونه، لكان شريكاً لهم فيما يحصل لهم من ثواب على فعل ذلك، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، فيحصل له هذا الثواب الجزيل، وإن كان قد أخذ عنه عوضاً فيكون بسبب نيّته في ذلك من أجل العبادات[2]، أي أن مسألة العمل تدخل في هذا الإطار، بصدق النيّة المتوجّه في إنجاز العمل ودقّته.

ويشترط ابن الحاج في النيّة أن تكون من حيث خروج الورّاق من بيته وملاءمتها مع نيّات العالم والمتعلّم، إلى حين وصوله موقع عمله ـ دكان الوراقة[3] ـ، وبذا يكون قد فرض النيّة المعرفية مع النية الإيمانية الأخلاقية، فهو يقول: «ثم يضيف إلى ذلك نيّة الإيمان والاحتساب»[4].

ومن النية في القلب، إلى إسقاطها في العمل كممارسة، ومن الوازع

---

(١) المدخل لابن الحاج ٤/٧٩.

(٢) المصدر السابق ـ المكان نفسه.

(٣) المصدر السابق ـ المكان نفسه.

(٤) المصدر السابق.

الأخلاقي الديني نفسه يرى ابن الحاج أن الورّاق قد يعتوره في ذلك عكس ماجلس إليه، مثل أن يبيع الورق لمن يعلم أنه يستعين به على ما لا يجوز أو ما لا ينبغي، فأمّا الذي لا يجوز فمثل الظلم وما شاكله، ومثل الكذب، كقصة البطال وعنترة[1]، إذن هناك محرّمات أخلاقية، وليست مهنية إلا أنها تمارس في المهنة ـ وما أكثرها اليوم ـ فكان التأكيد على تجنّب البيع للظالم ومناصريه، وهذه المسألة تخضع إلى بعدها الإنساني السامي حضارياً، والذي يدخل في إطارها الشرائعي الإسلامي خاصة، وبقية الشرائع الإنسانية عامّة، ثم تجنب الكذب في نقل الروايات وعدم نسخ ما لا يمت بصلة إلى الواقع، وقد ضرب مثالا لذلك، وهذه النقطة تدخل في باب البعد المعرفي، إلاّ أنها تتقاطع مع الخيال الإبداعي، وأمّا الذي لا ينبغي في عمل الورّاق ـ كما يرى ابن الحاج ـ فهو عدم نسخ الحكايات المضحكة، وما أشبهها، مما يلهو به المرء[2]، معللاً ذلك بعدم ضياع الوقت، وهو أمر كان أغلب المشرّعين الإسلاميين يدعون إليه، على اعتبار أن الجديّة تقتضي ذلك، ومن جانب آخر، يخضع هذا «التحريم» ـ وفق وجهة نظرهم ـ إلى مدلول إيماني منزّل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[3]. ومن هذه الزاوية يقول ابن الحاج: «لأنه إن باع الورق لمن يكتب فيه ذلك، فقد فعل ما لم يقله بلسانه ولم ينوِه بقلبه، فيدخل بذلك تحت هذه الآية الكريمة، فيرجع بعد أن كان في أعلى عليين إلى أسفل سافلين»[4].

---

(١) المدخل لابن الحاج ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) المدخل ٤/ ٨٠.

(٣) سورة الصف ـ الآيتان ٢-٣، وانظر المدخل ٤/ ٨٠.

(٤) المدخل ٤/ ٨٠.

ويربط هذا المشرّع الأخلاقي النيّة بالبيع والقصد منه، في ضوء الشريعة الإسلامية، ما دام المشتغلون بالمهنة مسلمين، والمهنة إسلامية، ففي ضوء النيّة يحاكم البائع ـ الورّاق ـ يقول: فإن قال البائع ـ مثلاً ـ: إني لا أعلم في الغالب حال المشتري، فالجواب: إن الذي ينبغي في حق البائع أن يحمل المسلمين على الطهارة والسلامة، حتى يتبيّن غيرهما، ثم إن المشتري قل أن يعرف حاله في هذا الزمان، بسبب غلبة الجهل على أكثرهم، لأنهم يرون أن ما هم فيه مباح أو مكروه، بل بعضهم انغمس في الجهل، حتى إنّه يعتقد وجوب ذلك أو ندبه، فلا يستخفون بشيء مماهم فيه، إذ إنه لا يستخفي أحد إلا بالشيء الذي هو عنده معصية، وهم عند أنفسهم ليسوا في معصية بل بعضهم يفتخر بذلك[1].

وهذا القيد الإيماني، قد يخلق حالة من التوتر والتجافي بين البائع والمشتري، الأمر الذي ينعكس على حالة السوق والمهنة، إضافة إلى الوضع النفسي بين الطرفين، لذلك اقترح ابن الحاج اقتراحاً فقهياً يقول: «وليحذر من أنه إذا رأى ما يكره في المشتري أن يظهر له الكراهة، بل يذكر أعذاراً مانعة له من بيعه إذ إنه إن أظهر ذلك له، أو عرض له به في هذا الزمان، ترتبت بسبب ذلك فتن كثيرة، قلّ أن يتخلص منها، والأعذار كثيرة، فليحذر على نفسه من ذلك، وهذا الذي يتعيّن عليه، إذ لايجب عليه أن يسأل عن أخبار النساء، ولا يكشف عن أحوالهنّ، فإن فعل ماتقدم ذكره، ثم تبيّن أنه باع لمن لا يرتضي حاله في الشرع الشريف، من غير شعوره بذلك، فقد سلم من الإثم، لأنه قد فعل ما تعيّن عليه الورع في تسبّبه وتصرفه، فذلك له حكم يخصّه، هو أن لا يبيع ولا يشتري ممن يحوك في نفسه شيء ما يكرهه الشرع»[2].

---

(١) المدخل لابن الحاج، المكان نفسه.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٨٠.

وبغية حسم الموضوع في هذه الحالة، فإن الأمر متروك للورّاق وحسن تدبيره، إذا توفّر شرط النيّة الصادقة فيه بمنظورها الإسلامي، ويقترح ابن الحاج في هذه المسألة الأمر التالي: «إذا وقع له ـ للوراق ـ ذلك، فليتحيّل على فسخ العقد، فإن لم يمكن ذلك، فهو مخيّر بين ردّ الثمن على صاحبه، إن تعيّن له في ذلك منفعة ما بحسب مايراه، وإلا فليتصرّف به ولا يدخله في ماله، ولا ينتفع به، وهذا عام في الثمن والمثمون، وفي الورّاق وغيره، ممّن تقدم ذكره أو تأخّر»[1].

يلاحظ هنا أن التركيز، في المقام الأول، بالنسبة لأصحاب الحرف والمهن الإسلامية انصب على النيّة، باعتبارها أصلاً من أصول الدين الإسلامي، وقد أكدتّها الشريعة الإسلامية قولاً وعملاً، وشكلت شرطاً في صحة إسلام المسلم، فقد جاء في حديث الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيّات ولكل امرئ ما نوى»[2]، وقد كان حديث الرسول هذا بمثابة المرتكز الفقهي الأول لأعمال المسلمين، لذلك كان المشرعون الإسلاميون كافة ينطلقون في إصدار فتاواهم وأحكامهم من مصدر الشريعة، وعلى منواله ينسجون، وابن الحاج عندما يعالج أمور الصناعات والحرف، إنما ينطلق من أساس الشريعة الإسلامية (القرآن والسنّة) باعتباره مشرعاً مسلماً، لذلك يؤكد على النيّة في الاعتبار أعلاه، ودائما يبتدئ بالأصول، وعندما ينتقل إلى باب آخر من أبواب كتابه، فإنه يعد شرط النيّة من الثوابت في أي عمل، لأي صانع أو حرفي أو أجير مسلم.

---

(١) المدخل لابن الحاج ٤/ ٨٠ ـ ٨١.

(٢) انظر صحيح البخاري، باب بدء الوحي شرح العلامة القسطلاني ـ منشورات المطبعة الميمنيّة بمصر سنة ١٣٠٧هـ ١/ ٥١ ـ ٥٣ ـ وانظر كذلك/ شرح السنة ـ للإمام البغوي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش ـ منشورات المكتب الإسلامي ـ ط ١ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م ـ ١/ ٥ .

عدم التعاطي مع الغش: ضمن الموجبات الأساسيّة للأخلاق الإسلامية في العمل، أكد الشرع على تجنّب أعمال الغش في عمل المسلم، حيث صرّح الرسول محمد ﷺ: «من غش ليس منّا»، وهذا الحديث أصبح كبديهة حاضرة في عقل المسلم، ولأن الورّاقين فئة مثقّفة، فهم أعرف بهذا المبدأ، وأقدر على تطبيقه، وكالتزام أخلاقي مهني، فقد نصّت دساتير الورّاقين على أنه ينبغي للورّاق أن يحذر من الغش، فيما هو محاوله، مثال أن يعطي الدست[1] الذي يساوي ثلاثة دراهم، فيبيعه على أنه من الدست الذي يساوي أربعة؛ لأن الورق في ذلك يختلف ثمنه بسبب صفته، فقد يكون ورقاً زائداً في البياض وفي الصقال، أو يكون ممّا عمل في الصيف وآخر عكسه، يعني فيه سمرة ونقص في الصقال أو البياضة وعمل في الشتاء، وما بين ذلك[2].

هذا العرف الأخلاقي التزم به الورّاقون، وأخذوا به في حوانيتهم، ونوع الورق وتاريخ صناعته وسعره وحجمه، كلها أمور يعرفها الورّاقون أكثر من غيرهم، لذلك يكون الغش ـ إنْ وُجِد ـ عن طريق المشتري، لأن خصوصيّات المهنة لا يعرفها إلا أربابها، ولغرض إحكام التعامل الحَسَن بين الورّاقين والزبائن، أوجدت هذه الأعراف الأخلاقية الإسلامية، لتنظّم هذه العلاقة، وربما حدث بعض الشطط في هذه العلاقة، لذا نصّت الدساتير على أن يخرج الورّاق ببيانه من الغشّ، فإن لم يفعل دخل بكتمانه، وهو أمر يقع تحت طائلة مسؤولية الثواب والعقاب، على أساس مبدأ «من غشَّ ليس منّا»[3]. وقد أشار

---

(١) الدست ـ أو الدشت ـ هو الشيء من الثياب أو الورق ـ وصدر البيت ـ معرّب ـ فارسي الأصل ـ انظر ـ اللسان ـ مادة دشت ـ والقاموس المحيط ـ مادة دست ـ والمعرب للجواليقي/ ص ١٣٨ ـ باب الدال مادة الدست.

(٢) ابن الحاج/ المدخل ٤/ ٨١.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٨١.

ابن الحاج إلى أنه لا يخلو الأمر من بيعة للمشتري قد تكون مساومة أو مرابحة، فيرى أنه إن كان مساومة فهو أحسن وأخلص للذمة، وإن كان مرابحة، فيشترط فيه ما تقدم في أمر البزاز، من أنه إذا اشترى بالدين أو وهب له شيء من الثمن إلى غير ذلك، فكل ماذكر فيه من عدم التشوّف للمشترى، والنظر إليه إذا دخل السوق أو وقف على غيره، فهو مشترط في حق هذا وغيره من جميع المتسببين[1].

عدم كشف العورة والمحافظة على سرّ المهنة: لقد نصّت تعاليم الأخلاق، لأصحاب المهن والصناعات، أن يكون المشتري (الزبون ـ أو الورّاق ـ من صنف آخر باعتباره أحد طرفي العلاقة) أن يكون حذراً عند شرائه الورق من الورّاقين من أن يكون في وقت يعلم أنه يكشف فيه على عورات من يعمل فيها من الصنّاع، إذ إن أكثرهم يجعلون في أوساطهم خرقة تصف العورة لصغرها وانحصارها على العورة، وابتلالها بالماء، والفخذ عن آخره مكشوف، فإن دخل والحالة هذه فهي معصية، وذلك مناقض لما احتوت عليه نيّته، من أنه يعمل لله، ويبيع ويشتري، لذلك اشترطوا عليه أن يتحرّى وقتاً يكونون فيه سالمين مما ذكر[2].

عدم خلط أصناف الورق: ومن الأمور التي حافظوا عليها، في تعاملهم الأخلاقي، ضمن علاقات السوق أن الورق الجيّد يصلح للنسخ، وعدُّوا ذلك الفعل ـ إن حصل ـ تدليساً على المشتري، لأن الخفيف لا يحتمل الكَشط لخفته، وعليه أن يكون ذلك عنده بمعزل[3]، وتكون علاقة الورّاق ـ بائع الورق

---

(١) المدخل ٤/ ٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٨٢.

ـ بالورّاق ـ الناسخ ـ علاقة مهنية بحتة، يدخل فيها الجانب الأخلاقي من زاوية (المنفعة المتبادلة) وبذا يتوجّب على الأول أن يبيع للثاني ويعطيه ما يوافقه منه، وإن علم أنه ممّن يكتب فيه الرسائل ـ يعني الورق ـ أعطاهُ من الورق الخفيف، بعد أن يبيّن له ذلك[1].

معرفة المضمون قبل النسخ: دأب الورّاقون على الاطلاع في كل أنواع الورق الذي يستخدمونه، تحاشياً لعدم الوقوع بأوراق ذات مضمون ديني أو شرعي، ويكتبون عليه، أو يستخدمونه في طيّات التجليد، أو يكتبون عليه مسوّداتهم، فقد تعيّن على الورّاق أن لا يعمل شيئاً من الورق المكتوب إلاّ بعد أن يعرف ما فيه لأنه قد يكون فيه شيء له حرمة شرعية، بل هو الغالب، فإذا نظر فيه عرف ما فيه من الكتاب «يقصد القرآن» أو حديث النبي، أو اسم من أسماء الله، أو اسم نبيّ من الأنبياء، أو اسم ملك من الملائكة، فيتجنب ذلك كلّه لحرمته وتعظيمه في الشرع[2]. وهذه الملاحظات المهنيّة تنبع من دافعها الديني البحت، ويعلّل ابن الحاج ذلك من الناحية الدينية أعلاه، إضافة لطبيعة المهنة، يقول: «لأن الصنّاع يدوسون ذلك بأرجلهم وغيرها، وهذا من أعظم ما يكون من الامتهان»[3].

مراقبة العمل: ومن الأعراف المهنيّة نفسها والدافع الأخلاقي الديني نفسه، ينطلق الورّاق ـ ربّ العمل ـ في تنظيم دكانه وصنّاعه، ويحدّد في ضوء ذلك انضباطية العمل والالتزام بأخلاق المهنة، حيث يتوجب عليه أن لايترك أحداً من الصنّاع يفعل ما تقدم ذكره من كشف العورة، ومن لم يسمع منهم

---

(١) المدخل لابن الحاج.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

ما أمره به، أخرجه من موضعه ـ فصله ـ وأتى بغيره، واشترط عليه ستره عورته، مع الشروط المتقدم ذكرها، وفي الحفاظ على الصلوات في كل أوقاتها، فإذا فعل ذلك برئت ذمته وحصل له الثواب والبركة فيما هو يحاوله، وعرفت عادته، فلا يأتي إليه إلاّ من يجانسه فيما هو يطلبه من براءة الذمة والتحفظ على الدين، اقتداء بالسلف الصالح، حيث كانوا يتبعون أسبابهم، ومن فعل ماتقدم ذكره تشبّه بهذا السلف، والتشبّه بالكرام فلاح(١).

ويفترض في صاحب الوراقة أن يكون عارفاً بكل الأمور متقدمة الذكر، وهو السائد، ولكن أحياناً تعترض هذه الأمور بعض الصعوبات، لا سيما من لدن صنّاعه؛ لأن الصانع ليس كالأستاذ أو الخلفة أو الشيخ في معرفة أصول المهنة وأخلاقها، لذلك يشتكي أرباب الوراقة كثيراً في هذا الجانب، لأنه يضطر إلى إقصاء الكثير من الصنّاع بين فترة وأخرى، لذلك اقترح عليهم من قبل المشرّعين مايلي: «فإن قال صاحب الوراقة مثلاً: إن فعلت ما ذكرتموه قل أن أجد صانعاً يعمل، فيتعطل عليّ السبب، فالجواب: إن الخير ـ والحمد لله ـ لم يعدم من المسلمين، وإن عدم في قوم فهو موجود في آخرين، بل نجد الأمر على عكس هذا، وهو أن الصنّاع إذا علموا من الشخص أنه يوسّع لهم في أوقات الصلوات، ويتحذر على دينه ودينهم ويسامحهم، ويتغاضى لهم في شيء ما من الزيادة على أجرتهم بما لا يضرّه، كثر خطّابه وعزّ أمره، وحصلت له البركة في كل ما يحاوله»(٢).

ومن صاحب الوراقة أو ربّ العمل، تتوزع المهام، وتتعدد الواجبات،

---

(١) المدخل لابن الحاج ٤/ ٨٢.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٨٣.

وتنتشر في دكانه تفرعات أخرى للورّاقين، ضمن مهنة الوراقة وشموليتها، كالناسخ والمجلّد وغيره، وتشكل بمجموعها ورشة عمل متكاملة لمختلف أصناف الورّاقين، وكل صنف من هذه الأصناف اختص بعمل ضمن دائرة الوراقة، وفي ضوء كل صنف منها هناك أخلاق ترافق هذا الصنف، وتولد معه، وتشكل ناموساً بين عناصر هذا الصنف، أو ذاك من الورّاقين، يستدلون به وعلى عُرفهِ يتعايشون، فالناسخ مثلاً هو أحد الورّاقين الأساسيين، ويكاد هذا الصنف يشكّل العمود الفقري لمهنة الوراقة، ولهذا صارت مسألة الأخلاق عند هذا الصنف من الأمور المرعيّة والواجبة التشديد فيها، على اعتبار أنهم يتعاملون مع الورق والقلم، وتمرّ عليهم مختلف العلوم الشرعية والدينية وغيرها، مما يتطلب بُعداً فقهياً ومهنيّاً للتعامل مع مهنتهم، لذلك خصّ ابن الحاج هؤلاء بفصل مستقل، وضّح لهم كيفية التعامل مع مهنتهم سمّاه «فصل في نيّة النّاسخ وكيفيتها»، انطلق فيه من الوازع الديني ببعديه الأخلاقي والإيماني، وفي ضوء الشريعة الإسلامية، قال فيه: «اعلم ـ رحمنا الله وإياك ـ أن النّاسخ في الأجر والثواب يربو على الورّاق ـ يقصد ربّ العمل ـ لأنه في عبادة عظيمة، إذ أنه لا يخلو من أن يكون نسخه في كتاب الله تعالى، فقد جمع بين التلاوة، وهي محض العبادة، وبين الكتابة، سيّما إن تدبّر فيما يكتبه وتفكّر في معانيه، فبخ على بخ[1]، وإن كان يكتب في حديث النبّي ﷺ فقريب منه في الثواب، ولو لم يكن فيه من الفضيلة إلاّ ما ورد «من كتب الصلاة على النبي ﷺ في كتاب بقيت الملائكة تصلي عليه ما دامت الصلاة عليه مكتوبة في ذلك الكتاب»، وكفى بها نعمة»[2].

---

(١) بخ = كلمة فخر، راجع اللسان ـ مادة بخخ.

(٢) المدخل لابن الحاج ٤/٨٣.

ومن هذه المقدمة الدينية الأخلاقية، نرى أثر الشريعة الإسلامية واضحاً وملزماً لهذا الصنف من الورّاقين، لأنه يتعامل مع الكتب الدينية أكثر من غيرها، وهو الأمر الذي يوضّح مقدار الاهتمام بتلك العلوم الدينية، ويعكس التأثير الأيديولوجي للفكر الإسلامي في حياة الناس ونشاطهم في ذلك العصر.

الحذر في النسخ: من الزاوية الإيمانية، التي تنطلق من «نية الناسخ» في عمله، يفترض صاحب التشريع: أن يحذر الناسخ من النسخ في غير العلوم الشرعية، كي لا يقع في حالة تناقض من نيّته التي جلس بها للعمل عند الورّاق، وتقدّم بها غيره، كتفاضل أخلاقي (مسابقة) وهو عادة ما يجري بينهم، لتحصيل قوته وتسببه في عمله، ويفترض أن تكون نيّته منصبّة في عمله على «إعانة إخوانه المسلمين»، وذلك بتيسيره عليهم ما يحتاجون إليه من السلع وغيرها، منطلقاً من أن الرزق في ذلك على الله[١]، ثم يضيف إلى ذلك نيّة الإيمان والاحتساب على اعتبار أنها محض العبادة.

عدم نسخ الأمور الكاذبة: وعلى منظور النيّة ومحمولها الإيماني، حذّر النسّاخون من نسخ ما هو كاذب، كقصة البطال وعنترة، وماشابه ذلك من الحكايات المضحكة، فإنه ممنوع عليه في عرف ذلك الزمان[٢].

عدم النسخ للظالمين: ومن الاشتراطات الأخلاقية في عرف النسّاخ عدم النسخ لظالم أو من يعينه على الظلم، أو من في كسبه[٣]، وهذا الاشتراط فرضوه على النسّاخين، ومن لم يلتزم بذلك، فإنه يدخل في مدلول الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٤] أي يمكن وصمهم بـ(النفاق) وهو أمر لا يريدونه في حياتهم ومسلكهم الأخلاقي.

---

(١) المدخل لابن الحاج ٤/ ٨٤.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٨٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة الصف، الآيتان ٢-٣.

وضوح الخطّ في النسخ: ومن الاشتراطات الفنّية ذات البعد الأخلاقي في عرف الورّاقين ـ لاسيما النسّاخ منهم ـ: تبيان الحروف في الكتابة، وعدم تعليق الخط ـ أي تركه بلا نقط ودون اكتمال ـ حتى لا يعرفه إلا من له معرفة قويّة، بل تكون الحروف بيّنة جليّة، فلا يترك شيئاً من الحروف التي تحتاج إلى نقط دون أن ينقطها، لأن الباء تختلف مع التاء والثاء، ولا يقع الفرق بينهما إلاّ بالنقط، وكذلك الجيم والحاء والخاء، إلى غير ذلك[1].

على اعتبار أن هذه المسألة فيها نفع عام لكثير من المسلمين، لا سيما وأنه يوجد بين أيديهم كثير من الوثائق الرسمية والشرعية وغيرها، وبعض الناس لا يعرف أن يقرأ غير خطّه، ونظراً لكون النسّاخين لهم اصطلاحاتهم وطريقتهم في رسم الحروف، يفهمونها فيما بينهم، وهو الأمر الذي يُشكل على الآخرين بذلك، فقد جاءت هذه التنبيهات إليهم عملا بالسّنة المتبعة منذ أيام النبي محمد ﷺ حيث قال لكاتبه معاوية: «يامعاوية ألق الدواة، وحرف القلم، وانصب الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم وحسّن الله، ومدّ الرحمن، وجوّد الرحيم، وضع قلمك خلف أذنك، فإنه أذكر للمحلي»[2]. وبتقديرنا أن هذا الحديث واضح الانتحال فيه، وبغضّ النظر عن هذه المسألة، فإن الأمر يعني وجوب هداية القارئ ومعرفته للنص ومضامينه، حيث يريدون بهذا الوضوح عدم إضاعة حقوق الناس وعقود أنكحتهم، إضافة إلى احتمال أن يموت الكاتب أو يتعذّر وجوده، ولايعرف غيره أن يقرأ ماكتبه، فإذا تحفظ من هذا وأشباهه عمّت منفعة كتابته لأكثر المسلمين، بخلاف إذا لم ينقّط أو يعلّق خطه[3].

---

(١) المدخل لابن الحاج ٤/ ٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

استخدام الحبر بما يوافق كل نوع من الورق: شكلت مسألة معرفة الحبر لكل نوع من أنواع الورق[(١)] والرقوق أهميّة عند الورّاقين، فقد قالوا بذلك: وتعيّن عليه (الناسخ) أن لا ينسخ بالحبر الذي يخرق الورق، فإن فيه إضاعة المال وإضاعة العلم المكتوب به، سيّما إن كانت نسخة الكتاب الذي كتبه معدومة أو عزيزاً وجودها، ويلحق بذلك النسخ بالحبر الذي يمحى من الورق سريعاً[(٢)].

ومن هنا يتّضح الخطّ العام لمصلحة الناس من جهة، والمعرفة الدقيقة لاستخدام أدوات الكتابة، دون الإضرار بمصالح الناس، وبأساسيّات الحرفة، من جهة أخرى، لذلك رفضوا رفضاً قاطعاً المِداد الذي تسوّد به الورقة، وتختلط الحروف بعضها ببعض، ويذكر ابن الحاج حصول هذه الحالة بقوله: «وهذا شاهد مرئي، فلا شك في منعه، ويضيف: اللهم إلاّ أن يكتب رسالة من موضع إلى آخر وما أشبهها فنعم»[(٣)]، وهنا تتوضح الدلالة الفقهية والمعرفية بآنٍ، حيث أجيز مثل هذا الحبر في الاستخدامات الخاصة فقط، بحيث تكون مسألة ـ المصلحة العامة ـ غير واردة في سياق الاستخدام لهذا الحبر، لذلك جاء التأكيد التالي على الحكم السابق بمايلي: بشرط أن لا يتعلق بها ـ بعملية النسخ بالحبر المداد ـ حكم شرعي، ككتاب القاضي بحكم من الأحكام بشرطه المذكور في كتب الفقه، وما أشبه ذلك من الوكالة وغيرها، فحكمه ما تقدم في نسخ العلوم الشرعية[(٤)].

---

(١) راجع الباب الثالث من هذا البحث/ صناعة الورق ـ فصل أنواع الورق.

(٢) المدخل لابن الحاج ٤/ ٨٤.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٨٤ ـ ٨٥.

(٤) المصدر السابق ٤/ ٨٥.

ضرورة الوضوء: باعتبار الوراقة مهنة إسلامية، فقد اقتضى الحال أن يكون الورّاق طاهراً، وأن يكون على وضوء إذا جلس للنسخ، فإن شقّ عليه ذلك، فليكن في أوّل جلوسه على وضوء ثم يغتفر له بعد ذلك[١]، هذا في حالة بدء العمل، وكون النسخ يتمّ في مختلف الأمور، أمّا إذا كان النسخ في كتاب الله، فلا بد من الوضوء حين يباشره في كل حين، ما لم يطرأ حدث، وتجوز له الصلاة في ذلك الحدث، فيتوضأ في أوّل جلوسه، ويغتفر له بعد ذلك[٢]، ومن هنا يتبيّن مقدار الالتزام الديني في مهنة الوراقة.

النصح في النسخ: ومفاده عدم أخذ النسخ ـ المواد المراد نسخها ـ من جماعة فينسخ لهذا ولهذا، ولا يُعلم أحداً منهم أنه ينسخ لغيره، وذلك يناقض النصح لمن لم يعلمه بذلك، ولأنه جمع فيه بين الاستشراف والحرص، وهو فعل مذموم في الشرع الإسلامي[٣].

تحريم النسخ في المسجد: وتحاشوا نسخ الكتب في المساجد، لاسيّما أن الورّاقين يلتقون بجمهور المسلمين في هذه الأماكن بكثرة، خصوصاً في أوقات الصلاة، ولربما ظلت منهم نسخ ملزمة أو رسالة، وهم في بيت العبادة، فحرّم ذلك على اعتبار أنه في سبب ـ ارتزاق ـ والأسباب كلها ينزّه المسجد عنها، إضافة إلى ما يحدثه النساخ من تلوث داخل المسجد[٤].

ترك العمل عند سماع الأذان: يقتضي العرف الإسلامي ترك العمل إذا سمع المؤذن وهو يدعو للصلاة، والورّاقون يلتزمون بهذا العرف، ويتهيئون

(١) المدخل لابن الحاج.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

للصلاة في وقتها المختار في جماعة، ولا يعفى من ذلك إلا من كان يكتب وسمع الأذان، لا يترك الكتابة حتى يكملها[1]، وقد أوجدوا في ذلك تعليلاً جمالياً، نابعاً من طبيعة المهنة، حيث قالوا: لأنه يختلف خط الورقة بسبب قيامه عنها، فيمهل حتى يتمّها، وكذلك لو كان يسطّر في أثناء الورقة، لا يرفع يده حتى يكملها[2]، ويعدون هذا الإجراء ليس مذموماً؛ لأنه راجع عندهم إلى حسن الصنعة، والنصح فيها لإخوانه المسلمين، بخلاف ما تقدم في غيره، وهذا ما لم يخش فوات الجماعة، كما يقول ابن الحاج[3].

التمسّك برأي الجماعة في نسخ الختمة: الختم: الطبع، قال أبو إسحاق الزجاجي: معنى ختم وطبع في اللغة واحد[4]، وعلى هذا الفهم، اشترط على النسّاخ من الورّاقين أن يتركوا ما أحدثه بعض الناس ـ في زمانهم ـ في نسخ الختمة على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة على ما وجدته بخط عثمان بن عفان[5]، وهذه العبارة تكشف لنا وجود التعارض السياسي والمذهبي، وانعكاسات هذا التعارض في مذاهب الورّاقين، وبغية الحفاظ على ـ طبع ـ نسخة واحدة موحدّة من القرآن اشترطوا ذلك، أخذاً بقول مالك بن أنس: «القرآن يكتب بالكتاب الأول»[6]، يريد بخط عثمان، ولا يجوز للناسخ غير ذلك، ولا يلتفت إلى اعتلال من خالف بقوله: إن العامة لا تعرف مرسوم المصحف، ويدخل عليهم الخلل في قراءتهم في المصحف، إذا كتب على المرسوم، فيقرؤونه مثلاً: (وجائي، وجاي)؛ لأن رسمها بألف قبل الياء،

(١) المدخل لابن الحاج.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٨٥ ـ ٨٦.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٨٦.

(٤) اللسان ـ مادة ـ ختم.

(٥) المدخل ٤/ ٨٦.

(٦) المصدر السابق.

وغيرها من أمور المراسم واللغة، ولغرض تجاوز هذه الإشكالات اللغوية[١] في القراءة، أوجدوا ذلك الاشتراط، وأضافوا إليه شرطاً آخر هو: من لا يعرف المرسوم من الأمة، يجب عليه أن لا يقرأ في المصحف إلا بعد أن يتعلّم القراءة على وجهها أو يتعلم مرسوم المصحف[٢]، وهذه المسألة تظهر أن هناك خلافاً واضحاً فيها، حتى إن ابن الحاج يلح في شرحها ويؤكد: «أن من فعل غير ذلك، فقد خالف ما اجتمعت عليه الأمة، وحكمه معلوم في الشرع الشريف»، ويضيف: «فالتعليل المتقدم ذكره مردود على صاحبه لمخالفته للإجماع المتقدم، وقد تعدت هذه المفسدة إلى خلق كثير من الناس في هذا الزمان، فليتحفظ من ذلك في حق نفسه وحق غيره، والله الموفق»[٣].

ثم اشترطوا أن تكون الختمة منسوخة باللسان العربي، وأن لا تنسخ بلسان العجم، على اعتبار أن القرآن نزل بلسان العرب[٤]، إضافة إلى ضرورة نسخ المصحف كاملاً وعدم نسخه في أجزاء[٥].

إن هذا التأكيد المهم في عرف الورّاقين على الالتزام بكتابة المصاحف باللغة العربية أمر لـه مسوّغه الحضاري والتاريخي والقومي، إضافة إلى مبعثه الديني، وعلى ما يبدو فإن الخلافات السياسية كانت قائمة بشكل واضح، فما انفك ابن الحاج من التحذير من ذلك، مشيراً إلى أهمية الالتزام بما أجمع عليه السلف والعلماء الأوائل[٦].

---

(١) المدخل لابن الحاج.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المدخل ٤/ ٨٦ ـ وقد جاء في التنزيل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

(٥) المصدر السابق ٤/ ٨٧.

(٦) المصدر السابق ٤/ ٨٧.

أمّا مجلدو المصاحف، ذلك الصنف الفنّي من الورّاقين، والذي يتمّم عمل زملائه من النسّاخين، فهم أيضاً خصّوا بفصل خاص عند ابن الحاج ضمن شموليته في التطرق لأعمال الوراقة، وأخلاقيّات ممتهنيها، فقال عنهم: «اعلم ـ وفقنا الله وإيّاك ـ أن هذه الصنعة من أهم الصنايع في الدين، إذ بها تصان المصاحف، وكتب الأحاديث والعلوم الشرعية»[1]، بهذا الاستدلال يتوضح أمر هؤلاء المجلدين، فهم من أهم «الصنايع الدينية» على اعتبار أن الاهتمام الأول عند المشرّعين الإسلاميين هو الحفاظ على كتب الشريعة وعلوم الدين الإسلامي، وهؤلاء يقومون بهذه الوظيفة، ويكسبون عيشهم من خلالها، الأمر الذي يفرض عليهم التزامات دينية أخلاقية، كبقية الأصناف الإسلاميّة، وأوّل هذه الالتزامات كانت «النيّة» كاشتراط ينطبق على المجلّد والناسخ في آنٍ معاً، ومن زاوية كون المجلّد معيناً بصنعته على صيانة ما تعب فيه الناسخ وحصله، وفيه أيضاً جمال للكتاب، وترفيع له، واحترامه وترفيعه متعين، من الأفق الديني الشرعي[2].

فمن الناحية التشريعية، يفترض بالمجلّد إذا خرج من بيته الأخذ من نيّات العالم والمتعلّم، وما يعتوره ويحتاج إليه، ثم مع ذلك ينوي إعانة إخوانه المسلمين بصناعته على صيانة مصاحفهم وكتبهم، ثم يصحب ذلك نيّة الإيمان والاحتساب[3].

وبهذه الاشتراطات الأخلاقية الدينية، وربطها بأخلاقيات العالم والمتعلم، فإن ابن الحاج يرى فيها موقفين: معرفي شرعي، وأخلاقي مهني، ويبني ذلك

(١) المدخل لابن الحاج.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

على الافتراض القائل: إن الصانع مثلاً، أو غيره من الصناع ممن تقدم ذكرهم أو تأخر، لا يحتاج إلى نيّة العالم، لأن العالم يخرج إلى المسجد أو غيره إلى التعلم والتعليم وذلك يقبل كل ما نواه، والصنّاع ليسوا كذلك لأنهم مستغرقون في الأسباب، فالجواب كما يقول ابن الحاج: أنه لا فرق بين العالم وغيره، إذ إن الصانع وغيره من المتسببين يحتاج إلى أربعة علوم: الأول: علم الصنعة التي يحاولها، والثاني: العلم بلسان العلم فيها، والثالث: العلم بما يخصّه في نفسه، وذلك عام في حقه وحق غيره، فيما يعتور كل إنسان منهم في عبادته من الصلاة والصوم وغيرهما، وما هو مأمور به من الفرائض والسنن والفضائل، وما يصلح العبادة ويفسدها، والعلم الرابع: علم ما يحتاج إليه المكلف في مخالطته لغيره من التحفظ على نفسه وعلى من خالطه من الوقوع فيما لا ينبغي، وذلك كثير. فهذه أربعة علوم لابدّ له منها، فإما أن يتعلمها أو يعلمها لمن يطلبها منه إن وقع له ذلك، وإنما يترك المتسبب من نية العالم مثل دخول المسجد وتحيته وما أشبههما، ممّا لا يعتوره في السوق أو الدكان[1].

إن نظرة تأملية لهذا النص تكشف لنا مدى الاهتمام بالتثقيف الذاتي، من الناحيتين الشرعية والمهنية، وكيف تترابطان جدليّاً في عقل الصانع - الورّاق - وبتقديرنا أن هذه المسألة واشتراطاتها نابعة من البعد المعرفي في مهنة الوراقة بشكل خاص، ومن الأخلاق الإسلامية وموقفها من العمل بشكل عام، وقد رأينا في مقدّمة هذا الفصل، كيف أن الفلاسفة المسلمين يعيرون اهتماماً للجانب الأخلاقي في العمل.

الالتزام بالآداب العامّة: ضمن مسلكية المسلم الأخلاقية، وانعكاساتها

(١) المدخل لابن الحاج ٤/٨٨.

الأيديولوجية في الحياة العامة، فرض على الورّاقين الالتزام بها في سياق حياتهم المهنية، فقد قالوا: «وينبغي له ـ الورّاق أو المجلّد ـ إذا جاء إلى دكانه أن يمتثل السنّة، هو وغيره، ممّن تقدم ذكره أو تأخّر في فعل الآداب التي تقدمت في دخوله بيته وخروجه منه، مثل تقديم اليمين وتأخير الشمال في الدخول والخروج سواء بسواء، مع الابتداء بالتسمية والذكر المأثور في ذلك، وأن يبدأ بصلاة ركعتين قبل أن يجلس لبيعه وشرائه لأن الصلاة صلة بين العبد وربّه، ثم بعد ذلك يأخذ فيما جلس إليه»[1]، وقد يكون الدكان ضيّق المساحة لأداء الصلاة مما يعيق تأديتها، فاكتفوا بذكر الله، وفق ما سمح به الشرع، علماً بأنهم كانوا يتنفَّلُون في دكاكينهم[2]، كما ارتأوا من الأفضل للورّاق والأصدق في نيّته والأثوب في عمله، أن يستقبل القبلة، إن كان ذلك ممكناً في عمله، وإلاّ فهو معذور إن حال المكان دون ذلك[3].

تجنب المفاسد في العمل: ومن الاشتراطات المهنية والأخلاقية على الورّاق: تجنّبه المفاسد التي تعتوره في صنعته، إذ هي المقصود الأعظم، حيث إنه بتجنبه لذلك يحصل له الدخول في قولة النبي محمد ﷺ: «الدين النصيحة»، وإذا تجنّب المفاسد، فقد نصح لإخوانه المسلمين، ويعتقدون أن ذلك يؤهله للحصول على (شهادة صاحب الشرع) بأنه من أهل الدين[4]، وهذا الاعتراف بمثل هذه الشهادة يتأتى من الرأي العام السائد في سوق الورّاقين وأهله؛ لأنه إن أصبح من أهل الدين تكشّف ذلك في معاملته مع الناس

---

(١) المدخل لابن الحاج.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

وصدقه في تعـامله، وبذا يحصل على هذه الشهادة المعـنوية، وهو طموح كان الكل يريد الحصول عليـه، فإذا سلم من المفاسد حـقّق هذا البعد المعنوي، وإلاّ رجع على الضدّ من ذلـك، وأوردوا مقياسـاً أخلاقيـاً في التعـامل على النحو التالي؛ قالوا: فـمن ذلك أن يتجنّب ما يفعله بعـضهم، وهو أن يعطي الكتاب إلى الصانع على شيء معلوم عوضاً عـن أشياء جملة، وذلك يمنع؛ لأنه جمع فـيه بين بيع الجلد والـبطانة والحرير، وبين أجـرته في عـمل ذلك، وهذا كله مجـهول، والوجهـة في ذلك أن يأتي إلى الصانع بالجلد والبـطانة والحرير من عنده، ويؤاجره على عمل ذلك[1].

أي أن العقد الأخلاقي هنا هو عدم الاسـتغلال وتجنّب الغش في التعامل مع الصانع، ولغرض تجاوز كل إبهـام ناتج في المعاملة ارتأوا أن يوضحوا ذلك بالتفصـيل، تجنباً للغش، وعدم وجود حـيف في عقد العمل الأخـلاقي ـ غير المدوّن ـ رفعاً للغبن، لذلك قالوا: ووجـه ثان هو أن الصانع يبيّن له كل واحد منها على حدته، ويعيّن ثمنه، بعد ذلك يؤاجره على صنعته، ووجه ثالث، هو أن يوكله في شراء ما يحتـاج إليه من ذلك، إن لم يكن عنده، ثم يؤاجره بعد ذلك على عمله[2].

ويعلّق ابن الحاج على ذلك بقوله: «فهذه ثلاثة أوجه جائزة، وهي يسيرة سهلة المدرك، من غير مـشقة تلحقهما في ذلـك، ومع ذلك يترك أكثرهم ذلك كلّه ويفعل ما اعـتاده كثير ممن لا علم عنده فـي هذا الزمان، ومضى على أثره من له علم لاستئناس النفوس بالعـوائد المحدثة، فتتعمر ذمتهـا معاً، فصاحب الكتاب تتعمـر ذمته بقيمة ما أخذه من المجلد وبطانتـه والحرير وأجرة الصانع،

---

(١) المدخل لابن الحاج ٤/ ٨٨.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٨٩.

والصانع تتعمر ذمته بما أخذ من صاحب الكتاب، والعجب منهم كيف يأتون بكتب العِلم ويجلدونها على الوجه الممنوع فيها؟!»[1]. أليس هذه الفعائل قائمة على قدم وساق في زماننا هذا؟!

عدم استخدام الورق الشريف في التجليد: تتطلب مهنة التجليد أن يبطّن الجلد ببعض الأوراق، لذلك يلجأ الورّاقون ـ المجلدون ـ إلى حشو الأغلفة بالأوراق الزائدة عن الحاجة، أو التي لم تعد صالحة في مهنة الوراقة، نتيجة التخريم أو وقوع الحبر على بعضها، مما يتطلب الأمر تبديلها ونسخها، ولغرض الاستفادة من هذه الأوراق الزائدة، فقد يلجأ المجلدون إلى استخدامها في فنّ التجليد، وهذه الأوراق يصدف أن يكون فيها آيات قرآنية أو حديث الرسول ﷺ، أو غيرها، ممّا تنطبق عليه صفة الشرف والتقديس، لذلك أوجبوا على المجلّد أن ينظر في الورق الذي يبطّن به، وقالوا بعدم جواز الورق الذي يكون فيه القرآن أو حديث النبي ﷺ أو اسم من أسماء الملائكة أو الأنبياء، وما كان من ذلك، فلا يجوز استعماله ولا امتهانه، حرمة له وتعظيماً لقدره، وأمّا إن كان فيه أسماء العلماء أو السلف الصالح أو العلوم الشرعية، فيكره ذلك، ولا يبلغ به درجة التحريم كالذي قبله، وأضافوا قائلين: «وطالب العلم أولى بأن ينزّه نفسه عن الدخول في المكروه، فإن كان الصانع يعلم أو يظن به أنه يفعل شيئاً مما تقدم ذكره، فلا يعمل عنده شيئاً، أو يعمل عنده بعد أن يبيّن له الحكم في ذلك، ويعلم أنه قد سمع منه»[2]، ومن هنا يتوضّح ما للدين من أهمية دائمة الحضور في أذهان الورّاقين.

وهناك مسألة أخرى راعوا فيها المصلحة العامة عند استخدام الورق

---

(١) المدخل لابن الحاج.

(٢) المصدر السابق ٤/٨٩ ـ ٩٠.

للتبطين في عمليّة التجليد، هي التثبت من خلوّ الأوراق المستعملة من أمر عام وضروري وذي منفعة، حيث أشاروا إلى ذلك بالقول: «ولا بأس أن يبطن الجلد بالأوراق التي فيها الحساب، وليس ذلك بمكروه، إلاّ أنه يتثبّت في ذلك ويمهل لعله أن يكون ضاع لبعض الناس الدفتر الذي هو محتاج إليه، فيضيع ماله بسببه، فإذا كان الصانع ممّن يتحفّظ من هذا وأمثاله، حفظت على الناس أموالهم بعد أن كانت ضائعة عليهم»[1].

المحافظة على ترتيب الكراريس وعدم القبول بالخطأ: من الناحية الفنيّة، تدخل هذه النقطة في سياق «منهج الوراقة»، ولكن هناك نقطة تكمن في جانبها الأخلاقي، فقد طالبوا المجلّد أن يتحفّظ على عدد كراريس الكتاب «ملازمه» وأوراقه، فلا يقدم ولا يؤخر في مواضعها، وطالبوه بالتأني في ذلك من باب النصح وتركه الغش، وإذا كان ذلك كذلك، فيحتاج الصانع إلى أن يكون عارفاً بالاستخراج، ليعرف بذلك اتصال الكلام بما بعده، أو تكون عنده مشاركة في العلم يعرف بها ذلك[2].

ومن هذا يتبيّن أهمية أن يكون المجلّد متقناً لعمله من الناحية الفنية والعلمية، ولم يكتفوا بذلك، بل طلبوا منه أن لا يعطي مثل هذه الأعمال لصنّاع لم يتمرسوا جيداً في أصول المهنة؛ حيث قالوا: «ثم مع ذلك ـ والكلام لاحق لسابقه ـ يحترز أن يولي عملها لمن لايعرف تمييزها من الصنّاع والصبيان، لئلا يختلط الكتاب على صاحبه، وكثيراً ما يقع هذا في هذا الزمان، فيتعب في عمله، ثم مع التعب الموجود يأكل الحرام فيما أخذه من صاحبه، فإن وقع شيء من ذلك، وجب على الصانع إعادته ولو مراراً حتى ينصلح، ولا يأخذ

---

(١) المدخل لابن الحاج ٤/ ٩٠.

(٢) المصدر السابق.

عليه إلاّ العوض الأوّل لأنه ما تسلّمه إلا أن يعمله على السلامة من هذا وأشباهه»[1]، وهذا يدخل في صميم أخلاق المجلّد أثناء العمل.

عدم التجليد لأهل الأديان الباطلة: يبدو أن عملية التشديد على الورّاقين في مهنهم واضحة في سياقها الديني الأخلاقي، وهذه مشكلة قد تتعارض وطبيعة العمل الذي يقومون به، فقد نصّ عليهم العرف الديني بما يلي: «ويتعين على الصانع أن لا يجلّد كتاباً لأحد من أهل الأديان الباطلة، لأنه بفعله ذلك يكون معيناً لهم على كفرهم، ومن أعان على شيء كان شريكاً لفاعله.

هذا وجه، ووجه ثان مثل الأول أو يقاربه، وهو تغبيطهم بدينهم؛ لأنهم إذا رأوا أحداً من المسلمين يعينهم، سيما على حفظ ما في كتبهم، يعتقدون أنهم على حق، بسبب ذلك. ولو علم أن الكتاب الذي أتوا به إليه من الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والزبور، فالحكم في ذلك ما تقدم من المنع سواء بسواء؛ لأنه قد صحّ أنهم بدلوا وحرفوا فيها وغيروا، وذلك لا تعلم مواضعه، فتترك كلها، فإن أتوا إليه بكتاب مكتوب بالسريانية أو العبرانية وما أشبههما، فلا يجلد شيئاً من ذلك، وقد قال مالك ـ رحمه الله ـ في الرقى بغير العربية: «وما يدريك لعله كفر، فكل ما جال في صدر الإنسان من هذا وما أشبهه، فيتعيّن تجنّبه»[2].

وهذا النص يكشف لنا بمضامينه الأيديولوجية شيئاً من «الرقابة»، إضافة إلى الالتزام الديني مطبقاً على العمل.

---

(١) المدخل لابن الحاج.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٩٠ ـ ٩١.

تعليم الصنّاع الحلال من الحرام: يحدث في سياق العمل أن يلجأ أحد الصنّاع إلى مخالفة شرعية أخلاقية، أحياناً تكون مقصودة، وأحياناً غير مقصودة، ويصادف أن يكون هناك طالب علم يحتاج إلى العمل عند هذا المحل أو ذاك، فاشترط على هذا الطالب أن يتحرز ممّن هذا حاله من الصنّاع، ويعلم عنه الأستاذ لعله يتوب أو يرجع، ويراقب في الوقت نفسه مسلكية ربّ العمل في هذا الجانب، فإن استجاب للشرع بقي معه، وإلا رفع الأمر إلى صاحب الشرع، فإن تعذر عليه ذلك، توجبّ عليه هجران الصانع الذي يتعاطى ذلك، بعد أن يعلمه بالحكم فيه، حتى يشيع بين الناس، ويعلم أن هذا حرام لا يجوز، لأنه ورد في التشريع: «أن الظلمة يحشرون هم وأعوانهم حتى من مدّ لهم مدة»[1].

عدم عمل الأغلفة لدواة الذهب والفضة: أشيعت نزعة استهلاكية عند كبار الأمراء والوزراء والكتّاب في العصور العباسية المتأخرة، وبدأت في القرن الرابع الهجري حيث كانوا يميلون إلى استخدام الدواة المصنوعة من الذهب أو الفضة[2]. ونظراً لتناقض هذه النزعة مع الروح الإسلامية، من جهة، ومن جهة أخرى يروّج لحالة التفاوت الطبقي في المجتمع، ونظراً لكون أغلب الورّاقين من الطبقات الكادحة، فهم أقدر على فهم هذا التفاوت، لذلك وافقوا على التشريع القائل: يتعيّن على المجلد أن لا يعمل غلافاً لدواة فيها ذهب أو فضة؛ لأنه لا يجوز استعمالها، فكذلك لا يجوز الإعانة عليه بتجليدها، ثم أضافوا إليه عدم جواز تجليد أيّ شيء لظالم[3]، وانطلقوا بهذا الاعتبار

(١) المدخل لابن الحاج ٤/ ٩١.

(٢) راجع الصولي/ أدب الكتّاب/ فصل ماقيل في الدواة ص ٩٢ ـ ١٠٠ مصدر سبقت الإشارة إليه.

(٣) المدخل لابن الحاج ٤/ ٩١.

والتحريم ضد الظالم من وجهين: الأول هو ما تقدم من أعراف وسنن وشرائع، نصّت عليها الشريعة الإسلامية، والثاني نابع من نظرتهم الأخلاقية الاقتصادية، في سياقها الاجتماعي، حيث يرون أن أكثر أموال الظالمين جاءت من الحرام، والصانع يتعب في صنعته ليأكل الحلال، ثم بعد تعبه يأكل الحرام، فيتحفّظ من ذلك أن يقع فيه، وينهى غيره عنه[1]. وهم يعدون مثل هذه المواقف مهمة بالنسبة لهم، حيث قالوا: ولو كان الناس يتحفظون من هذا وأشباهه، لقل الظلم وعرف صاحبه، ولكن قد صار الأمر عند الصانع وغيره سواء في الغالب، فيسوون بين من كسبه حلال وحرام، ولا يعرجون على شيء من ذلك كله[2]، وهذا عندهم سببه التغافل عمّا أُمِر بهِ الإنسان وانتظم إليه استئناس النفوس بالعوائد المحدثة مع وجود الاستشراف للزيادة من الدنيا، كما أضافوا: وينبغي له أن يحذر ممّا تقدم ذكره في حقّ غيره من الصنّاع[3].

عدم تأجيل عمل اليوم إلى الغد: تمسّك المجلّدون هم وبقية الورّاقين بمبدأ «لا تؤجل عمل اليوم إلى غد» من دافع أخلاقي ديني ومهني وحرفي، حيث أن مبدأ الصدق في التعامل[4] كان سمة مُمَيّزة لأهل السوق، لذلك حذّروا من قولهم: غداً أو بغد، كذلك اتحدوا على تجنب الأيمان «القَسَم» في التعامل مع الزبائن.

المحافظة على أوقات الصلاة: ضمن الشروط الإسلامية على مختلف الأصناف، كانت الصلاة من الأمور الواجب المحافظة عليها في أوقاتها، لذلك

---

(١) المدخل لابن الحاج ٤/ ٩١.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه ٤/ ٩٢.

شرّعـوا للمجلد ـ كـما كانـت الحال للوراق ـ أنه ينبغـي له إذا سمع الأذان أن يبادر، هو ومن مـعه، إلى إقام الصلاة في وقتـها المختار في جـماعة[1]، وقد انطلقوا بهذا التشريع من كون الكتب التي يجلدونها تحضّ على ذلك، حيث أن أغلبها مصاحف وكتب حديث وعلوم شرعية[2].

على هذه الشـاكلة، وذلك النمط، كـان الورّاقون يتـعـاطون مهنتـهم، ويتعـاملون بها، فقد كـانت هناك عدة أمور برزت في تعاملهم الأخـلاقي كان أبرزها التمسّك بأخلاق الإسلام، باعتـبارهم ضمن دائرة الأصناف الإسلامية، ثم هناك يبرز الدافع الطبقي من مـسلكيتهم الأخلاقية، إضـافة إلى الصدق في التعامل، حيث إن الجديّة في العمل كانت تدفعهم إلى ذلك، إضافة إلى كونهم صنفاً فنياً مبدعاً، انحـدروا من العلماء والكتّاب والمثقفين[3]، واتخذوا الوراقة مهنة لهم. وبهذا الاعتبار، تكون المعرفة إحدى الأساسيات في صقل شخصيتهم وأخـلاقهم، على رغم أن الدافع الأيديولوجـي المنبعث من الفكر الإسـلامي، كان يلفّ كل الظاهرة ويؤطرها في إطاره.

* * *

(١) المدخل لابن الحاج.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سوف نبيّن ذلك في باب أصناف الورّاقين إن شاء الله.

الفصل السادس
معاناة الورّاقين

كثيرة هي المهن التي تخلق السأم في نفوس مُمتهنيها، نتيجة الملل الناشئ من تكرار العمل ذاته بشكل يومي، ولفترات طويلة، ما لم تكن هناك محفّزات نفسية للتواصل والدوام، كالاعتبارات المعنوية والمادية، فيما تكون المحفّزات المعرفية عند البعض أقوى من بقية الدوافع، الأمر الذي يجعل من عشق المهنة ديدناً قائماً في ذهن صاحبها، وهذه الحالات نادرة، فيما عدا رجالات العلم ـ كالجاحظ وأضرابه ـ من الذين قامت على أكتافهم وأقلامهم أساسيّات ثقافتنا العربية الإسلامية.

والمعاناة ـ بمفهومها العام ـ يكاد معناها ينصبّ على العوز المادي «الاقتصادي» أكثر من غيره، حيث إنه يشكّل المقوّم الرئيس للحياة في كل فترات العمر بالنسبة للإنسان، باعتباره الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحقيق الكثير من الحاجات، سوى المعرفة، فإنها تؤخذ أخذاً. ونظراً لكون أدباء العصور العباسية وعلمائها قد اصطدموا بهذه المعضلة، وكثير منهم كان يأنف من الوقوف على عتبات السلطان، فقد دفع هذا بالكثيرين منهم لأن يصبحوا ورّاقين، ينالون معاشهم من كسب اليد في مهنة الوراقة، وهو أمر يقارب بين طموحاتهم المعرفية الثقافية، وبين حاجاتهم المعاشية، وبعضهم كان يلجأ إلى أسلوب الإهداء في كتاباته، كي ينال قوت معاشه وأمور حياته الأخرى، قبل

بدء عملية نسخ المؤلَّف، ومن ذلك ما قام به الجاحظ، حيث أهدى كتابه الحيوان إلى صديقه الوزير محمد بن عبدالملك الزيّات، فأعطاه خمسة آلاف دينار، وأهدى كتابه الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي، فأعطاه خمسة آلاف دينار[1].

وكذلك فعل أبوالفرج الأصبهاني، حيث أهدى كتابه الأغاني إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار[2]، وهو قليل في حقّه، وقد علّق الصاحب بن عبّاد على ذلك قائلاً: لقد قصّر سيف الدولة، وإنَّهُ يستأهل أضعافها[3]. وعلى هذا النحو كانت تسير أمور الأدباء والعلماء، وأحياناً تحتاج الدولة لمعارف أحد هؤلاء، فتكلفه بعمل ما، فيتفرغ له، ومن ذلك ما طلب إلى الجاحظ، رغم أنه كان لا يطرق باب سلطان.

وطلب التكليف يكون بمخاطبة المؤلف على لسان الوزير، فقد كتب الفتح بن خاقان إلى الجاحظ، يطلب منه أن يؤلف كتاباً في الرد على النصارى، وجاء في رسالته إن أمير المؤمنين ـ المتوكل ـ يَجدُّ بك، ويهش عند ذكرك، ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ولمعرفتك، لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه، ولغصبك رأيك وتدبيرك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه، وقد كان ألقى إليّ من هذا عنوانه، فزدتك في نفسه زيادة كفّ بها عن تجشيمك، فاعرف لي هذه الحال، واعتقد هذه المنّة على كتاب الردّ على النصارى، وافرغ منه، عجّل به إليّ، وكن من جدا[4] به على نفسه، تنلْ مشاهرتك، وقد استطلقته لما مضى، واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلة، وهذا ممّا لم تحتكم به

---

(١) ياقوت الحموي/ معجم الأدباء ١٦/١٠٦.

(٢) معجم الأدباء ١٣/ ٩٧.

(٣) المصدر السابق ـ المكان نفسه.

(٤) جدا عليه أعطاه الجدوى، أي النفع ـ راجع مادة ـ جدي ـ في القاموس المحيط.

نفسك، وقد قرأت رسالتك في بصيرة غنّام، ولولا أني أزيد في مخيّلتك لعرّفتك ما يعترينى عند قراءتها والسلام»[1].

وبهذا الانتفاع للأديب، ينتفع الورّاق في الوقت نفسه، فإذا كان العمل كبيراً اشترك فيه أكثر من ورّاق، فقد نقلت المصادر أن تاريخ ابن عساكر اشترك في نسخة عشرة ورّاقين، ودامت عملية نسخه سنتين[2].

وقد كان أغلبهم ـ أي العلماء والأدباء ـ من المعوزين في حياتهم، إلاّ أنهم يتمتعون بهمة عالية وكبر نفس لا يلين، فهذا الفيلسوف يحيى بن عدي، كان يشتغل بالنسخ كي يكفي حاجته، يقول عنه النديم وقد صادفه في سوق الورّاقين، وعاتبه على كثرة نسخه، فقال له: من أيّ شيء تعجب في هذا الوقت! من صبري؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري، وحملتها إلى ملوك الأطراف، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى، ولعهدي بنفسي وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل[3]. فيما كان إبراهيم بن إسحاق الحربي يأنف أن يأخذ شيئاً من أحد، على رغم أنه معوز ومتزوج وله أطفال، وقد عرف الناس طبعه ذلك، يقول هو عن نفسه: كان لي بيت في دهليز داري، فيه كتبي، فكنت أجلس فيه للنسخ والنظر، وفي ذات ليلة[4] دقّ الباب، فقلت من هذا؟ فقال: رجل من الجيران، فقلت ادخل،

---

(١) معجم الأدباء ١٦/٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء بعناية موللر ـ القاهرة ـ عام ١٨٨٢ ـ ٢/٢٣٦، وراجع كذلك: روزنتال ـ مناهج العلماء المسلمين/ ص ١٢. ومن المؤسف له أن هذا العمل النفيس، والبالغ (٨٠ مجلداً) عجزت الدول العربية عن نشره وتحقيقه، حيث لم ينشر منه أكثر من عشرة أجزاء تقريباً، فيما انكبّ عليه الأوائل وأكملوا نسخه في سنتين.. أوليست هذه مفارقة تحتاج للتوقف والتأمل؟!

(٣) طبقات الأطباء/ ص ٣١٨ ـ من طبعة نزار رضا ـ منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت.

(٤) تصرفنا بالعبارة على هذا الشكل حفاظاً على السياق، وأصلها فلما كان في تلك الليلة. راجع ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء ١/١١٥ ـ ١١٦.

فقال: أطفِ السراج حتى أدخل، قال: فكببت على السراج شيئاً وقلت: ادخل فدخل، وترك إلى جانبي شيئا وانصرف، فكشفت عن السراج فنظرت فإذا منديل له قيمة، وفيه أنواع من الطعام وكاغد فيه خمسمائة درهم، فدعوت الزوجة وقلت: نبهي الصبيان حتى يأكلوا، ولما كان من الغد قضينا ديناً كان علينا من تلك الدراهم[1]، فأيّ صبر كان عند هذا العالم، وأيّ أريحية كان يتمتع بها هذا «الطارق»، بحيث إنه أراد عدم كشف نفسه أمام الحربي، كي لا يحرجه، ولا يعرّف بنفسه تبجحاً، كما هو سائد اليوم.

وقد كان لبعض الأشخاص هوى في الأدب والعلوم الأخرى، لكنه غير منغمس فيها، حيث إن عمله ـ الوظيفي أو الإداري ـ لا يسمح له بأن يزيد اطلاعه على العلوم والآداب، الأمر الذي يجعله أميل إلى معاشرة الورّاقين، فيدخل سوقهم ويحضر مجالسهم، وربما أغرته مهنة الوراقة، وترك عمله الأساسي وانخرط فيها، فمن ذلك ما عمله القاضي أبوعبيد علي بن الحسين بن حرب البغدادي ـ الفقيه الشافعي[2]، حيث تخلّى عن القضاء ومال نحو الوراقة، وكان كسبه منها مائة وعشرين ديناراً في الشهر[3]، وهذا التحول عند القاضي، صدفة وليس ظاهرة، حيث إنه هرب من القضاء وشؤونه، أي تبديل مهنة، وهو على الوراقة حديث، لذلك كان هذا الاندفاع، وإلاّ لِمَ لَمْ يندفع غيره من القضاة إلى هذه المهنة؟!

وعلى أية حال، فإن مهنة الوراقة أتعبت الورّاقين الذين نشأت على

---

(١) معجم الأدباء ١/١١٦. ومن الملفت للانتباه أن الناس في ذلك الوقت ـ لاسيّما طبقات العلماء والأدباء وأصحاب المعرفة ـ كانوا يتفقدون أحوال بعضهم، ويهبّون إلى مساعدتهم ـ كما رأينا عند إبراهيم بن إسحاق الحربي ـ غير ما هو موجود اليوم.

(٢) انظر ترجمته في: كتاب الولاة وكتاب القضاة ـ لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي/ ص ٥٢٣ ومابعدها.

(٣) المصدر السابق/ ص ٥٣١.

أيديهم، وقضوا حياتهم فيها، وعرفوا أسرارها وما تنطوي عليه، وقد كان للأدباء المعاصرين لهم معرفة بأحوالهم، واطلاعٌ على معاناتهم، نتيجة الملازمة والتردد على حوانيتهم، فهذا أحمد بن عبدالله بن حبيب، المعروف بابن هفّان، يتحدث عن معاناتهم بالقول: «سألت ورّاقاً عن حاله فقال: عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أدقّ من مسطرة، وجاهي أرقّ من الزجاج، ووجهي عند الناس أشد سواداً من الحبر بالزاج، وحظي أخفى من شق القلم، ويداي أضعف من قصبة، وطعامي أمرّ من العفص، وشرابي أحرّ من الحبر، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ، فقلت له: عبّرت عن بلاء ببلاء»[1].

والجاحظ هو الآخر أعرف الناس بالورّاقين، فقد كان ملازماً لحوانيتهم، ويكتريها منهم ويبيت فيها، وقد عدَّ مهنة الوراقة من مِهَن الكهول[2]، فيما كان أبوحيّان التوحيدي أشدّ المتذمرين من هذه المهنة؛ لأنها أذلته، وقد كان كتابه مثالب الوزيرين شاهداً لمعاناته من هذه المهنة التي يسميها مهنة الشؤم والعسر[3]، حتى إنه قال ذات مرّة: «طلع ابن عبّاد عليّ يوماً في داره وأنا قاعد في كسر إيوان أكتب شيئاً قد كان كأدني[4] به، فلما أبصرته قمت قائماً، فصاح بحلق مشقوق: اقعد فالورّاقون أخسّ من أن يقوموا لنا، فهممت بكلام، فقال الزعفراني الشاعر: اسكت فالرجل رقيع، فغلب عليّ الضحك واستحال الغيظ تعجباً من خفته وسخفه»[5].

---

(١) أبو إسحاق القيرواني: زهر الآداب ٢/ ٢٠٠، والثعالبي: خاص الخاص ص ٦٩، وأدب الكتّاب للصولي/ ص ٩٧.

(٢) الحيوان ١/ ٢٠٢.

(٣) معجم الأدباء ١٥/ ١٢ ـ ١٣.

(٤) كأده بالشيء ـ كلفه به.

(٥) معجم الأدباء ١٥/ ٢٦.

ويصل الأمر بالورّاق إلى حدّ التطيّر من هذه المهنة، نتيجة السأم والفاقة، فهذا الأعسر الورّاق ضجر منها؛ فقال: «ما خلق الله أشقى من الورّاق، ولا أشأم من الوراقة، فالألف آفة والباء بخس، والتاء تعس، والثاء ثلم، والجيم جحد، والحاء حرقة، والخاء خوف، والدال داء، والذال ذل، والراء ريب، والزاي زجر، والسين سم، والشين شين، والصاد صدّ، والضاد ضرّ، والطاء طر، والظاء ظلام، والعين عيب، والغين غم، والكاف كفر، والفاء فقر، والقاف قبر، واللام لو، والميم مرق[1]، والنون نوح، والواو ويل، والهاء هوان، والياء يأس، فقيل له: فلام الألف! قال: هو والله جلم[2]، يقطع الرزق ويجل الحرق»[3].

ومن معاناة الورّاقين، التي تصادفهم في كل يوم تقريباً رداءة الخط، وهي مسألة أساسية في مهنة الوراقة، فإن الناس تقبل على صاحب الخط الجميل، على اعتبار أن الخط دليل على ما في النفوس، وما في النفوس دليل على ما في الأشياء ذوات المعاني، وباقي الأشياء ذوات المعاني مدلول عليه، كما ينقل ذلك الصولي[4].

ويكفي أن نشير في هذا الشأن إلى أن حسن الخط رفع الكتّاب إلى مصاف الوزراء كابن مقلة، حتى إن ملوك الروم كانوا يعجبون بالخط العربي، فقد علّق ملك الروم كتاباً للمأمون بخط أحمد بن أبي خالد الأحول على

---

(١) المرق: بتسكين الراء ـ الإهاب المنتن ـ اللسان ـ مادة مرق.

(٢) الجلم ـ الذي يجزّ به ـ أي مقراض الصوف ـ اللسان ـ مادة ـ جلم.

(٣) الثعالبي: خاص الخاص ص ٧٥ ـ وقد ناقضه بحروف الهجاء هذه الكاتب أبوالحسن أحمد بن سعد ـ راجعه في الصفحة نفسها عند الثعالبي.

(٤) أدب الكتّاب/ ص ٤٢.

جدران إيوانه[1]. لذلك كان الكتّاب والورّاقون على حدّ سواء يعتنون بخطهم، واعتبروا أن «رداءة الخط زمانة الأديب»[2]، وهذه المسألة شكلت مرارة في حياة الكتاب والورّاقين، حتى إنها كانت مجلبة للسوء، ومصيدة للتندر والهجاء، قال علي بن محمد العلوي يتذمر من قبح خطّه[3]:

أشكو إلى الله خطاً لا يبلغني ... خط البليغ ولا خط المرجينا
إذا هممت بأمر لي أزخرفه ... سدّت سماجته عنّي التحاسينا

وقد أصبحت رداءة الخط مشكلة فنيّة أساسيّة في ذلك العصر، الأمر الذي حدا بكبار الكتّاب إلى معالجتها، وقد أفرد أبوبكر الصولي باباً كبيراً لهذه المسألة في كتابه القيّم أدب الكتّاب[4] كي يتمكن عموم الأدباء في عصره من التخلص من هذا الهمّ الكبير، وهذه المسألة نظر إليها الورّاقون على أنها لازمة للحظّ، فإن حسنت حسن الحظ، وإن ساءت ساء الحظ، يقول أحدهم[5]:

وما الخطّ إلاّ الحظُّ صحف لفظه ... فإن تك ذا حظّ فإنك ذو خطٍّ
فبالخطّ بين الناس أنك مخطئ ... وبالحظّ صوب رأي مَن شئت أو خطّى

ومن هذا المنطلق، تناول المسألة الشاعر العباسي المعروف (أبو الفتح كشاجم)، فقال[6]:

غبط الناس بالكتابة قوماً ... حرموا حظهم بحسن الكتابه
وإذا أخطأ الكتابة حظّ ... سقطت تاؤهُ فصارت كآبه

(١) أدب الكتاب ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق ص ٥٢.

(٣) المصدر السابق ص ٥٢.

(٤) المصدر السابق ص ٤١ ـ ٥٧.

(٥) محمد طاهر الكردي، حسن الدعابة فيما ورد عن الخط وأدوات الكتابة ص ٤٩ ـ ط١.

(٦) المرجع السابق/ الصفحة نفسها.

وقال آخر في الموضوع نفسه[1]:

لا تحسبوا أن حسن الخط يسعدني ... ولا سماحة كف الحاتم الطائي

وإنما أنا محتاج لواحدة ... لنقل نقطة حرف الخاء للطاء

والملاحظ في الأمر أن تعبيرات الورّاقين عن معاناتهم تصدر عنهم على شكل أدب رفيع، يتجلى في النثر والشعر، ولا تثريب في ذلك عليهم، فهم أدباء بالأساس، إضافة إلى أنهم يتعاملون مع الأدب، ومختلف الفنون الأخرى، من خلال مهنتهم «الوراقة»، يقول أحد الورّاقين في شكواه[2]:

أدمى البكا جفني والمآقي ... وظلْتُ ذا همٍ وذا احتراق

ما إن أرى في الأرض والآفاق ... أدنى ولا أشقى من الورّاق

فيما ينطلق آخر بشكواه ليعبّر عن حالة الأدب والأدباء، لا سيّما في معاناتهم الاقتصادية، حيث إن تعبير (أدركته حرفه الأدب) ذو بعد اقتصادي دال على الفقر، يوصم به الأديب المنقطع كلياً للأدب، لذلك قال أحد الورّاقين في هذا الأمر[3]:

لما أخذت حروف الخط حرفني ... عن كل حَظٍّ وجاءت حرفة الأدب

أقوت منازل مالي حين أوطنها ... منحيا سفط الآداب والكتب

والتعبير عن المعاناة الشخصية عند الورّاق، أحياناً لا تجد صدى عند مَنْ يشكو إليهم، الأمر الذي يجعله يعود إلى ذاته، ويكبت معاناته في نفسه، وأحياناً تكون المعاناة ليست من مهنة الوراقة بل ممن يورّق لهم من السلاطين والوزراء وغيرهم، حيث إن هؤلاء يتعاملون باستعلاء على من هم دونهم،

---

(١) أدب الكتّاب ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق ص ٩٥.

(٣) المصدر السابق ص ٩٥.

لذلك ينأون عنهم، فهذا ورّاق يخاطب قلمه، ويحاوره في معاناته، وكيف أنه يبادله شكواه ويعتمد عليه[1]:

يامجيري من سطوة الأمراء — وعميدي في نوبة اللأواء[2]

والذي صان حرّ ديباجة الوجـ — ـه عن الأسخياء والبخلاء

والذي لا أزال أنعت في الشـ — ـعر وأطريه غاية الإطراء

وسفيري بما أريد من الأمـ — ـر إلى إخوتي من الأدباء

فيما نرى ورّاقاً آخر يذمّ الوراقة ويستهزئ بقلمه، يقول[3]:

أفّ لرزق الكتبه — أفّ له ما أصعبه

يرتشف الرزق به — من شقّ تلك القصبه

ياقلما يرفع في الطـ — ـرس لوجهي ذنبه

ما أعرف المسكين إلاّ — كاتباً ذا مرتبه

وقد استطاع الشريف أبو يعلى محمد بن محمد، المعروف بـ«ابن الهبّاريّه»[4] أن يعكس حالة الورّاقين ومعاناتهم، بقصيدته المخمّسة التي يقول في أولّها:

«حيّ على خير العمل» . . .

تبّا لرب المحبره — يا ويله ما أدبره

وعيشه ما أكدره — ورزقه ما أفتره

إن لم تصدقني فسل»

---

(١) نفسه/ ص ٨٤.

(٢) اللأواء ـ الشدة.

(٣) محمد طاهر الكردي ـ حسن الدعابة ٥٠.

(٤) راجع ترجمته في الوافي بالوفيات/ لصلاح الدين الصفدي ١/ ١٣٠ ـ ١٣٣ وكذلك أعلام الزركلي ٧/ ٢٣ ـ ط٥ والأبيات أوردها محمد طاهر الكردي في حسن الدعابة ـ ص ٥١.

وشكّل التعامل مع أرباب السلطة مسألة ذات أبعاد سياسية وأخلاقية، انعكست على الورّاقين، وزادت همومهم هماً ثقيلاً، لاسيّما إذا طلب إلى أحد الورّاقين العمل في بيوتات هؤلاء أو داخل دواوين الوزارة، حيث يصبح الالتزام بالطقس الرسمي مسألة مفروضة على الورّاق في هذه الحالة، وقد تتعارض مع سلوكه الشخصي والعملي، وقد حدث ذلك فعلاً، ووقع الحادث مع واحد من أشهر الورّاقين في بغداد، هو علان الشعوبي، حيث كانت له دكان وراقة بجوار باب الشام[1]، ووصف هذا الورّاق لأحمد بن أبي خالد الأحول، الذي تولى الوزارة للمأمون، فأمر بإحضاره وأمره أن ينسخ له، فأقام في داره، ودخل الوزير ذات يوم، فقام له جميع من فيها غير علاّن الورّاق، فإنه لم يقم له، فقال أحمد: ما أسوأ أدب هذا الورّاق؟ فسمعه علاّن، فقال: كيف أنسب أنا إلى سوء الأدب ومنّي يتعلّم الأدب، وأنا معدنها، ولم أردت منّي القيام لك ولم آتك مستميحاً لك، ولا راغباً إليك، ولا طالباً منك، وإنما رغبت إليّ في أن آتيك فأكتب عندك، فجئتك لحاجتي إلى ما آخذه من الأجرة، وقد كنت بغير هذا أولى منك، ثم حلف أيماناً مؤكدة أن لا يكتب بعد يومه حرفاً في منزل أحد من خلق الله تعالى[2].

وكان للعداوة الشخصية دور في زيادة هموم الورّاقين، لاسيما عند الشعراء منهم، وأوضح مثال لذلك هو الشاعر الورّاق السري الرفّاء، فقد ناصبه العداوة الشاعران الخالديان[3]، ونكّدا عيشه، حيث اتهماه بالسرقة

(١) أحد الأبواب الرئيسة في بغداد أيام العباسيين.

(٢) ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء ١٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٣) هما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالدي، انظر ديوانهما والمقدمة التي كتبها د. سامي الدهان من ص ٧ ـ ١٨مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

الشعرية، على رغم براعته ومكانته الأدبية، وأصبح بسببهما من الفقراء والمعوزين، وتحول من الرفو إلى الوراقة، وراح ينسخ، ويزيد مضاعفات عمله في النسخ، ليربح أكثر، لاسيّما في ديوان أبي الفتح كشاجم، ويضمنه من شعر الخالديين ويدعي أنهما سرقا ذلك الشعر من كشاجم[١]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أراد الانتفاع بهذه الزيادة[٢]، وعندما زادت العداوة بين الرفّاء وبين الخالديين اشتدّا في إيذائه وقطعا رسمه من سيف الدولة، فانحدر إلى بغداد حتى عدم القوت، وراح ينسخ لغيره بالأجرة وركبه الدين إلى أن مات[٣]. وهذه المعاناة عند السرّي الرفاء من أذى الخالديين أدت إلى تشويه ديوان كشاجم لأنه دسّ فيه الكثير من شعرهما[٤].

وهذه المسألة ـ أي مسألة الدس ـ انعكست وبالاً على مهنة الوراقة، حيث ظهر تيار صغير في سوق الورّاقين يسلك هذا المسلك، ليس للبعد الاجتماعي والاقتصادي وحسب، بل لبعد سياسي محض[٥]، حتى وصم هذا التيار الوراقين بـ«الخيانة»، وقد قيل: «إن آفة العلم خيانة الورّاقين»[٦]، لذلك كان علماء الحديث يحرصون على سلامة العلم، فينسخون كتبهم بأنفسهم[٧]، وقد نبّه الخطيب البغدادي إلى ذلك في معرض حديثه عن ابن الخفاف الورّاق،

---

(١) معجم الأدباء ١١/٢٠٨ ترجمة سعد بن هاشم بن سعيد.

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية ١١/ ٢٧٤ ـ وحبيب زيات/ الوراقة والوراقون في الإسلام ص ٣٢.

(٣) الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد ٩/ ١٩٤.

(٤) انظر مقدمة د. سامي الدهان لديوان الخالديين / ص ١٤.

(٥) سوف نتحدث عن ذلك في الصفحات القادمة من هذا الباب.

(٦) كثيراً ما يتردد هذا في «طبقات المالكية». راجع «الفريدة الثانية» من كتاب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد بن مخلوف طبعة بالأوفست لدار الكتاب العربي ـ بيروت ـ بدون تاريخ/ ص ١١ ـ ١٤.

(٧) آدم ميتز ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ١/ ٣٥٢.

حيث قال عنه: «إنه كان يركب الأحاديث ويضعها على من يرويها عنه، ويختلق أسماءً وأنساباً عجيبة لقوم حدّث عنهم»[1]، وهذا الأمر ينعكس سلباً على مهنة الوراقة، ويزيد من هموم الورّاقين حيث إن الوراقة كانت تعتمد على الكتب الدينية أكثر من غيرها.

وانعكست المعاناة على حياة الورّاقين بشكل فظ، حتى ارتبطت هذه المعاناة باللاّوعي عندهم، وتسللت إلى أحلامهم، وأقضّت مضاجعهم، فهذا محمد بن أحمد الدقان المعروف بـ« ابن الخاضبة» واحد من العلماء والحفّاظ الكبار، لازم الوراقة أغلب حياته[2]، وكان يعيل بمهنته هذه أمه وزوجه وبنته، وقد نسخ صحيح مسلم سبع مرات، يقول هو عن نفسه: «كان ليلة من الليالي رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ومناد ينادي: ابن الخاضبة، فأحضرت، فقيل لي: ادخل الجنّة، فلما دخلت الباب وصرت من داخله استلقيت على قفاي، ووضعت إحدى رجلي على الأخرى، وقلت: آه استرحت والله من النسخ!»[3].

ووصل الأمر من سوء الحال عند مساور الورّاق لأن يتذلّل إلى ابن ليلى ـ أحد رجالات عيسى بن موسى ـ كي يشغّله في جملة الكتّاب، فلم يفعل، فقال مساور[4]:

أراك تشير بأهل الصلاح ... فهل لك بالشاعر المسلم
كثير العيال قليل السؤا ... ل عفٍّ مطاعمه معدم
يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ... وقد حَلَقَ العام بالموسم
وأصبح والله في قومه ... وأمسى وليس بذي درهم

(١) تاريخ بغداد ١/ ٤٤.

(٢) انظر ترجمته عند ياقوت الحموي/ معجم الأدباء ١٧/ ٢٢٦ ـ ٢٣٠ الترجمة رقم ـ ٧٥ ـ.

(٣) معجم الأدباء ١٧/ ٢٢٨.

(٤) الأغاني ١٨/ ١٤٩.

وأخذت المعانـاة تتسرمد في نفوس الـورّاقين، وأصبحت ملازمة لـلحياة اليـوميـة، وانعكست على شعـرهم وأدبهم، بل أصـبحت إحـدى اللوازم في الكلام، يقـول عمر بن مـحمـد بن سراج الدين الورّاق، وقـد أكثـر من ذكر صناعته في شعره[1]:

ياخـجلتي وصحـائفي سود غـدت		وصـحـائف الأبرار في إشـراق
ومـوبخ لي في القـيـامـة قـال لي		أكـذا تكون صـحـائف الورّاق

وانسحب هذا الهم على العلاقات الإنسـانية، فربما نفرت المرأة من حبّ الورّاق، يقول عمر بن سراج الدين أيضاً:

نصب الحشا غرضاً فقرطس إذ رمى		وهي القلوب سـهـامـها الأحـداق
وسـألتـه وصـلاً فـقـال يُحـجّني		ياليت شـعـري من هو الورّاق؟

* * *

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ـ لابن حجة الحموي/ الطبعة الأولى ـ مصر سنة ١٣٠٤هـ/ ص ٢٤٥.

الفصل السابع
الورّاقون والسياسة

إن التطور الاقتصادي في العصر العباسي قد دفع بالحياة الاجتماعية إلى واجهة الصدارة، حتى صار الناس يميزون بين ما هو سلبي وما هو إيجابيٌ عند الخلفاء والوزراء، وسائر طبقات الناس، من منظور ديني، يستمدّ رؤياه وشرعيته من العقيدة الإسلامية ذاتها، باعتبارها المصدر الأساس للفكر.

وحالة التفاعل الاجتماعي الاقتصادي، تجد تعبيراتها في الحياة السياسية عند المذاهب والفِرق التي طغت على السطح وظهرت للعيان بشكل واضح، وهو الأمر الذي يجعل من التناقض قانوناً أساسياً يجري فعله في حياة الناس والمجتمع، وهذا ما أدركته السلطة العباسية، فراحت تأخذ بزمام المبادرة السياسية من خلال الدين الإسلامي، وحين أطلّ القرن الرابع الهجري، أصبحت النقطة الفاصلة لوقف التشريع الإسلامي وحصره في المذاهب الأربعة السنّية، وهو أمر يشير إلى تخوّف السلطة العباسية من عامل الإبداع في الفكر، وانعكس هذا الأمر على روّاد الساحة الفكرية من فقهاء وأصحاب حديث، فالفقهاء يريدون إحياء النظريات الفلسفية والحثّ على بعضها، فيما كان أصحاب الحديث يتمسكون بالسنّة القديمة، حتى أصبح العلماء الأولون كالمعصومين، وصار الفقيه لايستطيع إصدار حكمه إلاّ في المسائل الصغيرة[1]، وراح الأمر

---

(١) راجع تفصيلات ذلك عند آدم ميتز ـ الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ١/٣٦٩ ومابعدها.

إلى أبعد من ذلك، وصار أصحاب المذاهب السنّية يضيقون على الشيعة، وعلى متكلمي المعتزلة، وظهرت نزعة التطرف عند الحنابلة في هذا الاضطهاد الفكري، فقد حاولوا منع الخطيب البغدادي من دخول المسجد الجامع ببغداد لأنه كان يذهب مذهب الأشعري[1]، ومن قبله كانوا قد ضيّقوا على محمد بن جرير الطبري، ولما توفي سنة ٣١٠هـ/٩٢٣م منع الحنابلة دفنه نهاراً، واتهموه بالرفض والإلحاد، لأنه جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فسئل عن ذلك، فقال: لم يكن فقيهاً وإنما كان محدّثاً[2].

وقد برز تياران أساسيّان على الصعيد الفكري الإسلامي في ذلك الوقت، هما: تيار أصحاب الرأي، وتيّار أصحاب القياس، وقد انقسم الناس شيعاً حول هذين الفريقين، فيما كان المعتزلة قد سيطروا على الساحة الثقافية والفكرية في القرن الثالث الهجري، حيث كانوا طوال هذا القرن يعالجون مسائل كلامية، حتى شغلوا الناس طيلة هذا القرن، واضطّر خصومهم إلى الإجابة عنها في القرن الرابع الهجري[3]، حيث كانوا هم الفرقة الوحيدة التي أخذت تعالج الفلسفة وعلم الكلام أكثر من بقية المذاهب الإسلامية الأخرى، التي كان المسلمون منقسمين إليها في ذلك العصر وهي: أهل السنّة، والمعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، وتحت هذه المسميّات من المذاهب تندرج عدة فرق[4]، وهذه الفرق الإسلامية كان لها رجالها من الأدباء والعلماء والفقهاء والمتحدثين وغيرهم، وقد أفرد لهم النديم أبواباً هامة في الفهرست[5]،

---

(١) ابن الجوزي ـ المنتظم ٨/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ وآدم ميتز ـ المرجع السابق ١/ ٣٦١.

(٢) ابن الجوزى ـ المنتظم ٦/ ١٧٢ ـ وابن خلكان ـ وفيات الأعيان ٤/ ١٩١ ومابعدها.

(٣) آدم ميتز ١/ ٣٣٣.

(٤) راجع عن هذه الفرق/ المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص٣٧ ومابعدها.

(٥) راجع ـ الفهرست/ المقالة الخامسة ـ ص ٢٤٥ ـ ٢٨٠ حيث ذكر العشرات من أسماء الرجال.

وخصّ المعتزلة بالقسم الأول من المقالة الخامسة، وفي ضوء هذه الظواهر الفكرية السياسية، تكون دكاكين الورّاقين هي المكان الجامع لنتاجهم الفكري والأدبي، لذلك تسرّبت أفكار هذه الفرق إلى نفوس الوراقين وأفئدتهم، فانضووا تحت شعاراتها وساروا في ركابها وورّقوا لها[١].

وتكاد المواقف السياسية تأخذ عند الورّاقين، لاسيما الشعراء منهم، شكل التندّر من هذا المذهب أو ذاك، أو من هذه الجماعة أو تلك، وعندما يصاغ هذا الموقف شعراً، فإن البعد الإعلامي فيه يأخذ مدى أوسع، ونظراً لكون الناس في تلك الفترة أحفظ للشعر من سواه على بقية الفنون الأدبية، فقد كان التركيز عليه كثيراً عند الورّاقين، فمن ذلك ما قام به مساور الورّاق، وهو يسمع لغط أصحاب أبي حنيفة وصياحهم، وما يجادلون به بقية الفرق «بالقياس» كنهج أساسي في مذهبهم، فقال يهجوهم[٢]:

كنا من الدّين قبل اليوم في سعة ... حتى بُلينا بأصحاب المقاييس
قوم إذا اجتمعوا ضجّوا كأنهم ... ثعالب ضبحت بين النواويس[٣]

ونظراً للتأثير الإعلامي للشعر، فإننا نرى أن الفرق الإسلامية تحاول احتواء الشاعر ومهادنته، وكسب ودّه، وإلاّ فقد تحدث مواجهات كلامية، ووعد ووعيد، وربما كان الرد عنيفاً قد يصل القتل، فالأمر متعلق بموقع الفرقة الإسلامية وتأثيراتها، فمساور مثلاً هادنه المذهب الحنفي، ممثلاً بشخصية أبي حنيفة ذاته، بعد أن هدده أصحابه وتوعدوه، وقد شقّ عليهم ما سمعوا، فراح

(١) سوف نذكر تفصيلات ذلك عن الحديث عن حياة الورّاقين في الجزء الثالث من هذا الكتاب سيحمل عنوان ـ أعلام الورّاقين.

(٢) الأغاني ١٨/ ١٥١، وحبيب زيات: الوراقة والورّاقون في الإسلام ص ٣١.

(٣) النواويس = مقابر النصارى ـ اللسان ـ مادة ـ نوس.

يطلب رضاهم، فقال شعراً بذلك هو[1]:

إذا ما الناس يوماً قايسونا ... بآبدة من الفتيا ظريفه
أتيناهم بمقياس ظريف ... مصيب من قياس أبي حنيفه
إذا سمع الفقيه بها وعاها ... وأثبتها بحبر في صحيفه

فبلغ أبا حنيفة ذلك فرضي. قال مساور: ثم دعينا إلى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحر، فدخلت فلم أجد لرجلي موضعاً من الزحام، وإذا أبوحنيفة في صدر البيت، فلما رآني قال: إليّ يا مساور، فجئت فإذا مكان واسع، وقال لي: اجلس، فجلست، وقلت في نفسي: نفعتني أبياتي اليوم. قال: وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي: هاهنا، هاهنا، ويوسّع لي إلى جانبه ويقول: إن هذا من أهل الأدب والفهم[2].

وعلى هذا المسلك، سار الشاعر الورّاق السري الرفاء، وربما كان أكثر خطورة من سابقه «مساور»، حيث كان الرفاء معجباً بشعر كشاجم ـ كما أسلفنا[3] ـ وكان ينسخ ديوانه، حيث إنه كان مغرماً به، وأثناء عملية النسخ كان يدسّ أحسن ما كتبه الخالديان للعداوة التي كانت بينهم؛ كي يشنّع بذلك عليهم[4].

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الزنادقة كان لهم تأثير واضح في الورّاقين، فقد ذكر ابن كثير أن محمد بن أبي العوجاء كان ورّاقاً زنديقاً، وأنه اعترف على نفسه، وهو تحت السيف، أنه وضع أربعة آلاف حديث، يحل فيها

(١) الأغاني ١٨/ ١٥٢.

(٢) الأغاني ١٨/ ١٥٢.

(٣) راجع فصل ـ معاناة الورّاقين.

(٤) حبيب زيّات/ ص ٤٢.

الحـرام، ويحرّم فـيهـا الحـلال، ويصومّ الناس يوم الـفطر، ويفطرهم في أيام الصيام، وقـتله المنصور على الزندقة[١]، وعلى الزندقة أيضاً، أُخـذ أبوعيسى الورّاق، وأودع السجن حتى مات[٢].

وكانت مذاهب الورّاقين السياسـية تظهر عندهم في الحديث العام، وفي النادرة، وفي الموقف المتحدي وغيرها، ومن ذلك ما رواه ابن الجوزي عن ورّاق شيعي يعرف بابن لؤلؤ، واسـمه (علي بن محمد بن أحمد بن نصير بن عرفة أبوالحسن الثقـفي) قال: أخبرنا أبوبكر بن ثابت قال: سـمعت التنوخي يقول: حضرت عند أبي الحـسن ابن لؤلؤ مع أبي الحسين البيضاوي لنقـرأ عليه، وكان قد ذكر له عـدد من يحضر السمـاع، ودفعنا إليه دراهم كنّا قد وافقـناه عليها، فرأى في جملتنا واحداً زائداً على العدد الذي ذكـر له، فأمر بإخراجه، فجلس الرجل في الدهليز، وجعل البـيضاوي يقرأ ويرفع صوته ليسـمع الرجل، فقال ابن لؤلؤ: ياأبا الحسن، أتعاطي عليّ وأنا بغدادي باب طاقي[٣] ورّاق، صاحب حـديث شيعـي أزرق كوسـج، ثـم أمـر جاريته أن تدق في الهاون أشناناً حتى لا يصل صوت البيـضاوي بالقراءة إلى الرجل.[٤] وهذه الحادثة تبـيّن الانتماء السيـاسي للورّاق، إضـافة إلى أنهـا تكشف عن الظرف عند البغـداديين الذين عرفوا به في ذلك الأوان[٥].

ويذكـر ابن إياس الأزدي أنه في سنـة ١٤٥هـ أُتي بمطر الورّاق وبشـيـر

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ١١٣ـ أحداث سنة ١٥٥هـ.

(٢) المصدر السابق ١١/ ١١٣ في ترجمة «ابن الراوندي».

(٣) باب الطاق/ من الأبواب الرئيسة في بغداد أيام العباسيين.

(٤) المنتظم ٧/ ١٤٠ ـ حوادث سنة ٣٧٧هـ ـ وحبيب زيات/ ص٤٢.

(٥) تاريخ بغداد ٥/ ١٥ ـ وحبيب زيّات/ ص٤٣.

الدجّال، وكانا من الخوارج، وأدخلا على المنصور، فقال المنصور لمطر: يامطر نسيت الحرمة وطول الصحبة؟ فقال مطر: نيسناهما بنسيانك كتاب الله وسنّة رسوله، وتضييعك أمور المسلمين، قال المنصور: أفتخرج علي مع من لم تؤنس منه رشداً؟ فهذا خلاف مذهبك؟ قال: لو خرج عليك الذر وإنه أضعف الخلق لخرجت معهم حتى أؤدي ما افترض الله عليّ فيك. فقال المنصور: ياابن حسنة الزانية. قال مطر: إنك تعلم أنها خير من سلامة (أم المنصور)، ولولا أنه قبيح بذي الشيبة السفه، لأعلمتك ماتكره ولاتطيق ردّه. قال المنصور: خذوه. قال إن بعد موقفك هذا موقفاً، وإن بعد أخذتك هذه أخذة، فانظر لمن تكون العاقبة. قال، فجزع المنصور من قوله جزعاً شديداً ظهر فيه، ثم قتله[1].

وهذه الحادثة تبيّن الاشتراك الفعلي للورّاقين في السياسة والالتزام بها ـ حزبيّا ـ، فيما عرف علاّن الورّاق بتعصبّه للفرس، وعدّ من الشعوبيين، فألف الكتب على العرب، لاسيّما كتابه الميدان، وكتب الشعر في مثالب العرب، وأذاعهما في مجالس بغداد دون أقل تهيّب أو تقية[2].

إذن، كانت هناك انتماءات سياسية واضحة جداً عند الورّاقين، وهذا الأمر يشكل بعدا أيديولوجياً وإعلامياً خطراً، عرفت قوى المعارضة السياسية في العصر العباسي كيف تستغله إيجابيّاً، وتتغلغل في أوساطهم، وقد كان للدهريين والفلاسفة والمتصوفة الأثر الأبلغ في هؤلاء، حتى إن الخلفاء الحكّام في ذلك العصر أخذوا يحرّمون تداول بعض المصنفات التي يخشون من فتنتها،

---

(١) تاريخ الموصل لأبي زكريا بن إياس الأزدي ـ الجزء الثاني ص ١٦٦ ـ مخطوط في دار الكتب المصرية ـ تحت رقم/ ٢٤٧٥/ نقلاً عن حبيب زيات/ الوراقة والورّاقون/ ٤٣.

(٢) معجم الأدباء ١٢/ ١١٩، والنديم: الفهرست/ ص ١٥٣ـ١٥٤، وحبيب زيات/ ص٤٤.

أو سوء أثرها في الدين، ففي سنة ٢٧٩هـ، حلّف الورّاقون ألا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة[١]، ولمّا قتل الحلاّج، أحضر الورّاقون وحلفوا ألا يبيعوا شيئاً من كتب الحلاّج ولا يشتروها[٢].

لقد شكّل هذا البعد الإعلامي خطراً على الدولة العباسية، وهو أمر يشير إلى التنازع المتبادل بين قوى المعارضة وبين الخلافة العباسية، ولقد كانت المعارضة السياسية أسبق لكسب هؤلاء، نتيجة الواقع الطبقي للورّاقين، حيث إن أغلب انتماءاتهم كانت ذات جذور فقيرة معدمة، من جهة، ومن جهة أخرى، كان التعارض الأيديولوجي بين أفكارهم وأفكار السلطة السياسية، هو الآخر يدفعهم للانتماء لقوى المعارضة، إضافة إلى أن العقيدة الإسلامية كانت تحضّ بجوهرها على الزهد والعيش ببساطة، وقد شاهدنا ـ من خلال معاناة الورّاقين ـ كيف كانت سبل عيشهم، ومن هنا تكون حالة الانتماء إلى المعارضة أقرب اليهم وأسوغ.

* * *

---

(١) المنتظم ٥/١٢٢ ـ أحداث سنة ٢٧٩هـ.

(٢) مسكويه: تجارب الأمم ٥/٨٣، وحبيب زيات/ ص ٤٥.



الفصل الثامن
أصناف الورّاقين

أشرنا في الفصل الأول من هذا الباب إلى الكيفية التي ظهرت بها مهنة الوراقة، وتحدثنا في بقية الفصول عن مختلف جوانب الحياة المهنية والسياسية والاقتصادية للورّاقين، وفي هذا الفصل سوف نتطرق إلى أصنافهم المتعددة في مهنة التوريق، بغية معرفة كل صنف على حدة، كي نقف على دقائق هذه المهنة الشاقة والجميلة، التي أوجدها الأدباء لهم، وفضلوها على غيرها، لشغف كان بهم نحو الأدب والعلوم الإنسانية الأخرى.

إن مهنة الوراقة ضمن مضمونها الشامل والواسع، تشتمل على أصناف عدّة من الورّاقين، تندرج في أربعة أصناف أساسية هي:

١ ـ النسّاخ: ويندرج في خانتهم الغالبية العظمى من الورّاقين، الذين يمارسون عملية النسخ بأيديهم[١]، ويندرج أيضاً في خانتهم الخطّاطون[٢]، وهم الفئة الفنيّة المبدعة، والمشتغلة بالحرف العربي، والتزويق والتصوير والتذهيب.

٢ ـ باعة الورق وسائر أدوات الكتابة، كالأقلام والحبر وغير ذلك.

٣ ـ المجلّدون، وهم فئة اختصّت بتجليد الكتب.

٤ ـ باعة الكتب، ويدخل خانتهم وبابهم المنادون أو الدلالون[٣].

---

(١) يقابلهم في عصرنا الراهن ـ ضاربو الآلات الكاتبة.

(٢) نظراً لأهمية هؤلاء في عملية الوراقة من جهة، وأهميّتهم من الناحية التاريخية والحضارية، أفردنا لهم كتاباً مُعداً للنشر تحت عنوان: خطاطو بغداد في العصر العباسي.

(٣) للاستزادة راجع ـ كوركيس عواد/ خزائن الكتب القديمة في العراق/ مصدر سابق/ ص٨ـ٩.

١ ـ صنف النسّاخ: وهم الصنف الأبكر ظهوراً من بقية الورّاقين، وقد تَعلّقَ بمهنتهم نسخ القرآن، وبقية علوم الدين، حيث إن هؤلاء واكبوا البدايات الأولى للدين الإسلامي، وسايروا عملية التطور السياسي والحضاري للدولة الإسلامية. فقد عرف عن مالك بن دينار(١) مولى أسامة بن لؤي بن غالب أنه كان أقدم ورّاق، حيث كان يكتب المصاحف بأجرة(٢).

وعندما شمخت الحضارة العباسيّة في بغداد، كان للوراقين الدور المهم والإيجابي في مواكبة هذا الشموخ على الصعيد الثقافي والمعرفي، حتى بدأت عملية الوراقة بالتخصص في نسخ العلوم، وهي خطوة علمية مهمّة، حيث مال الوراقون إلى اهتماماتهم الثقافية في عملهم، مما أعطى حافزاً إبداعياً لعملهم في الوراقة، وكان أجلى تخصص ظهر عندهم في «وراقة المصاحف»، حيث إنهم أوجدوا نسّاخين خاصّين بهذه المهنة، وليس ذلك فحسب، بل إنهم أوجدوا خطوطاً خاصّة بالمصاحف، منها على ماذكره النديم: «المكي، والمديني، والتئم، والمثلث، والمدوّر، والكوفي، والبصري، والمشق، والتجاويد، والسلواطي، والمصنوع، والمائل، والراعف، والأصفهاني، والسجلي، والقيراموز، ومنه يستخرج العجم، وبه يقرّون»(٣)، ثم ذكر أن أوّل من كتب المصاحف في الصدر الأول ـ أيام بني أميّة ـ من الموصوفين بحسن الخط خالد بن أبي الهياج، ذاك الذي كان مختصّاً بكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبدالملك، وقد طلب منه عمر بن عبدالعزيز ـ أيّام خلافته ـ

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٣٦٢ ـ الترجمة رقم ١٦٤ ـ وراجع حاشية الصفحة عن مصادر ترجمته الأخرى.

(٢) ابن رسته: الأعلاق النفيسة/ ص ٢١٦ ـ وحبيب زيّات/ الوراقة والورّاقون/ ص٦.

(٣) الفهرست/ ص٩.

أن يكتب له مصحفاً، فكتب له ما أراد، وتنوّق فيه، فأقبل عمر يقلبه ويستحسنه، واستكثر ثمنه فردّه عليه[1].

فيما ظهر في الدولة العباسية ـ من كتّاب المصاحف ـ خشنام البصري، ومهدي الكوفي ـ كانا في أيام الرشيد ـ وكان أبوحدي، يكتب المصاحف اللطاف ـ أيام المعتصم ـ وكذلك كان في زمنه من الكوفيين ابن أم شيبان، والمسحور، وأبوحميرة، وابن خميرة وأبو الفرج، أما الورّاقون الذين وقف النديم على خطوطهم، وعاصرهم، وذكر ذلك عنهم في **الفهرست**، وكانوا يكتبون المصاحف بالخط المحقق والمشق، فمنهم: ابن أبي حسان، وابن الحضرمي، وابن زيد، والغريابي، وابن أبي فاطمة، وابن مجالد، وشراشير المصري، وابن سير، وابن حسن المليح، والحسن بن النعالي، وابن حديدة، وأبوعقيل، وأبومحمد الأصفهاني، وأبوبكر أحمد بن نصر وابنه أبوالحسين، ويقول النديم: ورأيتهم جميعا[2]، فيما ذكر السمعاني أحدهم ويعرف بأبي إسحاق إبراهيم السلمي، حيث كان يورّق المصاحف[3].

واختصّ بتذهيب المصاحف من الورّاقين كل من: اليقطيني، وإبراهيم الصغير، وأبي موسى بن عمار، وابن السقطي، ومحمد، وابن محمد أبوعبدالله الخزيني وابنه، وهؤلاء كانوا في زمن النديم[4].

ويدخل في هذا الصنف من الوراقين، نسّاخ الحديث، ونظراً لأهمية الحديث النبوي في الشريعة الإسلامية، باعتباره العماد الثاني بعد القرآن، فقد

---

(١) الفهرست/ ص١٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الأنساب ٧/ ١١١ ـ وحبيب زيّات/ ص١٦.

(٤) الفهرست/ ص١٤.

صارت العناية به من الأولويات الثابتة عند الوراقين من المشتغلين بعلوم الدين، حيث إن هذا يشترط فيه أن يكون عالماً بأصول الحديث وأسانيده وأخباره وتواتره، ورجاله وعلمائه[1]، لذلك وجب أن يكون الورّاق في هذا الصنف عالماً بالحديث، لسببين رئيسين: الأول، يدخل في الإطار الديني، ومحرماته ومحللاته، حيث يوجب الوازع الديني الثقة بالنقل والأمانة، والسبب الثاني: المحافظة على سمعة العالم الشخصية، على الصعيدين المهني والأخلاقي، حيث أن مهنة الوراقة ترتبط بهما مباشرة، لذلك كان الخطيب البغدادي معنيًا بهؤلاء أكثر من غيرهم، لاسيّما في كتابه **تاريخ بغداد**، حيث يعدّ هذا الكتاب جامعاً لأهل العلم والأدب، وخصوصاً علماء الحديث[2]، ونظراً لكونه (أي الخطيب) معنياً بعلوم الحديث أكثر من غيره، فقد نبّه على المخلّطين منهم من أمثال ابن الخفاف وغيره، كما نبّه على أهل الكوفة وخراسان في هذا الشأن[3]، لذلك كان الورّاقون من هذه الفئة هم أكثر الفئات شهرة وقبولاً عند الناس، حيث كانوا يقصدونهم للسماع والحفظ عليهم، لذلك كانت دكاكينهم ملأى بالناس من كل حدب وصوب.

وضمن النسّاخ، هناك صنف يعرف بـ«الوراقين الرواة والإخباريين» واختصّ هذا الصنف برواية الشعر وأخبار العرب وذكر أنسابهم، كهواية أدبيّة، ومهنة معاشية، وقد ذكر النديم منهم: عبيدالله بن أبي سعيد الوراق، وقال عنه: كان إخبارياً نسّاباً وراوية للشعر، وذكر أسماء كتبه التي ألّفها في هذا المجال[4]، وقد نقل أبوالفرج الأصبهاني بعض أحاديثه ومسموعاته في كتابه

(١) انظر فصل ـ المقابلة أو النسخ أو منهج الوراقة ـ في هذا الباب.

(٢) انظر الصفحات الأولى من تاريخ بغداد ١/ ٣- ٥.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٠ و١/ ٤٤.

(٤) الفهرست/ ص١٥٨.

الأغـانـي[1]، ومن هؤلاء الورّاقين عـرف: الفضل بن العـبّاس، وعيـسى بن يحيى، وأبومحذورة، وغانم الورّاق، وعلان الشعوبي، وعثمان الورّاق، وعلي ابن الحسين بن عبدالسميع المرزوي، ومطير الورّاق، وعبدالله بن عمر، وإبراهيم بن محمد، وابن أبي المدوّر، وعيسى بن الحسين، ذاك الذي كان أوسعهم ذكراً وحفظاً ورواية[2].

وهناك صنف آخر من الورّاقين هُم الورّاقون العلماء والأدباء، وهؤلاء كانوا أعلاماً في اللغة والأدب وتدريس العلوم الدينية والنحو، والفلسفة والطب والترجمة، وقد اشتهر من هؤلاء: علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرمّاني، حيث كان إماماً في العربية، علامة في الأدب، في طبقة أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي[3].

ومنهم أيضاً الحسن بن حامد بن علي بن مروان الحنبلي، وكان مدرّس أصحاب أحمد بن حنبل وفقيههم في زمانه، ومعظماً عند الناس ومقدّماً عند السلطان[4].

فيما كان محمد بن عبدالله أبوالحسن الورّاق البغدادي من العلماء المتبحرين في النحو وعلله وله مصنّفات فيه[5].

ومنهم: إسحاق بن الجنيد البزاز البصري اللغوي[6].

---

(١) حبيب زيّات/ ص١٧ـ١٨.

(٢) المصدر السابق ص١٨ وسوف نترجم لأشهر هؤلاء في كتابنا هذا.

(٣) معجم الأدباء ١٤/ ٧٤ ومابعدها ـ وحبيب زيّات/ ص١٨.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٣ ـ الترجمة رقم ٣٨١٦.

(٥) السيوطي: بغية الوعاة/ ص٥٣.

(٦) حبيب زيّات/ ص١٩.

ومن الورّاقين النحاة: أبوالحسن محمد بن هبة الله[1]، وأبوجعفر محمد ابن حاتم[2] ومحمد بن الحسن الأحول، ذاك العالم باللغة والشعر، وقد كان ورّاقاً ناسخاً عند حنين بن إسحاق[3].

ومن الورّاقين الأدباء: أبوالحسن علي بن المغيرة الأثرم[4]، وأبعدهم شهرة كان أبوحيان التوحيدي، وقد نعته ياقوت الحموي بـ«إمام الورّاقين»، وأفرد له ترجمة طويلة[5].

ومن صنفه وطبقته كان الورّاق أبوحفص الأصبهاني، الذي كان يكاتب الصاحب بن عباد بديباجاته الأدبية الرائعة[6]، ويندرج في سياق هؤلاء الأدباء من الورّاقين أبوالفتح بن الخزاز، وأبوبكر القنطري، وأبوالحسين ابن الخراساني، وهم من جلّة الأدباء، وأهل هذه الصنعة، كما يقول ياقوت[7]، ومنهم أيضاً أبوالقاسم بن عقيل الورّاق، وأبوالقاسم بن حبيش، وأبوإسحاق إبراهيم بن صالح، تلميذ الجوهري، حيث إنه أكمل عمل أستاذه ـ الجوهري ـ بعد أن مات، حينما وصل ـ بـ **الصحاح** ـ إلى باب الضاد المعجمة، وبقيت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيّضة، وقد غلط فيه في عدة مواضع كما يقول ياقوت الحموي[8].

---

(١) ابن الأنباري/ نزهة الألباء في طبقاء الأدباء/ ص٤٣٨.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٦ و٩ ـ وحبيب زيات/ ص ١٩.

(٣) معجم الأدباء ١٨/ ١٢٥.

(٤) المصدر السابق ١٥/ ٧٧ـ٧٨.

(٥) المصدر السابق ١٥/ ٥ـ٥٢.

(٦) المصدر السابق ٦/ ٢٨٢ـ٢٨٣.

(٧) نفسه ٨/ ١٨٩ـ وحبيب زيّات/ ص٢١.

(٨) نفسه ٦/ ١٥٧ـ وحبيب زيّات/ ص ٢٢.

وضمن هذه المجموعة من الورّاقين الأدباء يذكر الورّاق عبدالله بن محمد ابن أبي الجوع، حيث أشارت المصادر إلى أنه كان إلى جانب علمه باللغة والنحو والبلاغة يشتغل بالوراقة، ويقول الشعر الجميل، وهو واحد من أصحاب المتنبي[1]، وبنفس الدرجة والقدر يأتي الوراق ابن كوجك علي بن الحسين بن علي العبسي[2].

وفي هذه الطبقة من الورّاقين، وفي صفوتها العليّة يرتسم شخص محمد ابن إسحاق، صاحب كتاب **الفهرست** الشهير، وقد حاول الكثير من المؤرخين تجاهل اسمه لأنه كان شيعياً معتزلياً[3]، وبمنزلته وطبقته وغزارة علمه، يأتي الورّاق الشهير الحموي، ذلك الورّاق الموسوعة الذي صنف لنا **معجم الأدباء**، و**معجم البلدان** وكفاه ذلك فخراً وخلوداً[4].

هؤلاء هم الصفوة الأدبيّة الممتازة من الورّاقين الأدباء، الذين رفدوا ثقافتنا بما صنّفوه ونسخوه، وأفنوا عمرهم في الوراقة والتأليف.

وهناك صنف آخر من الورّاقين يعرف بـ«الورّاقين الدلالين» أي الوسطاء بين باعة الكتب وجمهور المشترين، تخصصوا بهذه المهنة لدافع اقتصادي أولاً، حيث كانو يكسبون قوتهم منها، ومعرفتهم بأخبار الأدب والأدباء، وأخبار المصادر والدراية بها ثانياً، أي إنهم أدباء بالأساس، ففيهم المؤلف والناقد والخطاط والمقوّم لأسعار الكتب، في ضوء أهميّة الكتاب وصاحبه ومنزلته[5]،

---

(١) السيوطي/ بغية الوعاة/ ص ٢٨٧ ـ وراجع كذلك د. مصطفى الشكعة/ أبوالطيّب المتنبي في مصر والعراقين ـ منشورات عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣. ص ١١٦.

(٢) معجم الأدباء ١٣/ ١٥٧.

(٣) المصدر السابق ١٨/ ١٧.

(٤) سنخصه بترجمة وافية في/ أعلام الورّاقين/ من عملنا هذا.

(٥) سوف نورد تفصيلات أكثر عن هؤلاء في الباب القادم/ سوق الورّاقين ـ فصل: كيفية بيع وشراء الكتب.

يضاف إلى ذلك حسن اختيارهم للكتب التي يقعون عليها في (المناداة) واحتيازهم لها، لذلك تآلفوا مع مهنتهم وأحبوها، فهم وسطاء بين أوساط مثقفة ـ الأدباء والجمهور المتذوّق ـ لذلك كثيراً ما يستشارون في شراء نوعية الكتب واقتنائها، حتى عرف بعضهم بتخصصه بجمع الطرائف، لأن عملية بيع الكتب بالنداء ـ وهي الطريقة الشائعة في سوق الورّاقين ـ تجعل المنادي أو الدلال مطلعاً عليها قبل غيره، لذلك يشتري مايريده له، وبسعر مخفّض حتماً[١]، ومن جامعي الطرائف هؤلاء عرف الطرسوسي الورّاق، وأحمد بن يوسف بن أبي الزهر الحلبي الملقَّب بالطرائفي[٢].

أما أشهر الدلالين فقد عرف دلال الكتب سعيد بن علي بن القاسم الأنصاري الحظيري، صاحب كتاب **زينة الدهر وعصرة أهل العصر**، الذي جعله ذيلاً على يتيمة الدهر للثعالبي، ومنهم أيضاً الدلال عبدالرحمن بن موسى بن عمر الناسخ ابن المناديلي، وكان خيران الورّاق أحد الدلالين المقومين للكتب، قيل لما مات ثعلب خلّف كتباً جليلة، فأوصى إلى علي بن محمد الكوفي أحد أعيان تلاميذه، وتقدم إليه في دفع كتبه إلى أبي بكر أحمد بن إسحاق القطربلّي، فقال الزجاج للقاسم بن عبدالله (الوزير): هذه كتب جليلة فلا تفوتنّك، فأحضر خيران الورّاق فقوّم ما يساوي عشرة دنانير بثلاثة، فبلغت أقل من ثلثمئة، فأخذها القاسم[٣].

لقد دفعت مهنة الوراقة إلى التخصص في مجالاتها المتعددة، كما أشرنا

---

(١) اضطرني العوز ـ وأنا بدمشق ـ لأن أبيع مجموعة من كتبي حوالي/ ستمئة كتاب ومجلة/ فجاء أحد الدلالين واشتراها مني بسعر بخس لايتعدى الليرتين لكل كتاب.

(٢) أحال حبيب زيّات هذا الاسم على الدرر الكامنة ولم أجده في باب/ أحمد بن يوسف/ طبعة حيدر آباد ـ ط١ـ الجزء الأول. راجع/ الوراقة الورّاقون لحبيب الزيات/ ص ٣٧.

(٣) معجم الأدباء ٥/ ١٢٧ في ترجمة/ أحمد بن يحيى ـ ثعلب.

من قبل، وصار هذا التخصص يدفع بالوراقين إلى التخصص في فن واحد، أو علم واحد، وبتقديرنا أن هذا النزوع مؤداه الدافع المعرفي عند بعض الورّاقين، لأن مافي نفوسهم من ميل نحو الأدب أو الفلسفة أو الطب، أو علوم الشريعة، هو الذي يدفعهم إلى ذلك لسببين: الأول: زيادة التحصيل الثقافي، والثاني كسب العيش بالحدّ الأدنى، حتى لايحدث تعارض بين حبّ المطالعة والمعاش، وهم بهذه النقلة المعرفية، أبانوا لنا الكثير من غوامض العلوم والفنون التي كانوا يورّقون فيها، لذلك برز صنف متميّز بينهم لازموا العلماء والوزراء، وهم من يطلق عليهم (ورّاقوا العلماء والوزراء)، كانوا ينتمون إليهم، وينسخون ما يملون عليهم من المؤلفات والمقالات، ويتولون تحصيل ما يريدونه وتجليد ما يحتاجون إليه من الكتب والأجزاء والكراريس، وقد عرف من هؤلاء: الورّاق أحمد بن محمد بن أيوب، والملقّب (أبوجعفر الورّاق)، فقد ذكر الخطيب البغدادي أنه كان مورّق الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك، وكان راوية لمغازي محمد بن إسحاق، وحمل الناس عنه ذلك[١]، فيما كان للجاحظ وراقان هما: عبدالوهاب بن عيسى[٢]، وزكريّا بن يحيى[٣]، وكان للجهشياري مؤلف كتاب **الوزراء والكتّاب** ورّاق يدعى أحمد بن أحمد ابن أخي الشافعي[٤]، وكان للإمام البخاري ـ صاحب **الصحيح** ـ وراق هو محمد ابن أبي حاتم[٥]، ولازم الوراق النحوي ثابت بن أبي ثابت عبدالعزيز أبوعبيد وورّق[٦] له، وكان للمبرد ورّاقان اثنان كانا ينسخان له، هما: ابن الزجاجي

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٩٣/ الترجمة رقم ٢٢٨٦.

(٢) المصدر السابق ١١/ ٢٨ـ٢٩.

(٣) ياقوت الحموي ـ معجم الأدباء ١٦/ ١٠٦.

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٣٧.

(٥) تاريخ بغداد ٢/ ٧ في ترجمة ـ البخاري ٢/ ٧.

(٦) السيوطي ـ بغية الوعاة ـ ص ٢١٠ ـ باب الثاء.

إسماعيل بن أحمد، والساسي إبراهيم بن محمد[1]، وكان دماد أبوغسان واسمه (رفيع بن سلمه بن مسلم بن رفيع العبدي) ورّاقاً لأبي عبيدة النحوي[2]، وكان أبو موسى سليمان بن محمد الحامض من ورّاقي ثعلب النحوي[3]، وكان علاّن الشعوبي ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة[4]، وذكر ابن النديم أن وكيعاً القاضي كان يكتب لأبي عمر محمد ابن يوسف بن يعقوب القاضي[5]، وأثبت النديم جملة أسماء كانوا يُورّقون للكندي، ذلك الفيلسوف المشهور، منهم: حسنويه ونفطويه وسلمويه، وآخر على هذا الوزن، ولم يذكره بالاسم[6]، وكان لابن دريد ـ صاحب **الجمهرة** ـ ورّاقان هما: إسحاق بن الجنيد البزاز البصري الورّاق اللغوي، ويعرف بورّاق ابن دريد[7]، والآخر اسمه علي بن أحمد الدريدي، وهو الذي آلت إليه كتب ابن دريد بعد وفاته[8]، وكان الحسين بن عبدالله بن شاكر أبوعلي السمرقندي الورّاق وأبوعبدالله الوراق المعروف بحوار يورّقان لداود بن علي خلف أبي سليمان الفقيه المعروف بالأصبهاني[9]، وورّق لحنين بن إسحاق المتطبّب الورّاق

---

(١) النديم/ الفهرست/ ص٨٩.

(٢) المصدر السابق ص٨١.

(٣) المصدر السابق ص١١٧.

(٤) المصدر السابق ص١٥٤.

(٥) المصدر السابق ص١٦٦.

(٦) المصدر السابق ص٣٦٥.

(٧) القفطي/ إنباه الرواة على أنباه النحاة/ الترجمة رقم ١٣٩ـ تحقيق أبوالفضل إبراهيم ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م ـ ١/ ٢٢٠.

(٨) معجم الأدباء ١٢/ ٢٢٣.

(٩) تاريخ بغداد ٥٨/٨ و٨/ ٣٧٥.

المعروف محمد بن الحسن بن دينار الأحول[1]، وكان الفرّاء يتخذ له اثنين من الورّاقين، هما سلمه وأبونصر، كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي[2].

وهناك صنف آخر من الورّاقين هم «الوراقون العلماء بالأخبار»، وكانوا قليلي العدد، تطرق النديم إلى أشهرهم؛ من أمثال الأسدي ابن الحسن (محمد ابن عبدالله بن صالح)، وأحمد بن سهل، والجرمي أبي عبدالله أحمد ابن محمد وغيرهم[3].

وهناك صنف ثالث هم ـ الورّاقون الكتبيون ـ، أي الذين تخصصوا ببيع الكتب، إضافة إلى أن بعضهم يمارس عملية النسخ بيده، واشتهر من هذا الصنف كل من: جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى، المعروف بالوطواط[4]، ومحمد بن أحمد الدمشقي، وابن شمعون الكتبي الشاعر[5]، واشتهر بدمشق محمد بن شاكر الداراني الدمشقي[6]، وشمس الدين محمد بن قاضي اليمن[7]، وأبوإسحاق إبراهيم بن شمس الدين القاشوشه[8]، وأحمد بن إبراهيم الكتبي الصالحي الحنفي[9].

واستطاعت مهنة الوراقة أن تغري أهل الأوساط العلمية والثقافية، وتدعوهم إلى ميدانها الرحب الواسع بالعلوم والثقافة، فإضافة إلى الأصناف

---

(١) معجم الأدباء ١٨/ ١٢٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ١٥٠.

(٣) الفهرست/ ص١٥٠.

(٤) معجم الأدباء ١٩/ ٢٩ الترجمة رقم ٦.

(٥) حبيب زيّات/ ص ٢٥.

(٦) ابن حجر العسقلاني ـ الدرر الكامنة ٣/ ٤٥١. الترجمة رقم ١٢١٨.

(٧) حبيب زيات ص ٢٦.

(٨) ابن العماد الحنبلي ـ شذرات الذهب ٦/ ١٠٤ وفيات سنة ٧٣٣هـ

(٩) المصدر السابق ٦/ ٣٣٧ وفيات سنة ٩٧٥هـ.

الآنفة الذكر، كان هناك صنف (الورّاقين القضاة)، وهؤلاء كانوا من مختلف المذاهب الإسلامية، وكان شغفهم بعلوم الدين والفقه، وبقية الفنون الأدبية، إضافة إلى زيادة في كسب المعاش، من الدوافع التي جعلتهم يعشقون الوراقة ويمتهنونها قبل تسنّمهم منصب القضاء، وبعضهم ترك القضاء واختصّ بالوراقة، فيما كان البعض الآخر يمارس المهنتين في آن معاً.

وعرف من هؤلاء الورّاقين القضاة: محمد بن أبي الليث الأصم، كان ورّاقاً وولي القضاء بمصر سنة ٢٢٦هـ[١]، وكذلك عرف القاضي الورّاق حمزة ابن علي الغلبوني[٢]،ومن القضاة السود «الزنوج» اشتهر بمصر القاضي الورّاق محيي الدين عبدالقادر النبراوي الحنبلي، كان أقدم الحنابلة بمصر وأعرفهم بصناعة التوريق والقضاء والفقه[٣].

وهناك صنف مشهور من الورّاقين هم «الورّاقون الشعراء»، وهذا الصنف أميل إلى هذه المهنة، واشتهر منهم ـ بكر بن خارجة الكوفي[٤]، وعمر الورّاق وهو (عمر بن عبدالملك)[٥]، ومحمود بن حسن الورّاق البغدادي[٦]، ومساور الورّاق[٧]، وسهم بن إبراهيم[٨]، والسري الرفّاء الموصلي[٩]، ومسعد بن علي الورّاق[١٠]، ويندرج في سياق الشعراء الورّاقين علي بن الحسن بن علي بن

(١) الكندي/ الولاة والقضاة/ ص٤٤٩.

(٢) المصدر السابق ص٦٠٨ـ ٦٠٩.

(٣) شذرات الذهب ٨/ ١٥٩ ـ وحبيب زيّات/ ص٢٧.

(٤) الأغاني ٢٣/ ١٨٩.

(٥) الديارات للشابشتي ـ بغداد ١٩٥١/ ص١٠٩.

(٦) النويري ـ نهاية الارب/ ٣/ ٨٨، وتاريخ بغداد ١٣/ ٨٨.

(٧) الأغاني ١٨/ ١٤٩.

(٨) معجم الأدباء ١١/ ٢٦٧ـ الترجمة رقم ٨٨.

(٩) المصدر السابق ١١/ ١٨٢.

(١٠) المصدر السابق ٤/ ١١٦ـ في ترجمة أحمد بن كليب النحوي.

زكريا أبو القاسم، على رغم أنه يعدّ أيضاً في طبقات علماء الحديث وفق ما يصنّفه الخطيب البغدادي[1]، وهناك ورّاقون مزجوا بين مهنة الوراقة والشعر وبيع الكتب، كما هو معروف عن شمس الدين إبراهيم بن أبي بكر بن عبدالعزيز الجزري، وعمر بن محمد بن سراج الدين الورّاق المصري[2].

واشتهر صنف آخر من الورّاقين عرف باسم «ورّاقي الأسمار والخرافات»، وهذا الصنف، على ما يبدو، كان أعرف بذوق القرّاء وأنفذ إلى دخيلتهم النفسية، من خلال كشفه لطرفهم وذائقتهم الأدبية، فقد عرف هذا الصنف ـ نتيجة خبرته الطويلة في الوراقة ـ ما يقبل عليه جمهور الناس من القراء والمثقفين، وما يختارونه من كتب تشبع حاجاتهم الثقافية، ويشير النديم الورّاق إلى ميل الناس، في أيام العباسيين، إلى كتب الأسمار والخرافات، حيث كانت مرغوباً فيها ومشتهاة، وخصوصاً في أيام المقتدر[3]، وهذه الإشارة صادرة من ورّاق مؤرخ، ذي حسّ عال بجماليات الفكر والأدب، لذلك قال في ضوء هذه الاشارة: إن الورّاقين صنّفوا وكذبوا، فكان فيهم من يفتعل ذلك، وأشار إليهم بالاسم، وهم: أحمد بن محمد بن دلاّن، وآخر يعرف بابن العطار وجماعته[4]، وأشار إلى أسماء بارزة على الصعيد الثقافي، كانت تعمل الخرافات والأسمار على ألسنة الحيوان وغيره وهم: سهل بن هارون، وعلي بن داود، والعتابي، وأحمد بن أبي طاهر، وعبدالله بن المقفّع[5].

ونستشفّ من ملاحظات النديم واستطراداته في «المقالة الثامنة ـ الفن

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٤ ـ الترجمة رقم ٦٢٥٧.

(٢) محمد بن شاكر الكتبي/ فوات الوفيات ٣/ ١٤٠ ـ الترجمة رقم ٣٧٩ ـ وحبيب زيّات/ ص ٣٤ـ٣٥.

(٣) الفهرست/ ص٤٢٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) نفسه ـ وحبيب زيّات/ ص٣٩.

الأول»[1] أن إقبال الناس ـ كتّاباً وقرّاء ـ على هذه الكتب، شكّل ظاهرة واسعة في زمانه ـ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري[2] حيث إن أدباء ذلك العصر وعلماءه ساهموا فيها بشكل واسع وملحوظ، مشيراً إلى أن أصل هذه الكتب جاء من الفرس، ونقل إلى العربية، وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذّبوه ونقوه، وصنفوا في معناه ما يشبهه، كما يقول النديم[3].

إن هذه العبارة تعني التلاقح الثقافي بين الثقافتين العربية والفارسية، وكان الدافع الإنساني والنزوع الحضاري في هاتين الثقافتين هو الذي قام بهذا الفعل، نتيجة الاختلاط الواضح والصريح والاندماج بين مختلف الشعوب، التي اتخذت من الإسلام ديناً لحضارتها ومعتقداتها الروحية. كما أن العبارة تشير إلى أهمية الخيال العربي وإبداعاته في هذا الفن، ويشير النديم إلى أن أوّل كتاب عمل في هذا المعنى ـ كتاب هزارافسان ـ ومعناه ألف خرافة، ثم يشير إلى أن أوّل من سمر الإسكندر، وأن أباعبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء والكتاب قام بتأليف كتاب يختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم، وكل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره، وأحضر السامرين «الرواة» وأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون، واختار من الكتب المصنّفة في الأسمار والخرافات ما يحلو بنفسه، وكان فاضلاً، فاجتمع له من ذلك أربعمائة وثمانون ليلة، كل ليلة سمر تام يحتوى على خمسين ورقة وأقل وأكثر، ثم عاجلته المنيّة قبل استيفاء ما في نفسه من تتمة ألف سمر[4].

---

(١) راجع الفهرست/ ص٤٢٢ـ ٤٢٨.

(٢) ألف النديم كتابه الفهرست في سنة ٣٧٧هـ.

(٣) المصدر السابق ص٤٢٢.

(٤) المصدر السابق ص٤٢٣.

* نشير هنا إلى أهميّة خصب الخيال للمثقف العربي وكيفية إبداعاته في هذا المجال، لاسيما وأنه أبدع لنا حكايات «ألف ليلة وليلة» منذ ذلك الوقت، وهي مازالت حاضرة في وجداننا الثقافي والشعبي.

هذه الإشارة هامـة جداً من الناحـية التاريخـية، حيث إنـها تكشف عن البدايات الناضجة لتـدوين المثولوجيا العربية الإسلاميـة، من جهة، ومن جهة ثانية، تؤرخ إلى «بدايات الحكواتي» تلك الظاهرة التي تـعيش بيننا حتى الآن، لاسيما في ليالي رمضان الجميلة في عالمنا الإسلامي، عامّة، والعربي خاصّة.

ويشيـر هذا الورّاق ـ النديم ـ إلى الأدباء الأوائل والكتاب الـكبار الذين بدأوا بعمل تلك الأسمار والخرافـات، ويذكر أهم الكتب المؤلفة في ذلك مثل: كليلة ودمنة وسندباد الحكيم[1]، ثم يبدأ النديم بتقسـيم أسماء الكتب وأسماء الشعـوب التي ابتدعتـها، فيـبدأ بكتب الفـرس التي كتبت في هذا المضـمار، فيذكـر: كتاب هزارداستان، وكتاب موسـفاس وفـينلوس، وكتاب حجد حسرو[2]، وكتاب المربين، وكتاب خرافة ونزهة، وكتاب الدب والثعلب، وكتاب روزبة اليتيم، وكتاب مسك زنانة وشاه زنان، وكتاب نمرود ملك بابل، وكتاب خليل ودعد، ثم يعرّج النديم على ذكر الكـتب والأسمار التي تناولت هذا الموضوع بالفارسية، ومن قام بنقلها إلى العربية، فيذكر منها: كتاب رستم واسفنديار ـ ترجمة جبلة بن سالم، وكتاب بهرام شوس، ترجمة جبلة نفسه، وكتاب شهر زاد مع أبرويز، وكتاب الكارنامج في سيـرة أنوشروان، وكتاب التاج وما تفاءلت به ملوكهم، وكتاب دارا والصنم الذهـب، وكتاب اثنين نامه، كتاب خداي نامه، وكتاب بهرام ونرسي، وكتاب أنوشروان. ولم يذكر أسماء مترجميها[3]، وربما كان جبلة هو من قام بذلك.

---

(١) الفهرست/ ص ٤٢٣ـ٤٢٤.

(٢) هكذا وردت في الأصل عند النديم ص٤٢٤، ولم أجدها في القاموس الفارسي/ باب الحاء/ للدكتور عبدالمنعم محمد حسنين. منشورات دار الكتاب اللبناني ط١ـ بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وربما كانت «جحد».

(٣) الفهرست/ ص٤٢٤.

أما مؤلفات الهند في الخرافات والأسمار، فيذكر منها: كليلة ودمنة، ترجمة عبدالله بن المقفع وغيره. ونقله إلى الشعر أبان بن عبدالحميد بن لاحق الرقاشي وغيره[1]، ولهذا الكتاب جوامع وانتزاعات على جماعة؛ منهم ابن المقفع وسهل بن هارون، وسلم صاحب بيت الحكمة، والمريد الأسود، ومن كتبهم الأخرى كتاب سندباذ الكبير وسندباذ الصغير، وكتاب البدء، وكتاب بواسف[2] وكتاب بواسف[3] مفرد، وكتاب أدب الهند والصين، وكتاب هابل في الحكمة وغيره[4].

ثم يذكر كتب الروم في الأسمار والتواريخ، مثل: كتاب تاريخ الروم، وكتاب سمسه ودمن، وهو على مثال كليلة ودمنة، وكتاب أدب الروم، وكتاب موريانوس في الأدب، وكتاب أنطوس السايح وملك الروم، وكتاب محاورة الملك مع محمد عاربوس، وكتاب ديسون وراجيل الملكين، وكتاب سماس العالم في الأمثال، وكتاب العقل والجمال، وكتاب خبر ملك لد، وكتاب سطرينوس الملك وسبب تزويجه بساراد الفقصة[5].

أمّا كتب ملوك بابل، فيذكر منها: كتاب ملك بابل الصالح وإبليس كيف احتال له وأغواه، وكتاب نيمرود ملك بابل، وكتاب الملك الراكب القصبة، وكتاب الشيخ والفتى، وكتاب أردشير ملك بابل وأربوبه وزيره، وكتاب لاهج ابن أبان، وكتاب الحكيم الناسك[6].

هذا الثَّبَت الواسع، من أسماء الكتب، يعكس إقبال القراء على تناول

---

(١) نفسه/ وهناك ذكر لبقية الأسمار التي نقلت إلى الشعر.

(٢) و(٣) ربما كان هناك تكرار من قبل الوراق الذي نسخ الفهرست.

(٤) الفهرست/ ص ٤٢٤.

(٥) المصدر السابق ص٤٢٥.

(٦) المصدر السابق ص٤٢٥.

مختلف ثقافات الشعوب وحضاراتها المختلفة، والاطلاع عليها للزيادة في الخبرة والتثقيف، ويعكس في الوقت نفسه، رواج مثل هذه الكتب في سوق الورّاقين، وإلا لما ذكر ذلك كله النديم.

ومن أسماء الكتب التي كانت مدار بحث وإقبال في سوق الورّاقين: كتب العشاق، حيث اشتغل الورّاقون من هذا الصنف على جمعها وتوريقها والتأليف فيها، فقد عرفت روايات العشاق؛ وكتب فيها كل من عيسى بن داب، والشرقي ابن القطامي، وهشام الكلبي، والهيثم بن عدي وغيرهم[1]. فراح الورّاقون يعيدون نشرها وبيعها، واختاروا منها الشائع؛ أمثال حكايات: مرقس وأسماء، وكتاب عمر بن عجلان وهند، وكتاب عروة وعفراء، وجميل وبثينة، وكثيّر وعزّة، وقيس ولبنى، والمجنون وليلى، وتوبة وليلى، والصمّة بن عبدالله وريّا، وابن الطثرية وحوشية، وملهي وتعلق، ويزيد وحبابة، وقابوس ومنية، وأسعد وليلى، ووضاح اليمن وأم البنين، وأميم بن عمران وهند، ومحمد بن الصلت وجنة الخلد، والعمر بن ضرار وجمل، وسعد وأسما، وعمر بن أبي ربيعة وجماعة، والمستهل وهند، وباكر ولحظة، وملكية ونعم وابن الوزير، وأحمد وداحة، والفتى الكوفي مولى مسلمة وصاحبته، وعمار وجمل وصواب، والمغمر بن مالك وقبول، وعمر بن زيد الطائي وليلى، وعلي ابن إسحاق وسمنة، والأحوص وعبدة، وبشر وهند، وكتاب عاشق الكف، وعاشق الصورة، وعبقرة وسحام، وإياس وصفوة، وابن مطعون ورتيلة وسعادة، وحرافة وعشرق، والمخزومي والهذليّة، وعمرو بن العنقفير ونهد بن زيد مناة، ومرّة وليلى، وذي الرمّة ومي، وغيرهم[2].

---

(١) الفهرست.

(٢) المصدر السابق ص٤٢٦.

وأسماء هذه الكتب مـا تزال معروفة عندنا حـتى اليوم، وهو أمر يوضح نزوع العربي إلى مثل هذه الأسمار وحكايا العشاق، وتناقلها من جيل إلى جيل.

ثم عـرف الورّاقـون من هذا الصنف مـا يريده روّاد السـوق من أخبـار الحبائب المتطرفات، فجمعوها ونسخوها، وهي: كتاب ريحانه وقرنفل، ورقيّة وخديجة، ومؤيس وذكـيا، والسكينة والرباب، والعطريفـة والذلفاء، وهند وابنة النعمان، وعبدة العاقلة وعبدة الغدارة، ولؤلؤة وشاطرة، ونجدة وزعوم، وسلمى وسعاد، وصواب وسرور، والدهما ونعمة[1].

ثم تناول الورّاقـون الكتب التـي ذكرت أسـمـاء العـشـاق الذين تدخل أحاديثهم في السمـر ونسخوها وباعوها[2]، ثم توقفوا عند الكتب التي ذكرت أسماء العشّاق من الإنس والجـن، وذكروا منها: كتاب دعد والرباب، ورفاعة العبسي وسكر، وسعـسع وقمع، وناعم بن دارم ورحـيمة وشـيطان الطاق، والأغلب والدباب، والضرغـام وحودروفس، وعمرو ودقـيانوس، و الثمّاخ ودمع، والخـزرجي المحتـال وأسمـا، وحـضر بن النبـهان والجنيّـة، و الذلفاء وأخواتها والجنّي، ودعد الفزارية والجـني وعمر، وعمـر بن سفيـان السلمي والجنية، وعمـرو بن المكشوح والجـنية، وربيعـة بن قدام والجـنية، وسعد بن عمير والنوار[3]، وكانت هذه الكتب رائجة ومطلوبة دائماً.

ومن خلال هذه المؤلفـات، وما أقدم علـيه الورّاقون من إبداع خـيالي، خرافـة كان أم حـقـيقة، فإن الـناس ـ وقتذاك ـ كانـوا على دراية وإدراك عقلي كبير، حيث إنهم كانوا يميزون بين الحـقيقة والأساطير، ويعزون ذلك ـ إذا كان

---

(١) الفهرست/ ص٤٢٧.

(٢) راجعها في الفهرست/ ص٤٢٧ـ٤٢٨.

(٣) المصدر السابق ص ٤٢٨.

أسطورياً ـ إلى مبالغات الورّاقين، فقد ضربت الأمثال بهم قديماً، وكانوا يدسّون ما لايصدق من الأخبار والنوادر، كما أنهم اتهموا بدسّ بعض الأخبار في الكتب المنسوبة لأهل العلم، ومحاكاة رواياتهم فيها، ومن الكتب التاريخية الأدبية من هذا القبيل كتاب **الأغاني** لأبي الفرج الأصبهاني، حيث نسب لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، فقد قال حمّاد بن إسحاق الموصلي: إن هذا الكتاب قد وضعه ورّاق لأبيه بعد وفاته، وعلّق أبوالفرج بقوله: أخبرني جحظة أنه يعرف الورّاق الذي وضعه، وكان يسمّى «سندس بن علي» وحانوته في طاق الزبل، وكان يورّق لإسحاق، فاتفق هو وشريك على وضعه[1].

وعلى أية حال، فإن أي ظاهرة سائدة، لابد وأن تؤثر في محيطها، فالورّاقون جزء من ظاهرة الكتّاب في العصر العباسي، أثّرت وتأثرت بالأجواء السائدة، سياسية كانت أو مذهبية، فلا غرو أن يتهم بعض الورّاقين بالدّس، إذ كانت حالة الاحتراب متأججة، وتبقى مسألة الصدق والكذب نسبيّة في هذا المقام، والله أعلم.

بهذا الاستطراد، نكون قد سلّطنا الرؤية والضوء على كل أصناف الورّاقين، آملين أن نكون قد أحطنا بكل الظاهرة المسمّاة «الورّاقون» في العصر العباسي.

* * *

---

(١) ياقوت الحموي/ معجم الأدباء ٦/٥٧ـ٥٨ بترجمة إسحاق الموصلي. وحبيب زيّات/ ص٤١.

الباب الخامس

سوق الورّاقين

الفصل الأول

تمهيد

إن الدلالة التاريخية للمدلول الاصطلاحي، تشير إلى أن السوق يخضع بوجوده إلى سمة معيّنة للقوم الذين أنشأوه، من الناحية الجغرافية ـ بالنسبة للمكان ـ ومن الناحية الثقافية ـ بالنسبة للعمران، ويمكن قياس مدى حالة التطور لمجتمع معيّن من خلال تطوّر حالة السوق، بمرحلة معيّنة، فالنشاط الاقتصادي يعكس حالة المجتمع ـ سلباً أو إيجاباً ـ ضمن شروط أسلوب الإنتاج ومرحلته التاريخية، ومن الناحية الحضارية، فإن الوعي الثقافي، لشعب معيّن، ينعكس على حالة السوق من ناحية العمران، حيث إن تصميم السوق وبناءه، يخضع لطقس المكان وأجوائه، فالصحراء والبوادي تشكّل الخيام مادتها الأساسية وهيكلها العام، فقد كانت أسواق العرب في الجاهلية تلتزم بهذا النمط؛ من أمثال سوق عكاظ وغيره، بينما كان التطور العمراني في المدن يخضع لأبعاد أخرى أكثر تطوراً، تبعاً لتطور الحالة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في الوقت نفسه، وهذه الشروط خضعت لها الأسواق الإسلامية في مسار تطوّرها التاريخي، الذي رافق تطور الحضارة الإسلامية، حقبة بعد أخرى، حتى وصلت إلى العصر العباسي، لتخرج بحلّة أكثر بهاء، وأجود صورة، وأشدّ تراصاً، وأثبت في الذهن، مسوّرة بإطار إسلامي، موشّى بزخرفة فنيّة مستقاة من ذات الفكر الذي أنجب هذه الحضارة.

وبغداد، بوصفها عاصمة للدولة العباسية، روعي في بناء أسواقها تناسب

الأبعاد الجمالية مع الهيكل العام لبناء المدينة، والذي سلك العراقيون فيه مسلكاً حضارياً وفنياً، حيث إن بناءها يعدّ آية في الفن الإسلامي، سجلها المسلمون في العراق بأيديهم، فقد تجاوزت بفن عمارتها كلاً من البصرة والكوفة وواسط، وكلنا يعرف كيف طلب المنصور من المهندسين أن يرسموا له المدينة على الأرض، حتى يعرف شكلها، فخططت له بالرماد، ووضعت فوق تلك الخطوط كرات من القطن، ثم صبّ عليها النفط وأشعلت فيها النيران، وعرف المنصور رسمها وأمر بحفر أسسها[1]، وأنشئت على شكل مدوّر، وظلّت كذلك حتى وفاة الرشيد سنة ١٩٣هـ، وقد كان لحرب الأمين والمأمون أثر في بنيانها وأسوارها[2].

وأسواق بغداد ذات أبعاد إسلامية من الناحيتين الفنيّة والمعمارية، وقد بنيت في بادئ أمرها داخل أسوار بغداد، إلاّ أن المنصور أمر بإخراج الأسواق من داخلها، بناء على انتقاد موفد الروم لبناء المدينة والأسواق في داخلها[3]، وبوشر ببناء الأسواق في الكرخ سنة ١٥٧هـ من مال المنصور وعلى يد مولاه الربيع[4]، كما أن المنصور تنبه إلى السكك والشوارع، حيث جعل وسع الطريق أربعين ذراعاً، وهدم ما شخص من الدور عن ذلك المقدار[5].

وضمن الرؤية الجديدة للمنصور في بناء الأسواق، بعد أن أخرجها من داخل مدينة السلام، فقد ارتأى مراعاة الأبعاد الهندسية في أساسات الأسواق، وأن تلحق بالأرباض[6]، ووقّع إلى كل أصحاب ربض ما يصير لكل رجل من

---

(١) انظر ص ٢٢ من الباب الأول.

(٢) انظر ص ٢٥ من الباب الأول.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٧٨ ـ ٨٠.

(٤) المصدر السابق ١/ ٧٩.

(٥) المصدر السابق ١/ ٨٠.

(٦) الأرباض ـ الساحات التي تقام حول المدينة ـ راجع مادة ـ ربض ـ في اللسان والقاموس.

الذرع ولمن معه من أصحابه، وماقدره للحوانيت والأسواق في كل ربض، وأمرهم أن يوسعوا في الحوانيت ليكون في كل ربض من السكك والدروب النافذة وغير النافذة، ما تعتدل بها المنازل، وأن يسمّوا كل درب باسم القائد النازل فيه، أو الرجل النبيه الذي ينزل فيه من أهل البلد الذين يسكنونه، وحدّ لهم أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعاً بالسوداء[1] والدروب ستة عشر ذراعاً، وأن يبنوا في جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات، ما يكتفى بها من في كلّ ناحية ومحلّة[2].

إن هذه الأبعاد الهندسية تكشف بين ثناياها العمق الحضاري وأبعاده لرجل دولة مثل المنصور، وما يريده لمدينته، والحقيقة أن نقل الأسواق إلى خارج أسوار المدينة، كان بهذه الطريقة خطوة حضارية أولى، تقود للتوسّع العمراني، وهو ما كان فعلاً، حيث توسّعت المدينة بعد ذلك، وشمل توسّعها الجانب الشرقي من دجلة (الرصافة)، حيث بنى مدينة الرصافة المهدي بن المنصور سنة ١٥٩هـ[3].

* * *

---

(١) السوداء = وحدة قياس، على مايبدو، كانت مستعملة وقتذاك.

(٢) اليعقوبي كتاب البلدان/ ص٢٤٢.

(٣) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ١/ ٨٢.

الفصل الثاني
الأسواق المتخصّصة

بعد أن نقلت الأسواق إلى الكرخ، وأمر المنصور أن تُخطّ في الأرباض لتلبية حاجات الناس، ظهر الميل عند بعض أصحاب المهن لأن يتكتلوا في مكانٍ واحد وسوق واحدة لسهولة العمل أولاً، ومعرفة أرباب كل مهنة، ثانياً، ويعد الدافع النفسي واحداً من العوامل المهمة في مثل هذا التكتل في السوق.

وهناك مسألة هامة أخرى ـ بتقديرنا ـ لا تخرج من العفوية في بداية توزيع الأماكن والمحال لهذه الأسواق، إلاّ أنها في الوقت نفسه لا تخلو من دافع سياسي، فثمة إشارة هامة في هذا الشأن أوردها الخطيب البغدادي نقلاً عن الواقدي تقول: «الكرخ مفيض السفل». ويعلّق عليها الخطيب بقوله: «إنما عنى الواقدي بقوله هذا مواضع من الكرخ مخصوصة يسكنها الرافضة دون غيرهم»[1]، وهو ما يكشف عن الأبعاد السياسية، علماً بأن غالبية الأصناف كان للشيعة فيهم تأثير كبير، وانحيازات لهم واضحة.

فعند باب المحوّل، في الكرخ، هناك سوق عظيمة فيها أصناف التجارات، حيث إن المحوّل هي المحطة التي كانت تنتهي إليها السفن التجارية القادمة عبر الفرات، ويتمّ تحويلها إلى بغداد بسفن أخرى عبر نهر عيسى، حيث يعاد إصعادها إلى بغداد في دجلة[2]، كما أن باب الشعير كان مرفأ

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٨١.

(٢) اليعقوبي ـ البلدان/ ص ٢٤٤.

للسفن التي توافي بغداد من الموصل والبصرة، وكانت الكرخ أكثر المناطق كثافة للأسواق في بغداد، حيث انتشرت على جانبي الطرقات فيها، وأصبحت الأسواق في القرن الثالث الهجري تغطي مساحة واسعة بطول فرسخين وعرض فرسخ واحد، وامتدت بين قصر وضّاح وسوق الثلاثاء[1].

وهناك في الكرخ ـ ينتصب سوق الورّاقين عند ربض وضّاح، حيث غلب عليه الوراقون، وقريباً منه يوازيه سوق البطيخ أو دار البطيخ، وهو الآخر متخصص ببيع الفواكه والخضار، ومفهوم البطيخ هو «الركَي»[2] أي البطيخ الأحمر، وعند نهر كرخايا كانت تنتشر منازل التجار، حيث باعة الدجاج على فرع ذلك النهر، مما أكسب ذلك الفرع تسمية نهر الدجاج، وقامت في قطيعة الربيع من الكرخ سوق البزازين، وكان أغلب تجارها من خراسان[3]، وبين الكرخ ونهر الصرأة قامت سوق عرفت باسم «سويقة أبي الورد» فيها سائر البياعات، كما قامت الكناسة حيث مرابط دواب العامة وتجار الدواب، وبإزاء باب البصرة عند القنطرة الجديدة قامت سوق كبيرة فيها سائر التجارات المتصلة، وعند باب الشام قامت سوق عرفت بسوق باب الشام ضمت جميع التجارات والبياعات، وكان ربض الحربية ـ أكبر أرباض بغداد ـ كثير الدروب والأسواق، وفي الشارع الأعظم الممتد من باب الشام إلى الجسر الذي على دجلة قامت سوق عامرة، وبالقرب من هذا المكان قام ربض الرقيق، الذي كان فيه رقيق أبي جعفر، وقامت سوق عامرة في ربض الهيثم بالقرب من بستان القس، كانت متصلة بسويقة نصر في ربض حميد بن قحطبة[4]. كما عرفت

---

(١) فهمي عبدالرزاق سعد/ العامّة في بغداد/ ص ١٦٧.

(٢) كما يسميه أهل العراق.

(٣) البلدان ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ والعامة في بغداد في القرن الثالث والرابع الهجريين/ ص ١٦٨.

(٤) البلدان ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ وتاريخ بغداد ١/ ٨٠ ومابعدها ـ والعامة في بغداد/ ص١٦٨.

بغداد العديد من الأسواق المنسوبة إلى المهن، منها درب الزعفران ومحلة سور الحلاويين[1]، وقامت في القطائع - في زمن المهدي - منازل الجند وسائر الناس، من التنّاء والتجار في كل محلة وفي كل ربض، وانتشرت في الأسواق، واشتهر منها: سوق العطش العظمى الواسعة، التي بناها المهدي، وحمل إليها كل ضرب من التجار لينافس الكرخ، وسماها «سوق الري» وغلب عليها سوق العطش، وقامت «سوق خضير» التي اختصّت بالتجار الصينيين الذين يبيعون فيها طرائفهم، ثم قامت سوق يحيى، وفيها دكاكين عالية ضمّت الدقاقين والخبّازين والحلاويين[2]، كما أوضحنا من قبل.

إن هذا التطوّر الاقتصادي الكبير للأسواق والدروب والمحال، نبّه السلطة العباسية إلى اتخاذ إجراءات اقتصادية تستفيد منها، فعندما تولى المهدي الخلافة، أشار عليه أبوعبيدالله بفرض الضرائب والرسوم، فأمر المهدي بذلك، ووضع على الحوانيت الخراج وولّى ذلك سعيد الخرسي، سنة ١٦٧هـ[3]، وقد استطاع اليعقوبي أن يحصي مقدار ما جمعه سعيد الخرسي من الضرائب فبلغت اثني عشر مليون درهم في السنة[4].

---

(١) ابن الجوزي/ مناقب بغداد/ ص ١٤، والبلدان/ ٢٤٨.

(٢) البلدان ص ٢٥٢-٢٥٤ وراجع يعقوب ليسنر، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى الفصول ٣/ ٤/ ٥ من ص ٧٤-١١٥/ ترجمة أحمد صالح العلي - مطبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٨٤ - حيث فيه تفصيلات كثيرة. وكذلك جورج مقدسي/ خطط بغداد في القرن الخامس الهجري/ ص٢١-٢٥ والتعليقات عليها - ترجمة صالح أحمد العلي - مطبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٨٤م - وراجع كذلك - كليان هوار - خطط بغداد ص ١ - ١٠ ترجمة ناجي معروف - مطبعة العاني - بغداد - ط١ سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

(٣) الخطيب/ تاريخ بغداد ١/ ٨١.

(٤) البلدان/ ص ٢٥٤ - وليسنر: خطط بغداد في العهود العباسية الأولى/ ص ٣١٤.

لقد كان للأسواق دور مهم في الحياة الاقتصادية والسياسية، حيث إنها أصبحت مؤشراً لحالة الازدهار والرقيّ الحضاري، لما تمثله من نشاط مطرد في حياة الناس ومعاشهم، حتى إن حالة الرخص بلغت في زمن المنصور حداً لا يوصف، فقد ذكر الخطيب البغدادي أنه بلغ الكيس بدرهم والحمل بأربعة دوانق، والتمر ستون رطلاً بدرهم، وذكر أشياء أخرى رخيصة جداً[1].

وبلغت الأسواق في بغداد حداً لا يوصف من التوسع والازدحام، حتى إن أبا الحسن بشر بن علي بن عبيد النصراني الكاتب كان يقول: «كنت أجتاز بالكبش والأسد[2] مع والدي، فلا أتخلّص من أسواقها من كثرة الزحمة»[3].

* * *

(١) تاريخ بغداد ١/ ٧٠.

(٢) أسماء مواقع في بغداد.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٧١.

الفصــل الثالــث
موقع سوق الورّاقين

في بغداد سوقان للوراقة: الأول كان في الجانب الغربي منها ـ الكرخ ـ وهو الجانب الذي رافق إنشاء بغداد، وأول رواية ذكرت ذلك الموقع والمكان، كانت رواية اليعقوبي، فقد ذكر النص التالي في معرض حديثه عن أرباض بغداد ـ الجانب الغربي ـ الكرخ ـ يقول: «ثم ربض وضّاح مولى أمير المؤمنين، صاحب خزانة السلاح ـ المنصور ـ وأسواق هناك، وأكثر من فيه في هذا الوقت ـ القرن الثالث الهجري ـ الورّاقون، أصحاب الكتب، فإن به أكثر من مئة حانوت للورّاقين»[1].

وقد بنيت أسواق الكرخ سنة ١٥٧هـ[2]، ووصف اليعقوبي لها في القرن الثالث، أمر له دلالته التاريخية، من ناحية السبق والعمران، وقد أشارت أغلبية المراجع إلى هذا الموقع، اعتماداً على هذه الإشارة من اليعقوبي، فقد ذكر ليسترانج العبارة التالية: «وكان بين الطاق الحرّاني والقنطرة الجديدة، على نهر الصراة «الورّاقون» أصحاب الكتب، وكانت سوقهم في هذه المحلة، وعلى القنطرة نفسها، ودعيت هذه السوق بسوق الورّاقين نسبة إليهم، وكان فيها أكثر من مئة حانوت للورّاقين»[3]، ووافق ليسترانج على هذا التحديد كل من

---

(١) اليعقوبي ـ البلدان/ ص ٢٤٥.

(٢) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ١/ ٨٠ ـ معجم البلدان ٤/ ٤٤٨ مادة ـ كرخ.

(٣) في ليسترانج ـ بغداد في عهود الخلافة العباسية، ترجمة بشير فرنسيس ط١ ـ بغداد ١٩٣٦م/ ص ٨٨.

مصطفى جواد وأحمد سوسة[1]، وفهمي عبدالرزاق سعد[2]، وصباح الشيخلي[3] وصالح أحمد العلي[4] وكوركيس عوّاد، ودائرة المعارف الإسلامية[5].

ونحن مع هذا الجمع أميل، ونستند في ذلك إلى أسماء المواضع والأماكن الواردة في أكثر من مصدر تاريخي، فبالإضافة إلى البلدان لليعقوبي، هناك إشارة مهمة يوردها الصولي في حديثه عن حريق عظيم شبّ في الكرخ، يقول: «ووقع في هذا الشهر ـ ذي القعدة سنة ٣٣٣هـ ـ حريق عظيم من حدّ طاق التكك إلى السماكين، وعطف على أصحاب الكاغد وأصحاب النعال وذهبت النيران بأمتعة البزازين وأموال خطيرة»[6]، كما أن ياقوتاً الحموي يشير إلى طاق الحرّاني، على أنها محلّة ببغداد بالجانب الغربي ـ الكرخ ـ يقول عنها: «إنها تمتد من حدّ القنطرة الجديدة وشارع طاق الحرّاني إلى شارع باب الكرخ، منسوب إلى قرية تعرف بورثال، والحرّاني هذا هو إبراهيم ابن ذكوان بن الفضل الحرّاني من موالي المنصور»[7].

وعلى هذا الأساس من المعطيات فإن سوق الورّاقين في الكرخ هو الأقدم والأشهر وإليه أشارت أهم المصادر التي شهدت بناء بغداد حتى بدايات القرن الرابع، وأعتقد أن النديم في معرض حديثه عن الجاحظ بأنه كان يكتري دكاكين

---

(١) دليل خارطة بغداد/ ص ٨٦.

(٢) العامة في بغداد/ ص ١٥٨.

(٣) الأصناف في العصر العباسي/ ص٧٥.

(٤) في تعليقاته على الفصل الثالث من كتاب «ليسنر» خطط بغداد في العصر العباسي ص ١٥٨ ـ الهامش رقم ٨.

(٥) خزائن الكتب القديمة في العراق/ ص ٢٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية ١٢/ ٣٨٤ مادة ـ السوق.

(٦) الصولي/ أخبار الراضي والمتقي ـ الأوراق/ ص ٢٦١.

(٧) معجم البلدان ٤/ ٦٠٥ ـ مادة «طاق الحرّاني».

الورّاقين ويبيت فيها للنظر[1]، كان يشير إلى هذا السـوق، باعتبار أن الجاحظ من أعلام القـرن الثالث الهجـري، فيمـا كان النديم من أعـلام القرن الرابع، حيث إنه توفّي سنة ٣٨٥هـ.

أما سوق الورّاقين الثاني، فقد كان في الجانب الشرقي من بغداد، أي في الرصافة، وهو الأشـهر والأعرف والأبقى[2]، وقد ورد كثيـراً في كتابات أبي حيـان التـوحيـدي، لاسيـما الإمتـاع والمؤانسة، والمقابـسات، كما أن ابن الجوزي ـ المتوفى سنة ٥٩٧هـ ـ لم يشر إلى سوق الوراقين في الكرخ، بل ذكر هذا السوق، مـحدداً موقـعه على الشكل التـالي: «وسوق الصاغـة لمْ يشاهد أحسن بناء منه، بناء شاهق وأساطين ساج، عليـها غرف مشرفة، ثم للورّاقين سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء»[3]، وقد جاء ذكر السوق في محلة «باب الطاق» وهذه المحلة تقع في الرصـافة، كمـا أشار ياقوت الحـموي[4]، ونسـبهـا إلى «أسمـاء بنت المنصور»، وقـال: «وعند هذا الطاق كان مـجلس الشعراء في أيام الرشيد»[5]، وهذه العبارة، هي التي ضـمّنها ابن الجوزي في مناقب بغداد وهي التي أشـار إليهـا ياقوت الحمـوي تحت اسم ـ طاق أسـماء وطاق الحراني ـ، صاحب هذه العبـارة هو أبوالوفاء بن عقيل[6]، وعنه أخذت

(١) الفهرست/ ص١٦٩ في ترجمة «الفتح بن خاقان».

(٢) لازال موقع هذا السـوق قائماً، وهو مايعـرف اليوم بـ«سوق السـراي» على كتف دجلة، وعند رأس جسر الشهداء من ناحية الرصافة ببغداد.

(٣) مناقب بغداد/ ص٢٦.

(٤) معجم البلدان ٣٠٨/١ ـ مادة ـ باب الطاق.

(٥) المصدر السابق ٥/٤ ـ مادة ـ طاق أسماء.

(٦) راجع ـ ابن الجوزي، مناقب بغداد/ ص ٢٥ ـ وجورج مقدسي/ خطط بغداد/ ص ٢١. وتعليقات أحمد صالح العلي على كتاب جورج مقدسي ص٣٠ ـ هامش رقم ٣٥ ـ وليسترانج: بغداد في عهود الخلافة العباسية/ ص٢١٨.

بقية المصادر المشار إليها أعلاه. ولهذا الموقع ـ أقصد سوق الورّاقين في الرصافة ـ يشير ياقوت الحموي بروايته عن حادثة الصوفي رسول الزهراء، يقول: «قال ابن عبدالرحيم: حدّثني الخالع، قال: كنت مع والدي في سنة ست وأربعين وثلاثمائة وأنا صبي في مجلس الكبوذي، في المسجد الذي بين الورّاقين والصاغة، وهو غاص بالناس»[1]، وهذه الإشارة تؤكد المكان المحدّد الذي ذكره ابن الجوزي في المناقب أعلاه. ومن المعاصرين الذين أشاروا إلى هذا السوق حبيب زيات، على رغم أنه لم يحدد موقعه وخلط بينه وبين سوق الورّاقين في الكرخ[2]. وإلى هذا السوق أيضاً أشار الوهراني في مناماته[3].

وبناء على ما تقدم، فإن سوق الورّاقين الواقع في الرصافة هو السوق الذي دارت حوله روايات المتأخرين وأخبارهم؛ كابن الجوزي وياقوت وغيرهما، ورغم أننا نميل بدراستنا هذه إلى سوق الوراقين في هذا الموقع، إلا أن بعض الحوادث التي سنشير إليها ربما كانت في سوق الورّاقين بالكرخ، لاسيما إذا كانت في القرنين الثاني والثالث الهجريين، لأن المصادر القديمة لم تحدد ذلك بالدقة والتفصيل.

مما تقدّم من استعراض لمواقع هذين السوقين للوراقة، واختفاء أو تضاؤل سوق ورّاقي الكرخ وانتقال نشاطه وحيويته إلى الجانب الشرقي ـ الرصافة ـ حيث نما وازدهر، وعرف هناك واشتهر وذاع صيته، وهذه الحالة ـ بتقديرنا ـ خضعت لعدة أمور سياسية واقتصادية واجتماعية، في مسار تطورها التاريخي منها:

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ٢٩٢.

(٢) الوراقة والورّاقون في الإسلام/ ص٤٥.

(٣) راجع/ منامات الوهراني/ تحقيق إبراهيم شعلان، محمد نغش ـ منشورات دار الكاتب العربي ـ القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م/ ص٢.

إن تسارع المدينة «بغداد» وتطورها الحضاري والسكاني، أملى على الساسة العباسيين أن يوسعوا من رقعتها الجغرافية فخطّت الرصافة لتكون مدينة المهدي ابن المنصور سنة ١٥١هـ، وانتهى بناؤها سنة ١٥٩هـ[١].

كان للمذاهب والفرق الإسلامية دور مهم في توسيع المدينة من جهة، ومن جهة ثانية أدت الأحداث السياسية في مسار حياة هذه الفرق، إلى تشاحنات وتطاحنات طويلة، ومؤذية، بين فرق الشيعة والحنابلة، لا سيما في الكرخ، وانعكس هذ الواقع على أسواقها، فقد أحرقت مراراً وتكراراً، والمعروف أن الكرخ موئل الشيعة كما تذكر المصادر[٢]، كما أن المخرّم ـ منطقة بالرصافة ـ كانت تلقّب بكنانة السنة، كما يقول أحمد بن حنبل[٣]، الأمر الذي يعني أنه أصبحت هناك، في بغداد، تجمعات جغرافية سياسية على أساس المذاهب والفرق، وهو أمر خطير، ظل أهل العراق يعانون منه حتى أوقات متأخرة من سبعينات هذا القرن.

أثّرت الحرائق المتكررة لأسواق الكرخ في بنية ونشاط سوق الورّاقين في الكرخ، حيث إن الورّاقين هم الأكثر تضرراً، نظراً لتعاملهم مع مواد سريعة الاشتعال كالورق والجلود، ومايلحق بها، وقد شهد الكرخ حرائق متعددة في أسواقه، كان أبرزها حريق سنة ٣٠٧هـ، حيث التهم الدور والناس، وفي سنة ٣٢٣هـ وقع حريق عظيم آخر شمل أسواق العطارين والصيادلة وأصحاب الدهون والخرازين والجوهريين، ثم جاء الحريق الأخطر الذي شبّ في الكرخ سنه ٣٣٢هـ، حيث كان عظيماً، فأحرق الأسواق من حد طاق التكك إلى

---

(١) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ١/ ٨٢ ـ خطط بغداد/ ص ٢٦٠.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٨١ ومعجم البلدان ٤/ ٤٤٨ـ مادة الكرخ.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ـ وليسنر ـ خطط بغداد/ ٩٦.

السماكين، وعطف على أصحاب الكاغد والنعال، وذهبت النيران بأمتعة البزّازين وأموال خطرة، ونهب الخرابون والعيارون ما سلم من الحريق[1].

وكانت بعض الوقائع الشخصية لبعض القادة والجنود، هي الأخرى تؤدي إلى إحراق الأسواق، فقد اتهم ابن عائشة وأصحابه الذين عارضوا المأمون في بغداد بإحراق أسواق العطارين والصرّافين وأصحاب الراه «البيوع الصغيرة»، وفي سنة ٣٢٦هـ وعلى أثر جدال بين بقال وبعض جند ابن رائق، أُحرقت حوانيت كثيرة في سوق الثلاثاء، وفي سنة ٣٦٢هـ قتل أحد رجال صاحب المعونة ـ بالكرخ ـ مما دفع بالوزير إلى تجريد حملة تأديبية ضد أهل السوق وطرح الناس، من النحاسين إلى السماكين، فاحترقت بذلك أموال عظيمة، وقتلت جماعة من الناس في الدور والحمّامات، وفي سنة ٣٦٤هـ أوقع العيارون حريقاً في سوق الخشابين من باب الشعير ـ الكرخ ـ وامتد إلى الجزارين وأصحاب الحصر وصف البواري[2].

كما أن زحمة الأسواق في الكرخ وزيادة عدد السكان كان لهما الدور في انتقال بعض الناس الى الجانب الشرقي ـ الرصافة[3].

وقد يكون للجانب الأمني دور في عملية توسّع المدينة، حيث كان العباسيون يوزعون الإقطاعات على رجالاتهم المقربين، ويقطعونهم في الجانب الشرقي، ويمدّون بينهم وبين بيوتهم الجسور، كما فعل مع خزيمة بن حازم،

(١) الصولي: أخبار الراضي والمتقي/ ص ٢٦١ ـ وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/ ١٢١ وفهمي عبدالرزاق/ العامة في بغداد/ ص١٧٢.

(٢) الصولي: أخبار الراضي والمتقي/ ١٠٤ـ والمنتظم لابن الجوزي ٧/ ٦٠ ـ ٧٥. وقد ذكر أن ما احترق كان سبعة عشر ألفاً وثلثمئة دكان، وثلاثمئة وعشرين داراً وثلاثة وثلاثين مسجداً ـ أيام معزّ الدولة ابن بويه.

(٣) ابن حوقل/ صورة الأرض ١/ ٢٤٠ـ٢٤٢ ـ واليعقوبي/ البلدان/ ص ٢٥٤.

صاحب الشرطة، حيث كان بيته بقرب جسر الرصافة، على الشط، ليصل إلى الكرخ.

وثمة أمر آخر، كان له التأثير الواضح في نقل الورّاقين من الكرخ إلى الرصافة، هو الحروب التي تعاقبت على بغداد، وكان الكرخ مسرحاً رئيساً لأحداثها أيام الأمين والمأمون، وما تلا ذلك من أحداث، ويمكن القول إن تعاقب مثل هذه الأحداث أخلّ بحالة الاستقرار السياسي والاقتصادي على حدّ سواء في الجانب الغربي ـ الكرخ ـ فيما كان الجانب الشرقي ـ الرصافة ـ آخذاً في التطور والازدهار، فقد عرفت باب الطاق، وسوق الثلاثاء، وسوق يحيى، بالازدهار الاقتصادي والتجاري، حتى إن هذه المناطق أخذت تمرّ بها المواكب الرسمية في الأعياد والمناسبات الدينية والسياسية[1]، وشكّل هذا المكان آصرة حضارية وثقافية، حيث شيّد سوق الوراقين هناك، وأصبح محطّ أنظار العلماء والأدباء والوافدين على بغداد، لاسيما في بداية القرن الرابع الهجري، لأن أحداث هذا القرن كانت وبالاً على الكرخ، ولاسيّما الحرائق.

تلك هي بعض الاستنتاجات التي أمكن التوصّل إليها حول تحديد موقع سوق الوراقين في بغداد، وفي ضوء مطالعاتنا، نأمل أن تصل إلى أمور أعمق في تحديدها في مسار بحثنا هذا.

* * *

(١) راجع الفصل الخاص بسوق الثلاثاء وباب الطاق ـ عند ليسنر/ خطط بغداد ـ ص ٢٩١ـ٢٩٥.

الفصل الرابع
بيع الكتب في سوق الورّاقين

ليس عبثاً أن يشير اليعقوبي إلى أن سوق الورّاقين كان فيه أكثر من مئة حانوت[1]، فهذه الإشارة واضحة الدلالة على أن تجارة الكتب واحدة من التجارات الرابحة من الناحية الاقتصادية، والرائجة من الناحية الثقافية والحضارية، فمتطلبات العلماء والأدباء من الورق وأدوات الكتابة، ونسخ ما يحتاجون نسخه، مسألة تحتاج إلى من يلبي أمرها، فكان سوق الورّاقين هو المكان الأرحب لذلك، لكونه متخصصاً ببيع هذه المتطلبات الثقافية والعلمية، لذلك كان مرتادوه يجدون كل ما يحتاجون إليه.

ونظراً لكون الكتاب هو البوصلة الأكثر دلالة والأكثر طلباً ورواجاً، فإن باعة الكتب «الوراقين أصحاب الدكاكين» كانوا يلزمون المشتغلين عندهم من الوراقين بهذه المهمة، فكان الدلالون هم الأعرف ببيع هذه الكتب، حيث إن عملية بيع الكتب كانت تجري داخل السوق على شكل «نداء» علني، يقوم المنادي ـ وهو الورّاق الدلاّل ـ بكل ما يتطلبه ذلك، حيث إنه يقوم بعرض الكتاب أمام الجمهور، ويكون موضعه في مكان مرتفع في المكان الذي ينادى عليه، ثم يقرأ اسم الكتاب ومؤلفه، وعدد صفحاته، ويقرأ بعض العبارات من فصوله، ويقدّم ماهو أمتع وأجمل وأوقع في نفس السامع، زيادة في الإقبال

---

(١) البلدان/ ص ٢٤٥.

على الشراء[1]، وأحياناً يدخل المنادي عنصر المفاكهة في عملية النداء، كي يسترعي انتباه العلماء والنحويين، حيث إنهم يشتركون بالفرجة والجمهرة، وتصبح عملية البيع أشبه بالندوة الأدبية والفكرية، فهذا يعلّق، وذلك يصحح، وآخر يقرظ، ورابع يلحن، وخامس يراجع، والأعناق مشرئبة نحو المنادي، وعندما يزداد اللغط والهرج، يفتح باب «المزاد» لشراء الكتاب، حيث إن الدلاّل بهذه العملية، كان قد قام بمزج آراء الناس كافة، علماء وأدباء ونقّاداً وزبائن عاديين، وقام في الوقت نفسه بدعاية واضحة للكتاب، استشفّ من خلالها مدى الإقبال على بضاعته أولاً، واستطاع أن يخمّن سعراً جيداً لهذا الكتاب أو ذاك، ويكون لاسم المؤلف وشهرته دور بارز في عملية البيع بالنداء، وثمة نادرة طريفة في هذا السياق يوردها السيوطي في ترجمة «محمد بن محمد ابن عبدالرحمن. . . ابن القويع»[2]، يقول ابن سيد الناس: لما قدم ـ القويعي ـ قعد في سوق الكتب، والشيخ بهاء الدين بن النحاس هناك، ومع المنادي ديوان ابن هاني، فنظر فيه ابن القويع فترنم بقوله ـ يقصد بقول ابن هاني ـ:

فتكات لحظك أم سيوف أبيك ... وكؤوس خمرك أم مراشف فيك

فقرأ بالنصب في الجميع، فقال له ابن النحّاس: يامولانا، هذا نصب كبير، فقال له بنترة: أنا أعرف الذي تريد من رفعها، على أنها أخبار لمبتدآت مقدرة، والذي أنا ذهبت إليه أغزل وأمدح، وتقديره أقاسي فتكات لحظك. فقال له: يامولانا، فلم لاتتصدر وتشغل الناس؟ فقال: وأيش هو النحو في الدنيا حتى يذكر[3].

---

(1) سوف نرى ـ في كتابنا هذا ـ عند الترجمة عن الدلالين ـ كيف يؤدّي عملهم.

(2) بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة/ ص ٩٧.

(3) السيوطي/ المصدر السابق/ ص ٩٧.

وعلى هذا الأساس في «النداء» بيعت الكثير من الكتب، كما كان لاسم المؤلف دور مهم في رفع سعرها، فتذكر المصادر أن مسوّدة «كتاب الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني أخرجت إلى سوق الورّاقين، وبيعت في «النداء» بأربعة آلاف درهم، وان أكثرها في ظهور وبخط «التعليق» ـ الفارسي ـ وأنها اشتريت لأبي أحمد بن محمد بن حفص. قال أبوجعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد: فأنفذت إلى «ابن قرابة» ـ ربما كان الدلال الذي باعها ـ وسألته إنفاذ صاحبها لأبتاعها، فأعلمني أنها بيعت، وأرسلت إلى ابن حفص، فأنكر أنه يعرف شيئاً من هذا، فبحثت كل البحث فما قدرت عليها[١]، كما بعثّ سيف الدولة الحمداني موفداً الى سوق الورّاقين ليبتاع له كتاب الأغاني، ودفع ثمنه ألف دينار، وعندما بلغ الصاحب بن عبّاد ذلك قال: لقد قصرّ سيف الدولة، وإنه يستأهل أضعافها[٢]، حيث إن هذه النسخة كانت المرة الوحيدة التي كتبها أبوالفرج بيده وأهداها لسيف الدولة. وقد كان أبوالفرج قد جمع هذا العمل في خمسين سنة[٣].

ويقوم الدلال بدور مهم في عملية إخفاء بعض المخطوطات والكتب النادرة، حيث إنها تعرض عليه أولاً، فيختار منها لنفسه مايشاء، ويعرض الآخر للبيع، فمن ذلك ماينقله ياقوت: أن أباسعيد عمر بن أحمد الدينوري الوراق، قد وقع على أهم كتب الطبري وهو كتاب أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة، أملى منه الطبري حوالى خمسمئة ورقة «أربعة أجزاء» ولم يخرجها للناس في الإملاء، وخرج بها الدينوري الوراق إلى الشام وانتفع بها[٤].

---

(١) ياقوت: معجم الأدباء ١٣/١٢٦ـ١٢٧.

(٢) المصدر السابق ١٣/٩٧.

(٣) المصدر السابق ١٣/٩٨.

(٤) المصدر السابق ١٨/٧٧.

كما أن للمصادفة، هي الأخرى، دوراً ذا أهمية في عملية شراء الكتب أو بيعها، وهي تتوقف على الحاذق في معرفة أهمية الكتاب ومضمونه، وينقل البيهقي خبراً مفاده أن ابن سينا ـ الفيلسوف المعروف ـ كان ـ قبل شهرته ـ في سوق الورّاقين، فعرض عليه الدلال محمد كتاباً ينادي عليه فردّه ـ أبوعلي بن سينا ـ ردّ متبرم، معتقداً أن لا فائدة في هذا العلم، فقال الدلال: اشتر مني فإنه رخيص، بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلى ثمنه، فاشتراه، فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي الفيلسوف ـ المعلم الثاني ـ في أغراض كتاب مابعد الطبيعة، قال ابن سينا: فرجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب، بسبب أنه كان لي محفوظاً، ففرحت بذلك وتصدقت بشيء كثير على الفقراء(١).

وهذه الحادثة تشير إلى أن هناك بعض الناس لا يدركون أهمية ما في بطون الكتب من جهة، ومن جهة ثانية، يظهر التفاوت المعرفي بين إنسان وآخر، ويظهر أيضاً أن طلاب العلم والمعرفة دائماً كانوا يفتقرون للمادة، والعوز ظاهر عليهم تاريخياً.

وهناك نادرة جميلة اعتمدت على مبدأ الفطنة والذكاء في شراء الكتب، يوردها الخطيب، تقول: إن المتنبي أكثر ملازمة الورّاقين، وإن الورّاق الذي كان يجلس إليه قال يوماً: مارأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبدان قط، قال: كان اليوم عندي، وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي ـ سمّاه الورّاق ونسبه أبوالحسن العلوي الزيدي ـ صاحب الحديث والرواية التي ينقلها الخطيب ـ ويتألف ذلك الكتاب من ثلاثين ورقة ليبيعه، قال: فأخذ «المتنبي» ينظر فيه

---

(١) ظهير الدين البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام نشرة محمد كرد علي ـ مطبعة الترقي ـ دمشق ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م. ص ٥٥ـ٥٦.

طويلاً، فقـال له الرجل: ياهذا أريد بيعـه، وقد قطعتنـي عن ذلك، فإن كنت تريد حفظه من هذه المدة فـبعيد، فـقال له: وإن كنت حفظته فـمالي عليك؟! قال: أهبُ لك الكتـاب، فقال الوراق: فأخـذت الدفتر من يده، فـأقبل يتلوه عليّ إلى آخره، ثم اسـتلبه فـجعله في كمّـه وقام، فعلـق به صاحبـه وطالبه بالثمن، فقال المتنبي: ما إلى ذلك سبيل، قد وهبته لي! قال: فمنعناهُ منه وقلنا له: أنت شرطت على نفسك هذا للغلام فتركه عليه[1].

وقد يقـوم الدلالون بمشاهدة خزائن للكتب ويقـيمونهـا، وربما ارتشوا، لسبب أو لآخر، حيث إنهم في هذه الحالة يتركون سوق الورّاقين ويتجهون إلى المكان المراد تقييم تلك الكتب فيه، ومن ذلك مـا فعله خيران الورّاق عندما قام بتخـمين مكتبـة ثعلب النحوي بعـد وفاته، حيث طلب منه الوزيـر القاسم بن عبـيدالله، فقوّم مـا كان يساوي عشـرة دنانير بثلاثة، فـبلغت أقل من ثلاثمائة دينار[2]، وهذا التخـمين ـ بتقديرنا ـ خضع إمّـا لرشوة مالية، وإمـا لخوف من سلطة الوزير المذكـور، وفي كلتـا الحـالتين، فـإن هذا الورّاق قد خـرق المبـدأ الأخلاقي الذي رسمه الورّاقون لأنفسهم[3].

ومن الخـزائن التي بيـعت في الدلالة بأبخس الأثمـان: تركـة الطبـيب الأسلمي أسعد بن المطران، وفـيها ألوف كثيرة من الأجزاء الصـغار، بيعت في المناداة بثلاثة آلاف درهم[4]، فيما حصلت واقـعة لبيع كتب بعكس هذه تماماً، فقـد حكى يحيى بن عـدي أن كتابين مـن شرح الإسكندر للسماع ولكتاب

---

(١) تاريخ بغداد ٤/١٠٣ـ١٠٢ ـ ترجمة المتنبي رقم ١٧٥٨.

(٢) ياقوت ـ معجم الادباء ١٢٧/٥.

(٣) راجع فصل أخلاق الورّاقين بهذا الباب.

(٤) طبقات الأطباء/ ص ٦٥٥.

البرهان عرضا عليه بمئة وعشرين ديناراً، قال: فمضيت لأحتال في الدنانير، ثم عدت، فأصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب، على رجل خراساني بثلاثة آلاف دينار[1].

ثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام، وذات جذر تاريخي ممتد من ذاك الأوان وحتى عصرنا الراهن، هي أن أغلب رجال الفكر والأدب والعلم، والشغوفين بالقراء وحبّ المطالعة وشراء الكتب، هم أكثر الناس فقراً وعوزاً، الأمر الذي يجعلهم يتحايلون بشتى السبل للحصول على الكتاب، عن طريق السرقة أحياناً، أو عن طريق استعارة الكتاب وعدم ردّه إلى صاحبه بحجّة أو بأخرى، أو عن طريق إحداث خلل فيه، من قبيل تمزيق بعض الأوراق منه أو اقتطاعها، ومن ثم المساومة عليه، وهلم جرا[2]، ولقد سبقنا الأوائل إلى ذلك، فقد تحدثت المصادر عن واحد من رجالات العلم والفقه واللغة في القرن السادس الهجري هو أبومحمد عبدالله بن أحمد ابن الخشّاب البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة ٥٦٧هـ، وهذا الرجل كان أعلم أهل زمانه بالنحو، وله معرفة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، ومن جملة المعروفين بالتأليف، وكانت له خزانة كتب كبيرة[3]، ومسلكية هذا النحوي الكبير في

---

(١) النديم: الفهرست/ ص ٣٥٤ وحبيب زيّات: الوراقة والورّاقون/ ص٣٧.

(٢) أذكر أني كنت أتعامل مع مكتبة «النهضة العربية» ببغداد ـ شارع السعدون على نحو فيه شيء من التهذيب، حيث كنت أشتري الكتاب، وأشترط على صاحب المكتبة، أنه إذا لم يكن أخي قد اشتراه فسوف أعيده إليه، بنفس اليوم، وكان الرجل يوافق على ذلك، فآخذ الكتاب وأنزوي في مقهى «البتاويين» الملاصق لجدار المكتبة المذكورة، وأتم قراءته وأعيده إلى صاحب المكتبة، وفق الشرط، وآخذ غيره، وهكذا كنت أتعامل، وربما أدرك الرجل ذلك في سلوكي وغضّ الطرف عني.

(٣) كان ابن الخشاب من القلائل الذين تصدّوا بالنقد لـ مقامات الحريري حيث أصدر «رسالة» بهذا الصدد، وهي مثبتة في نهاية كتاب مقامات الحريري، طبعة المطبعة الحسينية بمصر سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م.

شراء الكتب تتحدد على النحو التالي، كما أوردتها المصادر التي تحدثت عنه، قالوا: «وكان إذا حضر سوق الكتب، وأراد شراء كتاب، غافل الناس وقطع منه ورقة، وقال: إنه مقطوع ليأخذه بثمن بخس، وإذا استعار من أحد كتاباً وطالبه به، قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه»[1].

وعملية شراء الكتب، في سوق الورّاقين، تخضع للتفحص والنقد، وإمعان النظر في الكتاب وتقليبه، والتأكد من صحة ربطه وتماسك ملازمه، وتعهُّد أوله وآخره ووسطه، والنظر إلى ترتيب أبوابه وكراريسه، وتصفّح أوراقه، واعتبار صحته[2] للتأكد من سلامته على كافة الوجوه.

لقد ظلت عملية بيع الكتب بالنداء مأخوذاً بها في أغلب الحواضر والأقاليم الإسلامية، خارج دار الخلافة العباسية، وبالأساليب نفسها التي كانت سائدة في سوق الورّاقين ببغداد، فثمة مظاهر مشتركة تماماً ظهرت في الأندلس، ذكرها صاحب نفح الطيب على النحو التالي: «قال الحضرمي: أقمت مرة بقرطبة، ولازمت سوق كتبها مدّة، أترقّب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع، وهو بخط جيّد وتسفير «تجليد» مليح، ففرحت به أشدّ الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه فيرجع إليّ المنادي بالزيادة علي، إلى أن بلغ فوق حدّه، فقلت له: ياهذا أرني من يزيد عليّ في هذا الكتاب، حتى بلغه إلى ما لا يساوي، قال: فأراني شخصاً عليه لباس رياسة، فدنوت منه، وقلت له: أعزّ الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٢/ ٤٧-٥٣، والسيوطي: بغية الوعاة/ ص ٢٧٦-٢٧٧. وكوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) راجع في هذا الموضوع: ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم/ طبعة حيدر آباد سنة ١٣٥٣هـ، ص١٧٢ ـ ١٧٣.

بلغت به الزيادة بيننا فوق حدّه، فقال لي: لست بفقيه ولا أدري مافيه، ولكني أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لأتجمّل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط، جيّد التجليد، استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير. قال الحضرمي: فأحرجني، وحملني على أن قلت له: نعم لايكون الرزق كثيراً إلا عند مثلك، يعطي الجوز من لا عنده أسنان، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلاً، وتحول قلّة مابيدي بيني وبينه»[1].

وكانت إشبيلية واحدة من كبريات المدن الأندلسية التي اشتهرت بكثرة كتبها وعلمائها إلى جانب قرطبة، حتى إن ابن رشد يقول لأبي بكر بن زهر: ما أدري ما تقول، غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه، حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع تركته حملت إلى إشبيلية[2]. قالوا: وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً[3]. ويذكر ابن بشكوال أن قاضي الجماعة بقرطبة عبدالبر المكنّى بأبي المطرف، كان له ستة وراقين ينسخون له دائماً، وعندما توفي اجتمع أهل قرطبة لمدة عام كامل في مسجده لبيع كتبه، في الفتنة في الغلاء، وأنه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية[4].

وفي مصر بيعت خزائن الكتب الفاطمية، بعد أن أسقط صلاح الدين الأيوبي دولتهم، ولما استولى على قصر العاضد لدين الله، وجد من الكتب

---

(١) المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ـ ١/ ٤٦٣.

(٢) المصدر السابق / ١/ ٤٦٣.

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٨٥ و١/ ٣٩٤ـ٣٩٥ و١/ ١٥٥ و ١/ ٣٦٣.

(٤) ابن بشكوال ـ أبو القاسم خلف بن عبدالملك: الصلة ١/ ٣١٠ ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ سنة ١٩٦٦م.

النفيسة المعدومة المثل ما لا يعد، فباع جميع ما فيه[1].

وهناك طريقة أخرى سلكها الأدباء والعلماء للتعاطي مع الكتاب، عرفت بـ«إهداء الكتب»، نظراً للعوز اللاحق بعضهم، أو تفضّل بعضهم على بعض، لسبب اقتصادي أو معرفي، وكانوا يتغزلون بهذه الكتب المهداة، ويشيدون بفضل أصحابها عليهم، فمن ذلك ما يقوله أبوالفتح البستي، بعد أن أهدي له كتاب[2]:

بنفسي من أهدى إليّ كتابه ... فأهدى لي الدنيا مع الدين في درج

كتاب معانيه خلال سطوره ... لآلىء في درج كواكب في بُرجِ

وله في المعنى نفسه والسبب[3]:

ولما أتاني كتاب منك مبتسم ... عن كل برّ وفضل غير محدود

حكت معانيه في أثناء أسطره ... آثارك البيض في أحوالي السود

وعندما أهدى ابن مندويه الأصفهاني كتاباً، قال متغزلاً في ذلك الكتاب[4]:

يكرّر طوراً من قراه فصوله ... فإن نحن أتممنا قراءته عدنا

إذا مانشرناه فكالمسك نشره ... ونطويه لاطيّ السآمةِ بل ضنّا

وقال الصاحب بن عبّاد في كتاب أهدي له[5]:

«كتاب أوجب من الاعتداد، وأوفر من الأعداد، وأودع بياض الوداد

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١١/ ٢٤٢ ـ حوادث سنة ٥٦٧هـ.

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر ٤/ ٢٩١ ومن غاب عنه المطرب/ تحقيق عبدالمعين الملوحي ـ إصدار دار طلاس ـ ط١ـ دمشق ١٩٨٧م/ ص٣٢.

(٣) يتيمة الدهر ٤/ ٢٩١.

(٤) من غاب عنه المطرب/ ص ٣٢.

(٥) المصدر السابق ص ٣١.

سواد الفؤاد، كتاب أنساني سماع الأغاني من مطربات الغواني، كتاب رأيت فيه ساعة الأوبة على المسافر، وبرد الليل على السامر، كتاب شممته شمّ الولد، وألصقته بالقلب والكبد، كتاب مطلعه مطلع أهلّة الأعياد، وموقعه نبيل المراد».

وقال أحمد بن إبراهيم الضبّي الوزير في رسالة بعثها إلى أبي سعيد الشيبي[1]: كتاب هو في الحسن روضة حَزْنٍ[2] بل جنّة عدن، وفيه شرح النفس وبسط الأنس، برد الاكباد والقلوب وقميص يوسف في أجفان يعقوب.

وقال المريمي في وصف كتاب[3]:

يطوى وليس بمطويّ محاسنه   فالحسن ينشره والكف تطويه

والمعنى هنا أقرب إلى «الرسالة».

* * *

(١) معجم الأدباء ٢/ ١٠٩ ومن غاب عنه المطرب/ ص٣١.

(٢) الحزن = ما ارتفع عن الأرض، وإذا كانت الروضة في حزن كانت أينع وأزهر.

(٣) من غاب عنه المطرب / ص ٣٢.

الفصل الخامس
نوادر في سوق الورّاقين

النوادر جمع نادرة، ونوادر الكلام ما شذّ وخرج من الجمهور[1]، ومعلوم أن سوق الوراقين يحوي في داخله، من روّاد وورّاقين، جمهرة واسعة من المهتمين بشوارد الكلام، من جدّه وهزله، أو إسقاطه بشكل متعمّد، أو ما أتى عفو الخاطر، وللظرّاف المكانة الأعلى في هذا المقام، ويدخل في قائمة الظرّاف الكثير من الورّاقين والعلماء والأدباء والفلاسفة وأصحاب الكلام، وعلماء الدين وغيرهم، وللمرأة دور في عملية الظرف، وربما فاقت الرجل في ذلك[2].

ومسلكية أصحاب النوادر في السوق، تأخذ بعداً خاصاً، من حيث إنها تجري بين أوساط جمهور مثقّف مما يضفي حلاوة أخرى على الموضوع، فلربما حصلت النادرة مع رجل من المتكلّمين، وتحدث أثناء أوج المعركة الكلامية، أو تحدث مع محدّث كبير وهو جالس يلقي الموعظة أو كلام من هذا القبيل، أو ربّما فُوكِهَ نحوي بنحوه، أو ورّاق بورقه أو عالم بعلمهِ، أو ظريف بظرفه، وهكذا تجري تلك النوادر في ذلك المكان، وأحلى مافيها عندما تأتي النادرة عفو الخاطر، فإنها تحدث الذهول أحياناً، وتذهب بالعقل، وسنحاول هنا في هذا الفصل، إيراد تلك النوادر التي جرت في سوق الورّاقين، أو ما نقلته المصادر عن أصحابها، وحدثت في سوق الورّاقين، أو وقعت خارجه.

---

(١) القاموس المحيط ـ مادة ندَرَ.

(٢) يمكن مراجعة كتاب ابن الجوزي ـ في هذا المجال ـ والمعنون بـ أخبار الظرّاف والمتماجنين وغيره من المصادر.

فمن تلك النوادر مانقله الثعالبي عن الورّاق سذاب[1] قال: قال المبرد وهو من مشاهير علماء النحو في اللغة العربية وأحد أعلامها البارزين: «لم يندر عليّ أحد في لقبي ـ المبرد [2]ـ كما أندر الورّاق سذاب، قال: اجتزت به يوماً، وهو قاعد على باب داره، فقام إليّ وحيّاني، وعرض عليّ القرى عرضاً غير سابريّ ـ أي لا إلحاف به ـ فقلت له: ماعندك؟ فقال: عندي أنت وعليه أنا! وكان عنده لحم مبرد وعليه سذاب، قال: فضحكت منه ونزلت عنده»[3].

ومن النوادر الطريفة في سوق الورّاقين، أثناء المجالسات العلمية عند أحد الورّاقين، قال الخالع: «ومن مجونه ـ يقصد عليّ بن عبدالله بن وصيف الناشئ ـ في المناظرات وغيرها، أنه ناظر أبا الحسن علي بن عيسى الرمّاني في مسألة فانقطع الرمّاني، وقال: أعاود النظر وربما كان في أصحابي من هو أعلم منّي بهذه المسألة، فإن ثبت الحقّ معك وافقتك عليه، فأخذ الناشئ يندد به».

ودخل أبو الحسن علي بن كعب الأنصاري، أحد المعتزلة، فقال: في أيّ شيء أنتم ياأبا الحسين ـ يقصد الناشئ ـ فقال: في ثيابنا. فقال: دعنا من مجونك، وأعدِ المسألة، فعلّنا أن نقدح فيها. فقال: كيف تقدح وحرّاقك رطب[4].

ومن النوادر الأجمل للناشئ ذاته، أنه ناظر أبا الحسن الأشعري ـ رأس الأشعرية وإمامهم ـ وصفعه، فقال الأشعري: ما هذا يا أبا الحسين؟ فقال: هذا فعل الله بك، فلم تغضب منّي؟ فقال: مافعله غيرك، وهذا سوء أدب،

(١) السذاب = العجين، وهو نبات من البقول ورقه كالصعتر، راجع القاموس المحيط ـ مادة ـ السذاب/ ولطائف المعارف للثعالبي/ ص٤٧ـ هامش رقم ٢.

(٢) المبرد = هو لحم السكباج المبرّد.

(٣) الثعالبي: لطائف المعارف/ ص٤٧، وخاص الخاص/ ص٥٨.

(٤) معجم الأدباء ١٣/ ٢٨٥.

وخارج عن المناظرة، فقال الناشئ: ناقضت، إن أقمت على مذهبك، فهو من فعل الله، وإن انتقلت فخذ العوض. فانقطع المجلس بالضحك، وصارت نادرة[١]. ويعلّق ياقوت الحموي على هذه النادرة بقوله «لو كان الأشعري ماهراً لقام إليه وصفعه أشدّ من تلك، ثم يقول له: صدقت، تلك من فعل الله بي، وهذه من فعل الله بك، فتصير النادرة عليه لا له»[٢].

ومن نوادره أيضاً ومجونه، أنه ناظر بعض المجبرة، فحرّك الجبري يده وقال للناشئ: هذه من حركها؟ فقال الناشئ: من أمّه زانية، فغضب الرجل، فقال له: ناقضت، إذا كان المحرّك غيرك فلم تغضب؟[٣].

عرف سوق الوراقين أبا الفرج الأصبهاني أكثر من غيره، فقد كان دائم الحضور إليه، وأغلب دكاكين الوراقة تعرفه. حكى غرس النعمة الصابئ، قال: حدّثني أبي عن جدّي قال: كان أبوالقاسم الجهني القاضي يشتمل على آداب يتميّز بها، إلاّ أنه كان فاحش الكذب، يورد من الحكايات ما لا يعلق بقبول ولايدخل في معقول، وكنا لا نخلو عن حديثه من التعجب والاستطراف والاستبعاد، وكان ذلك لايزيده إلا إغراقاً في قوله وتمادياً في فعله، فلما كان في بعض الأيام جرى حديث النعنع، وإلى أيّ حدّ يطول، فقال الجهني: في البلد الفلاني يتشجّر، حتى يعمل من خشبه السلاليم. فاغتاظ أبوالفرج الأصبهاني من ذاك، وقال: نعم عجائب الدنيا كثيرة، ولايدفع مثل هذا وليس بمستبدع[٤]، وعندي ماهو أعجب من هذا وأغرب، وهو زوج حمام راعبي،

---

(١) معجم الأدباء ١٣/٢٨٦.

(٢) المصدر السابق/ المكان نفسه.

(٣) المصدر السابق ١٣/٢٨٨.

(٤) أي ليس بدعاً.

يبيض في نيف وعشرين يوماً بيضتين، فأنتزعهما من تحته وأضع مكانهما صنجة[1] مائة وصنجة خمسين، فإذا انتهى مدة الحضان تفقّست الصنجتان عن طست وإبريق، أو سطل وكرنيب، قال: فعمّنا الضحك، وفطن الجهني لما قصده أبوالفرج من الطنز، وانقبض عن كثير ممّا كان يحكيه[2].

وتنادم الورّاقون مرة فيما بينهم، فحكى أحدهم مافعله صاحب ذخيرة الكتاب عن بعض الوزراء، قال: تقدم أحد الوزراء إلى كاتبه، وأمره أن يكتب ألقاب أمير ليثبتها على برج أنشأه، فكتب «أمر بعمارة هذا البرج أبوفلان فلان» واستوفى ألقابه إلى آخرها، ودفع المثال إلى الوزير ليقف عليه، فلما قرأه الوزير غضب حتى ظهر ذلك في وجهه، وأنكر على الكاتب كونه كتب «أبوفلان» بالواو، ولم يكتب «أبي فلان» بالياء، محتجاً عليه بأن «أبو» من ألفاظ العامّة، فلا تعظيم بها. فقال الكاتب: إن الحال اقتضت رفعه من حيث إنه في هذا الموضع فاعل، فزاد إنكار الوزير عليه، وقال: متى رأيت الأمير فاعلاً في هذا الموضع يحمل الطين، ينقل الحجارة على رأسه حتى تنسبه إلى هذا؟ والله لولا سالف خدمتك لفعلت بك[3].

وشكلت النوادر خُلقاً عند بعض مرتادي سوق الوراقين، وقد عرفت بغداد الظرف، وراج هذا المسلك في أحيائها وأرباضها وأسواقها، وبالضرورة يكون سوق الورّاقين هو الأرحب لمثل هذا الظرف، نظراً لما يمثّله من جمهور مثقف، وأهل سوق علماء، لذلك كان الظراف والظريفات يدخلون هذا السوق ليتنادروا مع أهله وجمهوره، ومن ذلك ما ينقله الوشاء بقوله: أخبرني الوضّاح

(١) الصنجة = صنجة الميزان وسلجته = مايوزن به. فارسي معرّب/ انظر الجواليقي/ ص ٢١٥ مادة ـ صنجة.

(٢) صبح الأعشى ١/ ٤٩.

(٣) المصدر السابق ١/ ٤٩.

ابن ثابت، قال: كنت عند بعض الـورّاقين ـ الكتاب ـ إذا دخلت عليه وصيـفة كأنها قمر، تنثني في مشيتها كأنها جان، أو كأنها غصن بان ريّان، حتى وقفت بين يديه فقالت: مولاتي تقرأ عليك السلام وتقول لك: ياأخي جفوتنا من غير استحقـاق للجفاء، وملت إلى غير مذاهب الظرفـاء، وإني لم أزل واثقة بإخائك، فقال لها: اقرئي عليها السلام وقولي لها: ياأختي أنا من ودّك على أحسن عهدك، ومن الأمل لك على أضعاف ماعندك، ولقد استوحشنا من فقدك، فاجعلي لنا حظّاً من أُنسك. قال: فسألته عنها، فقال: جارية علي بن الجهم[1].

ومن ظرف الكتّـاب والأدباء معاينة أخـلاقهم ونقـدها، ومعرفـة أصول مذاهبهم والالتزام بها، والحديث عنها في كل مناسـبة يحدث فيها خرق لمذهب من مذاهبهم، أياً كان، على الصعيد الأدبي أو الاجتماعي أو الأخلاقي، وكل هذه الأمور كانوا يتنادمون فيها ويتسامرون عند الورّاقين، قال محمد بن إبراهيم الشيباني: من صـفة الكاتب اعتدال القامة، وصغر الهـامة، وخفة اللهازم[2]، وكثـافة الـلحيـة، وصدق الحسّ، ولطف المذهب، وحـلاوة الشمـائل، وخطف الإشارة، وملاحة الزي، قـال: ومن حاله أن يكون بهيّ الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة، عطر الرائحة، دقـيق الذهن، حسن البيان، رقيـق حواشي اللسان، حلو الإشارة، مليح الاستعارة، لطيف المسلك، مُستفره المركب[3].

ومن النوادر التي كان الكتّاب والورّاقون يطلقـونها على بعضهم البعض، ما يتعـرضون له من عدم إتقان حرفة الأدب من علوم اللغـة، وجودة الكتابة، وحسن الخط، وإذا رأوا واحداً يتـصنّع مسلكية الكتّاب قـالوا: وصار الآن حدّ

---

(١) أبوالطيب محمـد بن إسحاق بن يحيى الوشّاء ـ تحقـيق كمال مصطفى ـ ط١ مكتبة الخـانجي ـ مصر ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م/ ص ١٩٩.

(٢) اللهازم = أصول الحنكين، في أسفل الشدقين ـ راجع ـ اللسان ـ مادة ـ لهزم.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى ١/ ٦٧.

الكاتب عند هؤلاء الجهّال أنه يكتب على المعوّد مدّة، ويتقن بزعمه أسطراً، فإذا رأى من نفسه أن خطّه قد جاد أدنى جودة، أصلح بزّته، وركب برذونه أو بغلته، وسعى في الدخول إلى ديوان الإنشاء، والانضمام إلى أهله، ويعلقون: ولعلّ الكتابة إنما يحصل ذمّها بسبب هؤلاء وأمثاله، ولله درّ القائل:

تعس الزمان فقد أتى بعجاب ... ومحا فنون الفضل والآداب

وأتى بكتّاب لو انبسطت يدي ... فيهم رددتهم إلى الكتّاب[1]

وهذه النوادر، وتلك المجالس في سوق الورّاقين، هي التي دعت الحريري لأن يذكرهم في مقاماته، فقد تحدثت المقامة الثانية والعشرون ـ والمعروفة باسم «الفراتية» ـ عن هؤلاء الكتّاب وأخلاقهم وزادهم، قال: «حكى الحارث بن همّام قال: أويت بعض الفترات إلى سقي الفرات، فلقيت بها كتّاباً أبرع من بني الفرات، وأعذب أخلاقاً من ماء الفرات، فأطفت بهم لتهذيبهم لا لذهبهم، وكاثرتهم لأدبهم لا لمآدبهم، فجالست منهم أضراب قعقاع بن شور[2]، ووصلت بهم إلى الكور بعد الحور، حتى إنهم أشركوني في المرتع والمربع، وأحلّوني محل الأنملة[3] من الأصبع، واتخذوني ابن أنسهم عند الولاية والعزل، وخازن سرّهم في الجدّ والهزل»[4].

تلك هي بعض النوادر التي كان يتندر بها في سوق الورّاقين.

* * *

(١) صبح الأعشى ١/ ٤٩ ـ والمراد بـ«الكتّاب» الثانية ـ هم أصحاب الكتاتيب، أو مُعلمو الصبيان.

(٢) هو القعقاع بن شور أحد بني عمرو بن شيبان، وكان ممّن جرى مجرى كعب بن مامة في حسن الجوار، حتى ضرب به المثل، راجع هامش ١٢ من ص٢١٠ من مقامات الحريري.

(٣) الأنملة = هي طرف الأصبع من أعلاه.

(٤) مقامات الحريري، المقامة ٢٢/ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

الباب السادس

أعلام الوراقين

الفصل الأول
المستملون

أبوحامد المستملي

هو أحمد بن جعفر، وكنيته أبوحامد المستملي[١]، اختص بمجالس استملاء الحديث، وحدّث عن محمد بن يحيى الأزدي، روى عنه عبدالصمد الطستي[٢] . ولم يزد الخطيب في ترجمته.

أبومسلم المستملي

هو عبدالرحمن بن يونس بن هاشم، كنيته أبومسلم الرومي، مولى أبي جعفر المنصور[٣]. أشارت المصادر إلى أنه ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٢٤هـ.

رومي الأصل، خدم أبا جعفر المنصور، كان يستملي لسفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، حدّث عن ابن عيينة، وحاتم بن إسماعيل، ومعن بن عيسى، وعبدالله بن إدريس، ومحمد بن فضيل. روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه، وحاتم بن الليث الجوهري، وعباس الدوري، وحنبل ابن إسحاق الحربي، وإبراهيم بن إسحاق، وأحمد بن يوسف التغلبي، وأحمد ابن بشير المرثدي، ومحمد بن غالب التمتام، وأبوبكر بن أبي الدنيا[٤].

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن ابن عباس: أن النبي ﷺ سرّب نساءه ليلة جمع قبل الزحام.

---

(١) تاريخ بغداد ٤/٦٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ١٠/٢٥٨ـ٢٥٩ ـ الترجمة رقم ـ ٥٣٧٤.

(٤) نفس المصدر ١٠/٢٥٨.

تحدّث فيه علماء الحديث وشيوخه بشيء من التحفّظ، قال الخطيب البغدادي: أخبرنا أبوالعباس محمد بن إسحاق الثقفي، قال: سألت أبا يحيى محمد بن عبدالرحيم عن أبي مسلم فلم يرضه، وأراد أن يتكلم فيه، ثم قال: أستغفر الله، فقلت: في الحديث قال: نعم، وشيئاً آخر. وذكر أبوعبيد محمد ابن علي الآجري، قال: سمعت أبا داود.. وذكر أبا مسلم المستملي، فقال: كان يجوّز حد المستجيز في الدرب[1].

ابن زريق المستملي

هو عبدالله بن زيد، كنيته أبومحمد، ويعرف بزريق المستملي[2] تعاطى مهنة الاستملاء في مجالس الإملاء الخاصة بعلوم الحديث، وهذ الصنف شكّل البدايات الأولى لفن الوراقة.[3] حدّث أبو القاسم بن الثلاّج عنه عن محمد بن علي بن الفضل الملقب فستقة وذكر أنه توفي في جمادى الآخرة سنة ٣٢٦هـ[4].

أبو الحسن المستملي

هو علي بن إبراهيم بن عيسى، كنيته أبوالحسن المستملي، المعروف بالنجّاد[5] هو واحد من المحدثين الثقاة سكن بغداد وحدَّث بها، ورحل عنها ومات في الرقة سنة ٣٥٣هـ[6].

تخصَّصَ بعلوم الحديث علماً ومهنة، بسبب كونه مستملياً، سمع محمد ابن إسحاق بن خزيمة، وأبا العباس بن السراج، وأحمد بن الحسين الماسرجسي،

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق ٩/٤٥٩ ـ الترجمة رقم ٥٠٩٠.

(٣) راجع الباب الرابع من هذه الدراسة تحت عنوان/ ظهور مهنة الوراقة.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٤٥٩ـ٤٦٠.

(٥) المصدر السابق ١١/٣٣٨ـ ٣٣٩ الترجمة رقم ٦١٧٤.

(٦) المصدر السابق.

وأبا أحمد بن فارس الدلال، وأحمد بن محمد الأزهري النيسابوريين، ومحمد ابن شعيب الغازي الأيلي، ومحمد بن المسيّب الأرغياني، وأحمد بن جعفر الجمال الرازي، وموسى بن العباس الجويني، وعبدالله بن محمد بن أسير الأصبهاني، وحامد بن شعيب البلخي، ومحمد بن محمد بن سليمان الباغندي.

روى عنه الدارقطني وغيره.[1]

علي بن يوسف المستملي

واحد من الذين عرفتهم مجالس بغداد الخاصة بعلوم الحديث، ولقبهُ (المستملي) يشير إلى تلك الفئة من الوراقين الذين أسسوا علم الوراقة ونهجه في بغداد أيَّامَها الأوَل، حدّث علي بن يوسف المستملي عن علي بن داود القنطري، وروى عنه أبوالقاسم الطبراني[2].

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العُلى ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الدرّي في أفق السماء، وإن أبابكر وعمر لمنهم، وأنعما»[3].

أبوكنانة المستملي

هكذا ذكره الخطيب البغدادي، بالكنية، ولم يذكره بالاسم، وقال عنه: مستملي هشيم بن بشير، وهو أخو أبي مسلم عبدالرحمن بن يونس المستملي[4].

حكى عن هشيم، وروى عنه أحمد بن منيع البغوي[5].

ولم يزد الخطيب في ترجمته على ذلك.

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ١٢٣-١٢٤ الترجمة رقم ٦٥٧٧.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٢٤.

(٤) المصدر السابق ١٤/ ٤٠٦ ـ الترجمة رقم ٧٧٣٠.

(٥) المصدر السابق.

ابن العباس المستملي

هو محمد بن أحمد بن العباس، وشهرته المستملي، وهي وظيفة تندرج في بدء العمليات الأولى للوراقة، وربما كان المجلس مزدحماً بالطلبة والمستمعين، فيكون هناك عدد من المستملين، حيث كان هؤلاء يرددون الحديث وراء العلماء، ويأخذ الناس عنهم ويدونون.

حدّث عن سعدان بن نصر الثقفي، وروى عنه عبدالعزيز بن جعفر الحنبلي المعروف بغلام الخلال.

لم تتطرق المصادر إلى تاريخ وفاته أو ولادته(١).

أبوبكر المستلمي الوراق

هو محمد بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عمر بن مهران بن فيروز بن سعيد، كنيته أبوبكر، وشهرته المستملي الورّاق.(٢)

يتحدث هو عن نفسه، فيقول: ولدت ببغداد سنة ٢٩٣هـ(٣).

أَهَّلَهُ الحديث لأن يكون واحداً من رجاله، ومكّنتهُ الوراقة من تتبّع أسانيده، فقد اختص هذا الوراق بعلوم الحديث، وأخذ السماع للحديث عن أبيه وعن الحسن بن الطيّب الشجاعي، وعمر بن أبي غيلان الثقفي، وأحمد بن عبدالجبار الصوفي، وحامد بن محمد بن شعيب البلخي، ومحمد بن يحيى بن الحسين العمي، ومحمد بن محمد الباغندي، وعبدالله بن محمد البغوي، ومن بعدهم، روى عنه الدارقطني وغيره، وعنه سمع الحديث (السفر قطعة من العذاب)(٤).

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٢٥ ـ الترجمة رقم ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٣ ـ الترجمة رقم ٤٥٠.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٤.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٥٣ ـ ٥٤.

قال يوماً: دققت على أبي محمد بن صاعد بابه، فقال: من ذا. قلت: أنا أبوبكر بن أبي علي، يحيى هنا؟

فسمعته يقول لجاريته: هاتي النعل حتى أخرج إلى هذا الجاهل الذي يكنّي نفسه وأباه ويسميني فأصفعه[١].

لم يذكر الخطيب تاريخ وفاته[٢].

أبوعبدالله المستملي

هو محمد بن العباس بن مهران، وكنيته أبوعبدالله المستملي[٣]. كان ينادي في مجالس الإملاء ليسمع الناس، ويأخذوا عنه، واختص بمجالس إملاء الحديث. مات سنة ٣٢٩هـ[٤].

حدّث عن محمد بن عيسى بن حيان المدائني، ومحمد بن أبي العوام الرياحي.

روى عنه أبوالحسن الدارقطني، وأبوحفص بن شاهين[٥].

ابن فروة المستملي

هو محمد بن فروة، أبوبكر المستملي[٦]

لم يذكر الخطيب البغدادي تاريخ ولادته ووفاته. وقال عنه: حدّث عن عمر بن مدرك الرازي، روى عنه أبوالحسن بن لؤلؤ، وأخذ منه حديث (من أتى الجمعة فليغتسل)[٧].

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٥٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٣/ ١١٦ الترجمة رقم ١١٣١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق ٣/ ١٦٦ـ١٦٧ الترجمة رقم ١٢١١.

(٧) المصدر السابق ٣/ ١٦٧.

هارون المستملي. «هارون الديك»

هو هارون بن سفيان بن بشير، كنيته أبوسفيان[1] واحد من المعروفين في مجالس الإملاء، اختصّ بملازمة يزيد بن هارن كمستملٍ لمجالسه، وعرف بلقب (هارون الديك)[2]. عرف بغداد وعرفته مجالسها العلمية العامة بعلوم الحديث، فبها نشأ وتعلم حتى توفي سنة٢٥١هـ[3].

أخذ الحديث عن علماء بغداد، وبها حدّث عن شيخه يزيد بن هارون، ومعاذ بن فضالة، وأبي زيد النحوي، وزياد بن سهل الحارثي، ومطرف بن عبدالله المديني ومحمد بن عمر الواقدي، وأبي نعيم الفضل بن دكين، وعبدالله بن جعفر الرقي، روى عنه جعفر بن محمد بن كزال، وعبيد العجل، وأبوبكر بن أبي الدنيا، وعبدالله بن إسحاق المدائني[4].

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن أم سلمة الأنصارية، قالت: سمعت أَنَساً يقول: أُتي رسول الله ﷺ بجنازة ليصلي عليها، فقال: (ماتقولون) قالوا: لا نعلم إلاّ خيراً، قال (لكن الله يعلم غير ما علمتم). قالوا: يارسول الله فما حاله؟ قال: (قبل شهادتكم فيه وغفر له ما لاتعلمون)[5].

هارون المستملي (هارون مكحلة)

هو هارون بن سفيان بن راشد، كنيته أبوسفيان المستملي، والمعروف بمكحلة[6].

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٥ الترجمة رقم ٧٣٥٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق ١٤/ ٢٤ـ٢٥ ترجمة رقم ٧٣٥٦.

واحد من المشهورين ببغداد في مجالس إملاء الحديث، وقد شكل هذا الصنف من الوراقين الطور الأول لمهنة الوراقة، تخصص هذا المستملي بعلوم الحديث، وذلك من خلال ترديده حديث الشيوخ في المجالس، وعنه يكتب الخلق في علوم الحديث[1]، عاش ببغداد ومات بها سنة ٤٢٧هـ، وبها حَدّث عن محمد بن حرب الخولاني وبقية بن الوليد ويعلى بن الأشدق ويحيى بن سليم الطائفي.

روى عنه إبراهيم بن موسى الجوزي وعبدالله بن إسحاق المدائني، وأبوالقاسم البغوي وغيرهم[2].

ورد اسمه في سند حديثين، تناقلتهما مصادر الحديث والتاريخ، الأول مروي عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ ظلم من الأرض شبراً فإنه يُطوّقهُ من سبع أرضين»، والثاني مروي عن عبدالله بن جراد، قال: «أُتيَ رسول الله ﷺ بفرس فركبه وقال (يركب هذا الفرس من يكون الخليفة بعدي) فركبه أبوبكر الصديق»[3].

يقول هو عن نفسه: قال لي أبونعيم: ياهارون، اطلب لنفسك صناعة غير الحديث، فكأنك بالحديث قد صار على مزبلة[4].

عرف عنه علو طبقة صوته، ووضوح ألفاظه عندما يردد الحديث وراء العلماء، قد ذكر الخطيب: أن أبا حاتم الرازي قال: حضرت مجلس ـ سليمان ابن حرب ببغداد، فحزروا مَنْ حَضَرَ مجلسه أربعين ألف رجل، وكان مجلسه

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

عند قصر المأمون، فبنى شبه منبر وحضر حوله جماعة من القُوّاد عليهم السواد، والمأمون فوق قصره قد فتح باب القصر وقد أرسل ستر يشف، وهو خلفه يكتب ما يملي، فسئل أول شيء حديث حوشب بن عقيل، فلعله قد قال: حدثنا حوشب بن عقيل، أكثر من عشر مرات، وهم يقولون: لا نسمع، حتى قالوا: ليس الرأي إلا أن يحضرنا هارون المستملي، فذهب جماعة فأحضروه، فلما حضر قال: من ذكرت؟ فإذا صوته خلاف الرعد، فسكتوا وقعد المستملون كلهم واستملى هارون، وكان لا يسأل عن حديث إلاّ حدث من حفظه[1].

* * *

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٣٣ وحبيب زيّات: الوراقة والوراقون في الإسلام/ ص١٠.

الفصل الثاني
ورّاقو الحديث

أحمد بن بكر الوراق

هكذا ترجمه الخطيب[1] وقال عنه: حدّث عن هشام بن عمار الدمشقي، وعبدالوهاب بن فليح المكي وغيرهما، روى عنه أبوعمرو بن السماك.

أسند اسمه في حديث عن أبي مسلم (رجل من أصحاب رسول الله ﷺ) قال: قلت: يارسول الله علمني عملاً أدخل به الجنة قال: «أحيّة والدتك فبرّها فتكون قريباً من الجنة). قلت: ليس لي والدة، قال: فأطعم الطعام وأطب الكلام»[2].

أبوالعباس الوراق

هو أحمد بن جعفر بن محمد بن المثنى بن محمد بن عبدالله بن بشر، كنيته أبوالعباس الوراق.[3] . أصله من بلخ، واستقر في بغداد وبها عرف أنه ثقة.

سمع محمد بن سليمان لويناً، وقاسم بن يزيد المقري، وعمرو بن علي الصيرفي، وعلي بن مسلم الطوسي وأبا السايب سلم بن جنادة الكوفي، روى عنه أبوالفضل الزهري، ومسعد بن المظفر وأبوبكر المقرئ الأصبهاني وغيرهم[4].

ورد اسمه في سند حديث الرسول ﷺ: «وجب الخروج على كل ذات نطاق في العيدين».

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٥٥ الترجمة رقم ١٦٦٥.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٥٥ـ٥٦.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٦٣ الترجمة رقم ١٦٨١.

(٤) المصدر السابق.

السامري الورّاق

هو أحمد بن الحسن، كنيته أبوالقاسم الوراق، ومعروف بالسامري[1].

نزل بغداد وحدّث بها عن إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي.

ورد اسمه في سند رواية حديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «من أكمل مما يسقط من الخوان نفي عنه الفقر ونفي عن ولده الحُمق»[2].

القاص الورّاق

هو أحمد بن الحسين، وكنيته أبوبكر العكبري الوراق، ويعرف بالقاص[3].

سكن بغداد، وحدّث بها عن أحمد بن عبيدالله النرسي، وعبدالكريم بن الهيثم العاقولي، والحارث بن أبي أسامة، ومحمد بن سليمان الباغندي، والحسن بن سلام السواق ومحمد بن غالب التمتام، وأبي العباس الكديمي، سمع منه وحدّث عنه أبوالحسن بن رزقويه في سنة ٣٩٦هـ.

روى حديثًا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن رجلاً من الأنصار وقع في أبي العباس في الجاهلية، فلطمه العباس، فجاء قومه، فقالوا: والله لنلطمنه كما لطمه ولبسوا السلاح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فصعد المنبر وقال: (أيها الناس أي أهل الأرض أكرم على الله فقالوا: أنت. قال: فإن العباس مني وأنا منه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا) فجاء القوم وقالوا: يارسول الله نعوذ بالله من غضبك فاستغفر لنا[4].

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٩١ الترجمة رقم ١٧٣٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٤/ ١٠١ الترجمة رقم ١٧٥٥.

(٤) المصدر السابق.

أبومنصور الوراق

هو أحمد بن شعيب صالح بن الحسين، المكنى بأبي منصور الوراق[١].

من أهل بخارى، استوطن بغداد وحدّث بها إلى حين وفاته، وكان صالحاً ثقة ثبتاً، ولد ببخارى سنة ٢٨٠هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٥٥هـ[٢].

استهوته علوم الحديث والدين، فشد الرحال من بلاده إلى بغداد، واستمع إلى شيوخها وقرائها، واتخذ من الوراقة مهنة له، ليزيد من معارفه في علوم الحديث، سمع صالح بن محمد جزرة الحافظ، وحامد بن سهلة وسهل ابن شاذويه، ومحمد بن حريث البخاريين، وأبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي، وزكريا بن يحيى الساجي، ومحمد بن إبراهيم بن أبان السراج، ومحمد بن جرير الطبري، وأحمد بن الحسن بن عبدالجبار الصوفي[٣].

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن عبدة بن سليمان، قال: لما زوج رسول الله ﷺ فاطمة علياً قال له النبي ﷺ: (أعطها شيئاً) قال: ما عندي شيء. قال (أين درعك الحطمية). قال أبوالحسن محمد بن طلحة بن محمد النعالي: ماكتبت عن أبي منصور غير هذا الحديث[٤].

قال البراء: اشترى أبو بكر من عازب رَحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مرُ البراء فليحمله إلى أهلي. فقال له عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة، وذكر الحديث بطوله.[٥]

---

(١) تاريخ بغداد ٤/١٩٢ الترجمة رقم ١٨٨٣.

(٢) المصدر السابق ٤/١٩٤.

(٣) المصدر السابق ٤/١٩٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) هكذا ذكر الخطيب، نص هذا الحديث، دون أن يكون هناك رابط بحادثة ما تتعلق بالمُترجم له.

قال أبومنصور الوراق كنت عند أبي خليفة، فاستجزت منه كتباً، فقلت له: أجزت لي ولفلان، وهم لفلان مال، فقال لي: هُمْ، ليس في كلام العرب، ثم قال: أنشدني أبوالفضل العباس بن الفرج الرياشي لنفسه[1]:

شفاء العيا حسنُ السؤال وإنما ... يطيل العيا طول السكوت على الجهل

فكن سائلاً عمّا عناك فإنما ... خلقت أخا عقل لتسأل بالعقل

قال محمد بن أبي الفوارس: مارأيت من حدّث عن صالح جزرة غيره[2].

ابن العباس الوراق

هو أحمد بن العباس بن محمد بن علي، كنيته أبوعلي الوراق، قال الخطيب البغدادي. ذكر (أبوالقاسم بن الثلاّج أنه حدّثه عن الحسن بن عرفة) واكتفى بهذه العبارة، دون زيادة أو نقصان في الترجمة[3].

ابن أسد الورّاق

هو أحمد بن عبدالله بن خالد بن ماهان، وكنيته أبوحامد الحربي الوراق، ويعرف بابن أسد[4].

تعاطى الوراقة في علوم الحديث، وخالط علماء بغداد في هذا الجانب. حدّث عن أبي قلابة الرقاشي، وأبي الوليد بن برد الأنطاكي وغيرهما.

روى عنه جعفر بن محمد الخالدي، وأبوالفضل الزهري، وأبوحفص بن شاهين، وكان ثقة كما يقول الخطيب.[5] إلاّ أنه لم يذكر تاريخ ولادته أو وفاته.

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ١٩٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٣٢٩ الترجمة رقم ٢١٤٥.

(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٣٠ الترجمة ١٩٣٧.

(٥) المصدر السابق.

أبوبكر الدوري الورّاق

هو أحمد بن عبدالله بن خلف المكنى بأبي بكر الدوري الوراق[١]، كان شيعي المذهب ومعروفاً بذلك[٢]، ولد سنة ٢٩٩هـ، ومات سنة ٣٧٩هـ[٣]، يقول هو عن نفسه: فأوّل كتابتي الحديث في سنة ٣١٣هـ[٤].

وهو بهذا يؤرخ لنفسهِ في الوراقة.

ابن الفافي الورّاق

هو أحمد بن عبدالله بن سليمان بن عيسى بن الهيثم، وقيل: ابن عيسى ابن السندي بن سيرين، كنيته أبوالفضل الوراق، ويعرف بابن الفافي[٥].

سمع أبا مسلم الكجي، ومحمد بن جعفر القتات، وعلي بن إسحاق بن زاطيا، والقاسم بن زكريا المطرز، روى عنه أبوالحسين بن سمعون، وأبوحفص ابن الآجري وغيرهما من المتقدمين.

حدّث ابن الفافي الوراق في سنة ٣٤٤هـ حديثاً يرجع سنده إلى علي ـ رضي الله عنه ـ قال: "أنا أول من أسلم مع النبي ﷺ"[٦].

حدّث أبو الحسن بن رزقويه أنه كان ثقة. ولم يذكر الخطيب البغدادي تاريخ ولادته ووفاته[٧].

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٢٣٤ الترجمة رقم ١٩٥٢.

(٢) ينعته الخطيب البغدادي بعبارة: (كان رافضيا مشهوراً بذلك) المصدر السابق ـ نفس المكان.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٣٤ـ٢٣٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٢٢٣ الترجمة رقم ١٩٤٧.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

هو أحمد بن عبدالله بن القاسم بن هشام، يكنى أبا بكر التميمي الوراق ويعرف برغيف[1].

هو واحد من الحفاظ المذكورين في حـفظ الحديث، موصوف بالفهم بين المحدثين في بغداد[2].

مات في سنة ٢٦٩هـ.

حدّث عن عبيدالله بن معاذ العنبري، وصالح بن حاتم بن وردان، روى عنه مـحمـد بن مـخلد، وأبوسـعيـد بن الأعـرابي، وقد كـتب عنه الحـديث ببغداد[3].

حدّث عنه الرواة حديث زر بن حبـيش القائل: قلت لأبي بن كعب: إن عبدالله بن مسعود يقول: من يقم الشهر يدرك ليلة القدر. فقال رحمه الله: إنه ليعلم أنها ليلة سبع وعشرين[4].

ابن خميرة الوراق

هو أحمد بن علي، كنيته أبوالحسين الوراق، ويعرف بابن خميرة[5].

كان واحداً من الحفّاظ، ونزل المصّيصة، وحدّث بها عن عباس الدوري، ومحمد بن أبي العوام الرياحي، روى عنه أبوعبدالله الشماخي الهروي وأبوبكر محمد بن عبدالله الأبهري، وإبراهيم بن محمد الجلي المصيصي[6].

---

(١) تاريخ بغداد ٤/٢١٨ الترجمة رقم ١٩١٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٣١٠ للترجمة رقم ٢١٠٢.

(٦) المصدر السابق.

أهمل الخطيب تاريخ ولادته ووفاته، ونـقل عنه خبراً وصفـه بالغريب، قال فـيه: حدثنا أبوبكر بن أبـي العوام، وأخبـرنا محمـد بن الحسين القطان، أخبرنا أحمد بن عثمان بن يحيى الأدمي، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي العَوام الرياحي - واللفظ لحديث البـرقاني - حدثنا عبـدالعزيز بن أبان، حدثنا سـفيان الثوري عن أيوب، عن ابن سيرين عـن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «إذا مسَّ أحدكم ذكره فليتوضأ»[١].

ابن البقّال الورّاق

هو أحـمد بن عـمر بن عـلي بن الفضل بن إبراهـيم، المكنى بأبي بكر الوراق، والمعروف بابن البقّال[٢].

كان واحـداً من الصالحين الثقـاة، عرف بكثـرة كتابتـه للحديث نتيـجة تخصصه به.

توفي في رمضان سنة ٣٩٩هـ[٣]. ولم تشر المصادر إلى تاريخ ولادته.

سمع أبا بكر الشـافعي، وأبا علي الطومـاري، وأبا علي بن الصواف، وعلي بن إبراهيم بن أحمد القاضي، وأبا بحر بن كوثر، ومحمد بن جعفر بن الهيثم، وعـثمان بن محـمد بن سنقه، وحبيب بن الحـسن القزاز، وأبابكر بن خـلاّد النصيـبي، وأبابكر بن مالـك القطيعي ومن جـاء بعدهم، روى شـيئـاً يسيراً[٤].

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣١٠ـ٣١١.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٩٤ الترجمة رقم ٢٠٥٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

ابن الطلاية الوراق

هو أحمد بن أبي غالب بن أحمد البغدادي، كنيته أبوالعباس الحنبلي الوراق الزاهد العابد[1].

بغدادي الأصل والمنشأ والوفاة، فارق الدُنيا سنة ٥٤٨هـ[2].

تفرّغ للعمل بوراقة الحديث وهو في مسجده الذي لازمه لمدة سبعين سنة ولم يخرج منه، سمع الحديث من عبدالعزيز الأنماطي وغيره، وانفرد بالجزء التاسع من «المخلصيات» حتى أضيفت عليه[3].

كان يتحَسَّس ظلم الولاة، ويشارك أبناء جلدته الهموم، فلقد ذكر ابن العماد أنه كان من أعاجيب دهره في الاستقامة، وقد زاره السلطان مسعود في مسجده بالحربية[4] فتشاغل عنه بالصلاة، فبكى السلطان مسعود، وأبطل المكوس والضرائب وتاب[5].

ذكرت المصادر[6] أنه كان مُتقللاً من الدُنيا، متعبداً لا يفتر ليلاً ولا نهاراً، لم يكن في زمنه أعبد منه، لازم ذلك حتى انطوى طاقين، قانعاً بثوب خام وجرّة ماء وكسر يابسة[7].

---

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٤/ ١٤٥ ـ حوادث سنة ٥٤٨هـ.

(٢) المصدر السابق ـ نفس المكان.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الحربية محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب، قرب مقبرة بشر الحافي وأحمد بن حنبل ـ ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ٢/ ٢٣٧.

(٥) شذرات الذهب ٤/ ١٤٥.

(٦) المصدر السابق ٤/ ١٤٦.

(٧) المصدر السابق.

الأزرقي الوراق

هو أحمد بن الفتح بن موسى، يكنى بأبي بكر الأزرقي الوراق، صاحب بشر بن الحارث، وحكى عنه حكايات[1].

لم يعرج الخطيب على ترجمته وافياً، ولم يذكر ميلاده ووفاته، بل قال عنه: روى عنه أبوبكر بن أبي الدنيا، وأبوالعباس السراج النيسابوري، ومحمد ابن مخلد، وحمزة بن الحسين السمسار. سمع منه قوله: سمعت بشر بن الحارث يقول: أستغفر الله من كل خطوة خطوتها في طلب الحديث، إني لأعُدُّها من أعظم الذنوب إن لم يغفرها الله لي[2].

وربما كان يقصد طلب الحديث من غير عمل به.

المدني الوراق

هو أبوالعباس أحمد بن الفرج بن راشد بن محمد المدني الوراق، البغدادي الحنبلي الحجة القاضي[3].

كان هذا الوراق من أهل المدينة وهي قرية فوق الأنبار، ولد سنة ٤٩٠هـ.

وافاه الأجل يوم السبت ١٦ ذي الحجة سنة ٥٥١هـ[4].

اهتم بالقرآن والروايات، وساعدته الوراقة في ذلك، وقَرأ القرآن على مكي بن أحمد الحنبلي وغيره، وتفقه على عبدالواحد بن سيف، وسمع من أبي منصور محمد بن أحمد الخازن وغيره، وشهد عند قاضي القضاة الزينبي، وولي القضاء بدجيل مرة، وحدّث وروى عنه ابن السمعاني وغيره[5].

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٤٤ الترجمة رقم ٢١٧٥.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٣٣٤-٣٣٥.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٤/ ١٥٧ ـ حوادث سنة ٥٥١هـ.

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٥٧ـ١٥٨.

(٥) المصدر السابق.

أبوالحسن الفارسي الوراق

هو أحمد بن الفرج بن منصور بن محمد بن الحجاج بن هارون بن حماد ابن سعيد بن الصلت بن أبان بن خرخشا ذان. المكنى بأبي الحسن الفارسي الورّاق[1].

سكن بغداد في جانبها الشرقي ـ الرصافة ـ حيث ولد في هذا الجانب سنة ٣١٢هـ وبه توفي ودفن سنة ٣٩٢هـ[2].

عرف بأنه كان شيعي المذهب، وبأنه كان ثقة، وكتب الكثير من الحديث، قال الخطيب البغدادي: حدّثني أبوبكر البرقاني قال: ذكر لي عن أبي الحسن بن حجاج أنه كان يديم قراءة القرآن، وكان له في كل يوم ختمة[3].

تعاطى علوم الحديث في سنٍ مبكرة، حيث سمعه في سنة ٣٢٤هـ[4]، وزاد تحصيله لعلوم الحديث بعد اشتغاله في وراقته، واحتكاكه بأهله وأصحابه، فقد سمع الحديث من يزداذ بن عبدالرحمن الكاتب، ومحمد بن عبدالله المستعيني، وأحمد بن محمد بن الجراح الضراب، وأحمد بن علي بن العلاء الجوزجاني، والقاضي المحاملي، ومحمد بن مخلد، وأبي العباس بن عقدة، وخلقٍ كثيرٍ نحوهم[5].

توفي في شعبان ودفن في الرصافة.

---

(١) تاريخ بغداد ٤/٣٤٢ الترجمة رقم ٢١٧١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

ابن قاج الوراق

هو أحمد بن قاج بن عبدالله، كنيته أبوالحسن الوراق[1]. كان من أكثر الناس سماعاً وأوسعهم كتاباً، كتب المصنفات الطوال والكتب الكبار ـ كما يقول الخطيب البغدادي[2].

ولد في المحرم من سنة ٢٨٤هـ، وتوفي يوم الفطر من سنة ٣٥٣هـ[3].

نقلت المصادر عنه بأنه كان كثير السماع، جيّد النقل، ولم يحدّث إلاّ بالشيء اليسير، قال الخطيب: رأيته ولم أسمع منه[4].

احتك بعلماء الحديث في بغداد، وسمع إبراهيم بن هاشم البغوي، وهارون بن علي المزوّق زنجويه، وأحمد بن القطان، وإبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم المخرمي، وعلي بن إسحاق بن زاطيا، ومحمد بن جرير الطبري، ومحمد بن محمد الباغندي، وإبراهيم بن محمد الخنازيري، وابن أبي داود السجستاني، ومحمد بن حمدان الطرائفي، وأحمد بن محمد بن مسعدة الفزاري، وأبا مزاحم الخاقاني، ومن في طبقتهم وبعدهم، روى عنه الدارقطني، وعبدالله بن عثمان بن يحيى، وأبوالحسن بن رزقويه[5] وكان من الثقاة في الحديث.

جاء اسمه في سند الحديث عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤] قال: الخط[6].

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٥٥ الترجمة رقم ٢٢٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

قال الخطيب البغدادي: حدّثني عبيدالله بن أبي الفتح، قال: سمعت أباعبدالله بن بكير غير مرّة يذكر أن أحمد بن قاج الوراق ورث ثمانمائة دينار، أو سبعمائة، فاشترى بجميعها كاغداً في صفقة واحدة، ومكث سنين كثيرة يكتب في الحديث(١).

ابن ملوك الوراق

هو أبوالمواهب أحمد بن محمد بن عبدالملك بن ملوك البغدادي الوراق(٢). كان من شيوخ الحديث اتخذه علماً له، والوراقة صنعة ومعاشًا، وهو بغدادي الأصل. توفي ببغداد سنة ٥٢٥هـ وله ٨٥ سنة كما يقول الذهبي(٣). وعلى هذا الأساس تكون ولادته سنة ٤٤٠هـ، سمع القاضي أبا الطيب الطبري وأبا محمد الجوهري، وحدث عنه أبوالقاسم بن عساكر وعبدالخالق بن هبة الله البندار، وعمر بن طبرزد وجماعة آخرون، وكان عنده جزء الغطريفي(٤).

ابن يزيد الورّاق

هو أحمد بن محمد بن إسحاق بن يزيد، كنيته أبوبكر، كان وراقاً لابن أبي الدنيا(٥).

لم يشر الخطيب إلى تاريخ ولادته أو وفاته، بل ذكر أنه حدّث عن إسحاق ابن حاتم العلاف، وحميد بن الربيع، ومحمد بن عبدالملك بن زنجويه، وأحمد

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨٦ ـ ترجمة رقم ٢٣٥٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر ـ والغطريفي ـ هو الحافظ محمد بن أحمد بن الحسين الغطريفي. ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٥٤ ترجمة رقم ٢٥٣.

(٥) تاريخ بغداد ٤/ ٢٩١ الترجمة رقم ٢٢٧٩.

ابن عبدالله الكوفي، وأبي بكر بن أبي الدنيا وغيرهم، روى عنه محمد بن علي بن حبيش الناقد، ومحمد بن خلف بن حيان الخلال، وابن لؤلؤ الورّاق[١].

نقل عنه حديث أدبي نقله عن عبدالرحمن مؤذن المأمون، جاء فيه شعر جميل هو[٢]:

الناس في صور التمثال أكفاء ... أبوهمُ آدمُ والأمُّ حـــواءُ

فإن يكن منهم في أصله شرف ... يفاخرون به فالطين والماء

ما الفضل إلاّ لأهل العِلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاّء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

أبوجعفر القراطيسي الوراق[٣]

هو أحمد بن محمد بن الحسين، وكنيته أبوجعفر القراطيسي[٤]، بغدادي الأصل والسكن، لم يتوقف الخطيب عند مولده ووفاته، بل أشار إلى أنه حدّث عن هناد بن السري، وأبي همام بن شجاع. روى عنه عبدالصمد بن علي الطستي، وأبوبكر الإسماعيلي الجرجاني[٥].

ورد اسمه في إسناد الحديث المروي عن ابن عباس: أن النبي ﷺ لما جاء إلى أبي بكر وهو يصلي، أخذ من حيث بلغ أبوبكر من القراءة[٦].

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) القراطيسي ـ بفتح القاف والراء المهملة وكسر الطاء ـ هذه النسبة إلى عمل القراطيس وبيعها، كما يقول السمعاني في الأنساب ١٠/ ٨٣ـ٨٤ مادة القراطيس ـ وهذه النسبة تنطبق على الوراقين، وفق تصنيفاتهم، لذلك أردفنا هذه الترجمة لهذا الوراق.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ٤٣٠ الترجمة رقم ٢٢٣١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

ابن عبدالخالق الوراق

هو أحمد بن محمد بن عبدالخالق، كنيته أبوبكر الوراق(١). كان واحداً من الثقاة المعروفين بالخير والصلاح والثقة، واختص بالوراقة لأبي همام(٢).

توفي سنة ٣٠٩هـ(٣).

عاش في بغداد، وتعلم الحديث ومارس مهنة الوراقة فيها، وسمع أبا همام الوليد بن شجاع، وإبراهيم بن سعيد الجوهري، ومحمد بن زنبور المكّي،وهارون بن عبدالله البزاز، والحسن بن يزيد المؤذن وغيرهم. روى عنه أحمد بن جعفر بن مسلم، وعلي بن محمد بن لؤلؤ بن المظفر وغيرهما(٤).

قال هو عن نفسه: كانت لي بنت لها نحو عشر سنين مبتلاة، وكنت أتمنى موتها، فماتت. قال: فرأيتها في النوم، وكأن القيامة قد قامت، وكأن صبياناً يأخذون بأيدي آبائهم فيدخلونهم الجنة، فقلت لبنتي: خذي بيدي أدخليني الجنة، قال: فقالت لي: لا أنت كنت تتمنى موتي(٥).

أبوالفضل الورّاق

هو أحمد بن محمد بن علي بن سعد، كنيته أبوالفضل الوراق(٦).

لم تذكر المصادر تاريخ ولادته ولا وفاته، بل أشارت إلى أنه حدّث عن إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد الختلي، روى عنه عبدالله بن عدي الجرجاني، وذكر أنه سمع منه بسرّ من رأى(٧).

---

(١) تاريخ بغداد ٥/٥٦-٥٧ الترجمة رقم ٢٤٢٢.

(٢) المصدر السابق ٥/٥٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق ٥/٦٨.

(٧) المصدر السابق.

ابن توتو الوراق

هو أحمد بن محمد بن يعقوب بن عبدالله، كنيته أبوالحسين الوراق البغدادي، المعروف بابن توتو[١].

بغدادي الأصل، اشتغل بمهنة الوراقة، واختص بوراقة الأحاديث والتفرغ لها، وحسب عادة الأوائل في طلب الحديث، فإنه شدّ الرحال إلى دمشق، وحدّث بها عن محمد بن أحمد بن هارون العسكري، وجعفر بن محمد بن نصير الخالدي، روى عنه تمام بن محمد بن عبدالله الرازي[٢].

لم يذكر الخطيب تاريخ ولادته أو وفاته، ولم يخبرنا هل استقر به المقام في دمشق، أم أنه عاد إلى بغداد[٣].

ابن ميدان الوراق

هو أحمد بن محمد بن يعقوب بن عبدالله بن ميدان، كنيته أبوبكر الوراق الفارسي[٤].

نقل الخطيب أنه توفي سنة ٣٩٠هـ[٥] ولم يذكر تاريخ ولادته، نظراً لكونه فارسي الأصل، وهذا يعني أنه من الوافدين على بغداد والمقيمين فيها، وبها كانت وفاته. ونزل في قطيعة الربيع وهي إحدى المحال المعروفة ببغداد.

أخذ عليه ضعف الرواية التي يتحدث بها، قال الخطيب: حدّثني أحمد ابن علي المحتسب، قال: أخبرنا محمد بن أبي الفوارس، قال: كان أبوبكر

---

(١) تاريخ بغداد ١٢٦/٥ الترجمة رقم ٢٥٤٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ١٢٦/٥-١٢٧ الترجمة رقم ٢٥٥٠.

(٥) المصدر السابق ١٢٧/٥.

الفارسي الوراق ضعيفاً جداً فيما يدعي عن ابن منيع، وكان سماعه من المتأخرين لا بأس به، وأضاف: وكان رديء المذهب أيضاً[1]، فيما أثنى عليه العتيقي بقوله: كان ثقة[2].

ورد اسمه في سند حديث تواتر نقله عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين»[3].

النوشري الوراق

هو أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم، كنيته أبوبكر الوراق المعروف بالنوشري[4].

واحد من ثقاة المحدثين، ولد ببغداد سنة ٣٠٨هـ كما يذكر هو ذلك[5]، فيما ذكر ابن حسنون النرسي، أن وفاته كانت يوم الأحد ودفن يوم الاثنين من نصف المحرم سنة ٣٨٨هـ[6].

تتلمذ على يد الكبار من علماء الحديث، واختص به وراقة وعلماً، فقد سمع يحيى بن محمد بن صاعد، وأحمد بن سليمان الطوسي، وإبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، وأحمد بن علي بن العلاء الجوزجاني، والحسين بن إسماعيل المحاملي، ومحمد بن مخلد الدوري، ومن في طبقتهم[7].

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ١٥٥ الترجمة رقم ٢٥٩٤.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

البجلي الوراق

هو أحمد بن نصر بن حمّاد بن عجلان، المكنى بأبي جعفر البجلي الوراق.[1]

توفي سنة ٢٧٠هـ[2]، وقد كانت إقامته في بغداد، وبها تعلم الحديث، ودرسه على يد الشيوخ الكبار، قال الخطيب: حدّث عن أبيه، وعن بشر بن الحارث، روى عنه محمد بن مخلد الدوري، وعبيدالله بن عبدالرحمن السكري، إلاّ أن عبيد الله سمّاه محمداً[3].

ورد اسمه في متن إسناد حديث مروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يترك الله أحداً يوم الجمعة إلاّ غفر له»[4].

ابن الخليل الوراق

هو أحمد بن يونس بن بكر بن الخليل، كنيته أبوبكر الوراق[5] هكذا نسبهُ أبوبكر الشافعي في بعض رواياته عنه، كما يقول الخطيب[6]، وروى عنه عبدالصمد بن الطستي، والشافعي أيضاً[7].

ولم يزد في الترجمة على ذلك.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٨٠ـ١٨١ الترجمة رقم ٢٦٢٤.

(٢) المصدر السابق ٥/ ١٨١.

(٣) المصدر السابق ٥/ ١٨٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ بغداد ٥/ ٢٢٤ الترجمة رقم ٢٧٠٠.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

ابن العباس الوراق

هو إسماعيل بن العباس بن عمر بن مهران بن فيروز بن سعيد، كنيته أبوعلي الوراق[1].

ولد سنة ٢٤٠هـ، ومات وهو في طريق عودته من الحج إلى بغداد، فحمل من هناك ودفن في بغداد سنة ٣٢٣هـ[2].

كان واحداً من ثقات علوم الحديث، ومشهوراً بين المحدثين، قال الخطيب: حدّثني الحسن بن أبي طالب، أن يوسف بن عمر القواس ذكره في جملة شيوخه الثقات[3].

سمع إسحاق بن إبراهيم البغوي، والزبير بن بكار، والحسن بن عرفة، وبشر بن مطر وعمر بن شبة، وعلي بن حرب، وأحمد بن منصور الرمادي، ومحمد بن عبدالملك بن زنجويه، وإبراهيم بن هاني، وخلقاً من هذه الطبقة[4] وهؤلاء من المشهورين بالحديث.

كما أن الذين سمعوا منه أو رووا عنه بنفس شهرة الذين أخذ عنهم أو سمع منهم، يقول الخطيب: روى عنه ابنه محمد، وأبوالحسن الدارقطني، وأبوحفص بن شاهين، ويوسف القواس، وأبوطاهر المخلص، وأبوحفص الكتاني وغيرهم.[5]

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٣٣٠ الترجمة رقم ٣٣٣٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

ابن معبد الورّاق

هو جعفر بن أحمد بن معبد الوراق[1] ورّاق بغدادي، تعاطى المهنة عن علم ودراية بالحديث وعلومه، وزادته اتساعاً وفطنة، فقد صاحب وساير أكابر المحدثين وحدّث عنهم.

سكن بغداد وبها عاش وتوفي سنة ٢٨٠هـ.[2] سمع الحديث من جل العلماء، وحدّث عن عاصم بن علي، ومسدد، ومحمد بن الصباح الدولابي، وعبيدالله القواريري، وحاجب بن الوليد، وروى عنه محمد بن مخلد، وأبوعمرو بن السماك، وعبدالصمد الطستي، وأبوبكر الشافعي.[3]

جاء اسمه في سند حديث مروي عن بلال، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بصلاة الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهي تكفير للسيئات منهاة عن الإثم، مطهرة للداء عن الحسد»[4].

الوراق الواسطي

هو جعفر بن محمد الوراق الواسطي[5]. واحد من علماء الحديث البغداديين، أصله من واسط، واستقر به المقام في بغداد، فاختلط بعلمائها المحدثين، وأخذ عنهم الحديث سماعاً وتدويناً، وتعاطى الوراقة في هذا العلم، وصف بأنه كان ثقة[6].

حدّث ببغداد عن عبيد الطنافسي، وخالد بن مخلد القطواني، وعثمان

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٨٧ الترجمة رقم ٣٦٣٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ١٧٩ الترجمة رقم ٢٦٢٥.

(٦) المصدر السابق ٧/ ١٨٠.

ابن الهيثم المؤذن، وعامر بن أبي الحسين، ومحمد بن حماد الضرير، وعون بن سلام الكوفي، والمثنى بن معاذ العنبري، وروى عنه أبوبكر بن أبي داود السجستاني، والقاضي المحاملي، وإبراهيم بن محمد نفطويه النحوي، ومحمد ابن مخلد الدوري، وإسماعيل بن محمد الصفار(١).

ورد اسمه في سياق سند حديثين، الأول عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من قول لاحول ولاقوة إلاّ بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة». والثاني عن ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «من أكل مع قوم تمراً، فأراد أن يقرن فليستأذنهم»(٢).

قال الخطيب: قرأت كتاب محمد بن مخلد ـ بخطه ـ سنة خمس وستين ومائتين مات فيها جعفر بن محمد الوراق الواسطي المفلوج في شهر ربيع الأول(٣).

جعفر الوراق

هو جعفر بن محمد. كنيته أبومحمد الوراق(٤)، كان مصاحباً لأبي عبيد القاسم بن سلاّم. تعاطى الحديث، واشتغل بالوراقة في العلم نفسه، وحصر اهتمامه فيه، مات في سنة ٢٧١هـ كما يقول ابن مخلد(٥).

روى عنه محمد بن مخلد وغيره، ولم يطل الخطيب في ترجمته(٦).

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١٧٩.

(٢) المصدر السابق ٧/ ١٨٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ١٨٠ الترجمة رقم ٣٦٢٧.

(٥) المصدر السابق ٣/ ١٨١.

(٦) المصدر السابق.

المؤدب البلخي الوراق

هو جعفر بن محمد بن علي، يكنى بأبي القاسم الوراق، ثم المؤدب البلخي[1]. أصله من مدينة بلخ بخراسان، وسكن بغداد، وتأدب بها واكتسب المعارف والعلوم، واستهوته علوم الحديث، فتفرغ لها، وأوقف عمله في الوراقة على الحديث.

توفي سنة ٢٨٣هـ[2] في بغداد، بعد أن عاش بها، وسمع أجلَّة الشيوخ والمحدثين، وحدّث ببغداد عن سهل بن عثمان العسكري، ومحمد بن حميد الرازي، وروى عنه محمد بن مخلد، وعبدالصمد الطستي، وذكر الطسْتي أنه سمع منه في قنطرة البردان[3].

الوراق الحنبلي

هو الحسن بن حامد بن علي بن مروان، كنيته أبوعبدالله الوراق الحنبلي، قال الخطيب البغدادي: قال لي أبويعلى بن الفرّاء: كان مدرس أصحاب أحمد (بن حنبل)[4] وفقيههم في زمانه، بغدادي المولد والمنشأ، واحد من أكابر العلماء، حنبلي المذهب، كما هو واضح، تخصص كلياً لعلوم الحديث والفقه والسنة، وعرف بهذه العلوم في الأوساط العلمية ببغداد وغيرها.

توفي بطريق مكة، وهو قاصدها سنة ٤٠٣هـ بقرب واقصة[5].

أهله تخصصه المعرفي بعلوم الحديث والسنّة لأن يكون مؤلفاً بارزاً، فقد

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١٩٠ الترجمة رقم ٣٦٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نفسه ـ وقنطرة البردان = محلة ببغداد معروفة، بناها رجل يقال له السري بن الحطم صاحب الحطمية قرية قرب بغداد ـ انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٠٥ ـ مادة ـ قنطرة.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٣ الترجمة رقم ١٣٨١٦.

(٥) المصدر السابق.

ترك لأصحابه مصنفات عظيمة منها:[1]

١ ـ كتاب الجامع ـ أربعمائة جزء ـ تشتمل على اختلاف الفقهاء.

٢ ـ مصنفات في أصول السنة وأصول الفقه.

كان معظماً في النفوس، متقدماً عند السلطان والعامة[2].

كان من رجال سند حديث مروي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته»[3].

ابن الهرش الوراق

هو الحسن بن سعيد بن الحسن بن يوسف بن عبدالرحمن، كنيته أبوالقاسم الوراق يعرف بابن الهرش[4]، قال الخطيب: هو مروزي[5] الأصل[6]، سكن بغداد، وتعرّف إلى أهلها واستوطنها، وبها مات سنة ٣٢٣هـ[7].

حدّث عن إسحاق بن إبراهيم البغوي، وإبراهيم بن هاني النيسابوري، ومحمد بن عبدالملك بن زنجويه.

وروى عنه أبوالحسن الدارقطني، وأبوحفص بن شاهين، وأبوالقاسم بن الثلاّج، وكان ثقة[8].

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣٢٦ الترجمة رقم ٣٨٣٨.

(٥) مروزي ـ نسبة إلى مرو الروز ـ راجع: معجم البلدان ٥/ ١١٢ مادة ـ مرو.

(٦) تاريخ بغداد ٧/ ٣٢٧.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

ابن الخطّاب الوراق

هو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن الخطاب بن جبير الوراق[1].

واحد من ثقات الحـديث ببغداد ومن المشتغلين به وراقـة وعلماً، حدّث عن محمد بن عـثمان بن أبي شيبة وإبراهيم بن شريك الكوفـيين، ومحمد بن محمد الباغندي.[2] أهملت المصادر تاريخ ولادته ووفاته[3].

ورد اسمـه في سند حديث روي عن عطية عن جـابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مكتوب على باب الجنة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، علي أخو رسول الله، قبل أن تخلق السموات والأرض بألفي عام»[4].

ابن زكويه الورّاق

هو الحسن بن علي بن عبدالله بن حمّاد بن زكويه، كنيته أبوسعيد الوراق.[5]

لم يتوقف الخطيب عنده طويلاً، قال عنه: ذكر ابن الثلاّج أنه حدّثه عن يحيى بن هارون الهوازي[6].

ابن حمّاد الوراق

هو الحسن بن علي بن حمّاد الوراق، حدّث عن إسحاق بن داود بن سليمان.

روى عنه أبوحفص بن شاهين.[7] بهذه الترجمة القـصيرة ذكره الخطيب البغدادي.

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٨٧ الترجمة رقم ٣٩١٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٣٨٦ الترجمة رقم ٣٩١٤.

(٦) المصدر السابق.

(٧) تاريخ بغداد ٧/ ٣٨٦ الترجمة رقم ٣٩١٥.

أبوعلي الوراق

هو الحسين بن جعفر بن محمد، كنيته أبوعلي الوراق[1]، واحد من المشتغلين بالوراقة والمختصين بعلوم الحديث، لم يذكر الخطيب تاريخ مولده ووفاته، بل أشار إلى أنه حدّث عن الهيثم بن سهل التستري، روى عنه يوسف ابن عمر القواس، ونقل خبراً عن أبي بشر بن سهل التستري، قال: رأيت حماد بن زيد راكباً على حمار، فلما جاء مار مار رويدا[2] قام إليه شاب يقال له عمارة القرشي ليأخذ من كتابه، فقال له: مَهْ. قال: سبحان الله، تنفّس علي بالأجر قال: (لأحدثنك، فقال عمارة: حدثني والدي قال: حدثني والدي عن جدي عن النبي ﷺ، قال: «ثلاثة لايستخف بهم إلاّ منافق بين نفاقه، ذو شيبة في الإسلام، ومعلم الخير، وإمام عادل»[3].

العنبري الوراق

هو الحسين بن جعفر بن محمد بن حمدان بن المهلب، كنيته أبوعبدالله العنبري، الفقيه الوراق الجرجاني[4].

أصله من جرجان، وقدم بغداد، وجال الأمصار الإسلامية كخراسان والشام ومصر، وحدّث بها[5].

يظهر أنه استوطن بغداد، رغم أن المصادر لم تذكر ذلك، سوى أن الخطيب البغدادي ذكر أن التنوخي (علي بن المحسن) حدّثه، وذكر له أنه سمع من العنبري الوراق ببغداد في سنة ٣٧٤هـ[6].

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٢٧ الترجمة رقم ٤٠٧٤.

(٢) هكذا وردت ـ راجع تعليقات الناشر على هامش الصفحة بترجمة المومى إليه، نفس المصدر.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٢٧ الترجمة رقم ٤٠٧٦

(٥) المصدر السابق ٨/ ٢٧ـ٢٨.

(٦) المصدر السابق ٨/ ٢٨.

ولم ترد أي إشارة أخرى إلى تاريخ وفاته والمكان الذي مات فيه.

تعاطى الوراقة لأجل علوم الحديث، وحدّث ببغداد عن أحمد بن محمد ابن مالك، ومحمد بن الحسن بن سيرونه، ومحمد بن حمدون المستملي، وإسحاق بن إبراهيم البحترث، وأحمد بن محمد الصارم الجرجانيين، ومحمد ابن يعقوب الأخرم، ومحمد بن القاسم العتكي النيسابوريين، وعن غيرهم من الخرسانيين ومن أهل الشام ومصر(١).

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ليس الخبر كالمعاينة»(٢).

السمرقندي الوراق

هو الحسين بن عبدالله بن شاكر، كنيته أبوعلي السمرقندي(٣). أصله من سمرقند وسكن بغداد، وبها عاش وتوفي سنة ٢٨٣هـ(٤)، خالط أهل بغداد من علماء الحديث، واختص بالوراقة لداود بن علي الأصبهاني، الفقيه الظاهري، قال عنه نقاد الحديث: إنه كان فاضلاً ثقة، كثير الحديث، حسن الرواية.

حدث عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، ومحمد بن مهران الجمال، ومحمد بن رمح المصري، وأحمد بن محمد عون القواس المقرئ المكي، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، وأبي حمة محمد بن يوسف اليماني، وأحمد بن حفص بن عبدالله النيسابوري.

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ بغداد ٨/٥٨ الترجمة رقم ٤١٣١.

(٤) المصدر السابق ٨/٥٨ ـ ٥٩.

روى عنه محمد بن محمد بن سليمان الباغندي، ومحمد بن مخلد الدوري، وأبوبكر الشافعي(١)، ورد اسمه في سند الحديث المروي عن الزهري، قال: حدثني عباد بن تميم عن أبيه، قال: «رأيت رسول الله ﷺ مستلقياً على ظهره، رافعاً إحدى رجليه على الأخرى»(٢).

النهشلي الوراق البصري

هو حماد بن الحسن بن عنبسة، كنيته أبوعبدالله النهشلي الوراق البصري(٣).

أصله من البصرة، وعلق نسبه بها، سكن سرّ مَن رأى، وتعاطى علوم الحديث علماً ووراقةً، واحتك بالعلماء الكبار في بغداد وسامراء، قالت المصادر عنه: إنه ثقة صدوق أمين، مات في سنة ٢٦٦هـ(٤).

حدّث بسامراء عن أزهر بن سعد السمان، ومحمد بن بكر البرساني، وعمر بن حبيب العدوي، وأبي داود الطيالسي، وأبي بكر الحنفي، وحماد بن مسعدة، وأبي عامر العقدي، وروح بن عبادة، وأبي عاصم النبيل، وأبي حذيفة النهدي. وروى عنه موسى بن هارون، ويحيى بن صاعد، وأبو بكر النيسابوري، ومحمد بن أحمد بن أبي الثلج، ومحمد بن مخلد، ومحمد بن جعفر المطيري، وقال ابن أبي حاتم: سمعت منه بسامراء وهو صدوق ثقة(٥).

ورد اسمه في سند حديث مروي عن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه»(٦).

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق ٨/٥٩.

(٣) تاريخ بغداد ٨/١٥٨ الترجمة رقم ٤٢٦١.

(٤) المصدر السابق ٨/١٥٨ـ١٥٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

الوراق الكوفي

هو سعيد بن محمد، كنيته أبوالحسن الوراق الكوفي[١].

كوفي الأصل والمولد، سكن بغداد وعاش بها، وبها مات، ولم تشر المصادر إلى سنة وفاته[٢].

تظهر الأحاديث النبوية التي يرويها بأنه شيعي الهوى، منحاز لهم، لذلك ضعّفه المحدثون الكبار، واعتبروه غير ثقة، وليس بشيء، وضعيف إلخ[٣].

مارس الوراقة، وبها عرف، وتعاطى علوم الحديث ببغداد، وبها حدّث عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وعلي بن الحزوّر، ومحمد بن عمر، وفضيل ابن مرزوق، وغيرهم.

روى عنه أحمد بن حنبل، وإبراهيم بن سعيد الجوهري، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، والحسن بن عرفة، وغيرهم[٤].

ورد اسمه في إسناد حديث رواه عنه أحمد بن حنبل متناقلاً عن أبي مريم الثقفي، يقول: سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «يا علي طوبى لمن أحبّك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك»[٥].

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ٧١-٧٣ الترجمة رقم ٤٦٥٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٩/ ٧١-٧٢.

(٤) المصدر السابق ٩/ ٧١.

(٥) المصدر السابق ٩/ ٧٢.

سلم بن إبراهيم الوراق[1]

ورّاق ومحدّث، عاش في بغداد، واختلط بشيوخها، حدّث عن عكرمة ابن عمار، وأبان بن يزيد العطار، ومبارك بن فضالة، وسعيد بن محمد الزهري، وروى عنه محمد بن إسحاق بن صالح الوزان، والحسن بن داود بن مهران المؤدب، ومحمد بن غالب التمتام، وقال ابن أبي حاتم الرازي: سمع منه أبي ببغداد في الرحلة الأولى.[2]

لم يشر الخطيب إلى تاريخ ولادته ووفاته، بل نقل عن المحدثين والحفاظ رأيهم فيه، فقد وصفه يحيى بن معين بأنه كذاب ولم يرض عنه، وتكلم فيه[3]، بالرغم من أن الذين أخذوا منه ليسوا قليلي الشأن.

ورد اسمه في سند حديث عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسنوا إلى الماعز، وامسحوا عنها الرغام، فإنها من دواب الجنة، ما من نبي إلاّ وقد رعى. قالوا: وأنت؟ قال: وأنا قد رعيت الغنم»[4].

الواعظ الورّاق

هو شجاع بن جعفر بن أحمد بن خالد، كنيته أبوالفوارس الوراق الواعظ، كان يزعم أنه من ولد أبي أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ[5].

لم تشر المصادر إلى تاريخ ولادته، بل أشارت إلى أنه توفي سنة ٣٥٣هـ[6]، وذكرت أنه حدّث عن عباس بن محمد الدوري، ومحمد بن

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٤٥ الترجمة رقم ٤٧٥٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٣ الترجمة رقم ٤٨١٩.

(٦) المصدر السابق ٩/ ٢٥٤.

إسحاق الصاغاني، وعبدالله بن حبيب المكي، ومحمد بن عبيدالله بن المنادي وغيرهم، وروى عنه أبوحفص الكتاني وغيره.(١)

ورد اسمه في سند حديث مروي عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللهﷺ: «سبعة يُظِلّهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلاّ ظله، إمام مقسط..» وذكر تَمامَ الحديث، قال أبو الفوارس: ليس عندي عن عباس غير هذا الحديث، إنما حفظته في صغري(٢). كما رويت عنه أسانيد أخر لأحاديث نبوية(٣).

مغلى الورّاق

هو الطيب بن علي، وكنيته أبوالقاسم التميمي الوراق الملّقب بمغلى.(٤)

سكت الخطيب عن ذكر تاريخ ولادته ووفاته، وقال عنه: سمع محمد ابن جعفر النوفلي، وأباعبدالله نفطويه وغيرهما. روى عنه أبوبكر بن هاذان، وأبوعبيدالله المرزباني(٥)، نقل عنه بتواتر مسند عن الأصمعي، قال: خطبنا أعرابي بالبادية، فحمد الله وأثنى عليه، ووحّده واستغفره، وصلّى على نبيه، فبلّغ في إيجاز، ثم قال: "أيها الناس، إن الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار، فخذوا لمقركم من ممركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، في الدنيا أنتم ولغيرها خلقتم، أقول قولي هذا وأستغفر الله، والمصلى عليه رسول الله ﷺ، والمدعو له الخليفة والأمير جعفر بن سليمان"(٦).

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجعها في نفس المكان من المصدر المذكور.

(٤) تاريخ بغداد ٩/٣٦٣ الترجمة رقم ٤٩٢٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

ابن غالب الوراق

هو العباس بن غالب الوراق[1]. نشأ ببغداد، وتعلم بها علوم الحديث، واختلط بالعلماء وأخذ عنهم، وقد عده المؤرخون والعلماء ثقة[2].

تعاطى علوم الحديث والوراقة، ولازم أهله في بغداد حتى سنة ٢٣٣هـ[3].

لازم وكيعاً، وسمع منه الحديث حتى إنه لما مات كان عنده لوكيع (كتاب المصنّف)[4] وهذا الأمر يوضح مدى الملازمة من الطرفين. وروى عنه محمد بن إسحاق الصاغاني، ومحمد بن عبدك القزاز، ويزيد بن الهيثم، وأحمد بن بشر المرثدي.

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن سمرة: أن النبي محمد ﷺ كان يقرأ في العيدين: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١][5].

عبدالله الوراق

هو عبدالله بن أبي سعيد، كنيته أبوبكر الوراق[6]. حدّث عن محمد بن أحمد بن عثمان بن العنبر المروزي، وعمر بن جعفر البصري. قال الخطيب: حدّثنا عنه محمد بن عمر بن بكير المقرئ، كان يفهم ويحفظ[7] ولم يضف شيئاً آخر لترجمته.

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/١٣٦ الترجمة رقم ٦٥٨٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تاريخ بغداد ٩/٤٧٣ الترجمة رقم ٥١٠٤.

(٧) المصدر السابق.

أبومحمد الوراق

هو عبدالله بن الفضل بن جعفر، كنيته أبومحمد الوراق.[1] كان من أهل دير العاقول ونزل ببغداد، واشتغل بالوراقة وعلوم الحديث، وكان يورق لعبدالكريم بن الهيثم.

لم يذكر الخطيب تاريخ ولادته ووفاته، بل ذكر أنه حدث ببغداد عن علي بن داوود القنطري، وأبي البختري عبدالله بن محمد بن شاكر، وأبي عوف البزوري، والحسين بن محمد بن أبي معشر، وعلي بن سهيل بن المغيرة، وعبدالكريم بن الهيثم، وغيرهم أحاديث مستقيمة. روى عنه موسى بن عيسى ابن عبدالله السراج، وأبوقاسم بن الثلاج، وأحمد بن الفرج بن الحجاج[2].

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن فاطمة ابنة علي، قالت: حدثتني أسماء ابنة عميس أنها سمعت النبي ﷺ يقول لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي». لفظ حديث أبي البختري، ذكر ابن الثلاج أنه سمع من هذا الشيخ في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة في سوق السلاح[3].

الوراق الحربي

هو عبدالله بن محمد بن سهل، كنيته أبومحمد الوراق الحربي[4]، حدّث عن زياد بن أيوب الطوسي، روى عنه ابن المنادي في كتاب الملاحم[5]، ولم يزد الخطيب على ذلك.

---

(١) تاريخ بغداد ٤٣/١٠ الترجمة رقم ٥١٧١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ١٠٧/١٠ الترجمة رقم ٥٢٣٠.

(٥) المصدر السابق.

البغوي الورّاق

هو عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه، كنيته أبوالقاسم ابن بنت أحمد بن منيع[1]، ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ، وقيل: ٢١٤هـ، وهو بغوي الأصل[2]. واحد من كبار المحدثين في بغداد، سمع من يحيى بن معين، ورأى أباعبيد ولم يسمع منه.

عمّر طويلاً، فقد عاش ١٠٣ سنوات، وتوفي سنّة ٣١٧هـ، ودفن في مقبرة باب التين ببغداد، ومات وهو صحيح السمع والبصر والأسنان،ويطأ الإماء[3].

يقول هو عن نفسه: قرأت بخط جدّي أحمد بن منيع: ولد أبوالقاسم ابن بنتي يوم الاثنين (في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائتين)، وأوّل ماكتبت الحديث سنة خمس وعشرين ومائتين عن إسحاق بن إسماعيل الطالقاني[4].

سمع ابن الجعد، وخلف بن هشام البزاز، ومحمد بن عبدالوهاب الحارثي، وأبا الأحوص، وآخرين كبار، وكان ثقةً ثبتاً، مكثراً فهماً عارفاً[5].

قال عنه ابن خلاّد: لا يعرف في الإسلام محدّث وازى عبدالله بن محمد البغوي في قدم السماع[6].

اجتاز أبوالقاسم البغوي بنهر طابق على باب مسجد، فسمع صوت مستمل، فقال: من هذا؟ فقالوا: ابن صاعد، فقال: ذاك الصبي؟ فقالوا: نعم،

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٦/ ٢٢٧ـ٢٣٠ الترجمة رقم ٣٦١.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٢٢٧.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٢٣٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق ٦/ ٢٢٨.

فقال: والله لا أبرح من موضعي حتى أملي من هاهنا، فصعد الدكّة وجلس، ورآه أصحاب الحديث، فقاموا وتركوا ابن صاعد، ثم قال: حدثنا أحمد بن حنبل الشيباني، قبل أن يولد المحدثون، حدثنا طالوت بن عباد، قبل أن يولد المحدثون، حدثنا أبونصر التمّار، قبل أن يولد المحدثون، فأملى ستة عشر حديثاً، عن ستة عشر شيخاً، ما كان في الدنيا من يروي عنهم غيره[1].

قال أبوأحمد عبدالله بن عدي الجرجاني: كان أبوالقاسم عبدالله بن محمد البغوي وراقاً في ابتداء عمره يورّق على جدّه وعمّه وغيرهما[2].

من مواقفه المعرفية في الحديث أنه أغفل أحد أسماء أسانيده، وأسنده إلى غيره، فشنّع عليه الورّاقون أصحاب الحديث، فاعتذر عنه وصحّحه، وفق الرواية التالية التي نقلها ابن الجوزي، قال: أخبرنا أبومنصور القزاز، أخبرنا أحمد بن عليّ بن ثابت، قال: حدّثني العلاء بن أبي المغيرة الأندلسي، أخبرنا علي بن بقاء الوراق، أخبرنا عبدالغني بن سعيد الأزدي، قال: سألت أبابكر محمد بن علي النقاش: تحفظ شيئاً مما أخذ على ابن بنت أحمد بن منيع؟ فقال لي: كان غلط في حديث عن محمد بن عبدالوهاب عن شهاب، عن أبي إسحاق الشيباني، عن نافع، عن ابن عمر، فحدّث به عن محمد بن عبدالوهاب، وإنما سمعه من إبراهيم بن هاني عن محمد بن عبدالوهاب، فأخذه عبدالحميد الورّاق بلسانه ودار على أصحاب الحديث، وبلغ ذلك أبا القاسم ابن بنت أحمد بن منيع، فخرج إلينا يوماً، فعرّفنا أنه غلط فيه، وأنه أراد أن يكتب: حدّثنا إبراهيم بن هاني، فمرّت يده على العادة، فرجع عنه، قال أبوبكر: ورأيت فيه الإنكار والغم، وكان ثقة رحمه الله[3].

---

(١) المنتظم ٦/٢٢٨.

(٢) المصدر السابق ٦/٢٢٩.

(٣) المصدر السابق ٦/٢٢٩ ـ ٢٣٠.

أبوالفضل الشيباني الوراق

هو عبدالمؤمن بن عبد الغالب بن محمد بن طاهر بن خليفة بن محمد ابن حمدان الشيباني، كنيته أبوالفضل الوراق[١].

ولد سنة ٥١٧هـ وتوفي ببغداد سنة ٥٩١هـ ودفن بباب حرب[٢]. كان من أهل النصرية ببغداد ـ الكرخ ـ ثم انتقل إلى الجانب الشرقي، الرصافة.

سمع أبابكر محمد بن عبدالباقي البزاز، وأباالحسن بن عبيدالله بن الزغواني، وأبا القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، وأبا الفضل محمد بن عمر الباغبان الأصبهاني وغيره، سمع منه الكثير.

ورد اسمه في مستهل سند حديث نبوي مروي عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قال. قلت: يارسول الله، أنصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تمنعه من الظلم، فذاك نصرك إياه»[٣].

الصيرفي الوراق

هو عبدالرحمن بن أبي العباس الأثرم ـ واسمه[٤] محمد بن أحمد بن أحمد بن حمّاد، وكنيته عبدالرحمن وأبو محمد الوراق، ويعرف بالصيرفي[٥].

نزل البصرة، وحدّث بها عن محمد بن جرير الطبري، روى عنه القاضي أبوعلي المحسن بن علي التنوخي[٦].

ولم يُضف الخطيب على ذلك في ترجمته.

---

(١) ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد، الترجمة رقم ٨٩ ـ طبعة حيدر أباد ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ ص ١٨٣.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٨٤.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٨٣ـ١٨٤.

(٤) هكذا أوردها الخطيب في ترجمته ـ تاريخ بغداد ١٠/ ٢٩٧ الترجمة رقم ٥٤٣٥.

(٥) المصدر السابق ـ نفس المكان.

(٦) المصدر السابق.

أبوالحسن الوراق البغدادي

هو عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن أحمد الوراق، كنيته أبوالحسن[١].

أصله من خراسان، ونشأ في بغداد، وتعلم بها مهنة الوراقة، ورحل عنها إلى مصر، ودخلها سنة ٣١٥هـ، واتخذها مسكناً له، وبها توفي سنة ٣٤٥هـ[٢].

ذكر ابن يونس في كتاب الغرباء، قيل عنه: كان يفهم الحديث، وكتب عنه شيئًا يسيراً مذاكرة، وكان يورق على جماعة من شيوخ مصر، وكان رجلاً صالحاً، وله عقب بمصر[٣].

عبدالملك بن الحسين الوراق

قال عنه ابن النجار: ذكر أبوطاهر أحمد بن الحسين الكرمي في تاريخه ـ ونقلته من خطه ـ أنه مات في يوم الجمعة لعشرين بقين من شهر رمضان سنة ٤٧٠هـ، ودفن من يومه بباب حرب[٤]. ولم يزد على ذلك شيئًا.

ابن أبي الفرج الوراق

هو عبدالواحد بن رضوان بن عبدالواحد بن شنيف بن أبي محمد بن أبي الفرج الوراق[٥].

كان من أهل دار القز ببغداد، سمع أبا الفتح مسعود بن محمد بن شنيف، وأخاه أبا الفضل أحمد بن محمد، ودهبل، ولاحق ابني علي بن

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/٤٥٥ـ٤٥٦ الترجمة رقم ٥٦٢٠.

(٢) المصدر السابق ١٠/٤٥٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ذيل تاريخ بغداد ١/٣٨.

(٥) المصدر السابق ١/٢٣٥ الترجمة رقم ١١٩.

منصور بن كارة.

قال ابن النجار: كتبت عنه، وكان حسن الأخلاق، لابأس به.[1]

ولد سنة ٥٤٩هـ وتوفي سنة ٦٣١هـ ودفن بباب حرب.[2]

ورد اسمه في سند حديث نبوي مروي عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي الركعتين قبل صلاة الفجر يخففهما حتى أقول: أقرأ فيهما بفاتحة الكتاب؟»[3].

ابن خميش الوراق

هو عبدالواحد بن علي بن محمد بن أحمد بن خميش، كنيته أبوالقاسم الوراق[4].

أحد المعروفين ببغداد بالحديث والوراقة، سمع البغوي وابن صاعد، قال الخطيب: كان ثقة.

ولد سنة ٢٨١هـ وتوفى سنة ٣٧٢هـ[5].

ابن نافع الورّاق

هو عبدالوهاب بن عبدالحكم ـ ويقال: ابن الحكم ـ بن نافع، كنيته أبوالحسن الوراق[6] بغدادي، من الجانب الغربي (الكرخ) وبه عاش، وحدّث وتعاطى الوراقة والحديث.

---

(١) ذيل تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق ١/٢٣٦.

(٣) المصدر السابق ١/١٣٦.

(٤) تاريخ بغداد ١١/٩ الترجمة رقم ٥٦٦٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق ١١/٢٥ـ٢٨ الترجمة رقم ٥٦٩٣.

كانت وفاته ببغداد سنة ٢٥١هـ ودفن بباب البردان[١].

وصفته المصادر بأنه كان من الرجال الصالحين والثقات في الحديث، تميّز منسكه الحياتي بالجدّ والرصانة، وعرف بين أصحاب الحديث وأهله بذلك.

سمع يحيى بن سليم الطائفي، وعبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي رواد، ومعاذ بن معاذ العنبري، وأنس بن عياض الليثي. وروى عنه ابنه الحسن، وأبوداود السجستاني، وأبوبكر بن أبي الدنيا. وأبوالقاسم البغوي، وعبدالله بن أبي داود، ويحيى بن صاعد، والقاضي المحاملي[٢]، ووصف بالزهد وبالورع.

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن أبي سلمة، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، المراء في القرآن كفر ـ ثلاث مرات ـ ماعرفتم منه فاعملوا به، وماجهلتم منه فردوه إلى عالمه»[٣].

نقل الخطيب البغدادي عنه، أنه حدّث الناس بأوقات يسيرة، وكان من الصالحين العقلاء. قال أبوبكر بن عبدالوهاب: كان أبي إذا وقعت منه قطعة فأكثر لا يأخذها ولا يأمر أحداً أن يأخذها، قال: فقلت له يوماً: يا أبت، الساعة سقطت منك هذه القطعة، فلم لا تأخذها؟ قال: قد رأيتها، ولكني لا أعوّد نفسي أخذ شيء من الأرض كان لي أو لغيري. قال ـ والكلام لابنه ـ: وكنت قد اعتزمت على الخروج إلى سرّ من رأى أيام المتوكل، فبلغه ذلك، فقال لي: ياحسن، ما هذا الذي بلغني عنك؟ فقلت: ياأبت، ما أريد بذلك إلاّ التجارة، فقال لي: إنك إن خرجت لم أكلمك أيضاً. قال الحسن ابنه: فلم أخرج وأطعته، فجلست، فرزقني الله بعد ذلك فأكثر وله الحمد[٤].

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٢٧.

(٢) المصدر السابق ١١/٢٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

ويحدث ابنه الحسن عن مسلكيته في بيته، يقول: مارأيت أبي ضاحكاً قط إلاّ مبتسماً، قال: ومارأيته مازحاً قط، ولقد رآني مرة وأنا أضحك مع أمي، فجعل يقول لي: «صاحب قرآن يضحك هذا الضحك» وإنما كنت مع أمي[1].

قال عنه المروزي: سمعت أبا عبدالله يقول: عبدالوهاب الوراق رجل صالح، مارأيت مثله موفقًا لإصابةِ الحق[2]، وقال المثنى بن جامع الأنباري: ذكرت عبدالوهاب لأحمد، فقال: إني لأدعو الله له، قال وروى لنا عن أحمد قال: ومن يقوى على ما يقوى عليه عبدالوهاب[3].

الوراق النيسابوري

هو عبيد بن محمد بن القاسم بن سليمان بن أبي مريم، كنيته أبومحمد الوراق النيسابوري[4].

أصله من نيسابور، جاء إلى بغداد وسكن بها، وتعاطى علوم الحديث والوراقة، وحدّث بها عن موسى بن هلال العبدي، وأبي النضر هاشم بن القاسم، والحسن بن موسى الأديب، وعبدالله بن يونس التنيسي، ويعقوب بن محمد الزهري، وبشر بن الحارث. وروى عنه أبوبكر بن أبي الدنيا، ومحمد ابن محمد الباغندي، والقاضيان أبوعبيد بن حربويه، وأبوعبدالله المحاملي، ومحمد بن مخلد، وكان ثقة[5].

قال الخطيب: أخبرنا السمسار، أخبرنا الصفار يحدثنا ابن قانع: أن عبيد ابن محمد الوراق مات في سنة ٢٥٥هـ[6].

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٢٦ـ٢٧.

(٢) المصدر السابق ١١/٢٧.

(٣) المصدر السابق ١٢/٢٧.

(٤) تاريخ بغداد ١١/٩٧ الترجمة رقم ٥٧٨٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

ابن أبي شملة الوراق

هو عثمان بن أحمد بن أبي شملة، الدينوري الوراق[١] أصله من دينور، قدم بغداد، وحدّث بها عن عبدالله بن حمدان الدنيوري روى عنه أحمد بن الفرج بن الحجاج، ولم يزد الخطيب في ترجمته عن ذلك[٢].

أبويعلى الورّاق

هو عثمان بن الحسن بن علي بن محمد بن عزرة بن ديلم، كنيته أبويعلى الوراق، ويعرف بالطوّسي[٣].

من الذين سكنوا بغداد واستوطنوها، توفي فيها سنة ٣٦٧هـ، كان صالح الأمر، كما يقول الخطيب البغدادي، فيما قاله عنه البرقاني: كان ذا معرفة وفضل، له تخريجات وجموع وهو ثقة[٤]. سمع جعفر بن محمد المغلّس، والحسين بن محمد بن عفير، وإسحاق بن إبراهيم بن الخليل الجلاب، وأحمد بن القاسم ـ أخا أبي الليث ـ وأباحامد محمد بن هارون الحضرمي، وأباالقاسم البغوي، وعبدالله بن أبي داود، وعبيد الله بن ثابت الحريري، وأحمد بن العباس البغوي، وأبابكر بن أبي شيبة البزاز[٥].

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللهﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء»[٦].

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٠٠ الترجمة رقم ٦٠٨٨.

(٢) المصدر السابق ٣٠١/١١.

(٣) تاريخ بغداد ٣٠٧/١١ الترجمة رقم ٦١٠٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

ابن جبريل الشمعي الوراق

هو عثمان بن محمد بن العباس بن جبريل، كنيته أبوعمرو الوراق، ويعرف بالشمعي(١).

لم يذكر تاريخ ولادته، وأشارت المصادر إلى تاريخ وفاته في سنة ٣٣٤هـ(٢).

حدّث عن أبي الأخرص محمد بن الهيثم القاصي. روى عنه ابن الثلاّج(٣).

ولم يزد الخطيب في ترجمته.

البيضاوي الوراق

هو علي بن إبراهيم بن أحمد بن الهيثم، كنيته أبوالحسين البيضاوي الوراق(٤).

سكن بغداد، وحدّث بها، وخالط ورّاقيها وعلماءها، واشتغل معهم، ولازم بغداد ولم يرحل عنها حتى وافاه الأجل فيها سنة ٣٩٧هـ(٥).

سمع الحديث، وحدّث عن أحمد بن عبدالرحمن بن الجارود الرقي، وأبي القاسم الطبراني، وأبي الطوماري، تحدّثت عنه المصادر ورجالات الحديث، ووصفته بأنه كان ثقة، مأمونًا، وحدّث بالشيء اليسير(٦).

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٠١ الترجمة رقم ٦٠٩٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٢ الترجمة رقم ٦١٧٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

غلام المصري الوراق

هو علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن فروخ، كنيته أبوالحسن الوراق الواعظ، يعرف بغلام المصري[1].

تعاطى الوراقة والحديث ببغداد سنة ٣٦١هـ[2]، نعته المؤرخون من أصحاب رجال الحديث بأنه كان حسن القصص، ماضي اللسان، سريع الخاطر، حسن الحفظ، متساهلاً في الرواية[3].

حدّث عن محمد بن جرير الطبري، ومحمد بن محمد الباغندي، وجعفر بن محمد بن المغلّس، وأبي القاسم البغوي، وأبي بكر بن أبي داود.

ورد اسمه في سند حديث مروي عن جابر بن عبدالله، قال: «إن علياً حمل باب خيبر يوم افتتحها وإنهم جرّبوه بعد ذلك فلم يحمله إلاّ أربعون رجلاً»[4].

ابن العبد الوراق

هو علي بن الحسن بن العبد، كنيته أبوالحسن الوراق.[5]

يظهر من خلال شيوخه أنه من علماء الحديث ببغداد، ومن ورّاقيه، سمع الحديث ببغداد من أبي داود السجستاني، وعثمان بن خرزاد الأنطاكي. وروى عنه الدارقطني، والحسين بن محمد بن سلميان الكاتب، وابن الثلاّج[6].

قال الخطيب: أخبرنا عبيدالله بن عمر الواعظ عن أبيه، مات في سنة ٣٢٨هـ[7].

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٢٤ الترجمة رقم ٦١٤٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٢ الترجمة رقم ٦٢٥١.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

أبوالقاسم الوراق الشاعر

هو علي بن الحسن بن علي بن زكريا، كنيته أبوالقاسم الوراق الشاعر[1].

طغى عليه لقب (الشاعر)، وبه عرف في سوق الوراقين، رغم تخصصه بوراقة الحديث.

لم يذكر الخطيب تاريخ ولادته ووفاته، بل قال عنه: حدّث عن محمد ابن جرير الطبري، وعبدالله بن محمد البغوي[2].

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن أبي مليكة عن ابن عباس أن النبيﷺ قال: «أبوبكر منّي بمنزلة هارون من موسى»[3].

قال الخطيب: أنشدنا محمد بن أحمد بن رزق، قال: أنشدنا أبوالقاسم علي بن الحسن الشاعر لنفسه[4].

سرور الدنو بحزن الزيا ... ل، كذا الدهر يعقب حالاً بحال

ومرّ الفراق بحلو العنا ... ق، وقبح الصدود بحسن الوصال

وطول البكاء لفقد الحبيـ ... ـب، يرويه وجه بديع الجمال[5]

تريد كمالاً، ويأبى الزما ... ن، فيأتيك رغماً بضد الكمال

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٨٤-٣٨٥ الترجمة رقم ٦٢٥٧.

(٢) المصدر السابق ١١/ ٣٨٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ١١/ ٣٨٥.

(٥) يرويه = هكذا وردت بالأصل، ولعلها ـ بروئية ـ حيث إن صاحب القاموس ذكر في مادة ـ رؤأ ـ رؤأ في الأمر ترونه، نظر فيه وتعقبه، والاسم: الروئية ـ القاموس المحيط ـ رؤأ.

الفرغاني الوراق

هو علي بن عبدالله بن عبدالبر، كنيته أبوالحسن الوراق، ويعرف بالفرغاني[١].

كان واحداً من ثقات الحديث والوراقة، كما تصفه المصادر[٢]، سكن بغداد وخالط علماءها ووراقيها وعرف بينهم، وبها توفي سنة ٣٢١هـ[٣].

حدّث ببغداد عن أبي حاتم الرازي، وعبدالله بن أحمد بن حنبل، وروى عنه القاضي الجراحي، ومحمد بن المظفر، وأبويعلى الطوسي الوراق[٤]، وابن شاهين، ويوسف القواس[٥]، ولم يزد الخطيب في ترجمته على ذلك.

ابن الشبيه الوراق

هو علي بن عبدالله بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، كنيته أبوالقاسم، ويعرف بالشبيه[٦].

ولد سنة ٣٦٠هـ، وتوفي سنة ٤١١هـ[٧].

نَسَبَهُ لآل البيت جعله يهتم بالعلوم الدينية، فسمع محمد بن المظفر، وكتب عنه علي بن أحمد الحافظ، ذكرت المصادر بأنه كان ديّناً، حسن

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/٤ الترجمة رقم ٦٣٥٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) هو عثمان بن الحسن الطوسي، راجع المصدر السابق ـ المكان نفسه.

(٥) تاريخ بغداد ١٢/٤.

(٦) معجم الأدباء ١٣/٢٧١ الترجمة رقم ٤٢ ـ وحبيب زيات/ ص١٣.

(٧) المصدر السابق ١٣/٢٧١ـ٢٧٢.

الاعتقاد، وكان يورق بأجرة ويأكل من كسب يده، ويواسي الفقراء من كسبه[١].

نقل ياقوت عنه أنه كان نسابة جليلاً، له كتاب المبسوط. وقال: وجدت على ظهر ديوان عروة بن الورد بخط ابن الشبيه، وكان الديوان كله بخطه.[٢] هذه الأبيات:

ديوان عروة العبسي أوضحه   خط امرئ زاده حسناً وتبييناً
نجل الأكارم من آل الشبيه فتى   بجده ختم الله النبيينا
صلى الإله عليه ما دجا غسق   ويرحم الله عبداً قال آمينا

ابن لؤلؤ الوراق(*)

هو علي بن محمد بن أحمد بن نصير بن عرفة بن عياض بن ميمون بن سفيان بن عبدالله، كنيته أبو الحسن الثقفي الوراق، ويعرف بابن لؤلؤ[٣].

واحد من الذين عرفتهم بغداد، كان يسكن باب الطاق فيها. ذكرت المصادر أنه ولد سنة ٢٨١هـ وتوفي سنة ٣٧٧هـ[٤].

كان شيعي الانتماء، مارس الوراقة سنة ٣٠١هـ[٥]، وسمع الحديث في بواكير عمره، وتخصّصَ به علماً ووراقةً، وصفته المصادر بأنه كان قديم

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ٢٧١.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ٢٧٢-٢٧٣.

(*) يراجع في ترجمته تاريخ بغداد ١٢/ ٨٩-٩٠ الترجمة رقم ٦٥٠٥ والمنتظم لابن الجوزي ٧/ ١٤٠، وحبيب زيات ـ الوراقة والوراقون في الإسلام/ ص٤٢.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٨٩.

(٤) المصدر السابق ١٢/ ٩٠، والمنتظم ٧/ ١٤٠.

(٥) المصدر السابق ١٢/ ٩٠.

السماع، فقد ذكر هو بأن سماعه للحديث كان سنة ٢٩٣هـ(١)، وكان صدوقاً، إلاّ أنه كان رديء الكتاب ـ أي سيىء النقل ـ وأكثر كتبه كانت بخطه.(٢)

أخذ عليه بأنه كان يأخذ العوض على الحديث دانقين، ويعلّق البرقاني على ذلك بالقول: إن نفسه كانت تسمو إلى أخذ الشيء الحقير والنزر اليسير على التحديث، ويضيف: وكان له حالة حسنة من الدنيا(٣).

أخذ الحديث سماعاً عن جعفر الفريابي، وإبراهيم بن هاشم البغوي، وإبراهيم بن شريك الكوفي، وأبي معشر الداري، وعبدالله بن ناجية، وأحمد ابن الصقر بن ثوبان، وأبي الحسن أحمد بن الحسين الصوفي، ومحمد بن عبدة ابن حرب القاضي، وحمزة بن محمد الكاتب، ومحمد بن محمد الشطوي، وأبي بكر بن المجدر البيع، وعمر بن أيوب السقطي، وأحمد بن هارون البرذغي، وأبي العباس بن زنجويه القطان، وزكريا بن يحيى الساجي، ومحمد ابن خلف وكيع(٤).

قال الخطيب البغدادي: قال لي الأزهري: ابن لؤلؤ ثقة، سمعت التنوخي يقول: حضرت عند أبي الحسن بن لؤلؤ مع أبي الحسين البيضاوي، ليقرأ لنا عليه حديث إبراهيم بن هاشم، وكان قد ذكر له عدد من يحضر للسماع، ودفعنا إليه دراهم كنّا قد وافقنا عليها، فرأى في جملتنا واحداً زائداً على العدد الذي ذكر له، فأمر بإخراجه، فجلس الرجل في الدهليز، وجعل البيضاوي يقرأ ويرفع صوته ليسمع الرجل، فقال له ابن لؤلؤ: ياأبا الحسين أتعاطي علي وأنا بغدادي، باب طاقي، ورّاق، صاحب حديث، شيعي،

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/٨٩.

(٢) المصدر السابق، وابن الجوزي المنتظم ٧/ ١٤٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/٨٩.

(٤) المصدر السابق.

أزرق، كوسج. ثم أمر جاريته بأن تجلس وتدق في الهاون أشناناً حتى لا يصل صوت البيضاوي في القراءة إلى الرجل(١).

قال البرقاني: لم يكن ابن لؤلؤ يعرف الحديث، وصحّف اسم عُتي، فأراد أن يقول: عن عتي عن أبي، فقال: عن، عن، عن،أبي(٢).

الهمداني الورّاق

هو علي بن محمد بن السري، كنيتهُ أبو الحسن الهمداني الورّاق(٣). شبَّ على علوم الحديث، وتخصّص في الوراقة له ضمن مجالس بغداد العلميّة، وظلَّ هكذا حتى وفاته سنة ٣٧٩هـ(٤). حَدَّث ببغداد عن محمد بن نصر الصائغ، ومحمد بن محمد الباغندي. وذكرت المصادر أنَّهُ فيهِ لين في تعاطيه مع علوم الحديث، كما أن القاضي أبا بكر محمد بن عُمر الداودي نعتَهُ بالكذّاب(٥) ذكرهُ الخطيب في سندِ حديثٍ مروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلَّموا الفرائض وعلِّموها للناس»(٦).

ابن تنج الوراق

هو علي بن محمد بن القاسم، كنيته أبو الحسن الوراق، الشهير بابن تنج(٧).

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٨٩ـ٩٠ والمنتظم ٧/ ١٤٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٩٠.

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٩٠ الترجمة رقم ٦٥٠٦.

(٤) المصدر السابق ١٢/ ٩١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق ١٢/ ٩٠.

(٧) المصدر السابق ١٢/ ٩٤ الترجمة رقم ٦٥١٣.

قال الخطيب: قال لي ابن التوزي: كان ابن تنج وراقاً بباب الطاق يبيع الكتب، ولم يكن عنده إلاّ الشيء اليسير عن ابن عقدة(١).

خالط علماء الحديث ببغداد، ويظهر أنه لازم زميله الوراق المحدّث ابن عقدة(٢)، وعنه حدّث وروى.

توفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ(٣).

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن أبي موسى قال: أمر رسول الله ﷺ بفكاك العاني، وإطعام المسكين، وعيادة المريض، قال: قلت: ما العاني؟ قال: أسير المسلمين يفادى(٤).

ابن غربية الحنبلي الوراق

هو أبوالحسن علي بن أبي المعالي المبارك، وقيل: أحمد بن أبي الفضل ابن أبي القاسم بن الأديب، الوراق الدارقزي، المحولي الفقيه الحنبلي، المعروف بابن غربية(٥).

ولد في بغداد سنة ٥٠٦هـ وبها توفي سنة ٥٧٨هـ(٦).

عرف علماء بغداد وشيوح المحدثين فيها، وسمع الكثير من أبي القاسم بن الحصين وغيره ببغداد وغيرها من البلاد. تفقه بالمذهب الحنفي على ابن سيف وغيره، وقرأ الفرائض على القاضي أبي بكر. وكان ثقة، صحيح السماع، ذا

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٩٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) شذرات الذهب ٤/ ٢٦٤، وحبيب زيات/ ص٢٦.

(٦) المصادر أعلاه ـ المصدر السابق.

عقل وتجربة. ولاه الوزير ابن هبيرة رفع المظالم، وانقطع آخر عمره بالمحول، إلى أن مات بالفالج.

سمع منه جماعة؛ منهم: ابن الحنبلي، وابن القطيعي وغيره. روى عنه ابن الجوزي. وتوفي يوم الأحد ـ حادي عشر جمادى الأولى بالمحول، وحمل على أعناق الرجال، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل[١].

النقيب الوراق

هو علي بن يحيى بن إسحاق، كنيته أبوالحسن التجيبي الواسطي، ويعرف بالنقيب.[٢]

قال الخطيب: سألت عنهُ الأزجي، وقلت: أين سمعت من هذا الواسطي؟ قال: ببغداد، وكان مقيماً بها[٣]. ومن هذا يتضح أنه من واسط، ونزح إلى بغداد وأقام بها حتى وافاه الأجل يوم السبت لست خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٧٥هـ[٤].

حدّث ببغداد عن أبي بكر بن أبي داود السجستاني، ومحمد بن زهير بن الفضل الأبلي، ومحمد بن سليمان النعماني، والحسن بن محمد بن شعبة الأنصاري، وأحمد بن عبدالله بن نصر بن بجير القاضي، وعلي بن عبدالله بن مبشر الواسطي[٥].

---

(١) شذرات الذهب ٤/ ٢٦٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ١٢٣ الترجمة رقم ٦٥٧٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

قال الأزجي: حدثنا علي بن يحيى بن إسحاق الوراق الواسطي، قال: أنشدنا أبوبكر بن أبي داود لنفسه[1].

إذا تشاجر أهل العلم في خبر ... فليطلب البعض من بعض أصولَهُم
إخراجك الأصل فعل الصادقين فإن ... لم تخرج الأصل لم تسلك سبيلهم
فاصدع بعلم ولا تردد نصيحتهم ... واظهر أصولك إن الفرع متهم

ابن عطيه الكوفي الوراق

هو عمار بن عطية الكوفي الوراق[2]، قدم من الكوفة إلى بغداد واستقر بها، ولم يذكر الخطيب البغدادي عنه الكثير، وأهمل تاريخ ولادته ووفاته، وقال عنه: حدثنا علي بن الحسين بن حبّان، قال: وجدت في كتاب أبي ـ بخط يده ـ قال أبوزكريا: عمّار بن عطية شيخ وراق كوفي صاحب شعر، كان ههنا، قد رأيته، كان كذاباً[3]. والعبارة الأخيرة تعكس رأي بعض علماء بغداد في علماء بقية الأمصار، ولا يخلو الأمر من موقف آيديولوجي.

الوراق البصري الحافظ

هو عمر بن جعفر بن عبدالله بن أبي السري، كنيته أبوحفص الوراق البصري الحافظ.[4]

بصري الأصل، قدم بغداد وسكن بها إلى آخر عمره، وحدّث بها، فكان الناس يكتبون بإفادته، ويسمعون بانتخابه على الشيوخ[5].

---

(١) تاريخ بغداد.
(٢) المصدر السابق ١٢/ ٢٥٤ الترجمة رقم ٦٧٠١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق ١١/ ٢٤٤ الترجمة رقم ٥٩٩٦.
(٥) المصدر السابق.

ولد بالبصرة سنة ٢٨٠هـ، وتوفي سنة ٣٥٧هـ[١].

عندما حلّ ببغداد وتعرّف على علمائها، عرف عنه ممّن وفق في الانتخاب، ومع ذلك تحامل عليه البعض من المحدثين[٢] إلاّ الكبار كانوا قد أخذوا عنه.

حدّث ببغداد عن أبي خليفة الفضل بن الحباب، والحسن بن المثنى، وأبي عثمان بن أبي سويد، وزكريا بن عبدالوهاب البصريين، وحامد بن شعيب البلخي، وعبدان الأهوازي، وعبدالله بن إسحاق المدائني، وموسى بن سهل الجوني، والحسن بن سهل العسكري، ومحمد بن جرير الطبري، ومحمد بن الباغندي، وأحمد بن عبدالله بن سابور الدقاق، وأبي القاسم البغوي، ويحيى ابن صاعد، وغيرهم[٣].

قال الخطيب: حدثنا عنه أبوالحسن بن رزقويه، وعلي بن أحمد الرزاز، ويضيف: وقد كان أبوالحسن الدارقطني يتتبع خطأ عمر البصري فيما انتقاه على أبي بكر الشافعي خاصة، وعمل فيه رسالة إلى طاهر بن محمد الخاركي. يقول الخطيب: ونظرت في الرسالة واعتبرتها، فرأيت جميع ماذكره أبوالحسن من الأوهام يلزم عمر، غير موضعين أو ثلاثة. وجمع أبوبكر بن الجعابي أوهام عمر فيما حدّث به ونظرت في ذلك، فرأيت أكثرها قد حدّث به عمر على الصواب بخلاف ماحكى عنه ابن الجعابي[٤].

---

(١) تاريخ بغداد١١/ ٢٤٩.

(٢) المصدر السابق ٦٢/ ٢٤٢.

(٣) المصدر السابق ١١/ ٢٤٤.

(٤) المصدر السابق، وراجع بقية الحديث والاستطراد هناك على الصفحات ٢٤٥ـ٢٤٩.

الوراق التستري

هو عمر بن سهل بن يزيد، كنيته أبوالقاسم الوراق التستري(١). أصله من مدينة تستر، وهي من أعاظم مدن خوزستان(٢) جاء إلى بغداد وسكن بها واستوطنها، وحدّث بها عن إبراهيم بن المستمر العروقي. روى عنه أبوبكر الإسماعيلي(٣).

أهمل الخطيب تاريخ ولادته ووفاته، وأورد اسمه في سند حديث مروي عن أم سلمة قالت: «كان رسول الله ﷺ يكره سورة الدم ثلاثاً، ثم يباشر بعد الثلاث بغير إزار». قال سعيد: يعني الحائض(٤).

ابن أبي قرّة الوراق

هو عمر بن طاهر بن أبي قرة الوراق(٥). بغدادي الولادة والإقامة، واختلط مع علماء الحديث، واتخذ الوراقة مهنة له، وخصّ بها علوم الحديث، حدّث ببغداد وسمع منه. حدّث عن محمد بن عمرو بن أبي مذعور، ومحمود ابن خداش، روى عنه أبوبكر الإسماعيلي الجرجاني، ويوسف بن القاسم الميانجي.(٦)

أهمل الخطيب تاريخ ولادته ووفاته، إلاّ أنه نقل عنه: حدّث ببغداد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حجّ هذا البيت فلم يرفث، ولم يفسق، فرجع، كان كما ولدته أمه»(٧).

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٢٢٣ الترجمة رقم ٥٩٤٦.

(٢) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ٢/٢٩ ـ مادة ـ تستر.

(٣) تاريخ بغداد ١١/٢٢٣.

(٤) المصدر السابق ١١/٢٢٣ـ٢٢٤.

(٥) تاريخ بغداد ١١/١٢٢ الترجمة رقم ٥٩٤٠.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

ابن البختري الوراق

هو عمر بن محمد بن السري بن سهب بن خالد بن البختري، كنيته أبوبكر الوراق، ويعرف بابن أبي طاهر[1].

كان يذكر أن مولده في سنة ٢٩٠هـ وكانت وفاته ببغداد سنة ٣٧٨هـ[2].

ذَمَّهُ نقاد الحديث، وقالوا عنه: كان رديء المذهب، ويحدّث بأحاديث لا أصل لها. إضافة إلى أنه كان يخلط الأحاديث ويركبها، ويدعي ما لم يسمع[3].

ومع ذلك، فقد روى عنه كبار المحدثين المشهورين، من أمثال محمد بن جرير الطبري، ومحمد بن محمد الباغندي، وحامد بن شعيب البلخي، والحسن بن محمد المكرمي، وأيوب بن محمد الخطيب وأبي القاسم البغوي[4].

أثبت الخطيب اسمه في سند الحديث المروي عن الزبير بن العوام عن النبي ﷺ قال: «من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل»[5].

أبوموسى الوراق

هو عيسى بن جعفر، وكنيته أبوموسى الوراق[6]، واحد من أهل بغداد، امتهن الوراقة، وجذبه إليها انشغاله بالحديث، وما يتعلق به، عَرَفَهُ أكابر

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٢ـ٢٦٣ الترجمة رقم ٦٠٢٤.

(٢) المصدر السابق ١١/ ٢٦٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تاريخ بغداد ١١/ ١٦٨ الترجمة رقم ٥٨٦٧.

المحدثين في بغداد، وأخذ منهم وأخذوا عنه، مات في بغداد سنة ٢٧٢هـ[١].

وصفته المصادر بأنه كان من أفاضل الناس، وشجعان المجاهدين، مع ورع وعقل، ومعرفة، وحديث كثير عال، وصرف وفضل.[٢]

سمع شبابة بن سوار، وشجاع بن الوليد، ويحيى بن إسحاق السيلحيني، وأبا نعيم، ومالك بن إسماعيل، وقبيصة بن عقبة، وأبا الوليد الطيالسي، ومسدداً، وأحمد بن حنبل.

روى عنه يحيى بن صاعد، والقاضي المحاملي، ومحمد بن مخلد، وأبوالحسين بن المنادي، وإسماعيل بن محمد الصفار، والحسن بن علي الشيرازي وغيرهم[٣].

ورد اسمه في سند حديث مروي عن أبي هريرة قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ. قال يارسول الله: النقبة[٤] تكون بمشفر البعير، أو بعجمه ـ فتشمل الإبل كلها جرباً، قال: فقال النبي ﷺ: «فما أعدى الأول». ثم قال: «لا عدوى ولاهامة، ولاصفر، خلق الله كل نفس فخلق حياتها ومصيباتها ورزقها»[٥].

غانم الوراق

هو غانم بن محمد الوراق، حدّث عن موسى بن هارون، روى عنه أحمد بن محمد بن عمران الجندي.[٦] بهذه الترجمة القصيرة ذكره الخطيب في تاريخه.

---

(١) تاريخ بغداد ١١/١٦٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ١١/١٦٨.

(٤) النقبة = هي أول جرب يبدو على الإبل = اللسان مادة ـ نقب: الحديث منقول = هناك نصاً.

(٥) تاريخ بغداد ١١/١٦٨ـ١٦٩.

(٦) المصدر السابق ١٢/٣٣١ الترجمة رقم ٦٧٧٤.

أبوشجاع الوراق

هو فارس بن صافي، كنيتـه أبوشجاع الوراق[١]، عمل في وراقة علوم الحديث ببغـداد، وروى الحديث عن حمزة بن الحسين السـمسار، وأبي بكر بن أبي الثلج[٢].

لم يذكر الخطيب تاريخ ولادته ووفاته، لكنه ذكـر اسمه في سند الحديث المروي عن عكرمة عن ابن عباس، قال: «رأيت النبي ﷺ قبّل الحجر»[٣].

البكائي الورّاق

هو الفـضل بن أبي حـسـان، المعـروف بالبكائي الورّاق[٤]، واحدٌ من المشتـغلين بعلوم الحديث والمتعـاطين فن الوراقة في بغداد، وظلَّ ملازمـاً لهذه المهنة حتى أصيب بالفالج ـ توفي في بغداد سنة ٢٤٩هـ[٥].

سمع أبا النضر هاشـم بن القاسم، ويعقوب الحضـرمي، وزيد بن الحبّاب، وعمـر بن طلحة القنّـاد. وروى عنه أحمد بن عـلي الأبار، ويحيى بن صـاعد، وأحمد بن علي بن العلاء الجوزجاني. كان ثقةً، كما يقول الخطيب البغدادي[٦].

ورد اسمُه في سند الحـديث المروي عن ابن عمر القائل: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الكافر ليـجر لسانه يوم القيامه وراءه قـدر فرسخين يتوطؤهُ الناس»[٧].

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٩١ الترجمة رقم ٦٨٥٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٦٣ الترجمة رقم ٦٧٩٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

الخردلي الوراق

هو الفضل بن محمد بن علي بن يزيد، كنيته أبوالقاسم، وشهرته المعروف بها الخردلي الوراق البغدادي[1]

حدّث عن أبي محمد بن سليمان المالكي البصري، وذكر أبوالفتح بن مسرور أنه حدّثه ببغداد، وقال عنه: كان ثقة[2].

ولم يزد الخطيب على ذلك في ترجمته.

مالك بن دينار الورّاق(*)

علم من أعلام رجال الحديث، وتابعي مشهور، ومن الثقاة المعروفين، كنيته أبو يحيى[3]، كان من علماء البصرة وزهّادها المشهورين، أجمعت كل المصادر التي ترجمت له على أنه كان يكتب المصاحف بالأجرة، وهو بهذا يكون أوّل ورّاق إسلامي يسنن لهذه العملية، قبض الأجرة على نسخ القرآن، وهو ما كان غير مألوف في ذلك الوقت، وعلى هذا الأساس عدّ مالك بن دينار كأقدم ورّاق[4].

نسب بالولاء إلى بني سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، فقد كان مولىً لهم[5].

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٧٨ الترجمة رقم ٦٨٣٢.

(٢) المصدر السابق.

(*) انظر ترجمته في المصادر التالية: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٢ «١٦٤» وميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٦ «١٦، ٧» ـ شذرات الذهب ١/ ١٧٣ ـ طبقات ابن سعد ٧/ ٢٤٣ ـ وحبيب زيات/ الوراقة والورّاقون/ ص٦.

(٣) شذرات الذهب ١/ ١٧٣.

(٤) حبيب زيات / ص ٦.

(٥) شذرات الذهب ١/ ١٧٣.

ذكر الذهبي أنه ولد في أيام عبدالله بن عباس[1]، ووفاته كانت سنة ١٣١هـ، وقيل سنة ١٢٧هـ، وشبّ مفطوماً على الحديث، فقد سمعه من أنس ابن مالك ومن جاء بعده، وحدّث عنه وعن الأحنف بن قيس، وسعيد بن جبير والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، والقاسم بن محمد، وعدّة آخرين[2].

قوي عوده في الحديث، وصلب بناؤه فيه، حتى عدّ من الصدوقين الثقات في علم الحديث، فقد وثقه النسائي واحتج به، واستهشد به البخاري[3]، وحديثه في درجة الحسن، قال عليّ بن المديني: له نحو من أربعين حديثاً[4].

عرفت عنه أقوال مأثورة أخذها الناس منه، وتناقلها أصحاب الحديث والرواية، منها قوله: إذ عرفت الناس، لم أفرح بمدحهم ولم أكره ذمّهم، لأن حامدهم مفرط، وذامهم مفرط. وقال: إذا تعلّم العالم العلم للعمل كسره، وإذا تعلّمه لغير العمل زاده فخراً[5].

وقال: إذا لم يكن في القلب حزن خرب. وقال: خرج أهل الدنيا من الدنيا، ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قيل: وماهو؟ قال: معرفة الله تعالى.[6]

غلب عليه النسك والزهد في حياته، حتى عرف عنه أنه أقام بالبصرة أربعين سنة، لا يأكل من ثمارها، ولا يأكل إلاّ من عمل يده[7]، ووقع حريق

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٦٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) شذرات الذهب ١/ ١٧٣.

بالبصرة، فخـرج متزراً ببارية[1]، وبيده مصحف، وقـال: فاز المخفّون، وقيل له: ألا تستسـقي لنا؟ فقال: أنتم تنتظرون الغيث وأنا أنتظر الحـجارة. وقال له رجل: إن امرأتي حبلى منذ أربع سنين، وأصبحت اليوم في كرب عظيم، فادعُ الله لها، فقال: اللهم إن كـان في بطنها جارية فأبدلها غلامـاً، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب (وبعد حين) جاء الرجل وعلى رقبته غلام وقد استوت أسنانه وما قطع سراره[2].

مسلكيتـه الزاهدة في الحياة جعلته ينتـقد معاصريه من جمـيع الطبقات، فقد نقل عنه الأصمعي عن أبيه، قال: مرّ المهلّب على مالك بن دينار متبختراً، فقـال له مالك: أمـا علمت أنهـا مشيـة يكرهها اللـه إلاّ بين الصفّين؟! فـقال المهلب: أما تعرفني، قال: بلى، أوّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة، قال، فانكسر. وقال: الآن عرفتني حق المعرفة[3].

قيل: دخل عليه لصّ فما وجد ما يأخذه، فناداه مالك: لم تجد شيئاً من الدنيا، فترغب في شيء من الآخرة؟ قـال: نعم، قال: توضأ، وصلّ ركعتين، ففـعل، ثم جلس وخـرجا إلى المسـجد، فـسئل: من ذا؟ قـال: جاء ليـسرق فسرقناه.[4]

قال رباح بن عمـرو القيسي: سمعت مـالك بن دينار يقول: دخل عليّ جابر بن زيد وأنا أكـتب، فقال: يامالـك، ما لك عمل إلا هذا؟ فتنقل كـتاب الله، هذا والله الكسب الحلال.[5]

---

(١) البارية = حصر يصنع من القصب.

(٢) شذرات الذهب ١/ ١٧٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق ٥/ ٣٦٤.

وقال هو عن نفسه: إنه لتأتي عليّ السنة، لا آكل فيها لحماً إلا من أضحيتي يوم الأضحى[1].

وعن شعبة قال: كان أُدْمُ مالك بن دينار في كل سنة بفلسين ملح.

وقال جعفر بن سليمان: كان مالك ينسخ المصحف في أربعة أشهر، فيدع أجرته عند البقال، فيأكله[2].

قال معلى الورّاق: سمعت مالك بن دينار يقول: خلطت دقيقاً بالرماد، فضعفت عن الصلاة[3].

لم يتزوج في حياته، لذلك لم يخلف عقباً له، فقد قال القطعي: دخلنا على مالك وهو يكيد بنفسه، فرفع طرفه، ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء لبطن ولا فرج[4].

ابن الخاضبة الورّاق

هو محمد بن أحمد بن عبدالباقي بن منصور بن إبراهيم الدقاق، كنيته أبوبكر، ويعرف بابن الخاضبة[5].

بغدادي الأصل والمنشأ. تفقّه بالحديث، وحاز السبق فيه، ولقّب بالحافظ، وصفته المصادر بأنه مفيد بغداد والمشار إليه في القراءة الصحيحة مع الصلاح والنقل المستقيم[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٦٤.

(٤) المصدر السابق ٥/ ٣٦٣.

(٥) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧/ ٢٢٦ الترجمة رقم ٧٥ـ والوافي بالوفيات للصفدي، ٢/ ٨٩ الترجمة رقم ٤٠٧.

(٦) الوافي بالوفيات ٢/ ٨٩ ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٢٧.

توفيّ ببغداد سنة ٤٨٩هـ، ودفن بمقبرة الأجمة المتصلة بباب أبرز[١].

تتلمذ على يد كبار المحدّثين، وحدّث عن الخطيب البغدادي وأصحاب أبي طاهر المخلّص وأبي حفص والكتّاني، وعيسى بن علي الوزير وطبقتهم[٢]، وقد مدحه جل العلماء، وكان علاّمة في الأدب، وقدوة في الحديث، جيّد اللسان، جامعاً لخلال الخبر.

كتب صحيح مسلم سبع مرات في سنة الغرق الواقعة في عام ٤٤٦هـ[٣].

قال عنه السمعاني: سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ، عن ابن طاهر المقدسي، عن ابن الخاضبة يقول: «لما كانت سنة الغرق (٤٦٦هـ). وقعت داري على قماشي وكتبي، وكانت لي عائلة: الوالدة والزوجة والبنت، فكنت أورّق للناس، وأنفق على الأهل، فأعرف أني كتبت صحيح مسلم في تلك السنة سبع مرات، فلما كان ليلة من الليالي، رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ومناد ينادي: ابن الخاضبة، فأحضرت، فقيل لي: ادخل الجنّة، فلما دخلت الباب وصرت من داخل، استلقيت على قفاي، ووضعت إحدى رجليّ على الأخرى، وقلت: آه، استرحت والله من النسخ»[٤]. وهذه المسألة توضّح مدى المعاناة من الوراقة.

ونقل ياقوت عن السمعاني: «أن ابن الخاضبة كان ليلة من الليالي قاعداً ينسخ شيئاً من الحديث، بعد أن مضى قطعة من الليل. قال: وكنت ضيّق اليد فخرجت فأرة كبيرة، وجعلت تعدو في البيت، وإذ بعد ساعة قد خرجت

---

(١) معجم الأدباء ١٧/ ٢٢٧ الوافي ٢/ ٩٠.

(٢) المصادر السابقة ـ نفس الأمكنة.

(٣) معجم الأدباء ١٧/ ٢٢٧ـ والوافي بالوفيات ٢/ ٩٠.

(٤) المصدر السابق ١٧/ ٢٢٨ـ والوافي ـ نفس المكان.

أخرى، وجعلا يلعبان بين يدي، ويتقافزان، إلى أن دنوا من ضوء السراج، وتقدمت إحداهما اليّ وكانت بين يدي طاسة، فأكببتها «أي وضعتها» عليها، فجرى صاحبها فدخل سربه، وإذ بعد ساعة قد خرج وفي فيه دينار صحيح وتركه بين يدي، فنظرت إليه وسكت، واشتغلت بالنسخ، ومكث ساعة ينظر إليّ، ثم رجع وجاء بدينار آخر، ومكث ساعة أخرى، وأنا ساكت أنظر وأنسخ، فكان يمضي ويجيء إلي أن جاء بأربعة دنانير أو خمسة، وقعد زماناً طويلاً، أطول من كل نوبة، ورجع ودخل سربه، وخرج وإذا في فيه جليدة كانت فيها الدنانير وتركها فوق الدنانير، فعرفت أنه ما بقي معه شيء فرفعت الطاسة، فقفزا، فدخلا البيت، وأخذت الدنانير وأنفقتها في مهمّ لي»[1].

قال ابن الخاضبة: أنشدنا أبوعلي إسماعيل بن قليّة ببيت المقدس[2]:

كتبت إليك إليّ الكتابْ | وأودعته منك حسن الخطابْ
لتقرأهُ أنت لا بل أنا | وينفذ منّي إليّ الجوابْ

أبوبكر الورّاق

هو محمد بن أحمد بن الجهم، وكنتيه أبوبكر الوراق، ينحدر بالوراقة واللّقب إلى جده، حيث كان جده ورّاقاً للمعتضد ـ كما يقول ابن فرحون في الديباج[3]، سكن بغداد، ونهل من معارفها، وتتلمذ على يد شيوخها.

لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، بل أشارت إلى أنه توفي سنة ٣٢٩هـ وقيل: ٣٣٣هـ[4].

---

(١) معجم الأدباء ١٧/ ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق ١٧/ ٢٣٠.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٢٨٧ـ هامش رقم١.

(٤) المصدر السابق ـ نفس المكان الترجمة رقم ١٣٥.

جذبته الوراقة إلى حياضها من خلال تخصصه في علوم الحديث، فقد عرف عنه أنه حدّث عن أحمد بن عبيدالله النرسي، وأبي الوليد بن برد الأنطاكي، ومحمد بن هشام بن أبي الدميك النقلي، وموسى بن إسحاق الأنصاري. روى عنه أبوبكر محمد عبدالله الأبهري المالكي، يقول الخطيب البغدادي: ذكر لي ـ يقصد أبوبكر محمد الأبهري ـ أنه كان فقيهاً مالكياً وله مصنفات حسان، محشوة بالآثار، يحتج فيها لمالك وينصر مذهبه، ويرد على من خالفه[1]. ذكر في الهامش أن ابن فرحون ذكر في **الديباج**[2] أن له أنسًا بالحديث، وألفّ كتباً جلّة على مذهب مالك؛ منها:

١ ـ **كتاب الرد على ابن الحسن.**

٢ ـ **كتاب بيان السنّة.**

٣ ـ **كتاب مسائل الخلاف والحجة لمذهب مالك.**

٤ ـ **كتاب شرح مختصر ابن عبدالحكيم الصغير.**

ابن زريق الورّاق

هو محمد بن أحمد بن الحسين بن يوسف، يكنى بأبي بكر الوراق، ويعرف بابن زريق، كان حافظاً فهماً وليس بمشهور عند أهل الحديث، كما يقول الخطيب البغدادي[3]؛ لأنه تغرّب عن بغداد وأقام ببلاد خراسان مدة طويلة، ثم استوطن أذربيجان، ومات فيها[4].

اختص بعلوم الحديث، وحدّث عن يوسف بن يعقوب بن إسحاق البهلول التنوخي وغيره، أخذ عنه حديث «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الرجال»[5].

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق ـ الهامش رقم١.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٢٩٠ الترجمة رقم ١٤٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

مشفر الشروطي الورّاق

هو محمد بن أحمد بن علي، يكنى بأبي الحسن الورّاق، ويعرف بمشفر الشروطي، يقول الخطيب البغدادي: إنه من أهل الجانب الشرقي[1] (الرصافة) روى شيئاً يسيراً عن أحمد بن عثمان بن يحيى الأدمي، حدّث عنه أحمد بن علي بن التوزي، وسأله الخطيب عنه، فقال: صدوق مُقل[2].

لؤلؤ الوراق

هو محمد بن أحمد بن نصير بن عرفة، الثقفي البغدادي، كنيته أبو الحسين لؤلؤ الوراق.[3] عده الصفدي[4] ضمن علماء ووراقي الحديث قائلاً: سمع وروى وهو صدوق، غير أنه رديء الكتاب. فيما ذكره الخطيب البغدادي، ضمن شيوخ ابن الخفاف الوراق[5].

استوطن بغداد وبها حدّث وروى وتوفي سنة ٣٧٧هـ[6].

ابن خالد الورّاق

هو محمد بن أحمد بن يزيد بن خالد الوراق، اختص بعلوم الحديث ومارس المهنة فيه، حدّث عن محمد بن سعد العوفي، وروى عنه أبوحفص بن شاهين.

ولم يتوسع الخطيب بترجمته[7].

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٢٣ الترجمة رقم ٢٢٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الوافي بالوفيات ـ للصفدي ٢/ ٨٣ الترجمة رقم (٣٩٥).

(٤) المصدر السابق ـ نفس المكان.

(٥) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٠.

(٦) الوافي بالوفيات ٢/ ٨٣.

(٧) تاريخ بغداد ١/ ٢٧٣ الترجمة رقم ٣٢٦.

محدّث بغداد الوراق

هو أبوبكر محـمد بن إسماعـيل بن العباس الوراق، صـاحب الأمالي، هكذا ذكـره الذهبي، وقـال عنه إنه توفي سنة ٢٧٨هـ[١]، ولم يزد على ذلك بشيء.

القمع البغدادي الوراق

هو محمد بن إسحاق بن إبـراهيم، كنيته أبوبكر الوراق، ويُعرف بالقمع البغدادي[٢].

عدّه الصفدي من وراقي الحديث، وقـال عنه: روى عنه أبوالحسن أحمد ابن محمـد بن مقسم العطّار[٣]، ولم يضف إلى ذلك شيـئاً، ولم يذكر تاريخ ولادته ووفاته.

أبوبكر الوراق

هو محمد بن بشر بـن مطر، كنيته أبوبكر الوراق، وهو أخو خطاب بن بشر المذكّر[٤].

لم يذكر سنة ولادته، وتوفي سنة ٢٨٥هـ[٥].

كان كغيره من المحدثين الذين مـارسوا مهنة الوراقة بعلوم الحديث، وقد عرفت عنه أنه صدوق لا يكذب، وثقة[٦].

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، حيدر أباد ـ ط٣ سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م ـ ٣/ ٩٧٩

(٢) الوافي بالوفيات ـ للصفدي ـ ٢/ ١٩٣ الترجمة رقم ٥٥٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٩٠ الترجمة رقم ٤٨١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

سمع الحديث عن عاصم بن علي، وأحمد بن حاتم الطويل، ومحمد ابن عبدالله بن نمير، ويحيى بن يوسف الزمّي، وشيبان بن فرّوخ وطبقتهم. روى عنه موسى بن هارون، ويحيى بن محمد بن صاعد، وأبوجعفر بن بريه الهاشمي، وأبوبكر الشافعي وغيرهم[1].

ابن حبش الوراق

هو محمد بن حبش بن محمد بن صالح، كنيته أبوبكر الوراق[2].

لم يذكر الخطيب البغدادي تاريخ ولادته أو وفاته، بل أشار إلى أن ابن الثلاّج ذكر أنه حدّثه عن أبي السري الجلاجلي في سنة ٢٣١هـ[3].

ولم يضف شيئاً آخر إلى ذلك.

أبو الطيب الورّاق

هو محمد بن جعفر بن أحمد بن عيسى، كنيتهُ أبو الطيّب الورّاق، ويُعرف بابن الكدّوش[4] وُلِدَ سنة ٢٨٠هـ وتوفى سنة ٣٥٧هـ[5].

كان صاحب كتاب، وكان ثقةً مأموناً مستوراً، حَسَنَ المذهب، سمع حامد بن شعيب البلخي ومفضل بن محمد الجندي وعبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري وحدّث شيئاً يسيراً. وروى عنه عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقّاق[6].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ بغداد ٢/٢٩١ الترجم رقم ٧٧٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ٢/١٤٩ الترجمة رقم ٥٦٨.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

غندر الوراق

هو محمد بن جعفر بن الحسين بن زكريا، يكنى بأبي بكر الوراق، ويلقّب غندراً[1] بغدادي الأصل، كان جوّالاً وطلاّبة للحديث، ومن الحفاظ الثقة.

توفي سنة ٣٧٠هـ، حيث كان قد خرج من مرو قاصداً بخارى فمات في المفازة[2].

سمع عن محمد بن محمد الباغندي، ويحيى بن محمد بن صاعد، وأبي بكر بن دريد النحوي، وأبي عروبة الحرّاني، وعبدالله بن أبي سفيان الموصلي، وأبي علي بن محمد بن سعيد الحافظ ـ نزيل الرقة ـ قال أبونعيم الحافظ: قدم علينا غندر الوراق البغدادي وسمع منه الحديث «ذهاب البصر مغفرة للذنوب، وذهاب السمع مغفرة للذنوب، ومانقص من الجسد فعلى قدر ذلك»[3].

الطوابيقي الوراق

هو محمد بن جعفر بن علاّن، كنيته أبوجعفر الوراق الشروطي، يعرف بالطوابيقي[4].

مات في بغداد سنة ٤٢١هـ، ودفن في مقبرة باب الدير، يقول الخطيب البغدادي: «حين توفي كنت غائباً عن بغداد في رحلتي إلى أصبهان»[5].

كان شيخاً مستوراً من أهل القرآن، ضابطاً لحروف قراءات كانت تقرأ عليه.

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٢ الترجمة ٥٧٤.

(٢) المصدر السابق وقيل بعد سنة ٣٦٠هـ.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٩ الترجمة رقم ٥٨٤

(٥) المصدر السابق.

حدّث عن أحمد بن يوسف بن خلاّد، وأبي علي الطوماري، ومخلد بن جعفر، ومحمد بن الحسين الأزدي، وأبي جعفر بن المتيّم، وأبي عبدالله الشماخي الهروي وغيرهم.

قال الخطيب: كتبت عنه، وكان صدوقاً[1].

أبوالعلاء الوراق

هو محمد بن الحسن بن محمد، المكنى بأبي العلاء الوراق[2]، واحد من الثقاة في الحديث.

ذكر الخطيب بأن ولادته كانت سنة ٣١٨هـ ووفاته كانت سنة ٤١٢هـ[3]. كان يسكن بالجانب الشرقي من بغداد (الرصافة) في سوق يحيى، وعندما مات دفن في مقبرة الخيزران. تعاطى الحديث، واشتغل به توريقاً، وسمعه من إسماعيل بن محمد الصفار، ومحمد بن يحيى بن عمر بن علي بن حرب الطائي، وأحمد بن كامل القاضي، وبكار بن أحمد المقري، ورحل إلى البصرة ليكتب الحديث، فكتب عن محمد بن أحمد بن محرية العسكري، وأبي بشر بن دستكوتا، وعلي بن الحسين بن جعفر القطان، ومحمد بن عبدالله بن سفيان المعمري[4].

أخذ عنه حديث «إن لكل نبي دعوة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»[5].

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) تاريخ بغداد ٢/٢١٦-٢١٧ الترجمة رقم ٦٥٧.

(٣) المصدر السابق ٢/٢١٧.

(٤) المصدر السابق ٢/٢١٦-٢١٧.

(٥) المصدر السابق ٢/٢١٧.

ابن الخفّاف الورّاق

هو محمد بن الحسين بن إبراهيم بن محمد المكنّى بأبي بكر الورّاق، ويُعرف بابن الخفّاف[1].

واحد من الوراقين المعروفين والذين تخصّصوا بعلوم الحديث والنسخ بها، إلاّ أنه كان من المشكوك في أحاديثه ونقله، لأنه كان يركّب الأحاديث ويضعها على مَنْ يرويها عنه، ويختلق أسماءً وأنساباً عجيبة لقومٍ حدّث عنهم، كما يقول الخطيب البغدادي[2].

مات ابن الخفّاف في ذي الحجة من سنة ٤١٨هـ[3].

ذكر الخطيب البغدادي أن ابن الخفّاف حدّث عن أحمد بن جعفر بن مالك القطبي ومخلد بن جعفر الدقاق، وأبي الحسين الزينبي وعلي بن محمد ابن لؤلؤ الورّاق، وأبي بكر المفيد. ويضيف الخطيب: كتبت عنه، وكان سماعه من ابن مالك ثابتاً في الأصل الذي قرأت عليه منه.

وأمّا رواياته عن الآخرين، فكانت من فروع كتبها بخطه، وحدّثنا عن جماعة كثيرة لا تعرف، ذكر أنه كتب عنهم في السفر، وكان غير ثقة، وعندي عنه من تلك الأباطيل أشياء، وكنت عرضت بعضها على هبة الله بن الحسن الطبري، فخرّق كتابي بها، وجعل يعجب منّي كيف أسمع منه[4].

قال ابن الخفّاف للخطيب البغدادي: احترق مرّة سوق باب الطاق،

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٠ـ٢٥١ الترجمة رقم ٧١٩.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٥٠.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٥١.

(٤) المصدر السابق ٢/ -٢٥.

فاحترق من كُتبي ألف وثمانون منّا[1] كُلّها سماعي[2].

حدّث ابن الخفّاف بحديث: «إنه أظهر في اللّوح أن يخبر الرفيع، وأن يخبر الرفيع إسرافيل، وأن يخبر إسرافيل ميكائيل، وأن يخبر ميكائيل جبريل، وأن يخبر جبريل محمداً ﷺ أنه مَنْ صلّى عليكم في اليوم والليلة مائة مرّة، صلّيت عليه ألفي صلاة، ويقضي له ألف حاجة، أيسرها أن يعتقهُ من النار». ويعلّق الخطيب على ذلك بقوله: هذا الحديث باطل بهذا الإسناد، والرجال المذكورون في إسناده كلهم معروفون سوى الصائغ، وترى أن ابن الخفّاف اختلق اسمهُ وركّب الحديث عليه، ونسخة بشر بن موسى عن أبي عبدالرحمن المقري معروفة، وليس هذا فيها[3].

ابن حمّاد الوراق

هو محمد بن أبي الحارث نصر بن حمّاد الوراق[4] حدّث عن أبيه، وروى عنه عبدالله بن عبدالرحمن السكري، وأبوطالب بن نصر وغيره[5].

لم يذكر الخطيب تاريخ ولادته أو وفاته.

العجلي الوراق

هو محمد بن عثمان بن كرامة، المكنى بأبي جعفر العجلي، وراق عبيدالله بن موسى[6].

---

(١) المن = وحدة قياس = رطلان - انظر اللسان - مادة (مَنَن).

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٠ وحبيب زيات ـ الوراقة والوراقون ص١٣، وقد عدّ كوركيس عواد ـ ابن الخفّاف من أصحاب المكتبات، بناء على هذا الحادث ـ انظر كتابه خزائن الكتب القديمة في العراق ص٢٣٢.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٠ـ٢٥١ وراجع رجال السند هناك.

(٤) المصدر السابق ٣/ ٢١٣ الترجمة رقم ١٤١٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق ٣/ ٤٠ـ٤١ الترجمة رقم ٩٧٧.

واحد من وراقي الكوفة أصلاً، وبها نشأ وتعلم، وقدم بغداد، وحدّث بها وأخذ عن شيوخها، توفي سنة ٢٥٦هـ وفق ما ذكره الخطيب البغدادي وجزم به[١].

عند قدومه إلى بغداد اتصل بعلمائها. وحدّث عن أبي أسامة، والحسين ابن علي الجعفي، وخالد بن مخلد، ويعلى ومحمد ابني عبيد، وجعفر بن عون، وعمر بن حفص بن غياث، وروى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه، وأبوحاتم الرازي، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبوبكر بن أبي الدنيا، وعبدالله بن محمد بن ياسين، ويحيى بن محمد بن صاعد، وعمر بن أحمد الدورقي، والحسين بن إسماعيل المحاملي، ومحمد بن مخلد[٢].

وهذه الأسماء أعلامٌ في علوم الحديث، ومن طبقاته الأول، الأمر الذي يعني كونه واحداً من الثقاة. قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: سئل أبي عنه فقال: صدوق[٣].

نقل عنه الحديث «كان النبي ﷺ يأكل الرطب مع الخربز - يعني البطيخ - يجمع بينهما».

أبوجعفر الورّاق

هو محمد بن علي بن عبدالله بن مهران، يكنّى بأبي جعفر الوراق، ويعرف بحمدان[٤].

كان واحداً من أصحاب أحمد بن حنبل وعرف بكونه عاقلاً حافظاً عارفاً ثقة[٥].

توفي ببغداد سنة ٢٧٢هـ[٦].

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٦١-٦٢ الترجمة رقم ١٠١٣.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٦١.

(٦) المصدر السابق ٣/ ٦٢.

شهد له بالفضل والدراية في علوم الحديث وضبطها. سمع عبيدالله بن موسى، وأباغسان مالك بن إسماعيل، وأبانعيم، أسد، وعبدالله بن رجاء، ومعاوية بن عمرو وقبيصه بن عقبة وأبا سلمة التبوذكي. وروى عنه عبدالله بن محمد البغوي ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن مخلد، وأبوالحسين بن المنادي، وإسماعيل بن محمد الصفار وأحمد بن عثمان بن ثوبان المقرئ وغيرهم(١).

أخذ عنه الحديث: «إن رسول الله ﷺ قال في مكة: لاتباع ولا تكرى بيوتها».

قال وهو في علّة الموت: «مالصق جلدي بجلد ذكر ولا أنثى قط»(٢).

أبوالحسين بن مخلد الوراق

هو محمد بن علي بن محمد بن مخلد بن خدّاش بن عجلان، كنيته أبوالحسين الوراق(٣) وبها عرف، قال الخطيب: مات ابن مخلد وأنا غائب عن بغداد في رحلتي إلى أصبهان سنة ٤٢٢هـ(٤).

سمع الحديث من أبي بكر مالك القطيعي، وأبي محمد بن ماسي، وعلي بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، وأبي حفص بن الزيات، وأبي سعيد الحرفي، ومحمد بن عبيدالله الأبهري، وعلي بن عمر الختلي، ونحوهم(٥).

كثيراً ماكان يكتب الأحاديث، وكان صدوقاً، ولم يحدّث إلاّ بشيء يسير، قال الخطيب: كتبت عنه، وسمعت أبا القاسم الأزهري يقول: أبوالحسين بن مخلد ثقة(٦).

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٦١.

(٢) المعطى السابق ـ نفس المكان.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٩٤ـ٩٥ الترجمة رقم ١٠٩٢.

(٤) المصدر السابق ٣/ ٩٥.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٩٤.

(٦) المصدر السابق ٣/ ٩٥.

محمد الوراق

هو محمد بن محمد بن محمد الوراق البغدادي.[١] قال عنه ابن أيبك الصفدي: الفاضل العالم صدرالدين الوراق البغدادي المصري، قدم دمشق طالب حديث سنة أربع عشرة وسبعمائة، وسمع من القاضي والصدر بن مكتوم وطائفة، وخطه حلو وخلقه حسن.

ولد بعد سنة ٦٩٠هـ، وتوفي سنة ٧٤١هـ بالقاهرة[٢].

ابن زنبور الوراق

هو محمد بن عمر بن علي بن خلف بن محمد بن زنبور بن عمرو بن تمتم، كنيته أبوبكر الوراق[٣]. واحد من المشتغلين بعلوم الحديث، والناقلين له، إلاّ أن الإجماع عليه أنه ضعيف، توفي سنة ٣٩٦هـ[٤].

حدّث عن عبدالله بن محمد البغوي، وأبي بكر بن أبي داود، وعمر بن محمد الدوري، قال الخطيب: حدّثني دجي الأسود ـ مولى الطائع لله، وأبوالقاسم الأزهري، وأبومحمد الخلال، ومحمد بن علي بن أحمد بن الحارث، وغيرهم أنه كان ضعيفاً جداً[٥].

وأضاف الخطيب: سألت الأزهري عن ابن زنبور، فقال في روايته عن ابن منيع، وذكر أن سماعه من الدوري صحيح[٦].

---

(١) الوافي بالوفيات ١/ ٢٨٩ الترجمة رقم ١٩٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣٥ الترجمة رقم ٩٦٤.

(٤) المصدر السابق ٣/ ٣٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

غلام الأبهري الوراق

هو محمد بن المؤمل بن الصقر، يكنى بأبي بكر الوراق، ويعرف بغلام الأبهري[1]، أنباري الأصل، ومولده في بغداد. قال الخطيب: سألت ابن المؤمل عن مولده، فقال: ولدت أول يوم من سنة ٣٤٤هـ في مدينة المنصور[2]. وتوفي سنة ٤٣٤هـ.

سمع أبابكر بن مالك القطيعي، وأبا محمد بن ماسي، وأحمد بن الحسين الحاكم المروزي، وأبابكر محمد بن عبدالله الأبهري. قال الخطيب: كتبنا عنه وكان سماعه صحيحاً[3]. لم يكن يتعاطى وراقة الحديث، بل كان يحفظ الأصول ويراجع عليه، حيث إنه كانَ أمياً لا يُحسن الكتابة ـ كما يقول الخطيب، وكان لَهُ أصولٌ بخط ابن إسماعيل الورّاق وغيره[4]. وعلى هذا الأساس كان يمارس الوراقة بمساعدة الآخرين، وبالتعاون المشترك بينه وبينهم. أي يصح وصفهُ بأنه صاحب دكان وراقة.

لم يطعن أحد في روايته، وسلم من الانتقاد، وأخذ عنه الحديث: «لا هجر بين المسلمين فوق ثلاثة أيام، أو قال ثلاث ليال»[5].

زريق الورّاق

هو محمد بن أبي هارون، أبوالفضل، واسم أبي هارون موسى بن يونس[6] وكان محمد يلقب زريقاً.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣١٢ـ٣١٣ الترجمة رقم ١٤٠٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تاريخ بغداد ٣/ ٢٤١ الترجمة رقم ١٣٢٤.

واحد من رواة الحديث الصادقين، قال عنه أبوبكر الخلال: محمد بن أبي هارون الوراق، رجل يالك من رجل جليل القدر، كثير العلم، وهو قرابة إدريس الحداد[١]. وكان مشهوداً له بالصلاح والصدق، توفي سنة ٢٨٣هـ[٢].

تعاطى الحديث، مهنة وثقافة، فقد سمع خلف بن هشام البزاز، وأحمد ابن عيسى المصري وإسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحرّاني، وعبدالله بن عمر ابن أبان الجعفي. روى عنه محمد بن مخلد، وأبوالحسين بن المنادي، وأبوسهل ابن زياد القطان.

نقل حديثاً عن علقمة عن عبدالله، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فعلمني التشهد: «التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»[٣].

أبوعيسى المخرمي الوراق

هو محمد بن الهيثم الخالد، كنيته المشهور بها أبوعيسى المخرمي الوراق[٤].

لم يشر صاحب كتاب تاريخ بغداد إلى سنة ولادته أو وفاته، بل ذكر أنه حدّث عن أبي همام الوليد بن شجاع، وحماد بن المؤمل الكلبي، وسعدان بن نصر الثقفي، وروى عنه أبوبكر المفيد، وعمر بن محمد سبنك البجلي[٥].

روي عنه حديث: «من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه، عنده طعام يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»[٦].

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٤١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٢٦٤ الترجمة رقم ١٤٧٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

ابن الصباغ الوراق

هو محمــد بن يوسف بن موسى، كنيته أبوالحسن الوراق، ويعرف بابن الصباغ[1].

قال ابن الثلاج: توفي محمد بن يوسف في رمضان سنة ٣٦٧هـ[2].

عرف عنه أنه كان حافظاً للحديث، وحدّث عن أبي بكر بن داود، وعمر ابن علي بن أحمد المروزي وجماعة من الغرباء، كما يقول الخطيب[3].

درج اسمه في سند الحديث عن حـذيفة: «قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا»[4].

مطر الورّاق

هو الإمام الزاهد الصادق، أبورجاء مطر بن طهـمان الخراساني[5]. نزل البصـرة، وكان مـولى لعلباء بن أحـمد اليـشكري، وكان واحداً من الـعلماء العاملين، اتخذ من الحديث علماً، ومن الوراقة مهنة يعتاش منها، وقد اختص بوراقة المصاحف، وكان يتقن ذلك[6].

لم تذكر مصادر ترجمـته تاريخ ولادته، وانفرد الذهبي بذكر تاريخ وفاته قائلاً: توفي مطر الوراق سنة ١٢٩هـ[7]، إلاّ أن حبيباً الزيّات يذكـر أنه قتل على يد المنصور سنة ١٤٥هـ، ويعتمد في ذلك على مخطوطة (تاريخ الموصل)

---

(١) تاريخ بغداد٣/ ٤٠٨ الترجمة رقم ١٥٣٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٥٢ الترجمة رقم ٢٠٢ وحلية الأولياء ٣/ ٧٥ الترجمة رقم ٢١١.

(٦) المصدر السابق ٥/ ٤٥٢.

(٧) المصدر السابق.

لأبي زكريا بن إياس الأزدي[1].

روى عن أنس بن مالك، والحسن، وابن بريدة، وعكرمة، وشهر بن حوشب، وبكر بن عبدالله، وطائفة غيرهم.

حدّث عنه شعبة والحسين بن واقد، وإبراهيم بن طهمان، وحمّاد بن سلمة، وحمّاد بن زيد، وعبدالعزيز بن عبدالصمد العمّي وآخرون[2].

قال الذهبي: غيره أتقن للرواية منه، ولاينحط حديثه عن رتبة الحسن، وقد احتجّ به مسلم. وقال يحيى بن معين: صالح، وقال أحمد بن حنبل: هو في عطاء ضعيف، وقال النسائي: ليس بالقوي[3].

أثنى عليه الكثير من العلماء ولا سيّما في زهده، وفقهه، حتى إن مالك ابن دينار كان يقول: يرحم الله مطراً، كان عبداً للعلم[4].

ورد اسمه في سند أكثر من حديث نبوي مروي عن أنس بن مالك، منها: قال: "كان رسول الله ﷺ يطوف على تسع نسوة في صحوة" وغيره.

جاء في مخطوطة تاريخ الموصل أنه في سنة ١٤٥هـ أتى سعيد بن دعلج الخليفة المنصور بمطر الوراق وبشير الدجال، فقال المنصور لمطر: نسيت الحرمة وطول الصحبة؟ قال: نسيناها بنسيانك كتاب الله وسنّة رسوله، وتضييعك أمور المسلمين. قال المنصور: فتخرج عليَّ مع من لم تؤنس منه رشداً؟ فهذا خلاف مذهبك. قال: لو خرج عليك الذر ـ فإنه أضعف الخلق ـ لخرجت معهم، حتى أؤدي ما افترض الله عليَّ فيك. قال المنصور: «ياابن (حسنة)

---

(١) الوراقة والوراقون في الإسلام/ ص٤٣ـ ونحن أميل إلى هذا التاريخ.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٥٣ ـ وحلية الأولياء ٣/ ٧٦.

(٣) المصدر السابق ٥/ ٤٥٣.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ٥٧٥ وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٥٣.

الزانية، قال مطر: إنك تعلم أنها خير من سلامة (أم المنصور)، ولولا أنه قبيح بذي الشيبة السفه، لأعلمتك ما تكره ولا تطيق ردّه. قال المنصور: خذوه، قال: إن بعد موقفك هذا موقفاً، وإن بعد أخذتك هذه أخذة، فانظر لمن تكون العاقبة، قال: فجزع المنصور من قوله جزعاً شديداً ظهر فيه، ثم قتله[1].

ذكر البلاذري أن مطراً الورّاق هذا كان مع العباس بن محمد بن علي العباسي أثناء غزوته كمخ[2].

أبو الحارث البجلي الورّاق

هو نصر بن حمّاد بن عجلان، كنيتهُ أبوالحارث البجلي الورّاق[3]. أخذ بعلوم الحديث وتخصّص بها، وأوقف وراقتهُ عليها، إلاّ أنه لم يكن من الموثوق بهم في الحديث، فقد جرَّحه الكثير من العلماء وقالوا عنه: ذاهب الحديث، ولا يكتب حديثه، وليس بثقة، ويُعدُّ من الضعفاء، ومتروك الحديث ببغداد[4].

رغم أنه حدّث عن شعبة، والربيع بن صبيح والمسعودي، وأبي غسان محمد بن مطرف، وعاصم بن محمد العمري، وقيس بن الربيع. وقد روى عنه ابنه أحمد، والحسن بن علي الحلواني، ومحمد بن إسحاق الضبّي، وأبويحيى بن سعيد العطّار، ومحمد بن إسحاق الصاغاني وغيرهم[5].

قال عنه الدارقطني: إنه ليس بالقوي في الحديث[6].

لم يذكر الخطيب تاريخ ولادته ووفاته، ولم يورد اسمه في سند حديثٍ ما.

---

(١) مخطوطة تاريخ الموصل لأبي زكريا بن إياس الأزدي ص ١٦٦ ـ الجزء الثاني ـ نقلاً عن حبيب زيات ص٤٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، طبعة الأخوين أنيس الطباع ـ دار النشر للجامعيين ـ بيروت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م ص ٢٦٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٨١ الترجمة رقم ٧٢٤٤.

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق ١٣/ ٢٨١.

أبومنصور الوراق

هو نصر بن الليث بن سعد، كنيته أبومنصور الوراق[1]، واحد من وراقي الحديث ببغداد، عرفهُ رجال الحديث بها وبغيرها من المدن والأمصار الإسلامية وظل ممارساً لمهنة الوراقة حتى سنة وفاته في عام ٢٧٠هـ[2].

حدّث عن يزيد بن موهب الرملي، وسليمان بن عبدالرحمن الدمشقي، وروى عنه محمد بن مخلد، وعبيدالله بن عبدالرحمن السكري، وعلي بن إسحاق المادراني[3].

ذكر اسمه في سند الحديث المروى عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ «الإيمان يمان، ورجاء الإيمان في قحطان، والقسوة والجفاء فيما ولد عدنان، حِمْيَر رأس العرب ونابها، والأزد كاهلها وجمجمتها، ومذحج هامتها وغلصمتها، وهمدان غاربها وذروتها. اللهم أعز الأنصار الذين أقام الله بهم - يعني الدين - والأنصار هم الذين آووني ونصروني، وآزروني وحموني، وهم أصحابي في الدنيا، وهم شيعتي في الآخرة، وأول من يدخل بحبوحة الجنة من أمتي»[4].

ابن مارميّ الوراق

هو يحيى بن موسى بن مارميّ - ويقال: مارمّة. كنيته أبوزكريا الوراق[5].

---

(١) تاريخ بغداد ٢٩١/١٣ الترجمة رقم ٧٢٦١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ بغداد ٢١٦/١٤ الترجمة رقم ٧٥٠٥.

كغيره من المعنيين بعلوم الحديث في بغداد، اختص به علماً ووراقة، وخالط الشيوخ والعلماء في بغداد، وأخذ عنهم.

أهمل الخطيب تاريخ ولادته ووفاته، ونقل أنه حدّث عن عبيد الله بن موسى، وقبيصة بن عتبة، وعفان بن مسلم،فروى عنه إبراهيم بن عبدالله بن أيوب المخرمي، ومحمد بن مخلّد[1].

ورد اسمه في سندي حديثين: الأول مروي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أكذب الناس الصوّاغون والصباغون». قال يحيى: فذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلاّم، فسألته عن تفسير هذا الحديث، فقال: إنما الصبّاغ الذي يزيد في الحديث من عنده يزينه به، وأمّا الصائغ، فهو الذي يصوغ الحديث ليس له أصل[2].

والحديث الثاني مروي عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «أبوبكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة»[3].

* * *

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ١٤/٢١٦ـ ٢١٧.

الفصل الثالث

الورّاقـون العلمـاء(*)

الجرمي الوراق

هو أبوعبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق بن أبي حميضة المكي، المعروف بابن أبي العلاء[1].

اتخذ الوراقة مهنة له، واختص بوراقة الأخبار فقد أشار النديم إلى أنه كان أحد العلماء وكان أخبارياً، ويرغب في خطه لضبطه[2].

ابن عقدة الورّاق(*)

هو أبوالعباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عبدالرحمن، لقّب بـ«عقدة» لأجل تعقيده في التصريف[3]. ولد ـ كما يقول هو ـ في سنة ٢٤٩هـ، وتوفي سنة ٣٣٢هـ في الكوفة[4].

(*) إن هذا الصنف من الورّاقين ـ أي العلماء ـ هُم تلك الطائفة العلمية التي تخصَّصَ أغلب أعضائها في علمٍ من العلوم، رغم اشتغالهم بالوراقة، كأن يتخصّص هذا الوراق أو ذاك بعلوم القرآن، أو بعلوم الحديث والفقه، أو بعلوم اللغة، أو بعلم الأنساب والقبائل، أو بعلم المنطق والفلسفة، ويصبح هذا العالم ذا رأي في ذلك العِلم، ومنه تؤخذ أحكامه، وعلى يديه يُحل الخلاف فيه، وكثيراً مايكون لدى هؤلاء العلماء تلاميذ، يتتلمذون على أيديهم وعلى ضوء منهجهم في ذلك العِلم.

(١) الفهرست / ص١٢٠.

(٢) المصدر السابق.

(*) تاريخ بغداد ٥/ ١٤ـ٢٣ الترجمة رقم ٢٣٦٥ ـ والمنتظم ٦/ ٣٣٦ـ٣٣٧ الترجمة رقم ٥٥٠.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١٦.

(٤) المصدر السابق ٥/ ٢٢ـ٢٣.

امتهن الوراقة، وأجادها في مدينة «الكوفة»، فقد نعته الخطيب البغدادي بكونه «وراقاً جيّد الخط»(١)، كما أنه اشتهر بحفظه للحديث، وعلى ما يبدو أن تخصصه في مهنة الوراقة كان لنسخ الحديث، مما زاد في تنشيط ذاكرته وحافظته لآلاف الأحاديث النبوية، يقول ابن إسحاق - الحافظ النيسابوري -: قال لي أبوالعباس بن عقدة: دخل البرديجي(٢) الكوفة، فزعم أنه أحفظ مني، فقلت: لا تطوّل، تتقدم إلى دكان ورّاق، وتضع القبان، وتزن من الكتب ماشئت، ثم تلقي علينا فنذكره، قال: فبقي (مبهوتاً)(٣).

وهذه الحادثة تشير إلى مدى قابليته للحفظ والتذكر، حتى إن أباعليّ الحافظ يقول عنه: مارأيت أحداً أحفظ لحديث الكوفيين من أبي العباس بن عقدة، ويثني على ذلك الدارقطني بقوله: أجمع أهل الكوفة أنه لم ير من زمن عبدالله بن مسعود إلى زمن أبي العباس بن عقدة أحفظ منه(٤).

وعن هذه الخاصيّة الفريدة في الحفظ، التي عرف بها، قال أبوالطيّب أحمد بن الحسن بن هرثمة: كنّا بحضرة أبي العباس بن عقدة الكوفي المحدّث، نكتب عنه، وفي المجلس - يقصد مجلس الإملاء - رجل هاشمي إلى جانبه، فجرى حديث حفّاظ الحديث، فقال أبوالعباس: أنا أجيب في ثلثمائة ألف حديث، من حديث بيت هذا سوى غيرهم، وضرب بيده على الهاشمي(٥)، أي أنه يحفظ عن آل البيت.

ونقل عنه ابن الجوزي: قال ابن عقدة مرّة: أحفظ من الحديث بالأسانيد

---

(١) تاريخ بغداد ٥/١٦.

(٢) البرديجي: الإمام الحافظ أبوبكر أحمد بن هارون بن روح البرديجي - البرذعي - نزيل بغداد - راجع سير أعلام النبلاء ١٤/١٢٢.

(٣) تاريخ بغداد ٥/١٦ - وكلمة (مبهوتاً) زيادة من المشرفين على طبع تاريخ بغداد، لأن الأصل فراغ.

(٤) تاريخ بغداد ٥/١٦ والمنتظم ٦/٣٣٧.

(٥) تاريخ بغداد ٥/١٦.

والمتون منسقاً خمسين ومائتي ألف حديث، وأذكر من الأسانيد وبعض المتون والمراسيل والمقاطيع ستمائة ألف حديث[1]، وكان لا يحب أن يطوى على نفسه بذلك، قال أبوالحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوي: حضر أبوالعباس بن عقدة عند أبي في بعض الأيام، فقال له: ياأبا العباس، قد أكثر الناس علي في حفظك الحديث، فأحب أن تخبرني بقدر ما تحفظ؟ فامتنع أبوالعباس أن يخبره، وأظهر كراهة ذلك، فأعاد المسألة، وقال: عزمت عليك إلا أخبرتني، فقال أبوالعباس: أحفظ مائة ألف حديث بالإسناد والمتن، وأذكر بثلثمائة ألف حديث. قال أبوالعلاء: وقد سمعت جماعة من أهل الكوفة وبغداد يذكر عن أبي العباس بن عقدة مثل ذلك[2].

قال أبوالحسين محمد بن علي بن مخلّد الورّاق: سمعت عبدالله الفارسي يقول: أقمت مع إخوتي بالكوفة عدة سنين، نكتب عن ابن عقدة، فلما أردنا الانصراف ودعناه، فقال لنا: قد اكتفيتم بما سمعتم مني، أقل شيخ سمعت منه، عندي عنه مائة ألف حديث، فقال عبدالله الفارسي: أيها الشيخ نحن إخوة أربعة، قد كتب كل واحد منّا عنك مائة ألف حديث[3].

ولهذه الناحية أحسن الدارقطني في تقييمه له عندما قال: كان أبوالعباس ابن عقدة يعلم ما عند الناس، ولا يعلم الناس ما عنده[4].

علمه بنقد «الحديث» ورواياته :

أسهب الخطيب البغدادي في وصف مزايا وحفظ ابن عقدة، رغم اختلاف الميل والهوى بينه وبينه، لكن موضوعيته تسمو به فوق أيّ انحياز،

---

(١) المنتظم ٦/٣٣٧.

(٢) تاريخ بغداد ٥/١٧.

(٣) المصدر السابق ٥/١٧ـ١٨.

(٤) المصدر السابق ٥/١٨.

لذلك كان ينقل بأمانة ما يقال عنه.

قال الخطيب: أخبرنا أبومنصور محمد بن عيسى الهمذاني، عن صالح ابن أحمد بن محمد الحافظ، قال: سمعت أباعبدالله الزعفراني يقول: روى ابن صاعد ـ الأندلسي ـ ببغداد في أيامه حديثاً أخطأ في إسناده، فأنكر عليه ابن عقدة الحافظ، فخرج عليه أصحاب ابن صاعد، وارتفعوا إلى الوزير عليّ ابن عيسى، وحبس ابن عقدة، فقال الوزير: من يسأل ويرجع إليه؟! فقالوا: ابن أبي حاتم، فكتب اليه الوزير يسأله عن ذلك، فنظر وتأمل، فإذا الحديث على ما قاله ابن عقدة، فكتب إليه بذلك، فأطلق ابن عقدة وارتفع شأنه[1]. وهذه الحادثة تشير إلى موقفه المعرفي، حيث عارض ابن صاعد أمام الناس، وخطّأ إسناده، وأدلى بالصحيح.

وثمة حادثة أخرى، بهذا السياق، تبيّن مدى دقة تصويبه للحديث وأسانيده، وأخباره المتواترة، رواها الخطيب أيضاً، قال: حدّثني محمد بن طاهر الدقاق، قال: سمعت جماعة يذكرون أن يحيى بن صاعد كان يملي حديثه من حفظه، من غير نسخة، فأملى يوماً في مجلسه حديثاً عن أبي كريب، عن حفص بن غياث عن عبيدالله بن عمر، فعرض على أبي العباس بن عقدة، فقال: ليس هذا الحديث عن أبي محمد عن أبي كريب، وإنما سمعه من أبي سعيد الأشج، فاتصل هذا القول بابن صاعد، فنظر في أصله، فوجده كما قال، فلما اجتمع الناس قال لهم: إنا كنّا حدثناكم عن أبي كريب عن حفص عن عبيدالله، بحديث كذا، ووهمنا فيه، إنما حدثنا أبوسعيد الأشج عن حفص ابن غياث، وقد رجعنا عن الرواية الأولى. قلت لحمزة ـ والحديث لمحمد بن طاهر الدقاق ـ ابن عقدة الذي نبّه يحيى على هذا؟! فتوقف ثم قال: ابن عقدة

---

(٣) تاريخ بغداد.

أو غيره[1]، وهذا اعتراف آخر بفضله ودقّة معرفته بعلوم الحديث.

شدّ ابن عقدة رحاله إلى بغداد ثلاث مرات، طلباً للحديث وتحققاً من صحته، وسماعه من أفواه شيوخه، فسمع في المرّة الأولى من إسماعيل القاضي ونحوه، وفي الثانية كانت في حياة ابن منيع، وطلب من ابن الجعابي شيئاً من حديث يحيى بن صاعد لينظر فيه، قال ابن الجعابي: فجئت إلى ابن صاعد وسألته أن يدفع إليّ شيئاً من حديثه لأحمله إلى ابن عقدة، فدفع إليّ مسند علي بن أبي طالب، فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي: كيف دفع إليّ هذا وابن عقدة أعرف الناس به! مع اتساعه في حديث الكوفيين، وحملته إلى ابن عقدة، فنظر فيه ثم ردّه على. فقلت: أيها الشيخ هل فيه شيء يستغرب؟ فقال نعم، فيه حديث خطأ، فقلت: أخبرني به، فقال: والله لا أعرفنك ذلك حتى أجاوز قنطرة الياسرية[2]، وكان يخاف من أصحاب ابن صاعد، فطالت عليّ الأيام انتظاراً لوعده، فلما خرج إلى الكوفة سرت معه، فلما أردت مفارقته. قلت: وعدك؟ فقال: نعم، الحديث عن أبي سعيد الأشج عن يحيى ابن زكريا بن أبي زائدة، قال: فودعته، وجئت إلى ابن صاعد، فقلت له: وِلِدَ أبوسعيد الأشج في الليلة التي مات فيها يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، فقال: كذا يقولون، فقلت له: في كتابك حديث عن الأشج عنه فما حاله؟! فقال لي: عرف ذلك ابن عقدة؟! فقلت: نعم، فقال: لأجعلن على كل شجرة من لحمه قطعة، ثم رجع إلى الأصول، فوجد الحديث عنده عن شيخ غير أبي سعيد الأشج عن ابن أبي زائدة، وقد أخطأ في نقله، فجعله على الصواب أو كما قال[3].

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٨.

(٢) لم يذكرها ياقوت في معجم البلدان ج٤/ مادة ـ قنطرة ـ وعلى مايظهر أنها موضع أقرب للكوفة، ويتوسط بينها وبين بغداد.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١٩.

وهذا الأمر يبيّن مدى دقة ابن عقدة ومتابعته لأصول علم الحديث، ومدى خوفه من الآخرين ـ جماعة يحيى بن صاعد ـ المتزمتين لشيخهم، وفي الوقت نفسه يظهر خوف ابن صاعد من الخطأ، الأمر الذي دعاه إلى مراجعة الأصول.

يظهر أن حال علماء الحديث مضطربة وغير مستقرة، وتخضع ـ بشكل أو بآخر ـ إلى المنظورات الآيديولوجية، لكل فئة تنتمي إلى مذهب معيّن، لذلك نشاهد أن خوف ابن عقدة مبرر، على اعتبار أنه من أصحاب الحديث الشيعي، ونظراً لتفرّد ابن عقدة بسعة الحفظ والدراية بأصول الأحاديث، فإن مناوئيه ناصبوه العداء، لجهلهم بالمقام الأول، وكثر اللغط حوله، والشك في رواياته، والقدم في مسلكيته، نتيجة هذا التفوق المعرفي، ولكن أكابر العلماء كانوا يكنون له الاحترام؛ قال محمد بن عبدالله أبوعبدالله النيسابوري، قلت لأبي علي الحافظ: إن بعض الناس يقولون في أبي العباس (ابن عقدة) قال: في ماذا؟ قلت: في تفرده بهذه المقحمات عن هؤلاء المجهولين، فقال: لاتشتغل بمثل هذا، أبوالعباس إمام حافظ، محلّه محلّ من يسأل عن التابعين وأتباعهم[1].

وقال عنه عبدالله بن أحمد بن حنبل: منذ نشأ هذا الغلام أفسد حديث الكوفة ـ يعني أبوالعباس ابن عقدة[2]ـ وقال أبوأحمد عبدالله بن عدي الحافظ: سمعت عبدان الأهوازي يقول: ابن عقدة قد خرج عن معاني أصحاب الحديث، ولايذكر حديثه معهم[3].

كان ابن عقدة غوّاصاً في كتب الحديث، صافي الذهن لها، مطبوع القريحة عليها، لا يمل عن البحث فيها، قال عنه أبوالعباس بن سعيد: كان

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق ٥/ ٢٠.

(٣) المصدر السابق.

قدّامي كتاب فيه نحو خمسمائة حديث عن حبيب بن أبي ثابت الأسدي، لا أعرف له طريقاً، فلما كان يوم من الأيام قال لبعض ورّاقيه: قم بنا إلى بجيلة موضع المغنيات، فقلت ـ والكلام للوراق ـ: أيش نعمل؟ فقال: بلى تعال، فإنها فائدة لك، قال فامتنعت عليه، فغلبني على المجيء، قال: فجئنا جميعاً إلى الموضع، فقال لي: سل عن قصيعة المخنّث، فقلت: الله، الله ياسيدي أباالعباس، ذا فضيحة لا تفضحنا، فقال: فحملني الغيظ، فدخلت وسألت عن قصيعة، فخرج إليّ رجل في عنقه طبل مخضّب بالحنّاء، فجئت به إليه، فقلت: هذا قصيعة، فقال: ياهذا، امض فاطرح ما عليك والبس قميصك وعاود، فمضى ولبس قميصه وعاد، فقال له: مااسمك؟ قال: قصيعة. قال: دع هذا عنك، هذا شيء لقّبك به هؤلاء، مااسمك على الحقيقة؟ فقال: محمد، قال: صدقت، ابن من؟ قال: ابن علي، قال: صدقت، ابن من؟ قال: ابن حمزة، قال: صدقت، ابن من؟ قال: لا أدري والله ياأستاذي، قال: أنت محمد بن علي بن حمزة بن فلان بن فلان بن حبيب بن أبي ثابت الأسدي، ثم أخرج من كمه الجزء، فدفعه إليه، وقال له: امسك هذا، فأخذه، ثم قال: ادفعه إليّ، ثم قال له: قم انصرف، ثم جعل أبوالعباس يقول: دفع إليه فلان بن فلان بن حبيب بن أبي ثابت كتاب جدّه، فكان فيه كذا وكذا[1].

ظلت التهم والمثالب توجّه إليه، وتقدح في رواياته، لأنه كان واسع السند ولايستطيع الآخرون السيطرة على حديثه[2] من جهة، ومن جهة أخرى، ميله للتشيّع، قال ابن طاهر الدقاق: سئل أبوالحسن الدارقطني ـ وأنا أسمع ـ عن أبي العباس بن عقدة فقال: كان رجل سوء[3]. وقال أبوبكر البرقاني:

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٢٠

(٢) المصدر السابق ٥/ ٢١.

(٣) المصدر السابق ٥/ ٢٢.

سألت أباالحسن الدارقطني عن أبي العباس بن عـقدة، وقلت: أيش أكبر ما في نفسك عليه؟ فوقف ثم قال: الإكثار من المناكير[1].

ومما أخذ على ابن عقدة أنه كان يملي المثالب على الصحابة للطعن، قال حمزة بن يوسف: سمعت أباعمر بن حيويه يقول: كان أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة في جامع براثا يملي مثالب أصحاب رسول الله ﷺ أو قال الشيخين، أبي بكر وعمر، فتركت حديثه لا أحدّث عنه بشيء، وماسمعت عنه بعد ذلك شيئاً[2].

مكتبة ابن عقدة :

إن رجلاً مثل هذا الحافظ الكبير للحديث، من الضروري أن تكون له خزانة كتب كبيرة وقيّمة، فقد ذكر الخطيب البغدادي وابن الجوزي حجم مكتبته، فقد نقل عنه أنه أراد أن ينتقل من الموضع الذي كان فيه إلى موضع آخر، فاستأجر من يحمل كتبه، وشارط الحمالين أن يدفع لكل واحد منهم دانقاً لكل كرّة، فوزن لهم أجورهم مائة درهم، وكانت كتبه ستمائة حمل[3].

رحل عن الدنيا سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وهو في الكوفة[4].

الحامض الوراق(*)

هو أبوموسى سليمان بن محمد بن أحمد، المعروف بالحامض البغدادي، أحد أئمة النحاة الكوفيين[5]، أخذ عنه ثعلب، وخلفه في مقامه وتصدر بعده،

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١٨ والمنتظم ٦/ ٣٣٧ وخزائن الكتب القديمة لكوركيس عواد/ ص٢١٧.

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ٢٢ ـ ٢٣.

(*) الفهرست/ ص ١١٧، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٥٣ـ٢٥٥.

(٥) قال النديم ـ أخذ عن البصريين ـ الفهرست ص١١٧. ومانقلناه من ياقوت معجم الأدباء ١١/ ٥٤.

وصف بحسن الخط وحسن المذهب في الضبط، وهي إحدى المقومات الأساسية للوراق.

لم تشر المصادر إلى تاريخ ولادته، واكتفت بذكر وفاته، حيث أنه مات في خلافة المقتدر لسبع أو لست بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثمائة[1]، بعد أن علت رايته في علوم اللغة.

روى عنه أبوعمر الزاهد المعروف، بغلام ثعلب، وأبوجعفر الأصبهاني برزويه، وقرأ عليه أبوعلي النقار، كتاب الإدغام للفراء، فقال له أبوعلي: أراك يا أبا موسى تلخص البيان تلخيصاً لا أجده في الكتب. فقال: هذا ثمرة صحبة أبي العباس ثعلب أربعين سنة[2].

ومعنى القراءة عليه هنا، أنه يجيز نسخ علوم العربية لأي عالم لغوي مات ولم تؤخذ الإجازة منه[3].

قال عنه أبوالحسن بن هارون: أبوموسى أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر، وكان جامعاً بين المذهبين: الكوفي والبصري، وكان يتعصب للكوفيين، وكان شرس الأخلاق، ولذا قيل له: الحامض[4].

خلف وراءه من المصنفات والكتب مايلي، وفق ماذكرته المصادر عنه[5].

١ ـ كتاب خلق الإنسان.

٢ ـ كتاب السبق والنضال.

٣ ـ كتاب المختصر في النحو.

---

(١) معجم الأدباء ١١/ ٢٥٥.

(٢) المصدر السابق ١١/ ٢٥٤.

(٣) راجع «منهج الوراقة» في هذا الكتاب.

(٤) معجم الأدباء ١١/ ٢٥٤ـ٢٥٥.

(٥) المصدر السابق، المكان نفسه. والفهرست/ ص١١٧.

٤ ـ كتاب النبات.

٥ ـ كتاب الوحوش.

٦ ـ كتاب مختصر النحو، وغير ذلك.

شجاع الوراق(*)

هو شجاع بن فارس بن الحسين بن غريب، الحافظ الإمام أبوغالب الذهلي.

ولد سنة ٤٣٠هـ، وتوفي سنة ٥٠٧هـ، وتتلمذ على شيوخ بغداد في الحديث، وعنهم سمع؛ أمثال أبي طالب بن غيلان، وعبدالعزيز بن علي الأزجي، وأبي محمد بن المقتدر الأمين، وأبي محمد الجوهري، وأبي جعفر ابن المسلمة، وأبي بكر الخطيب البغدادي. وحدث عنه إسماعيل بن السمرقندي وعبدالوهاب الأنماطي، وابن ناصر، وعمر بن ظفر، وأبوطاهر السلفي، وسليمان بن جروان وآخرون(١).

ورغم سعة علمه بالحديث، فقد كان وراقاً مختصاً بوراقة الحديث والتفاسير، قال عنه السمعاني: نسخ بخطه كثيراً من التفسير والحديث والفقه مالم ينسخه أحد من الوراقين، وأضاف: قال لي عبدالوهاب الأنماطي: دخلت (عليه)(٢) يوماً فقال لي: توبني: فقلت: من أي شيء: قال: كتبت شعر ابن الحجاج(٣) بخطي سبع مرات(٤).

(*) المنتظم ١٧٦/٩ وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٤٠ الترجمة رقم ١٠٥٢.

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٣٠

(٢) هذه الإضافة من عندنا.

(٣) وابن الحجاج ـ حسن بن أحمد بن محمد جعفر بن الحجاج ـ النيلي البغدادي ـ شاعر مخل من كتاب العصر البويهي. قال عنه الذهبي: شاعر العصر وسفيه الأدب وأمير الفحش. وقال ابن خلكان: «كان فرد زمانه لم يسبق إلى تلك الطريقة» راجع عنه أعلام الزركلي ٢٣١/٢ والهوامش والإحالات التي ذكرها في ترجمته.

(٤) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٤٠ ـ والمنتظم ١٧٦/٩.

قال عبدالوهاب، مشيراً بفضله وسعة انتشار خطه: قلما يوجد بلد من بلاد الإسلام إلا فيه بخطه شيء، وكان مفيد أهل بغداد والمرجوع له في معرفة الشيوخ، وشرع في تتمة تاريخ بغداد ذيل به على تاريخ الخطيب، ثم غسله قبل موته. وعندما توفي دفن بمقبرة باب حرب قريباً من ابن سمعون(١).

الشمعي الوراق

هو عبدالله بن العباس بن جبريل بن ميخائيل، وكنيته أبومحمد الوراق ويعرف بالشمعي(٢).

لم يعرف تاريخ ولادته، إلا أنه توفي سنة ٣٢٦هـ(٣).

عرف عنه اهتمامه بعلوم الحديث، وهو الأمر الذي مكنه من التخصص في الوراقة، في هذا الجانب، فقد حدث عن علي بن حرب الطائي، وحماد ابن الحسين الوراق، وأحمد بن ملاعب وغيرهم.

روى عنه محمد بن الحسين أبوالفتح الأزدي، وأبوالحسن الدارقطني، وأبوحفص بن شاهين، ويوسف القواس، وعبدالله بن عثمان الصفار(٤).

روى عنه الحديث التالي: «سن رسول الله ﷺ صلاة السفر ركعتين وهي تمام، والوتر في السفر سنة»(٥).

قال عنه علي بن عمر الحافظ: عبدالله بن العباس بن جبريل الشمعي، شيخ ثقة، كتبنا عنه(٦).

---

(١) المصادر السابقة، نفس الأمكنة.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/٣٧ الترجمة رقم ٥١٥٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

أبومحمد الوراق

هو عبدالله بن عبدالرحمن بن بشر بن هلال الأنصاري يعرف بعبدالله ابن أبي سعد، وكنيته أبومحمد الوراق.

أصله من بلخ وسكن بغداد، وأخذ من علومها على يد العلماء ـ أصحاب الحديث ـ ولد سنة ١٩٧هـ، وتوفي بسامراء سنة ٢٧٤هـ[١].

كان صاحب أخبار كما يقول الخطيب[٢]، إلا أن شهرته بعلوم الحديث طاغية على كل فن ومعرفة، فقد حدَّث ببغداد عن حسين بن محمد المروزي، ومعاوية بن عمر، وعفان بن مسلم، وسليمان بن حرب، وسريج بن النعمان، وهوذة بن خليفة، وسعيد بن سليمان، وعبدالله بن صالح العجلي، وسليمان ابن داوود الهاشمي، وعلي بن الجعد، وعبدالله بن محمد البغوي، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وعبيدالله بن عبدالرحمن السكري، وأبي مزاحم الخاقاني، ومحمد بن عبدالله المستعيني، والحسين بن القاسم الكوكبي، والحسين بن إسماعيل المحاملي، وجماعة آخرهم أبوعمر بن السماك[٣].

وإضافة إلى ذلك فقد كان صاحب أخبار وأداب وملح[٤] إلى جانب مهنة الوراقة.

الرمّاني الورّاق[*]

هو علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرمّاني، كنيته أبوالحسن

---

(١) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ١٠/٢٦. الترجمة رقم ٥١٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ١٠/٢٥ـ ٢٦.

(٤) المصدر السابق ١٠/٢٦.

(*) ترجمته في معجم الأدباء ١٤/٧٣ (٢٠) وبغية الوعاة للسيوطي ص٢٤٤ وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٤ (٤٧٦).

الوراق[1]، أصلة من سرّ من رأى، ومولده ببغداد سنة ٢٩٦هـ[2]، ووفاته سنة ٣٨٤هـ[3].

كان إماماً في اللغة العربية، وعلاّمة في الأدب في طبقة أبي علي الفارسي والسيرافي، تتلمذ على يد ابن السراج والزجّاج وابن دريد.

قال عنه أبوحيان التوحيدي: لم يُرَ مثله قط علما بالنحو، وغزارة بالكلام وبصرا بالمقالات، واستخراجاً للعويص، وإيضاحاً للمشكل، مع تأله وتنزّه، ودين وفصاحة وعفاف ونظافة[4]، كان يمزج كلامه في النحو بالمنطق، حتى قال أبوعلي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرمّاني، فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن، فليس معه منه شيء. وكان يقال: النحويون في زماننا ثلاثة: واحد لايفهم كلامه وهو الرمّاني، وواحد يفهم بعض كلامه، وهو أبوعلي الفارسي، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذ وهو السيرافي[5].

تفصح مصادر ترجمته أنه كان معتزليّاً، تتلمذ على يد الإخشيد المتكلم المعتزلي، وسار على مذهبه[6].

اشتغاله بالوراقة جعله يحتكّ بكل العلماء الوافدين على سوق الورّاقين، حيث كان هذا السوق مجالس العلماء والأدباء، لذلك كان دكّانه مقصوداً للشراء منه والأخذ عنه، والاستراحة عنده، حتى لقد ذكره التوحيدي كثيراً في

---

(١) معجم الأدباء ١٤/ ٧٣ والزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص١٣٠.

(٢) إنباه الرواة ٢/ ٢٩٦.

(٣) المصدر السابق، وبغية الوعاة ص٣٤٤ ـ ومعجم الأدباء ١٤/ ٧٤.

(٤) بغية الوعاة ص ٣٣٤.

(٥) المصدر السابق ومعجم الأدباء ١٤/ ٧٥.

(٦) معجم الأدباء ١٤/ ٧٤ وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٤.

«المقابسات»[1]، ونقل عنه أشياء كثيرة، وهذا يعني أن ورّاقنا هذا كان في الصفوة الأولى مع العلماء، وهو الأمر الذي يشير إلى حضوره الثقافي والأدبي، فلقد أشارت المصادر إلى كتبه التالية[2]:

١ ـ كتاب تفسير القرآن المجيد.

٢ ـ كتاب الحدود الأكبر.

٣ ـ كتاب الحدود الأصغر.

٤ ـ كتاب معاني الحروف.

٥ ـ كتاب شرح الصفات.

٦ ـ كتاب شرح الموجز لابن السراج.

٧ ـ كتاب شرح الألف واللام للمازني.

٨ ـ كتاب إعجاز القرآن.

٩ ـ كتاب شرح مختصر الجرمي.

١٠ـ كتاب شرح أصول ابن السراج.

١١ـ كتاب شرح سيبويه.

١٢ـ كتاب المسائل المفردات من كتاب سيبويه.

١٣ـ كتاب شرح المدخل للمبرّد.

١٤ـ كتاب التصريف.

١٥ـ كتاب الهجاء.

١٦ـ كتاب الإيجاز في النحو.

١٧ـ كتاب الاشتقاق الكبير.

١٨ـ كتاب الاشتقاق الصغير.

---

(١) المقابسة رقم ٣٠/ ص١٨٦ ـ طبعة ١.

(٢) معجم الأدباء ١٤/ ٧٥ وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٥، وبغية الوعاة للسيوطي/ ص٣٤٤.

١٩ـ كتاب الألفات في القرآن.

٢٠ـ كتاب شرح المقتضب.

٢١ـ كتاب شرح معاني الزجّاج.

٢٢ـ كتاب المبتدأ في النحو[1].

٢٣ـ كتاب الخلاف بين النحويين.

٢٤ـ كتاب شرح مسائل الأخفش الكبير والصغير.

٢٥ـ كتاب الخلاف بين سيبويه والمبرّد.

٢٦ـ كتاب نكت سيبويه.

٢٧ـ كتاب أغراض سيبويه.

٢٨ـ كتاب المخزومات.

٢٩ـ كتاب التصريف.

٣٠ـ كتاب الجامع في علم القرآن.

٣١ـ كتاب النكت في إعجاز القرآن.

٣٢ـ كتاب المختصر في علم السور القصار.

٣٣ـ كتاب المتشابه في علم القرآن.

٣٤ـ كتاب شرح الشكل والنقط لابن السراج.

٣٥ـ كتاب غريب القرآن.

٣٦ـ كتاب جواب مسائل طلحة.

٣٧ـ كتاب المسائل والجواب من كتاب سيبويه.

٣٨ـ كتاب في تهذيب أبواب كتاب سيبويه.

* أمّا كتبه في علم الكلام، فهي[2]:

---

(١) من التسلسل ٢٢ وحتى النهاية مذكورة عند القفطي ـ إنباه الرواة ٢/ ٢٩٥ـ ولم يدرجها ياقوت.

(٢) انفرد القفطي بذكرها ـ راجع إنباه الرواة ٢/ ٢٩٥ـ ٢٩٦.

٣٩ـ كتاب صنعة الاستدلال يشتمل على سبعة كتب.

٤٠ـ كتاب نكت المعونة بالزيادات لابن الإخشيد.

٤١ـ كتاب شرح المعونة ـ لم يتمّه.

٤٢ـ كتاب الأسماء والصفات للّه عز وجل.

٤٣ـ كتاب ما يجوز على الأنبياء وما لا يجوز.

٤٤ـ كتاب المرويّة في النقض على الأشعري.

٤٥ـ كتاب نقض التثليث على يحيى بن عدي.

٤٦ـ كتاب تجانس الأفعال.

٤٧ـ كتاب استحقاق الذم.

٤٨ـ كتاب الإمامة.

٤٩ـ كتاب الرؤية.

٥٠ـ كتاب السؤال والجواب ـ غير الذي تقدّم.

٥١ـ كتاب الأكوان.

٥٢ـ كتاب نقض استحقاق الذم في الرد على أبي هاشم.

٥٣ـ كتاب تحريم المكاسب.

٥٤ـ كتاب الحظر والإباحة.

٥٥ـ كتاب مسائل أحمد بن إبراهيم البصري.

٥٦ـ كتاب ابن جابي.

٥٧ـ كتاب جوامع العلم في التوحيد.

٥٨ـ كتاب صفات النفس.

٥٩ـ كتاب شرح الأسماء والصفات لأبي علي.

٦٠ـ كتاب الإرادة.

٦١ـ كتاب نكت الإرادة.

٦٢ـ كتاب المعلوم والمجهول والنفي والإثبات.

٦٣ـ كتاب الأسباب.

٦٤ـ كتاب الحقيقة والمجاز.

٦٥ـ كتاب نقد الاجتهاد.

٦٦ـ كتاب المجالس في استحقاق الذم.

٦٧ـ كتاب مجالس ابن الناصر.

٦٨ـ كتاب مسائل أبي علي بن الناصر في علم القرآن.

٦٩ـ كتاب نكت الأصول.

٧٠ـ كتاب الأصلح الكبير.

٧١ـ كتاب الأصلح الصغير.

٧٢ـ كتاب تهذيب الأصلح.

٧٣ـ كتاب المسائل والجواب في الأصلح الواردة من مصر.

٧٤ـ كتاب المسائل في اللطيف من الكلام.

٧٥ـ كتاب أدب الجدل.

٧٦ـ كتاب أصول الجدل.

٧٧ـ كتاب أصول الفقه.

٧٨ـ كتاب الرد على الدهرية.

٧٩ـ كتاب المنطق.

٨٠ـ كتاب الرسائل في الكلام.

٨١ـ كتاب مسائل أبي العلاء.

٨٢ـ كتاب مبادئ العلوم.

٨٣ـ كتاب المباحث.

٨٤ـ كتاب المعرفة.

٨٥ـ كتاب صغير في الصفات.

٨٦ـ كتاب الأوامر.

٨٧ـ كتاب العلوم.

٨٨ـ كتاب الأسماء والصفات.

٨٩ـ كتاب العلل.

٩٠ـ كتاب العوض.

٩١ـ كتاب أدلة التوحيد.

٩٢ـ كتاب التوبة.

٩٣ـ كتاب مقالة المعتزلة.

٩٤ـ كتاب الإخبار والتميّز.

٩٥ـ كتاب تفضيل علي.

٩٦ـ كتاب الرد على من قال بالأحوال.

٩٧ـ كتاب الرد على المسائل البغداديات لأبي هاشم.

٩٨ـ كتاب التعليق.

٩٩ـ كتاب في الطبائع.

١٠٠ـ كتاب أماليه.

كان أكثر ما يصنّفه يؤخذ عنه إملاء[١].

قال ياقوت الحموي: قرأت بخط أبي سعد: سمعت أباطاهر السبخي... سمعت القاضي أبا القاسم التنوخي (علي بن المحسّن) قال: سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي يقول وقد سئل، فقيل له: لكلّ كتاب ترجمة، فما ترجمة كتاب الله عزّ وجل؟ فقال: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢][٢].

---

(١) القفطي: إنباه الرواة ٢/٢٩٦.

(٢) معجم الأدباء ١٤/٧٦.

كان الرمّاني ذا أدب رفيع وعبارة جزلة، وجملة متينة عالية البلاغة، يقول التوحيدي في هذا: سمعت علي بن عيسى يقول لبعض أصحابه: لا تعادين أحداً وإن ظننت أنه لن ينفعك، فإنك لا تدري متى تخاف عدوّك أو تحتاج إليه!؟ ومتى ترجو صديقك أوتستغني عنه، وإذا اعتذر إليك عدوّك، فاقبل عذره، وليقلّ عيبه على لسانك(١).

وقال التوحيدي أيضاً: رأيت في مجلس علي بن عيسى النحوي رجلاً من مرو يسأله عن الفرق بين «من وما» و«من وممّ»، فأوسع له الكلام وبيّن، وقسّم وفرّق، وحدّ ومثّل، وعلّق كل شيء منه بشرطه، من غير أن فهم السائل أو تصوّر، وسأل إعادته عليه وإبانته له، ففعل ذلك مراراً من غير تصوّر حتى أضجره، ومن حدّ الحلم أخرجه، فقال له: أيها الرجل يلزمني أن أبيّن للناس وأصوّر لمن ليس له بناعس، وماعليَّ أن أفهم البُهم والشقر والدهم، مثلك لا يتصور هذه المسألة بهذه العبارة وهذه الأمثلة، فإن أرحتنا ونفسك فذاك، وإلا فقد حصلنا معك على الهلاك، قم إلى مجلس آخر ووقت غير هذا، فأسمعه الرجل ما ساء الجماعة، وعاد بالوهن والغضاضة، ووثب الناس لضربه وسحبه، فمنعهم من ذلك أشد منع بعد قيامه من صدر مجلسه ودفع الناس عنه، وأخرجه صاغراً ذليلاً مهيناً، والتفت إلى أبي الحسن الدقاق ـ أحد أعلام ذلك العصر ـ وقال له: متى رأيت مثل هذا، فلا يكونن منك إلا التؤدة والاحتمال، وإلاّ فتصير نظيراً لخصمك، وتعدم في الوسط فضل التميّز، وأنشأ يقول:(٢)

ولولا أن يقال هجا نُميراً	ولم نسمع لشاعرها جوابا
رغبنا عن هجاء بني كليبٍ	وكيف يشاتم الناس الكلابا

(١) معجم الأدباء ١٤/ ٧٦ـ٧٧.

(٢) المصدر السابق ١٤/ ٧٧ـ٧٨.

أبوبكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي

كان من الورّاقين العلماء، عرف بـ«المستملي الورّاق» سمع أباه، وتتلمذ عليه، وعلى غيره من الشيوخ العلماء والمحدّثين من أمثال الحسن بن الطيّب الشجاعي، وعمر بن أبي غيلان الثقفي، وأحمد بن الحسن بن عبدالجبار الصوفي، وحامد بن محمد بن شعيب البلخي، ومحمد بن يحيى بن الحسين العمي، ومحمد بن محمد الباغندي، وعبدالله بن محمد البغوي ومن بعدهم. وروى عنه الدارقطني، قال: حدّثني محمد بن إسماعيل الورّاق، ويرفع الحديث إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «السفر قطعة من العذاب»، الحديث المعروف[1].

من هذا الاستهلال التاريخي ـ الفقهي الذي يورده صاحب تاريخ بغداد، تظهر الأهمية لشيخنا الورّاق، كمحدّث أولاً، تربّى على سماع الحديث وأخذ منه، وهو ما يجعله في طبقة علماء الحديث، أولاً، قبل أن يمتهن أي شيء، ولهذه الأفضلية في عصره غاية سامية، كان العلماء يطمحون للوصول إليها.

وُلد الشيخ الوراق في بغداد ـ كما يقول ـ سنة ثلاث وتسعين ومائتين للهجرة، وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، ودفن في محلة «باب حرب»، وقد عرف عنه الثقة في الحديث والسيرة الحسنة بين الناس[2].

من جميل نوادره: حكاية حدثت له مع ابن صاعد، أحد المحدثين في ذلك الوقت ـ القرن الرابع الهجري ـ يقول: دققت على أبي محمد بن صاعد بابه، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا أبوبكر بن أبي علي، يحيى هنا؟ فسمعته يقول للجارية: هاتي النعل حتى أخرج إلى هذا الجاهل الذي يكنّي نفسه وأباه ويسميني، فأصفعه.

وهذه الحكاية كثيراً ما كان يسأل عنها، فيقول للذي يسأله: اسكت

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢/ ٥٣ـ٥٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٨٨ـ٣٨٩.

الآن، فإذا ألحوا عليه في السؤال حكاها لهم، ولكن ظل أبوبكر من ذوي السمعة في الحديث وروايته، قال أبوحفص ابن الزيّات: حضرت عند أحمد بن الحسن بن عبدالجبار الصوفي، وحضر محمد بن إسماعيل الورّاق مع أبيه، فسمع نسخة يحيى بن معين، ثم قام إسماعيل وأخذ بيد ابنه، وقال للجماعة: اشهدوا أن ابني قد سمع من هذا الشيخ نسخة يحيى بن معين.

وكما أسلفنا، فإن ثقات الحديث ورواته كانوا يطلقون عليه النعوت الحميدة؛ من مثل أنه كان حافظاً ومتيقظاً وحسن المعرفة. وسطوة الحفظ قد طغت عليه، فقد عرف أنه كان عنده صحف كثيرة عن يحيى بن صاعد من مسنده وجموعه، وإلى جانب هذا كان ابن إسماعيل في آخر أيامه شيخاً فقيراً، يحضر دار أبي القاسم باستمرار للتزود بالسماع من كتب ابن صاعد، يقول الأزهري: كنت قد اشتريت وأنا صبي جزءاً فيه حديث المائدة التي نزلت على بني إسرائيل، فرآه معي ابن إسماعيل، فقال: قد سمعت هذا الحديث، ثم حدّثني به ولم يكن في الجزء سماعه ولا أحضر أصله[1].

لم تشر المصادر التي ترجمت لمحمد بن إسماعيل إلى مصنفاته وكتبه، سوى أنها ذكرت أنه كان لديه كتب ضاعت واستحدث نسخاً من كتب الناس، ثم إنه كان متساهلاً في الذكر عن سند الأخبار والرواة، حتى قال عنه عبيدالله الأزهري: حافظ ليّن في الرواية، يحدث من غير أصل، إلا أن ذلك لم يكن وقتذاك غير مقبول، ونظراً لسيادة التحديث من غير أصل، حيث يشار إلى ذلك بالقول: إن التحديث من غير أصل قد عمّ، فنرجو أن يكون واسعاً بانضمامه إلى الإجازة[2].

والغريب في الأمر أن الخطيب البغدادي وشمس الدين الذهبي، لم يشيرا إلى مهنته بوصفه ورّاقاً.

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٥٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ـ المكان نفسه. وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣/ ٩٢.

الكرماني الوراق

هو محمد بن عبدالله بن محمد بن موسى، كنيته أبوعبدالله الكرماني النحوي الوراق[1].

واحد من الذين عرفتهم بغداد بعلومها الأدبية والنحوية، إضافة إلى شهرته بالوراقة.

لم تشر المصادر إلى تاريخ ولادته، بل ذكرت تاريخ وفاته سنة ٣٢٩هـ[2].

كان ـ كعلماء عصره من اللغويين ـ ذا فضل ومعرفة بالنحو واللغة، قال عنه ياقوت الحموي: كان مليح الخط، صحيح النقل، يورق بالأجرة، قرأ على ثعلب وخلط المذهبين: الكوفي والبصري[3].

استطاع أن يوسع من مداركه المعرفية، وأن يمتطي صهوة اللغة والنحو، وقد ألف فيها الكتب التالية:[4]

١ ـ الموجز في النحو، وكتاباً آخر فيه لم يتم.

٢ ـ الجامع في اللغة، ذكر فيه ما أغفله الخليل في العين، وماذكر أنه مُهمل وهو مستعمل وقد أهمل.

قال ياقوت: وكان بينه وبين ابن دريد مناقضة[5].

---

(١) معجم الأدباء ١٨/٢١٣ الترجمة رقم ٦٣ ـ وبغية الوعاة للسيوطي / ص٦٠ والفهرست ص ١١٨ والزركلي ٦/ ٢٢٤.

(٢) المصادر السابقة أعلاه. نفس المكان.

(٣) معجم الأدباء ١٨/ ٢١٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

المرزباني الأديب الورّاق

هو محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبدالله المرزباني[1]، سمع ابن دريد وروى عنه أبوعبدالله الحاكم، وكان علاّمة في الأنساب وعلوم القرآن، وراوية إخبارياً، صادق اللهجة، واسع المعرفة بالروايات، كثير السماع، أخذ عنه البغوي وطبقته، وكانت أكثر رواياته بالإجازة، لكنه يقول فيها: «أخبرنا» وكان ثقة صدوقاً من خيار المعتزلة[2].

قال عنه الأزهري: كان المرزباني يضع المحبرة وقنينة النبيذ، فلا يزال يكتب ويشرب[3].

وقال القاضي الحسين بن علي الصيمري: سمعت المرزباني يقول: كان في داري خمسون مابين لحاف ودواج[4] معدّة لأهل العلم الذين يبيتون عندي[5].

قال ياقوت: كانت ولادته سنة ٢٩٧هـ، وتوفي سنة ٣٧٨هـ. فيما ذكر السيوطي أن وفاته كانت سنة ٣٥٩هـ، فيما ينقل ياقوت نفسه عن الخطيب بأنه توفيّ سنة ٣٨٤هـ[6].

وصفته المصادر أنه كان حسن الترتيب لما يصنّفه، يقال ـ والعهدة على ياقوت ـ إنه أحسن تصنيفاً من الجاحظ، وقد صنّف الكثير من الكتب في أخبار الشعراء، والأمم والرجال والنوادر[7]، وأهمّ كتبه وفق ماذكرته قائمة ياقوت هي[8]:

---

(١) معجم الأدباء ١٨/ ٢٦٨ الترجمة رقم ٨٤ ـ وبغية الوعاة/ ص٨٧.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) ياقوت معجم الأدباء ١٨/ ٢٦٨.

(٤) الدواج ـ بتشديد الواو وتخفيفها ـ: اللحاف الذي يلبس، وقيل: ضرب من الثياب أو الحاجات الصغيرة ـ اللسان ـ مادة ـ دوج.

(٥) المصدر السابق ١٨/ ٢٦٩.

(٦) المصدر السابق ١٨/ ٢٦٩ ـ وبغية الوعاة/ ص٨٧.

(٧) المصدر السابق ١٨/ ٢٦٢.

(٨) المصدر السابق ١٨/ ٢٦٩ـ٢٧٢.

١ ـ أخبار الشعراء المشهورين والمكبرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم، أولهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز، عشرة آلاف ورقة.

٢ ـ أخبار أبي تمّام، نحو مائة ورقة.

٣ ـ أخبار أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة، أكثر من مائة ورقة.

٤ ـ أخبار الأولاد والزوجات والأهل وما جاء فيهم من مدح وذم، نحو مائتي ورقة.

٥ ـ أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم إلى انتهائه مشروحاً، نحو خمسمائة ورقة.

٦ ـ أخبار عبدالصمد بن المعذل الشاعر.

٧ ـ أخبار محمد بن حمزة العلاف، نحو مائة ورقة.

٨ ـ أشعار النساء، نحو ستمائة ورقة.

٩ ـ أشعار الجن المتمثلين فيمن تمثل منهم بشعر، أكثر من مائة ورقة.

١٠ـ الأنوار والثمار فيما قيل في الورد والنرجس وجميع الأنوار من الأشعار وماجاء فيها من الآثار والأخبار، ثم ذكر الثمار وجميع الفواكه وماجاء فيها، مستحسن النظم والنثر، تلقيح العقول، أكثر من مائة باب، وهو أكثر من ثلاثة آلاف ورقة.

١١ـ الرياض في أخبار المقيمين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين.

١٢ـ شعر حاتم الطائي.

١٣ـ كتاب الأزمنة، ألف ورقة، ذكر فيه أحوال الفصول الأربعة والحرّ والغيوم والبروق والرياح والأمطار وأوصاف الربيع والخريف، وطرفاً من الفلك وأيام العرب والعجم وسنينهم وما يلحق بذلك من الأخبار والأشعار.

١٤ـ كتاب الأوائل في أخبار الفرس القدماء وأهل العدل والتوحيد وشيء من مجالسهم، نحو ألف ورقة.

١٥ـ كتاب الدعاء، نحو مائتي ورقة.

١٦ـ كتاب ذمّ الحجاب، نحو مائتي ورقة.

١٧ـ كتاب ذمّ الدنيا، نحو خمسمائة ورقة.

١٨ـ كتاب الشباب والشيب، نحو ثلاثمائة ورقة.

١٩ـ كتاب الزهد وأخبار الزهاد.

٢٠ـ كتاب الشعر، وهو جامع لفضائله وذكر محاسنة وأوزانه وعيوبه وأجناسه وضروبه ومختاره وأدب قائليه ومنشديه، وبيان منحوله ومسروقه وغير ذلك.

٢١ـ كتاب الفرج، نحو مائة ورقة.

٢٢ـ كتاب العبادة، نحو أربعمائة ورقة.

٢٣ـ كتاب المحتضرين، نحو مائة ورقة.

٢٤ـ كتاب المراثي، نحو خمسمائة ورقة.

٢٥ـ كتاب المغازي، ثلاثمائة ورقة.

٢٦ـ كتاب نسخ العهود إلى القضاة نحو مائتي ورقة.

٢٧ـ كتاب الهدايا نحو ثلاثمائة ورقة.

٢٨ـ كتاب المديح في الولائم والدعوات، نحو خمسمائة ورقة.

٢٩ـ المتوج في العدل وحسن السيرة، أكثر من مائة ورقة.

٣٠ـ المرشد في أخبار المتكلمين، نحو مائة ورقة.

٣١ـ المستطرف في الحمقى والنوادر، نحو ثلاثمائة ورقة.

٣٢ـ المشرّف في حكم النبي ﷺ وآدابه ومواعظه ووصاياه.

٣٣ـ الخصل في البيان والفصاحة نحو ثلاثمائة ورقة.

٣٤ـ المزخرف في الأخوان والأصحاب أكثر من ثلاثمائة ورقة.

٣٥ـ المعجم. ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم، فيه نحو خمسة آلاف اسم نحو ألف ورقة.

٣٦ـ المقتبس في أخبار النحويين البصريين وأول من تكلم في النحو وأخبار القراء الرواة من أهل البصرة والكوفة نحو ثمانين ورقة.

٣٧ـ الموسّع فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسر ولحن وعيون الشعر، ثلاثمائة ورقة.

٣٨ـ المنير في التوبة والعمل الصالح، نحو أربعمائة ورقة.
٣٩ـ المفيد في أخبار الشعراء وأحوالهم في الجاهلية والإسلام ودياناتهم ونحلهم، نيّف وخمسة آلاف ورقة.
٤٠ـ الموثّق في أخبار الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين على طبقاتهم، نيّف وخمسة آلاف ورقة.
٤١ـ الواثق في وصف أحوال الغناء وأخبار المغنّين والمغنيّات الإماء والأحرار.
وله غير ذلك.

أبوعيسى الوراق

اسمهُ محمد بن هارون الورّاق، لم أعثر على ترجمة له، ولكن أخباره تناثرت في كُتب التاريخ والأدب، وأقدم إشارة نبّهت عليه، صدرت عن المسعودي وأبي حيان التوحيدي، فقد عَدّه المسعودي ضمن متكلمي الفرق الإسلامية، وأنه ألّف كتاباً نقض فيه كتاب الجاحظ، المعروف بكتاب العثمانية[١]، فيما عده التوحيدي في جملة حذاق المتكلمين، ونقل عنه قوله: «إن الأمر بما يعلم أن المأمور لا يفعله سفه، وقد علم الله من الكفار أنهم لا يؤمنون، فليس لأمرهم بالإيمان وجه في الحكمة»[٢].

فيما عَدّه ابن كثير من أصحاب ابن الراوندي، ضمن أحداث سنة ٢٩٦هـ، وقال: إنه أودع السجن في هذه السنة بعد أن قبض عليه، وظلّ فيه حتى مات[٣].

ومن هذه الأخبار المتفرقة والمتناثرة، يتضح أنه كان من الزنادقة والدهريين، ولكن من المؤسف له، أنه لم يترجم له الترجمة الكاملة، نظراً لموقفه العقلي في ذلك الزمان.

(١) المسعودي: التنبيه والإشراف/ ص٣٤٢. وراجع حبيب زيات: الوراقة والوراقون في الإسلام/ ص ٤٣.
(٢) الإمتاع والمؤانسة ٣/ ١٩٢.
(٣) البداية والنهاية ١١/ ١١٣.

أبوعيسى الوراق الشيعي

هو محمد بن هارون، كنيته أبوعيسى الوراق[1]، واحد من رجالات الشيعة العلماء، لم يذكر النجاشي تفاصيل كثيرة عن حياته، ولاعن تاريخ ولادته أو وفاته، واكتفى بذكر كتبه التي صنفها، وهي[2]:

١ ـ كتاب الإمامة.

٢ ـ كتاب السقيفة.

٣ ـ كتاب الحكم على سورة «لم يكن».

٤ ـ كتاب اختلاف الشيعة والمقالات.

فيما ذكر صاحب «أعيان الشيعة» أنه بغدادي الأصل، وتوفي سنة ٢٤٧هـ في مدينة الرملة[3]. ونقل عن القاضي المعتزلي عبدالجبار، أنه تمسك بمذهب الثنوية، وقال المرتضى عنه: كان لا يجوّز ذبح الحيوانات وإتلاف كل شيء حي كما تقول الثنوية، وصنف في ذلك ـ كتاب المشرقي ـ وكتاب ـ النوح على البهائم ـ وأضاف المرتضى: إن التثنية التي رماها به المعتزلة، وتقدمهم في قذفه بها ابن الراوندي، لعداوةٍ كانت بينهما، وكانت شبهته في ذلك، وأضاف: فأما الكتاب المعروف بالمشرقي وكتاب النوح على البهائم، فهما مدفوعان عنه، وما يبعُد أن يكون بعض الثنوية عملهما على لسانه[4]، كما نقل صاحب أعيان الشيعة، إلاّ أن النديم ذكر في **الفهرست** أن جماعة من رؤساء المتكلمين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة، ثم قال: وممن اشتهر أخيراً أبوعيسى الوراق، وقال بعض الفضلاء: إن الوراق في كتاب الإمامة والسقيفة

---

(١) رجال النجاشي/ ص ٢٦٣ ـ باب المحمدين.

(٢) المصدر السابق ـ نفس المكان.

(٣) محسن الأمين ـ أعيان الشيعة ١٠/٨٣

(٤) أعيان الشيعة ـ نفس المكان.

موافق العقيدة الإمامية، وأثبت النص الجلي على إمامة أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ وأثبت إمامته بالدلائل العقلية، فلهذا عاداه المعتزلة وغيرهم.

وقال المفيد في الإفصاح: إن الوراق في كتاب السقيفة لم يدع نكتة إلا أظهرها وبيّن فساد أقوال المخالفين وأوضحها إيضاحاً شافياً؟[1].

ابن ولاد الوراق

هو محمد بن ولّاد، مكذا اشتهر، وقيل: هو أبوالوليد أبوالحسن التميمي النحوي[2]. كان من عرب تميم الذين نزحوا إلى مصر واستوطنوها، وعلى مايبدو أنه وُلِدَ هناك، فياقوت الحموي يقول[3]: أخذ بمصر النحوَ عن أبي علي الدينوري ختن ثعلب، ثم رحل إلى العراق، واستوطن فيه، وأخذ النحو عن شيوخ العراق المبرد وثعلب.

مات ببغداد سنة ٢٩٨هـ وقد بلغ الخمسين كما يقول ياقوت[4]. وعلى هذا الأساس تكون ولادته سنة ٢٤٨هـ.

دخل سوق الوراقين في بغداد، بعد قدومه من مصر، ومارس مهنة الوراقة وتزوج من أَمَةٍ، وعرف عنه جودة الخط وحسُن الضبط، وفيه عَرَج وقد غلب الشيب عليه.

تماحك مع علماء العصر في اللغة والنحو، وعُرِف بين علماء اللغة والأدب، وألف عدة كتب منها:[5]

١ ـ كتاب في النحو سماه «المُنمَّق».

٢ ـ كتاب المقصور والممدود.

---

(١) أعيان الشيعة.

(٢) معجم الأدباء ١٠٥/١٩ الترجمة رقم ٢٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق السابق ١٠٦/١٩.

(٥) المصدر السابق.

أغـرته مهنة الوراقـة لأن يحتـال على المبـرد لأخذ إجـازته على كتـاب «سيبويه». ينقل ياقوت الواقعـة على النحو التالي: كان المبّرد لا يمكّن أحداً من نسخ كتاب سيبويه من عنده، فكلم ابن الولاّد المُبرد في نسخه على شيء سمّاه له، فأجـابه المبرد، فأكـمل نسخه وأبى أن يـعطيه شيـئاً حتى يقـرأه عليه[١]، فغضب المبـرّد، وسعى به إلى بعض خدم السلطان ليـعاقبه على ذلك. فـالتجأ ابن ولاّد إلى صاحب الخـراج ببغداد، وكان يؤدب ولده، فـأجابه ثم ألح على المبرّد حتى أقرأه الكتاب.

وهذه إحـدى الحيل التي كـان الوراقون يحـصلون بها على الإجـازة من العالِم[٢].

أبوالعباس الأصم[*]

هو محمد بن يعقوب بن يوسف معقل بن سنان، الإمام المحدّث، مسند العـصـر، رحلة الوقت، أبوالـعبـاس الأمـوي، مـولاهم، السّـناني المعـقلي النيسابوري، عـرف بالأصم وبه اشتهر، قال السمـعاني: الأصمّ: بفتح الألف وصاد مـهملة وتشديـد الميم في آخر الكلمة، هذه صـفة من كـان لايسمع من الصمم، والمشـهور به في الشـرق والغرب أبوالعـباس محـمد بن يعـقوب بن يوسف[٣]، ظهر به الصمم بعـد انصرافه من الرملة[٤]، وقد لحقـته هذه العاهة

---

(١) أي هنا أراد أخذ الإجازة عنه.

(٢) معجم الأدباء ١٩/ ١٠٦.

(*) سير أعلام النبـلاء ١٥/ ٤٥٢ـ٤٦٠ المنتظم ٦/ ٣٨٦ـ٣٨٧، الأنساب ١/ ٢٩٤ـ٢٩٨، تذكـرة الحفّـاظ ٣/ ٨٦٠ـ ٨٦٤، الوافي بالوفيات ٥/ ٢٢٣، نكت الهميان/ ص ٢٧٩، البداية والـنهاية ١١/ ٢٣٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٣١٧، شذرات الذهب ٢/ ٣٧٣ـ٣٧٤.

(٣) الأنساب ١/ ٢٩٤.

(٤) انفرد صلاح الدين الصفدي بهذه الرواية ـ راجع نكت الهميان/ ص٢٧٩، فيما ذكرت بقية المصادر ـ أعلاه ـ أنه أصم بعد الرحلة، وربما وقعت في تصحيف «الرملة إلى رحلة».

وهو شاب له بضع وعشرون سنة[1]، ثم تزايد به واستحكم، حتى أصبح لايسمع نهيق الحمار، وقد حدّث في الإسلام ٧٦ سنة.

ولد سنة ٢٤٧هـ، وتوفي سنة ٣٤٦هـ بإجماع المصادر، وقد بلغ من العمر ٩٩ سنة، وهو كغيره من العلماء المسلمين، فقد تسربل بالزهد، وشدّ الرحال لاكتساب المعرفة وسماع الأحاديث، فاستمع وأسمع، وحدّث وتلقى[2]، وتخرّج على يده الكثير من الحفّاظ، وأجاز الرواية عنه أبونعيم الحافظ[3]، وبذا يكون واحداً من أكابر شيوخ الحديث.

وعلى ما يبدو أنَّ عاهة الصم كانت تسبّب له مشاكل نفسية لايرتاح لها، فقد عرف عنه أنه كان يكره أن يقال له الأصم، فكان أبوبكر بن إسحاق الصّبغي يلقّبه بالمعقلي[4]، تحاشياً لذلك دون أي جرح لمشاعره.

كان أبوه ورّاقاً، فكان يضبط له أحاديثه وسماعه، ونحى منحى أبيه في الوراقة والتدوين، فكان حسن المذهب في ذلك، وقد رافق المسجد وأقام فيه طيلة سبعين سنة، فقد ذكرت المصادر أنه أذّن في مسجده سبعين سنة، كما عرف عنه حسن الخلق وسخاء النفس، وعندما كان يحتاج إلى شيء لمعاشه، فإنه كان يلتجئ إلى الوراقة، فيورّق ويأكل من كسب يده. وشهرته كانت في الحديث أعمّ منها في الوراقة، ولهذا السبب عابوا عليه أنه كان يأخذ على الحديث، وقالوا: إنما كان يعيبه به من لايعرفه، فإنه كان يكره ذلك أشدّ الكراهة، ولا يناقش أحداً فيه، إنما كان ورّاقه وابنه أبوسعيد يطلبان الناس بذلك[5]، وكان يكره ذلك، ولا يقدر على مخالفتهما.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٥٤.

(٢) راجع سماعه وأحاديثه في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٥٣-٤٥٥ والأنساب ١/ ٢٩٥-٢٩٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٥٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تذكرة الحفّاظ ٣/ ٨٦١ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٥٦.

دخل بغداد سنة ٢٦٩هـ[١] بعد أن جال الأمصار والبلدان الإسلامية بصحبة أبيه، وهو يسمع الأحاديث ويدوّنها، ثم عاد إلى خراسان وهو ابن ثلاثين سنة، وقد وصل إلى سنّة المحدّثين الكبار.

تجلّت حافظته للحديث باللاوعي عنده، وهو أمر يشير إلى حالة توحده مع علوم الدين، فقد ذكر أبوعبدالله الحاكم حادثة عنه، قال فيها: حضرت أباالعباس يوماً في مسجده، فخرج ليؤذن لصلاة العصر، فوقف موضع المئذنة، ثم قال بصوت عال: أخبرنا الربيع بن سلميان، أخبرنا الشافعي، ثم ضحك وضحك الناس، ثم أذّن[٢].

تراخت قواه في أعوامه الأخيرة، ومع ذلك فهو دائم الإملاء في مجالسه ومراجعة علومه وأحاديثه، فقد حدّث بكتاب معاني القرآن في سنة نيّف وسبعين ومئتين، ذكر الحافظ أبوالحامد الأعمش، قال: كتبنا عن أبي العباس ابن يعقوب الورّاق في مجلس محمد بن عبدالوهاب الفرّاء سنة خمس وسبعين ومئتين[٣].

وقال الحاكم: سمعت محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة، سمعت جدّي، وسئل عن سماع كتاب المبسوط من أبي العباس الأصم، فقال: اسمعوا منه، فإنه ثقة، قد رأيته يسمع من أبيه بمصر وأبوه يضبط سماعه[٤].

وقال الحاكم أيضاً: سمعت يحيى بن منصور القاضي، عن أبي نعيم بن عدي، قال: اجتمع جماعة يسألونه المقام بنيسابور لقراءة المبسوط، فقال: ياسبحان الله! عندكم راوي هذا الكتاب الثقة المأمون أبوالعباس الأصم، وأنتم

---

(١) الأنساب ١/٢٩٦.

(٢) الأنساب ١/٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤٥٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/٤٥٧.

(٤) المصدر السابق.

تريدون أن تسمعوا من غيره؟[1] وهذا اعتراف مطلق من علماء الحديث بجودة نقله وصحّة حديثه واعتراف بفضله.

كما أنه يحافظ على صحة نقله وسماعه، ولا يسمح بإجازة أحاديث نقلت عنه فيها أحاديث مدخلة أو موضوعة، أسندت روايتها إليه، قال الذهبي: قرأت بخط أبي علي الحافظ، يحث أباالعباس الأصم عن الرجوع عن أحاديث أدخلوها عليه، منها حديث الصغّاني عن علي بن حكيم، عن حميد بن عبدالرحمن، عن هشام بن عروة، حديث «قبض العلم»[2]، وحديث أحمد بن شيبان عن ابن عيينة، عن الزّهري، عن سالم، عن أبيه: بعث رسول الله ﷺ سريّة...[3] قال: فوقّع أبوالعباس: كلّ من روى عنّي هذا، فهو كذّاب، وليس هذا في كتابي[4].

وعندما قربت أيامه الأخيرة، كان يتوقع أجله، ويحرض على طلاب العلم الذين يقصدونه للسماع عليه، قال الحاكم: خرج علينا أبوالعباس محمد ابن يعقوب، ونحن في مسجده، وقد امتلأت السكة من أولها إلى آخرها من الناس في ربيع الأول سنة ٣٤٤هـ، وكان يملي عشية كل يوم اثنين من أصوله، فلما نظر إلى كثرة الناس والغرباء، وقد قاموا يطرّقون له[5]، ويحملونه على عواتقهم من باب داره إلى مسجده، فجلس على جدار المسجد، وبكى طويلاً، ثم نظر إلى المستملي، فقال: اكتب: سمعت محمد بن إسحاق الصغّاني يقول: سمعت الأشج، سمعت عبدالله بن إدريس يقول: أتيت يوماً باب الأعمش

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) راجع هذا الحديث في كتب الصحاح في العلم ـ باب كيف يقبض العلم.

(٣) راجع بقية الحديث في موطأ مالك بن أنس ٢/ ٤٥٠ باب الجهاد.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٦٠.

(٥) أي يوسعون له الطريق.

بعد موته، فدققت الباب، فأجابتني امرأة يقال لها برّة[1]، وقال: هاي.. هاي ياعبدالله بن إدريس، مافعل جماهير العرب التي كانت تأتي هذا الباب؟ ثم بكى الكثير، ثم قال: كأني بهذه السكة لا يدخلها أحد منكم، فإني لا أسمع وقد ضعف البصر، وحان الرحيل وانقضى الأجل، فما كان إلاّ بعد شهر أو أقل منه حتّى كفّ بصره، وانقطعت الرحلة وانصرف الغرباء[2].

وبعد هذه الرحلة المضنية في حياته العلمية، وهذا الكلل الذي لحق به ومايعانيه من ضعف البصر وكفّه، كان الناس يناولونه قلماً، فيعلم أنهم يطلبون الرواية، فيقول: حدثنا الربيع بن سليمان، ويقرأ الأحاديث التي كان يحفظها وهي أربعة عشر حديثاً وسبع حكايات، فيرويها، وصار في أسوأ حال إلى شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وثلاثمائة، حيث ودّع الأهل والأحباب، وفارق الدنيا بمن فيها[3].

يحيى بن عدي(*)

أبوزكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي. ولد بتكريت[4] سنة ٢٨٠هـ، وتوفي ببغداد سنة ٣٦٤هـ. فيلسوف منطقي، عرفته الأوساط العلمية في بغداد وفي بقية الأمصار الإسلامية الأخرى، نزل ببغداد في ريعان شبابه، وبها أقام وتعلّم وتثقّف، وتعاطى العلوم والفلسفة، وإليه انتهت رياسة أهل المنطق في زمانه القرن الرابع الهجري.

(١) انفرد السمعاني بذكر الاسم ـ راجع الأنساب ١/ ٢٩٧.

(٢) الأنساب ١/ ٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٥٨ - ٤٥٩ ـ والمنتظم ٦/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

(٣) المصادر السابقة أعلاه ـ نفس المواضع.

(*) الفهرست/ ص٣٦٩ـ تاريخ الحكماء/ ص٣٦١ـ٣٦٤ـ تاريخ حكماء الإسلام/ ص٩٧ـ طبقات الأطباء/ ص٣١٧ـ٣١٨ الإمتاع والمؤانسة ١/ ٣٧ـ أعلام الزركلي ٨/ ١٥٦.

(٤) انفرد بهذه الرواية الزركلي بمنقولاته، وهو الوحيد الذي أشار إلى تاريخ ولادته. انظر الأعلام ٨/ ١٥٦.

تتلمذ على يد أبرز الفلاسفة في عصره، وهم: أبوبشر متى بن يونس، وأبونصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، وعاشر غيرهم من الفلاسفة، وأنجب من التلاميذ المشهورين أبا سليمان المنطقي محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني.

كان هذا الرجل أوحد دهره في علوم الفلسفة، ومذهبه الديني كان من مذاهب النصارى اليعقوبيّة، جذبته الفلسفة اليونانية، وتشبّع بها، ونقل علومها من السريانية إلى العربية، وهذا الشغف المعرفي دفعه لأن يعتمد على نفسه في اكتساب لقمة العيش، فقد ذكرت المصادر التي ترجمت له أنه كان كثير الكتابة والنسخ، وكتب الكثير بيده، من مختلف الفنون في إطار مهنة الوراقة، ولكنّه ظلّ محافظاً على تفرّده في المنطق والفلسفة، وقد أخذت الوراقة من وقته الكثير، مما جعل النديم يعاتبه على ذلك، وهما في سوق الورّاقين، فردّ عليه قائلاً: من أيّ شيء تعجب في هذا الوقت؟ من صبري؟! قد نسخت بخطي - وكان ذا خطّ قاعدي - نسختين للتفسير الكبير للطبري، وحملتهما إلى ملوك الأطراف، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى، ولعهدي بنفسي وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل[1]. وهذا التصريح يوضّح مدى معاناة هذا الفيلسوف ومدى صبره وجلده، إلا أنه بهذا الموقف يثبت مدى استقلاليته الفكرية والمعاشية، فهو لم يطرق باب سلطان، ولم يصغّر أكتافه أمام عتبة أمير أو وزير، وقد كفته الوراقة ذلك.

إن الحسّ المعرفي جعل من يحيى بن عدي عارفاً بأنواع الكتب وأهميّتها من الناحية الثقافية، وعلى مايبدو، فإن اشتغاله بالوراقة، واحتكاكه بالوراقين من جميع الأصناف، وسّع دائرة معارفه الثقافية والاجتماعية، وصارت خبرته بالسوق واسعة، وأعتقد أن الدلالين من الوراقين وباعة الكتب، كانوا يستشيرونه حول بعض الكتب، وأهميّتها المعرفية، نظراً لما عرفوا فيه من سعة

---

(١) الفهرست ص٣٦٩.

الاطلاع وجودة المعرفة، والخبرة الواسعة بالفلاسفة والمفكرين، وكان هو بدوره يسعى لكسب ودّ هؤلاء الورّاقين بغية تحصيل ما يشبع رغباته العلمية، فكان دائم الطلب على كتب الفلاسفة، فلقد ذكر النديم خبراً في هذا السياق، جاء فيه: قال أبوزكريا يحيى بن عدي: إن شرح الإسكندر للسماع كله، ولكتاب البرهان رأيته في تركة إبراهيم بن عبدالله الناقل النصراني، وإن الشرحين عرضا عليّ بمائة دينار وعشرين ديناراً، فمضيت لأحتال في الدنانير، ثم عدت فأصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خراساني بثلاثة آلاف دينار، وقال لي غيره ممن أثق به: إن هذه الكتب كانت تحمل في الكم، وقال إنه التمس من إبراهيم بن عبدالله فُص سوفسطيقا وفص الخطابة وفص الشعر، بنقل إسحاق بخمسين ديناراً، فلم يبعها وأحرقها وقت وفاته»[1].

وهذا الخبر يوضّح مدى الشغف المعرفي عند ابن يحيى من ناحية، ومن ناحية أخرى يكشف مدى الفقر الذي هو فيه، بحيث إنه يعجز عن شراء كتب الفلاسفة.

لم يخل هذا الفيلسوف الورّاق من اللغط والقول فيه ـ كأي عالم كبير في وقته ـ من ألسنة معاصريه، فقد قال عند التوحيدي: كان شيخا ليّن العريكة فروقة[2] مشوّه الترجمة، رديء العبارة، لكنه كان متأنياً في تخريج المختلفة[3]، وقد برع في مجلسه أكثر هذه الجماعة، ولم يكن يلوذ بالإلهيّات، كان ينبهر فيها، ويظل في بساطها، وكان مبارك المجلس[4]، فيما قال البيهقي: إنه كان حكيماً، وهو أفضل تلاميذ أبي نصر الفارابي[5].

---

(١) الفهرست/ ص٣٥٤ ـ في ترجمة الإسكندر الإفروديسي.

(٢) الفروقة: الشديد الفزع.

(٣) يقصد المسائل المختلفة.

(٤) الإمتاع والمؤانسة ١/ ٣٧.

(٥) تاريخ حكماء الإسلام/ ص٩٧.

وبالرغم مما كان يعانيه من عسر ذات اليد، وضيق الحال، وما تأخذه الوراقة منه، من جهد ووقت، إلا أنه كان كثير التأليف والتصنيف والترجمة والنقل، فقد ذكرت المصادر الكتب التالية:[1]

١ ـ كتاب نقض حجج القائلين بأن الأفعال خلق الله واكتساب للعبد.

٢ ـ كتاب تفسير طوبيقا لأرسطوطاليس.

٣ ـ مقالة في البحوث الخمسة عن الرؤوس الثمانية.

٤ ـ في تبيّن الفصل بين صناعتي المنطق الفلسفي والنحو العربي.

٥ ـ فضل صناعة المنطق.

٦ ـ هداية من تاه إلى سبيل النجاة.

٧ ـ في تبيّن أن للعدد والإضافة ذاتين موجودتين في الأعداد.

٨ ـ مقالة في استخراج العدد المضمّر.

٩ ـ مقالة في ثلاثة بحوث غير المتناهي، وتعليق آخر في ذلك.

١٠ـ مقالة في أن كل متصل إنما يتقسم إلى منفصل.

١١ـ كتاب جواب يحيى بن عدي عن فصل من كتاب أبي الحبش النحوي، فيما ظنّه أن العدد غير متناه.

١٢ـ مقالة في الكلام في أن الأفعال خلق الله واكتساب العباد.

١٣ـ كتاب أجوبة بشر اليهودي عن مسائله.

١٤ـ كتاب شرح مقالة الإسكندر في الفرق بين الجنس والمادة.

١٥ـ مقالة في أن حرارة النار ليست جوهراً للنار.

١٦ـ مقالة في غير المتناهي.

١٧ـ مقالة في الرد على من قال بأن الأجسام مجلبة على طريق الجدل.

---

(١) راجع القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٣٦ـ٢٣٨.

١٨ـ تفسير فصل في المقالة الثامنة من السماع الطبيعي لأرسطوطاليس.

١٩ـ مقالة في أنه ليس شيء موجود وغير متناه لا عدداً ولا عظماً.

٢٠ـ مقالة في تزييف قول القائلين بتركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزأ.

٢١ـ مقالة في تبيين ضلالة من يعتقد أن علم الباري بالأمور الممكنة قبل وجودها، وتعليق آخر على نفس المعنى.

٢٢ـ مقالة في أن الكم ليس فيه تضاد.

٢٣ـ مقالة في القطر غير مشارك للضلع.

٢٤ـ عدّة مسائل في كتاب إيساغوجي.

٢٥ـ مقالة في أن الشخص اسم مشترك.

٢٦ـ مقالة في الكلّ والأجزاء.

٢٧ـ تفسير الألف الصغرى من كتب أرسطوطاليس فيما بعد الطبيعة.

٢٨ـ مقالة في الحاجة إلى معرفة ماهيات الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض في معرفة البرهان.

٢٩ـ مقالة في الموجودات.

٣٠ـ مقالة في أن كل متّصل ينقسم إلى أشياء، ينقسم دائماً بغير نهاية.

٣١ـ كتاب طبيعة الممكن وأقوى الحجج على ذلك، والتنبيه على فسادها.

٣٢ـ مقالة التوحيد.

٣٣ـ مقالة في أن المقولات عشر لا أقل ولا أكثر.

٣٤ـ مقالة في أن العرض ليس هو جنساً للتسع المقولات العرضية.

٣٥ـ مقالة في تبيّن وجود الأمور العاميّة.

٣٦ـ قول في الجزء الذي لا يتجزأ.

٣٧ـ تعاليق عدّة في معان كثيرة.

٣٨ـ قول في تفسير أشياء ذكرها عند ذكره فضل صناعة المنطق.

٣٩ـ تعاليق عدّة عنه عن أبي بشر متّى في أمور جرت بينهما في المنطق.
٤٠ـ مقالة في قسمة الأجناس الستة التي لم يقسمها أرسطوطاليس إلى أجناسها المتوسطة وأنواعها وأشخاصها.
٤١ـ مقالة في البحوث العلمية الأربعة عن أصناف الموجود الثلاثة الإلهي والطبيعي والمنطقي.
٤٢ـ مقالة في نهج السبيل إلى تحليل القياسات.
٤٣ـ كتاب الشبهة في إبطال الممكن.
٤٤ـ جواب الدارمي وأبي الحسن المتكلم عن المسألة في إبطال الممكن.
٤٥ـ مقالة بينه وبين إبراهيم بن عديّ الكاتب ومناقضته في أن الجسم جوهر وعرض.
٤٦ـ مقالة في جواب إبراهيم بن عدي الكاتب.
٤٧ـ رسالة كتبها لأبي بكر الآدمي العطّار فيما تحقق من اعتقاد الحكماء بعد النظر والتحقيق.

هكذا فاضت قريحة هذا الفيلسوف الورّاق بهذا النتاج الفكري الهائل، وتركها للأجيال التي جاءت بعده لتستفيد منها، وحينما واتته المنيّة، أوصى إلى أبي علي إسحاق بن زرعة أن يكتب على قبره ـ وكان وقتها في بيعة «مرتوما» بقطعة الدقيق ـ هذين البيتين:[1]

ربّ ميْت قد صار بالعلم حيّا ومبقّى قد مات جهلاً وَعيّا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودا ولا تعدوا الحياة في الجهل شيّا

فكتبت على قبره بعد وفاته، وقد بلغ من العمر إحدى وثمانين سنة.

* * *

(١) طبقات الأطباء ص٣١٨.

الفصل الرابع
الوراقون الأدباء

ابن سعدان الوراق

هو إبراهيم بن محمد بن سعدان بن المبارك[1]. واحد من العلماء والأدباء، وأستاذ في الوراقة، وجماعة للكتب، صحيح الخط، صادق الرواية، لم تشر المصادر إلى تاريخ ولادته أو وفاته، بل أشارت إلى أن له من الكتب:

١ ـ كتاب الخيل.

٢ ـ كتاب حروف القرآن.

وكان ابنه محمد بن سعدان يشاطره المهنة والأدب، وله كتاب القراءات «كبير»، وكتاب المختصر في النحو[2].

الرمذي الصغير الوراق

هو أحمد بن إبراهيم اللغوي المشهور، أستاذ أبي العباس ثعلب، كنيته أبوالحسن. كان عالما بالنحو، ويكفي أن نعرف أنه أستاذ ثعلب، أخذته مهنته الوراقة فلم ينصرف إلى التأليف، وكان خطه يرغب فيه، ولم يذكر أنه صنف كتابا[3].

المعيدي الوراق

هو أحمد بن سليمان ويكنى أبا الحسن[4]. وراق يعرفه النديم، اشتغل بالحديث، وروى عن علي بن ثابت وعن أبي عبيد.

---

(١) الفهرست/ ص ١١٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص ١١٩.

(٤) المصدر السابق ص١١٨.

الحلواني الوراق

هو أبوسهل أحمد بن محمد بن عاصم الحلواني[١]. كان من أقرباء أبي سعيد السكري، وروى كتبه، وأخذ عنه النديم: كان خطه في نهاية القبح، إلا أنه من العلماء، وله كتاب المجانين الأدباء[٢].

السكري الوراق

هو الحسن بن الحسين بن عبدالله بن عبدالرحمن، لقبه السكري وكنيته أبوسعيد[٣]. ذكرت المصادر عنه أنه كان حسن المعرفة باللغة والأنساب والأيام، مرغوب في خطه لصِحته[٤].

لم يذكر النديم تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته، بل ذكر أنه توفي وله من الكتب:[٥]

١ ـ كتاب الوحوش.

٢ ـ كتاب النبات.

٣ ـ عمل أشعار الجماعة من الفحول منهم «امرؤ القيس والنابغتان وقيس بن الخطيم وتميم بن أبي مقبل».

٤ ـ عمل أشعار اللصوص وأشعار الهذليين وأشعار هدبة بن الخشرم والأعشى ومزاحم العقيلي والأخطل وزهير وغير ذلك.

٥ ـ عمل شعر أبي نواس وتكلم عن معانيه وغرضه ويقع في نحو ألف صفحة.

٦ ـ كتاب الأبيات السائرة.

٧ ـ كتاب المناهل والقرى.

يقول النديم: وقد رأيت خطه واطّلع على الكثير من كتبه هذه[٦].

---

(١) الفهرست/ ص١١٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الفهرست/ ص١١٧.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) نفسه.

عبيدالله بن أبي سعيد الوراق

ذكره النديم، وقال عنه: كان إخبارياً نسابة راوية للشعر، وله الكتب التالية:[١]

١ ـ كتاب العربية.

٢ ـ كتاب الإيمان والدعاء والدواهي.

٣ ـ كتاب المدينة وأخبارها.

٤ ـ الشعراء.

٥ ـ كتاب الألقاب.

ابن وداع الوراق

هو عبدالله بن محمد بن وداع بن الزياد بن هانئ الأزدي. كنيته أبوعبدالله[٢] . كان حسن المعرفة، صحيح الخط، خطه يرغب الناس فيه ويأخذ على خطه الثمن.

ابن وصيف الناشئ[*]

هو عليّ بن عبدالله بن وصيف الناشئ الحلاّء، يكنّى أبا الحسين، واحد من المعروفين ببغداد في الجدل والأدب والنادرة، ولد ببغداد سنة ٢٧١هـ توفي فيها سنة ٣٦٥هـ ودفن في مقابر قريش[٣].

ينحدر من طبقة اجتماعية مسحوقة، فقد نقل عنه قوله[٤]: كان جدّي وصيف مملوكاً، وكان أبي عبدالله عطاراً في الحضرة ـ يقصد بغداد ـ بالجانب

---

(١) الفهرست/ ص ١٥٨.

(٢) المصدر السابق ص ١١٨.

(*) أفرد له ياقوت الحموي ترجمة وافية في معجم الأدباء ١١/ ٢٨٠ـ٢٩٩.

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٢.

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٨١.

الشرقي (الرصافة).

تلقّف المعرفة منذ صباه، وكان ينتبه لروّاد دكان أبيه، الذي نشأ معه فيه، قال: كان ابن الرومي (الشاعر) يجلس عندنا وأنا لا أعرفه، وكان يلبس الدراعة، وثيابه وسخة، وانقطع عنا مدة، فسألت عنه أبي، وقلت: ما فعل ذلك الشيخ الوسخ الثياب الذي كان يجلس إلينا؟ فقال: ويحك ذاك ابن الرومي، وقد مات، فندمت أن لم أكن أخذت عنه شيئاً ولا عرفته في حال حضوره، وتشاغلت بالصنعة عن طلب العلم.

هذه الحادثة جعلته يفطن إلى العلماء الذين يزورون أباه، ويحاول الاستفادة منهم، ومن هؤلاء كان ثعلب النحوي، قال: لقيته ولم آخذ عنه إلا أبياتا منها[١]:

إن أخا الإخوان من يسعى معك ومن يضرّ نفسه لينفعك[٢]

سيطرت عليه أجواء الجدل في بغداد - وقتذاك - وكان قئوماً[٣] بها، مما جعله قليل البضاعة في الأدب، ذكرت المصادر[٤] أنه كان يعتقد الإمامة لعلي، ويناظر عليها بأجود عبارة، فاستنفد عمره في مديح أهل البيت حتى عرف بهم، وأشعاره فيهم لا تحصى كثرة، ومع ذلك مدح الراضي بالله، وله معه أخبار، وقصد كافوراً الإخشيدي بمصر، وامتدحه، وامتدح ابن خنزابة، وكان ينادمه، وطُرِي[٥] إلى البريدي بالبصرة، وإلى أبي الفضل بن العميد بأرجان، وعضد الدولة بفارس.

---

(١) معجم الأدباء.

(٢) وبعد البيت - ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

(٣) قئوماً: كثير القيام.

(٤) معجم الأدباء ١٣/ ٢٨١-٢٨٢.

(٥) طرى إليه: أقبل.

لم يتزوج ولم يخلف عقباً، قال عنه الخالع: كان يميل إلى الأحداث ولايشرب النبيذ، وله في المجون الولع طبقة عالية، وعنه أخذ مُجّان باب الطاق كلهم هذه الطريقة، وكان يخلط بجدله ومناظراته هزلاً مستملحاً ومجوناً مستطاباً، يعتمد به إخجال خصمه وكسر حدّه.

علاقته بالأدباء والشعراء:

كان ابن وصيف الناشئ يميل إلى الأدب والشعر، رغم انحيازه للجدل، وعلى مايبدو أن مهنة الوراقة هي التي رسّخت فيه حب الأدب والشعر، ومن يتعاطونه، حتى كان يملي على الناس شعره، ويراقب من هو أقرب إليّ الفهم والأخذ عنه، قال الخالع: حدّثني أبوالحسن الناشئ، قال: كنت بالكوفة في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وأنا أملي شعري في المسجد الجامع، والناس يكتبونه عنّي، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم وهو بعد لم يُعرَف ولم يلقّب بالمتنبي، فأمليت القصيدة التي أولّها:

بآل محمّد عُرِفَ الصواب ... وفي أبياتهم نزل الكتاب

وقلت فيها:

كأن سنان ذابله ضمير ... فليس عن القلوب له ذهاب
وصارمه كبيعته بخُمٍّ ... مقاصدها من الخلق الرقاب

قال: فلمحته ـ يقصد المتنبي ـ يكتب هذين البيتين[1]، وهذه الحالة تجعله يعرف عن قرب أهل الأدب، ويراقب تطورهم.

وثمة حادثة تؤكد إجلاله لأهل العلم والأدب، أوردها بديع الزمان الهمذاني، قال: سمعت أبا الحسين الناشئ بمدينة السلام، وحضرت مجلس أبي الحسين المغلّس الفقيه، فانقلبت محبرة لبعض من حضر على ثيابي، فدخل

(١) معجم الأدباء ١٣/ ٢٩٠.

أبوالحسين ـ الناشئ ـ وحمل إليّ قميصاً دبيقياً ورداءً حسناً، قال: فأخذتهما ورجعت إلى بيتي، وغسلت ثيابي ولبستهما، ورددت القميص والرداء إلى أبي الحسين، فلما رآهما غضب غضباً شديداً وقال: البسهما، لولا أنك تتوشح بالأدب لجفوتك[1].

لُمَحٌ من شعره:

طغت على شعره مسحة من البكائية الحزينة، حيث أنه مال بشعره نحو التشيّع، فرثى أهل البيت بكثير من أشعاره، وهو يكاد يكون الغالب، ومع ذلك، كانت له أبيات في وصف الخمر وبعض الأغراض الأخرى، كقوله في الخمر[2]:

دنان كرهبان عليها برانس ... من الخزّ دكن يوم فصح تصففُ[3]

ينظم منها المزج سلكاً كأنه ... إذا ما بدا في الكأس درّ منصّفُ

ولكن رثائياته هي الأثبت والأوسع انتشاراً، قال الخالع[4]: كنت مع والدي في سنة ٣٤٦هـ، وأنا صبي في مجلس الكبوذيّ، في المسجد الذي بين الورّاقين والصاغة، وهو غاصّ بالناس، وإذا رجل قد وافى وعليه مرقعة وفي يده سطيحة وركوة، ومعه عُكّاز وهو شعث، فسلّم على الجماعة بصوت يرفعه، ثم قال: أنا رسول فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، فقالوا: مرحباً بك وأهلاً، ورفعوه، فقال: أتعرفون لي أحمد المزوّق النائح؟ فقالوا: ها هو جالس. فقال: رأيت مولاتنا عليها السلام في النوم، فقالت لي: امض إلى بغداد واطلبه، وقل له: نح على ابني بشعر الناشئ الذي يقول فيه:

بني أحمد قلبي لكم يتقطّع ... بمثل مصابي فيكم ليس يسمع

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ٢٩٥.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٧ـ٢٨٨.

(٣) دكن = جمع أدكن، وهو المائل للسواد.

(٤) المصدر السابق ١٣/ ٢٩٢ـ٢٩٣.

قال: وكان الناشئ حاضراً، فلطم لطماً عظيماً على وجهه، وتبعه المزوّق والناس كلهم، ثم ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلّى الناس الظهر، وتقوّض المجلس، وجهدوا بالرجل أن يقبل شيئاً منهم، فقال: والله لو أعطيت الدنيا ما أخذتها، فإني لا أرى أن أكون رسول مولاتي عليها السلام، ثم آخذ عن ذلك عوضاً، وانصرف ولم يقبل شيئاً. قال: والقصيدة هي بضعة عشر بيتاً منها[1]:

عجبت لكم تفنون قتلاً بسيفكم ... ويسطو عليكم من لكم كان يخضعُ

كأن رسول الله أوصى بقتلكم ... وأجسامكم في كل أرض توزّعُ

واجتاز به الخالع ذات يوم، وهو جالس في «السراجين»[2]، فقال له الناشئ: قد عملت قصيدة، وقد طُلبت، وأريد أن تكتبها بخطّك حتى أخرجها. فقلت ـ والكلام للخالع ـ: إنني في حاجة وأعود، وقصدت المكان الذي أردته، وجلست، فحملتني عيني، فرأيت في منامي أبا القاسم عبدالعزيز الشطرنجي النائح، فقال لي: أحب أن تقوم فتكتب قصيدة الناشئ البائية، فإنّا قد نحْنَا بها البارحة بالمشهد، وكان هذا الرجل قد توفّي وهو عائد من الزيارة، فقمت ورجعت إليه، وقلت: هات البائية حتى أكتبها، فقال من أين علمت أنها بائية؟ وما ذكرت بها أحداً؟! فحدّثته بالمنام، فبكى، وقال: لا شك أن الوقت قد دنا، فكتبتها، وكان أولها[3]:

رجائي بعيد والممات قريب ... ويخطئ ظني والمنون تصيب

(١) معجم الأدباء ١٣/ ٢٩٣.

(٢) أحد أسواق بغداد المعروفة.

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٩٤.

ومن شعره الجميل الموشّى بالغزل هذه الأبيات[1]:

دليل توارى النجم من طول مكثه | كما ازورّ محبوب لخوف رقيبه
كأن الثريا فيه باقة نرجس | تجيء بها صبوة لحبيبه

وله أيضاً[2]:

وكأن عقرب صدغه وقفت | لما دنت من نار وجنته

نوادره في الشعر والمجادلات الكلامية وغيرها:

قال الخالع: أنشدني الناشئ يوماً لنفسه من قصيدة[3]:

طلول أطال الحزن لي حزن نهجها | وألزمني وجداً عليها التأسفُ
وقفت على أرجائها أسأل الربا | عن الخُرّد الأتراب والدار صفصفُ
وكيف يجيب السائلين مرابع | عفتها شآبيب من المزن وُكّفُ
دنان كرهبان عليها برانس | من الخزّ دكن يوم فصح تصففُ[4]

قال الخالع: كانت له جارية سوداء تخدمه، فدخل يوماً إلى دار أخته وأنا معه، فرأى صبياً صغيراً أسود، فقال لها: من هذا؟ فسكتت، فألحّ عليها، فقالت: ابن بشارة، فقال: مِمَّنْ؟ فقالت: من أجل هذا أمسكت، فاستدعى الجارية، وقال لها: هذا الصبيُّ من أبوه؟ فقالت: ما له أب، فالتفت إليّ، وقال: سلّم إذاً على المسيح[5].

(١) معجم الأدباء.
(٢) المصدر السابق ١٣/ ٢٩٥.
(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٦ـ٢٨٧.
(٤) يعلق ياقوت الحموي على الناحية الإعرابية في الأبيات بقوله: «فإذا حمل ما قاله على أن يجعل تلك الظروف هي: الطلول، وهي: ما شخص من الأرض، وجعلت شخوصاً، جاز الرفع على هذا التأويل، وإن جعلت محال للطلول فليس إلا النصب» راجع معجم الأدباء ١٣/ ٢٨٧.
(٥) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٧.

ومن نوادره مع الخلفاء والقوّاد: نادرة لطيفة تكلّم هو عنها، فقال[1]:

أدخلني ابن رائق على الراضي بالله (الخليفة) وكنت مدّاحاً لابن رائق ونافقاً عليه، فلما وصلت إلى الراضي قال لي: أنت الناشئ الرافضي؟! فقلت: خادم أمير المؤمنين الشيعي. فقال: من أيّ الشيعة؟ فقلت: شيعة بني هاشم، فقال: هذا خبث حيلة. فقلت: مع طهارة مولد. فقال: هات مامعك، فأنشدته، فأمر أن يخلع عليّ عشر قطع ثياباً، وأعطى أربعة آلاف درهم، فأخرج إليّ ذلك وتسلّمته، وعدت إلى حضرته، فقبلت الأرض وشكرته، وقلت: أنا ممّن يلبس الطيلسان، فقال: هاهنا طيالس عدنية، أعطوه منها طيلساناً، وأضيفوا إليها عمامة خزّ، ففعلوا، فقال: أنشدني من شعرك في بني هاشم، فأنشدته:

بني العباس إن لكم دماء أراقتها أمية بالذحولِ[2]
فليس بهاشمي من يوالي أميّة واللعين أبا زبيلِ

فقال: مابينك وبين أبي زبيل؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم، فابتسم، وقال: انصرف.

ومن جميل نوادره ومجونه، وهو ما جرى له مع المتكلمين والمجبّرة وغيرهم، ومع النحويين والأدباء، ورّاقين كانوا، أو من بقية الطوائف والأصناف، منها:

قال الخالع: إن الناشئ ناظر أباالحسن علي بن عيسى الرمّاني (وهو واحد من مشاهير النحاة، وكان ورّاقاً وأديباً) جادله في مسألة، فانقطع الرمّاني، وقال: أعاود النظر، وربما كان في أصحابي من هو أعلم منّي بهذه المسألة، فإن ثبت الحق معك وافقتك عليه، فأخذ يندّد به، ودخل أبوالحسن علي بن كعب

---

(1) معجم الأدباء ١٣/ ٢٨٣ـ٢٨٤.

(2) الذحول، مفردها ذحل، والذحل =الثأر، وقيل هو العداوة والحقد. اللسان مادة ـ ذحل.

الأنصاري، أحد المعتزلة، فقال: فبأي شيء أنتم ياأبا الحسين؟ فقال: في ثيابنا، فقال: دعنا من مجونك وأعد المسألة، فلعلّنا أن نقدح فيها، فقال: كيف تقدح وحرّاقك رطب؟[١]

وتناظر يوماً مع أبي الحسن الأشعري ـ شيخ الأشاعرة ـ فصفعه، فقال الأشعري: ماهذا ياأبا الحسين؟! فقال: هذا فعل الله بك، فلم تغضب منّي؟ فقال: مافعله غيرك، وهذا سوء أدب وخارج عن المناظرة، فقال الناشئ: ناقضت، إن أقمت على مذهبك، فهو من فعل الله، وإن انتقلت فخذ العوض. فانقطع المجلس بالضحك، وصارت نادرة[٢].

ومن مجونه، أنه ناظر بعض المجبرة، فحرّك الجبري يده، وقال للناشئ: هذه من حركها: فقال الناشئ: من أمّه زانية. فغضب الرجل، فقال له: ناقضت، إذا كان المحرّك غيرك، فلم تغضب؟![٣]

وسمع رجلاً ينادي على لحم البقر: أين من حلف ألا يغبن؟ فقال له: أيش تريد منه؟ تريد أن تخنثه؟[٤]

قال الخالع: حدثني الناشئ، قال: لما وفدت على سيف الدولة، وقع فيّ أبوالعباس النامي، وقال: هذا يكتب التعاويذ، فقلت لسيف الدولة: يتأمل الأمير، فإن كان يصلح أن يكتب مثله على المساجد بالربّج[٥]، فالقول كما قال. فأنشدته قصيدة أولها:[٦]

والدهر أيامه ماض ومرتقب

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ٢٨٥.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٦ وانظر تعليقات ياقوت الحموي على هذه الحادثة بالمصدر السابق والمكان.

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٨٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الربج = الدرهم الصغير الخفيف ـ القاموس ـ مادة ـ ربج.

(٦) معجم الأدباء ١٣/ ٢٨٩.

وقلت فيها:

فارحل إلى حلب فالخير منحلب   من نيل كفك إن لاحت لنا حلب

فقال سيف الدولة: ياأبا الحسين: بيت جيّد لكنه كثير اللبن.

وأنشدته قصيدة أخرى أقول فيها:[1]

كأن مشيبي إذ يلوح عقارب	وأقتل ما أبصرت بيض العقارب
كأن الثريّا عوذة في تميمة	وقد حليت واستودعت حرز كاعب[2]

في يوم الاثنين، لخمس خلون من صفر سنة خمس وستين وثلاثمائة، مات ابن وصيف الناشئ، وقد شيّع جنازته ماشياً، واشترك أهل الدولة في تشييعه، ودفن في مقابر قريش، وقبره هناك معروف[3].

ابن الكوفي

هو أبوالحسن علي بن محمد بن زبير الأسدي الكوفي[4]. كان وراقاً في الكوفة، عالمًا صحيح الخط، راوية وجماعاً للكتب، صادقًا في الحكاية منقراً بحاثًا كما يقول النديم. لم تذكر المصادر تاريخ ولادته أو وفاته، بل ذكرت أن له من الكتب:[5]

١ ـ كتاب في معاني الشعر واختلاف العلماء.

٢ ـ كتاب القلائد والغرائب في اللغة والشعر.

---

(١) معجم الأدباء ١٣/ ٢٨٩ـ٢٩٠.

(٢) العوذة ـ الرقية، كان أهل العراق يستخدمونها لأطفالهم حتى مطلع الستينات من هذا القرن.

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٢٨٢.

(٤) الفهرست/ ص١١٧ـ١١٨.

(٥) المصدر السابق.

أبوحيان التوحيدي(*)

هو علي بن محمد بن العبّاس، والمعروف بكنيته الشهيرة «أبوحيان التوحيدي»[1]. علم من أعلام الفكر والأدب والشهرة والصيت والفقر، وأحد أكبر رموز الوراقين في القرن الرابع الهجري، قال عنه ياقوت: التوحيدي، شيرازي الأصل، وقيل: نيسابوري، ووصفه بعض الفضلاء بالواسطي، صوفي السمت والهيئة، وكان يتأله، والناس على ثقة من دينه[2].

اختلفت المصادر في تحديد تاريخ ولادته وحياته، وتاريخ وفاته، ولكنهم يحصرون ذلك بين سنة ٣١٠ و٣٢٠هـ بالنسبة إلى تاريخ ولادته، وبين سنة ٤٠٠ و٤١٤هـ. وانفرد السيوطي بذكر سنة ٣٨٠هـ تاريخاً لوفاته[3].

والتوحيدي ـ بالحاء المهملة ـ نسبة إلى نوع من التمر يسمّى «التوحيدي»، وقال ابن حجر العسقلاني: يحتمل أن يكون إلى «التوحيد»؛ لأن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد[4].

على ما يبدو أن أباحيّان كان لغزاً على الكثير من القدماء والمحدثين، فشخصيته مالت بين الذم والمدح، والأخذ والتجريح، والدقة والشطط، ويظهر أن موسوعيته المعرفية في كل الفنون جعلتهم يؤوّلون عليه الأقوال، ويلفقون عليه الحكايا والأباطيل. والقدماء أخذوا عليه تذبذبه في الدين والعقيدة، فهذا ابن مالي يقول في كتاب الفريدة: كان أبوحيان كذّاباً قليل الدين والورع،

(*) يراجع في ترجمته المصادر التالية: معجم الأدباء ١٥/ ٥ الترجمة رقم١. وبغية الوعاة/ ص٣٤٨ـ ولسان الميزان ٦/ ٣٦٩، وطبقات الشافعية الكبرى/ ص٢٠٤، وميزان الاعتدال ٤/ ٥١٨ـ٥١٩، ودائرة المعارف الإسلامية، وغيرها من المصادر، لاسيما تلك التي سترد الإحالة عليها في ترجمتنا هذه.

(١) معجم الأدباء ١٥/ ٥.

(٢) المصدر السابق ـ نفس المكان.

(٣) بغية الوعاة/ ص٣٤٩.

(٤) لسان الميزان ٦/ ٣٦٩ـ وانظر كذلك ـ المقابسات ـ مقدمة توفيق حسين/ ص٤ بغداد ١٩٧٠م.

مجاهراً بالبهت، تعرّض لأمور جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل[1]. فيما أشركه ابن الجوزي مع الزنادقة، قائلاً: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الرواندي، والتوحيدي، وأبوالعلاء المعري، وشرّهم على الإسلام التوحيدي، لأنهما صرّحا، وهو جمجم ولم يصرّح[2].

فيما قال ابن حجر العسقلاني: «كان صاحب زندقة وانحلال، كما نقل عنه قول ابن النجار صاحب ذيل تاريخ بغداد إن أباحيان كان فاضلاً لغوياً، نحوياً شاعراً، له مصنّفات حسنة، وكان فقيراً، صابراً متديّناً، حسن العقيدة[3]. وهذا يبرز لنا المواقف بين العلماء، كابن الجوزي، وابنْ حجر العسقلاني، ومدى تزمتهم، لأن النصوص السلفية تحكم رؤيتهم، فيما كان قول المؤرخين والأدباء غير ذلك، كقول ابن النجار، وياقوت الحموي.

قدم إلى بغداد وعاش فيها فترة طويلة من حياته، وخالط الأدباء والمفكرين، وعرف الشعراء والساسة، وكان دائماً يحلّ ترحاله في سوق الورّاقين، فيجالس هذا العالم، وذاك المفكر، ويجادل الفلاسفة بأدبه، والأدباء بفلسفته، والصوفية بورعه ولغته وعلومه المتعددة، وقد وصفه ياقوت الحموي بأجل الأوصاف، وأدقّها، فقال عنه: «كان متفنناً في جميع العلوم، من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه، والكلام على رأي المعتزلة، وكان جاحظيًا، يسلك في تصانيفه مسلك الجاحظ، ويشتهي أن ينتظم في سلكه، فهو شيخ في الصوفية، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان، سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه، الذمّ شأنه، والثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي

---

(١) المقابسات ـ مقدمة توفيق حسين ـ ص٤.

(٢) السيوطي ـ بغية الوعاة/ ص٣٤٩.

(٣) لسان الميزان ٦/ ٣٦٩ـ٣٧٠.

لانظير لـه ذكاء وفطنة وفصـاحة ومكنة، كـثير الـتحصـيل للعلوم في كل فنّ حـفظه، واسع الدراية والرواية، وكـان مع ذلك محـدوداً ـ أي مـحرومـاً من مكاسب المعاش ـ محارفاً يشتكي صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه»[1].

تنقّل أبوحيان بين بـغداد وشيراز والري ونيسـابور ومكة، وكانت الوراقة شغله الـشاغل، وقوته المشـاغل، فكان يعيش علـى نسخ الكتب، وتأليفـها، والكتابة للوزراء من أمثال ابن العميـد والصاحب بن عباد، وابن سعدان، وقد كانت بعض مؤلفاته مهداة إلى هذا الأخير، لاسيما **الإمتاع والمؤانسة**، ورسالة **الصداقة والصديق**، ومثالب **الوزيرين**.

ينقل عنه ياقوت بعض اعترافـاته التي يشير فيها إلى سبب كـتابته رسالة **الصداقـة والصديق** إلى الوزير ابن سعـدان، يقول[2]: كان سـبب إنشاء هذا الكتاب أني ذكرت منها شـيئاً لزيد بن رفاعة أبي الجبـرة، فنماه إلى ابن سعدان سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة قبل تحمّله أعباء الدولة، وتدبيره أمر الوزارة، فقال لي ابن سعدان: قـال لي عنك زيد كذا وكذا، قلت: قد كـان ذاك، فقال لي: دوّن هذا الكلام وصله بصلاته، مما يصحّ عندك لمن تقدم، فإن حديث الصديق حلو، ووصف الصـاحب المساعـد مطرب، وكان هـذا الوقت هو رجب سنة أربعمئة، عثرت على المسوّدة وبيّضتها[3].

ويعلّق ياقوت على هذا الخبر بقوله: «وهذا دليل على بقائه[4] إلى ما بعد الأربعمائة»[5].

---

(١) معجم الأدباء ١٥/ ٥ـ٦.

(٢) المصدر السابق ١٥/ ٦.

(٣) المصدر السابق ١٥/ ٦ـ٧.

(٤) يعني «أبا حيان التوحيدي».

(٥) المصدر السابق ١٥/ ٧.

حياته الفكرية والثقافية :

ينحدر أبوحيان التوحيدي من أسرة فقيرة، وهذا الأمر يعني صعوبة تحصيله المعارف، إلا باعتماد على الذات حصراً، لذلك كان التوحيدي يحصّل العلوم بنفسه، ويختار شيوخه وأصحابه، بناء على فِطرة الذكاء عنده، إضافة إلى حبّه لمخالطة العلماء. ولقد كانت حياته في بغداد من أخصب الفترات التي عاشها، فقد تتلمذ على أيدي أشهر علماء العصر، من مثل أبي سعيد السيرافي (٢٤٨هـ ـ ٣٦٧هـ) الذي علّمه النحو وغيره، من أنواع المعرفة الشائعة، في ذلك العصر، كعلوم القرآن والفقه والفرائض والحساب، والكلام والبلاغة، والشعر والعروض والقوافي، كما أطلعه في سنّ مبكرة على أسرار علم التصوّف[١].

كما درس التوحيدي علم الكلام والمنطق والعربية على علي بن عيسى الرُمّاني (٢٩٦ ـ ٣٨٤هـ)، وهو أحد أئمة اللغة والأدب والمتكلمين على طريقة المعتزلة.

كما درس الفقه الشافعي على أساتذة ثلاثة، هم: القاضي أبو حامد المرورودي، المتوفى سنة ٣٦٢هـ، وهو واحد من أئمة الفقه الذين لا يشقّ غبارهم، وأبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفّال، المتوفى سنة ٣٦٥هـ، وكان محدِّثاً، فقيهاً أصولياً، لغوياً، شاعراً. والقاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني (٣٠٥ ـ ٣٩٠هـ) وهو أعلم الناس بفقه الطبري[٢].

كما درس الفلسفة والمنطق على أبي زكريا يحيى بن عدي[٣]، الذي انتهت إليه رياسة أهل المنطق في زمانه، كما درس الحكمة والمنطق على أبي سليمان

---

(١) د. إبراهيم الكيلاني: مقدمة كتاب ـ مثالب الوزيرين، ص هـ/ منشورات دار الفكر بدمشق ١٩٦١م.

(٢) المرجع السابق ـ نفس المكان.

(٣) كان فيلسوف عصره، ويمتهن الوراقة. انظر ترجمته في فصل الوراقون العلماء من هذا الكتاب.

محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، وهو من أعاظم علماء زمانه. وقد كان مجلس السجستاني حلقة أدبية، يجتمع فيه العلماء لمناظرته، وكان التوحيدي كثير الملازمة له، والأخذ عنه، وتدوين كلامه، و المقابسات أوضح دليل لتأثر التوحيدي بالسجستاني.

اتصاله بالوزراء:

كان هذا الباب من أكبر المنعطفات في حياته الشخصية، فقد كان له التأثير المباشر في نتاجه الأدبي والعقلي، لاسيما وأن اسمه بدأ يأخذ بالسطوع، والمحافل الأدبية تثني عليه وعلى أدبه، وكأي أديب أو رجل فكر، في ذلك الوقت، تكون حاجته عند مثل هذه الشخصيات السياسية الكبيرة في الدولة، فكان أول اتصال له بمثل هذه الشخصيات بالوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي (٢٩١ ـ ٣٥٢هـ)، وزير معز الدولة، وكان هذا الوزير جامعاً لأدوات الرئاسة، وأديباً معروفاً، يعطف على الأدباء وأهل العلم، وكان ذا هوىً شيعي، فلم يلق التوحيدي عنده أي صدر رحب، حيث أن التوحيدي ذو عزوف وصد عن الشيعة، وكان ينابذهم في كتاباته[١]، وقد حدثت الجفوة بينه وبين الوزير المهلبي، فهرب منه، واضطرّ إلى الاختفاء واحترف مهنة الوراقة، رغم أنه كان يكرهها، ويرى فيها «ذهاب العمر والبصر»[٢].

ثم اتصل أبوحيان بابن العميد، وكان من ألمع شخصيات عصره علماً وأدباً وسياسة، مما بهر به أهل زمانه، حيث كان التوحيدي يأمل من اتصاله بالوزير الفوز بالهدوء والاستقرار بعد غربة وتشرّد، غير أنه لم يفز منه بما كان يؤمل، وقصد من بعده ابنه أبا الفتح ابن العميد، فلم يكن نجاحه عنده بأحسن

(١) انظر «رسالة السقيفة» في رسائل التوحيدي.

(٢) د. إبراهيم الكيلاني ـ مقدمة كتاب ـ مثالب الوزيرين/ ص و.

من نجاحه عند أبيه، فهجاهما أقذع هجاء في كتابه مثالب الوزيرين.

وفي سنة ٣٦٧هـ غادر التوحيدي بغداد متوجهاً إلى الري قاصداً الصاحب بن عبّاد، وكان يومها من كبار وزراء بني بويه، وله شهرة ومقام في المجالين الإداري والأدبي[(١)]، إلاّ أنه لاقى ما لاقى منه، فهجر مقامه، وأسِيَ أشدّ الأسى، ثم عاد إلى بغداد وهو يحمل غيظه في نفسه، وكتب أشد الهجاء والقدح في أخلاقه ومسلكه وأدبه، وضمن ذلك في كتابه المهم مثالب الوزيرين[(٢)].

ثم قصد الوزير ابن سعدان الذي استوزره صمصام الدولة سنة ٣٧٣ وقتله سنة ٣٧٥هـ، فألف له الإمتاع والمؤانسة، والصداقة والصديق وكان هذا الوزير من رعاة الأدب والعِلم[(٣)].

انتهت حياة أبي حيان التوحيدي في شيراز، وبها دفن سنة ٤١٤هـ.

تصانيفه الأدبية والفكرية:

ذكر ياقوت أغلب ما ألفه التوحيدي من كتب، وهي[(٤)]:

١ ـ رسالة الصداقة والصديق.

٢ ـ كتاب الردّ على ابن جني في شعر المتنبي.

٣ ـ الإمتاع والمؤانسة (٣ أجزاء).

٤ ـ الإشارات الإلهية (جزءان).

---

(١) د. إبراهيم الكيلاني ـ مقدمة كتاب ـ مثالب الوزيرين/ ص ح.

(٢) لنا عودة لهذا الكتاب، حيث فيه تفصيلات هامة عن حياة أبي حيان التوحيدي.

(٣) انظر مقدمة أحمد أمين لكتاب الإمتاع والمؤانسة.

(٤) معجم الأدباء ١/٨٠٧.

٥ ـ الزّلفة.

٦ ـ المقابسات.

٧ ـ رياض العارفين.

٨ ـ تقريظ الجاحظ.

٩ ـ ذم الوزيرين ـ أو مايعرف بـ مثالب الوزيرين.

١٠ـ الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي.

١١ـ الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة.

١٢ـ كتاب الرسالة البغدادية.

١٣ـ الرسالة في أخبار الصوفية.

١٤ـ الرسالة الصوفية ـ أيضاً.

١٥ـ الرسالة في الحنين إلى الأوطان.

١٦ـ البصائر والذخائر، وهو عشرة مجلدات كل مجلد له فاتحة وخاتمة[١].

١٧ـ كتاب المحاضرات والمناظرات.

١٨ـ رسالة السقيفة.

١٩ـ رسالة في علم الكتابة.

٢٠ـ رسالة الحياة.[٢]

٢١ـ الهوامل والشوامل.

---

(١) حققه د. إبراهيم الكيلاني في أربع مجلدات ضخمة ـ وهو تقليد لأسلوب الجاحظ في الكتابة.

(٢) قام د. إبراهيم الكيلاني بجمعها وتحقيقها، ونشرها تحت عنوان ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي.

علاقته بالوراقة :

ترتسم علائم الفقـر بالتوحيدي من خلال حياته مع عـلماء عصره الذين عاشرهم، فهو واحد منهم، إلاّ أنهم كانوا يشعرون بذاتهم، ويدركون موقعهم المعـرفي، لذلك كانوا يلتـجئـون إلى مهنـة الوراقة للنسخ، فـيحـافظون على وجودهم البشري والمعرفي بآن معاً، وكان أبوحيان أسطع مثال على ذلك، وقد قـدّم لنـا تقريـراً عـن حياتـه في سيـاق حـديث قد تبادله مع أبي بكر القومسي ـ وهو واحد من أعلام الفكر والفلسفة في القرن الرابع الهجري ـ جاء فيه: هل تعرف في معنى قـصيدة العطوى[1] أخرى؟ قال: نعم قصـيدة الحرّاني صاحب المأمون، فقلت: لو تفـضلت بإنشادها، قال: أخذ في حـديث من أقبلت عليه دنياه، وتمكن فـيها من مناه، ودع حـديث الحرف[2] والعسر والشـؤوم والخسر تطيّراً إن لـم ترفضه أدباً. فـقلت له: ما أعـرف لك شريكاً فـيما أنـت عليه، وتتقلّب فيه وتقاسيه سواي، ولقد استولى عليّ الحرف، وتمكّن منّي نكد الزمان إلى الحد الذي لا أسترزق مع صحة نقلي وتقييد خطّي وتزويق نسخي وسلامته من التصحـيف والتحريف بمثل ما يستـرزق بهِ البليد الذي ينسخ النسخ ويمسخ الأصل والفرع، وقصدت ابن عبّاد بأمل فسيح وصدر رحب، فقدّم إليّ رسائله في ثلاثين مـجلّدة على أن أنسخـها له، فـقلت: نسخ مـثله يأتي على العمـر والبصر، والوراقة كانت موجودة ببغداد، فأخذ في نفسه عليّ من ذلك[3].

---

(١) مطلعها: من رماه الإله بالاقتار وطلاب الغنى من الأسفار ـ انظر معجم الأدباء ١٥/ ١٠.

(٢) الحُرف = الحرمان.

(٣) معجم الأدباء ١٥/ ١٢ـ١٣ وراجع بعض تفاصيل هذه الحادثة في مثالب الوزيرين ص٣٢٥.

ابن الزبير الأسدي الورّاق

هو علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي، المعروف بالكوفي[١] واحد من الورّاقين المشهورين، صاحب العلماء من شيوخ اللغة، وتتلمذ على يد ثعلب النحوي، واختصّ بالوراقة له ولازم مجلسه.

عرف بحسن خطّه وإتقان الضبط والشكل، وأثنى الناس عليه في ذلك، فإذا قيل: نقلت من خط ابن الكوفي، فقد بالغ في الاحتياط[٢].

أصله من الكوفة، ونسبه يمتد إلى أسد قريش، رهط الزبير بن العوّام، ولد سنة ٢٥٤هـ، وتوفيّ سنة ٣٤٨هـ[٣].

استهوته حرفة الأدب، وشدّته مهنة الوراقة، وتفرّد بمنهج خاص به في مسلكيته أثناء التوريق، وكان أحد المؤسسين للمنهج المعرفي في الوراقة[٤]. فقد قال ياقوت: ورأيت بخطّه عدة كتب، فلم أر أحسن ضبطاً وإتقاناً للكتابة منه، فإنه يجعل الإعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطاً، ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدّة مرار: صحّ صحّ صحّ، وأضاف: وكان من جمّاعي الكتب وأرباب الهوى فيها[٥].

صنف عدة كتب في اللغة والأدب، كان أهمها[٦]:

١ ـ كتاب الهمز.

٢ ـ معاني الشعر واختلاف العلماء فيه.

٣ ـ الفرائد والقلائد في اللغة.

---

(١) معجم الأدباء ١٤/١٥٣ الترجمة رقم ٣٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) راجع ـ منهج الوراقة ـ في هذه الدراسة.

(٥) المصدر السابق ١٤/١٥٣ـ ١٥٤.

(٦) المصدر السابق ١٤/١٥٣.

قال ياقوت: ووجدت جزازة من إملاء أبي الهندام كلاب بن حمزة العقيلي اللغوي، ما صورته: ولأبي الهندام إلى أبي الحسن بن الكوفي النحوي البغدادي رحمه الله:(١)

أبا الحسن أراك تمدُّ حبلي	لتقطعه وأرسله بجهدي
وأتبعه إذا قصر احتياطاً	وأنت تشد حبلك أيّ شدّ
أخيّ فكم يكون بقاء حبل	يتلتِل بين إرسال ومدّ(٢)
تعالى الله ما أجفى زماناً	بقيت له وأنكد فيه جدّي
أظنّ الدهر يقصدني لأمر	يحاوله ويطلبني بحقد
إذا ذهبت بشكلي عن ودادي	مذاهبه فكيف ألوم ضدّي
سأصبر طائعاً وأغضّ طرفي	وأحفظ عهد مطرح لعهدي
وأقصد أن أحصّل لي صديقاً	أعزّ به على خطئي وعمدي
فإن أظفر بذاك فأيّ كنز	ونيل غنيمة وثقوب زند
وإلاّ كان حسن الصبر أحرى	بحسن مشوبة وبناء مجد
ألا للّه ما أصبحت فيه	من الخلطاء من تعب وكدّ
لقاء بالجميل وحسن بشر	وإنصاف يشاب بخلف وعد
وعلم لا يقاس إليه علم	بكل طريقة وبكلّ حدّ
وإغفال لما أولي وأحجي	تفقده بذي أدبٍ وحشد
فيالله ياللناس، يالله	ه عجائب بين تقربةٍ وبُعدِ
من الأخلاق إذ مزجت فصارت	علاقمها مجدّحة بشهد
أراني بين منزلتين ما لي	سوى إحداهما ثقة لقصد
فإن أرد الأنيس أعش ذليلاً	وأن أرد التعزز أبق وحدي

---

(١) معجم الأدباء ١٤/ ١٥٤ـ ١٥٦.

(٢) يتلتل = يقلقل ويحرك ويزعزع.

الأثرم الورّاق

هو عليّ بن المغيرة، الملقب بالأثرم، والمكنى بأبي الحسن[1]، من الورّاقين المشهورين في بغداد، كان أولّ أمره يورّق لإسماعيل بن صبيح[2].

ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته، واكتفت بذكر تاريخ وفاته في سنة ٢٣٢هـ[3].

كان صاحب كتب مصححه، قد لقيَ بها العلماء، وضبط ما ضمّنها، ولم يكن له حفظ، لقي أبا عبيدة والأصمعي، وأخذ عنهما، ومنه أخذ الزبير ابن بكّار وابن مكرم[4].

تتلمذ على الشيوخ المذكورين. واشتغاله بالوراقة، ومخالطته للعلماء والأدباء أهلّه لأن يكون واحداً منهم، فإلى جانب الوراقة مارس التأليف، فكانت له الكتب التالية:

١ ـ كتاب النوادر.

٢ ـ كتاب غريب الحديث[5].

يتحدث ياقوت الحموي عن بداية علاقته بأبي عبيدة النحوي، وكيف كان الأثرم يحتال عليه بالقراءة، لأخذ الإجازة، يقول: حدّث أبومسحل عبدالوهاب قال: كان إسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أباعبيدة من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد، وأحضر الأثرم، وهو يومئذ ورّاق، وجعله في دار من دوره، وأغلق عليه الباب، ودفع إليه كتب أبي عبيدة، وأمره بنسخها، فكنت

(١) معجم الأدباء ١٥/ ٧٧ الترجمة رقم ١٨.

(٢) السيوطي ـ بغية الوعاة/ ص ٣٥٥.

(٣) معجم الأدباء ١٥/ ٧٧ـ وبغية الوعاة/ ص ٣٥٥.

(٤) المصادر السابقة.

(٥) معجم الأدباء ١٥/ ٧٧.

أنا ـ والكلام لأبي مسحل ـ وجماعة من أصحابنا نصير إلى الأثرم، فيدفع إلينا الكتاب والورق الأبيض من عنده، ويسألنا نسخه وتعجيله، ويوافقنا على الوقت الذي نردّه إليه، فكنّا نفعل ذلك. وكان الأثرم يقرأ على أبي عبيدة، وكان أبوعبيدة من أضن الناس بكتبه، ولو علم ما فعله الأثرم لمنعه من ذلك[1].

جاء في شعره أنه قد تجاوز التسعين سنة، فقد ذكر ياقوت هذه الأبيات له[2]:

كبرت وجاءَ الشيب والضعف والبلى	وكل امرئ يبلى إذا عاش ماعشت
أقول وقد جاوزت تسعين حجّة	كأن لم أكن فيها وليداً وقد كنت
وأنكرت لمّا أن مضى جلّ قوتي	وتزداد ضعفاً قوتي كلما زدت
كأني إذا أسرعت في المشي واقف	لقرب خطى مامسّها قصراً وقت
وصرت أخاف الشيء كان يخافني	أعدّ من الموتى لضعفي وما متّ
وأسهر من برد الفراش ولينه	وإن كنت بين القوم في مجلس نمت

الفزاري الوراق

هو أبوعبدالله محمد بن إبراهيم بن حبيب بن سليمان بن سمرة بن جندب الفزاري[3]. قال النديم: كان عالما صحيح الخط[4]، ولم يضف إلى ذلك شيئاً.

---

(١) معجم الأدباء ١٥/٧٨.

(٢) المصدر السابق ١٥/٧٨ـ٧٩.

(٣) الفهرست/ ص١١٨.

(٤) المصدر السابق.

النديم[*]

هو محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم، كنيته أبوالفرج، وغلب عليه لقب «النديم» والتصاق هذا الاسم بكتابه الذائع الصيت **الفهرست**.

كان علماً من أعلام القرن الرابع الهجري، وواحدًا من أشهر ورّاقي بغداد قاطبة، لم تذكر مصادر ترجمته تاريخ ولادته، بل ذكرت تاريخ وفاته سنة ٣٨٠هـ، كما يقول الصفدي[١]، فيما قال ابن حجر العسقلاني: إنه توفي سنة ٣٣٨هـ[٢]، فيما أحجم ياقوت الحموي عن ذكر ولادته أو تاريخ وفاته[٣]. واعتمد ناشر كتاب **الفهرست** على ابن النجار، صاحب كتاب **ذيل تاريخ بغداد** ـ حيث ذكر أنه توفي في شعبان سنة ٣٨٥هـ[٤]، ووافق على هذا التاريخ كل من ـ آقا بزرك الطهراني في **الذريعة**[٥] والزركلي في **الأعلام**[٦].

ونحن نميل إلى تاريخ وفاته في سنة ٣٨٥هـ لعدة أسباب، منها: أنه ألف كتاب **الفهرست** في سنة ٣٧٧هـ كما ذكر هو نفسه، حيث يقول في نهاية المقالة الأولى، الخاصة بموضوع «الكتب المؤلفة في معاني شتى من القرآن: «هذا آخر ما صنَّفته من المقالة الأولى من كتاب **الفهرست** إلى يوم السبت، مستهل شعبان سنة سبع وسبعين وثلثمائة»[٧].

(*) لسان الميزان ٥/ ٧٢ الترجمة رقم ٢٢٧ـ معجم الأدباء ١٨/ ١٧ الترجمة رقم ٦ـ الوافي بالوفيات ٢/ ١٩٧، كتاب الفهرست/ المقدمة ص أ ـ وـ أعلام الزركلي ٦/ ٢٩.

(١) الوافي بالوفيات ٢/ ١٩٧.

(٢) لسان الميزان ٥/ ٧٢.

(٣) معجم الأدباء ١٨/ ١٧.

(٤) مقدمة الفهرست/ ص ب/ ولم نعثر من كتاب ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار ـ إلا على الجزء الأول منه، والخاص بترجمات من تبدأ أسماؤهم بحرف العين.

(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٦/ ٣٧٢ـ٣٧٣.

(٦) الزركلي: الأعلام ٦/ ٢٩.

(٧) الفهرست ـ ص٥٨.

كما أن الأشخاص والأعلام الذين ترجم لهم في **الفهرست** يذكر تاريخ وفاتهم بعد ذلك التاريخ، ولذلك من المنطقي أن تكون وفاته بعد ذلك.

تعصب عليه المؤرخون وأصحاب التراجم الذين جاؤوا بعده، ولم ينصفوه قط، رغم أنهم كثيراً ما يعتمدون على رواياته وكتابه **الفهرست**، فقد ذكره ياقوت الحموي بترجمة موجزة، جاء فيها مايلي: «محمد بن إسحاق النديم، كنيته أبوالفرج، وكنية أبيه أبويعقوب، مصنّف كتاب **الفهرست** الذي جوّد فيه، واستوعب استيعاباً يدلّ على اطلاعه على فنون من العلم، وتحقيقه لجميع الكتب، ولا أبعد أن يكون قد كان ورّاقاً يبيع الكتب، وله من التصانيف، **فهرست الكتب**، كتاب **التشبيهات**، وكان شيعياً معتزلياً»[(١)].

رغم قصر هذه الترجمة الموجزة له، لكنها توضح مدى الموسوعية المعرفية التي كان يتحلّى بها، لا سيما وأنها صادرة من رجل ذي خبرة بالأدب والأدباء والتاريخ والمواضع.

والعبارة الأخيرة في هذه الترجمة ذات مدلول سياسي واضح الأبعاد والمرامي، فهو شيعي، وأغلب المؤرخين سنّة، وهو معتزلي، والغالبية العظمى في عصره ـ القرن الرابع الهجري ـ ناصبت الاعتزال العداء، ووصمت أهله بالمتكلمين والدهريين والزنادقة وغيرها من النعوت، وهو أمر ينعكس آيديولوجيا وإعلامياً على رجال المعتزلة، وبتقديرنا أن هذا الجانب كان واضحاً في ترجمة النديم، من قبل مناوئيه الآيديولوجيين، فهذا ابن أيبك الصفدي، رغم تحلّيه بحس الناقد الأدبي، وتقصّيه لآثار الأدباء والعلماء، يقول عنه: محمد بن إسحاق النديم الإخباري البغدادي، أبوالفرج. كان شيعياً معتزلياً، وله تصانيف منها: **الفهرست في أخبار الأدباء** و**التشبيهات**. توفي سنة ثمانين وثلاثمائة»[(٢)].

---

(١) معجم الأدباء ١٨/١٧.

(٢) الوافي بالوفيات ٢/١٩٧.

فالإحجام عن مواهبه الأدبية والفنية الأخرى واضح تماماً، فيما تظل عبارة «كان شيعياً معتزلياً» ثابتة، وهو أمر يعود إلى أبعاده الآيديولوجية كما أسلفنا.

وأما الآخرون الذين اهتموا بتراجم الرجال، فإن الإسقاط الآيديولوجي ـ المذهبي يكون أوضح لديهم، لا سيّما الذين اهتموا بعلوم الحديث والقرآن والسنّة، فهذا ابن حجر العسقلاني ـ الحافظ ـ يكيل له الذمّ، حيث يقول: «محمد بن إسحاق بن محمد بن النديم، الورّاق، مصنّف كتاب **فهرست العلماء**. روى فيه عن أبي إسحاق السيرافي، وأبي الفرج الأصبهاني، وروى بالإجازة من إسماعيل الصفّار، قال ابن النجار: لا أعلم لأحد منه رواية، وقال أبوطاهر الكرخي؛ مات في شعبان سنة ثمان وثلاثين. قلت ـ والكلام للعسقلاني ـ وهو غير موثوق به. ومصنفه المذكور، ينادي على من صنّفه بالاعتزال والزيغ. نسأل الله السلامة، وقد ذكر له الذهبي ترجمة في **تاريخ الإسلام** فيمن لم يعرف له وحده على رأس الأربع مائة، فقال: محمد بن إسحاق بن النديم، أبوالفرج، الإخباري الأديب الشيعي المعتزلي، ذكر أنه صنّف الفهرست سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، قال: ولا أعلم متى توفي. قلت ـ والكلام أيضا للعسقلاني ـ ورأيت في **الفهرست** موضعاً ذكر أنه كتب في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، فهذا يدل على تأخيره إلى ذلك الزمان ـ ويضيف: ولما طالعت كتابه، ظهر لي أنه رافضي معتزلي، فإنه يسمّي أهل السنة الحشوية، ويسمي الأشاعرة المجبّرة، ويسمي كل من لم يكن شيعياً عامياً، وأضاف: وذكر في ترجمة الشافعي شيئاً مختلقاً، ظاهر الافتراء، فممّا في كتابه ـ يقصد **الفهرست** ـ من الافتراء، ومن عجائبه: أنه وثّق عبدالمنعم بن إدريس والواقدي وإسحاق بن بشير، وغيرهم من الكذّابين، وتكلم في محمد

ابن إسحاق وأبي إسحاق الفزاري وغيرهما من الثقات[1].

وهذه الترجمة توضّح بجلاء مدى التحامل عليه من لدن اثنين من المؤرخين الكبار السنّة، هما الذهبي والعسقلاني، وهذا التحامل يكاد يكون ظاهرة في تلك الأحقاب، نظراً لكون حالة الاحتراب السياسي، كانت أمراً واقعاً، وكان هناك من يغذيها، وهذا «الاحتراب المختلق» ظلّ يواكب الكثير من هؤلاء، فالذهبي نفسه، تغاضى عن ترجمة النديم أو الأخذ عنه في موسوعته الهامة **سير أعلام النبلاء** وأصفح عن ذكره ابن العماد الحنبلي في **شذرات الذهب** والأمرُ من ذلك أن القفطي «الوزير جمال الدين أبا الحسن علي بن يوسف»، أهمل ترجمته بشكل متعمّد في كتابه **إنباه الرواة على أنباه النحاة** رغم اعتماده على الكثير من رواياته، فقد ورد ذكر النديم لديه في أكثر من موضع، فقد ورد في ج١ في الصفحات «٧ح، ٩، ١٦٧، ١٧٩» وفي ج٢ الصفحات «٧، ٣٥، ٤١، ١٤٧، ٢٠٢، ٢٧٠، ٣٢٠»، وفي ج٣ في الصفحات «٦٥، ٢٠٧، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٥١، ٢٨٨»، وفي ج٤ في الصفحات «٧٩، ١٠٠، ١٤٠، ١٦٤»[2].

وانسحبت هذه النزعة حتى على المتأخرين من المؤرخين والأدباء، فهذا ابن خلكان أحد الأعلام في القرن السابع الهجري ـ واحد من الذين عنوا بالأدب وتتبعوا رجالاته، لم يترجم هو الآخر للنديم، رغم أنه أخذ الكثير عنه في تراجمه لـ **وفيات الأعيان**، فقد ورد ذكره عنده في ج١ في الصفحات /٥٣/ وفي ج٢ /٤٨٦/وفي ج٤ /٤/ ٢٩٢/ وفي ج٥ /١٦٨/ ٣٠٦/ وفي ج٦ /٢٠١ـ٣٦٤»، وتلك مشكلة عويصة بحق هذا النابه صاحب **الفهرست**،

---

(١) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ٥/ ٧٢ـ٧٣.

(٢) راجع الأجزاء المشار إليها في طبعة دار الكتب المصرية ـ أبوالفضل إبراهيم القاهرة ١٩٧٣م ـ كما أنه أهمل ترجمته أيضاً في كتابه تاريخ الحكماء، رغم أخذه الكثير من رواياته.

ذلك الكتاب المهم، الذي أوضح أعلام الفكر والأدب والعلم في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

يبدو أن حظّ النديم عاثر لدى المؤرخين بصورة عامة، نتيجة انتمائه الشيعي، وموقفه الفكري الاعتزالي، لذلك انسحب الموقف عليه من قبل مؤرخي الشيعة من الأدباء والعلماء، وبذا تكون قد حلّت عليه اللعنتان، فلم يذكره الكشّي في رجاله، بينما أورد النجاشي في **الرجال** في باب «محمد» ترجمة تقول: «محمد بن أبي إسحاق، متكلم، ذكره ابن بطّه، وذكر أن له مصنّفات عدة، ولم يفصح أكان عن النديم أم غيره؟[1].

ولم يتوقف عنده الشيخ محسن الأمين في **أعيان الشيعة**، لكن أقابزرك الطهراني توقف عنده قليلاً في **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، فقد جاء عنده، تحت رقم ١٧٢٨، **فوز العلوم المعروف بالفهرست**، لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن أبي يعقوب، النديم، الوراق البغدادي، ويقال له أيضاً: ابن النديم، توفي لعشر بقين من شعبان في ٣٨٥هـ، ألفه بعد ولادة النجاشي بخمس سنين، ويضيف: كان تلميذ البلاذري، ونديم المتوكل العباسي[2].

طغت شهرة النديم بعد تأليفه كتابه المهم **الفهرست** حيث يعدّ هذا الكتاب من أقدم كتب التراجم وأفضلها[3].

اختلفت بعض الآراء بلقبه «النديم» فالمصادر السابقة الذكر، ذكرته بلقب «ابن النديم»، وهو الأشهر والأعرف، ولكن ثمة ملاحظة مهمة يوردها الزركلي في حاشية ترجمته لابن النديم، جاء فيها: «اشتهر صاحب الترجمة

---

(١) رجال النجاشي ـ الطبعة الإيرانية سنة ١٣١٧هـ ص٢٤٣.

(٢) الذريعة ١٦/ ٣٧٢.

(٣) الزركلي: الأعلام ٦/ ٢٩.

بابن النديم، إلا أن محقق طبعة الفهرست في طهران ـ شعبان ١٣٩١ ـ رضا ـ تجدّد نبّه إلى أنه هو «النديم» لا «ابن النديم»، وصورة الصفحة الأولى من مخطوطة نفيسة في «شستربتي» جاء اسم الكتاب فيها «الفهرست للنديم»، وعلى هامشها من اليمين بخط المؤرخ «أحمد بن علي المقريزي «ما نصه»: مؤلف هذا الكتاب أبوالفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق بن محمد بن إسحق الورّاق المعروف بالنديم»(١).

امتهن النديم الوراقة عن حبّ ودراية ومعرفة تامّة بأحوال أهل صنعة الأدب، وأهل العلم والدراية، ومن يطّلع على كتاب الفهرست يدرك أهميّة هذا الرجل في صنوف المعرفة، فهو قد ترجم فيه لأشهر علماء الإسلام وأدبائه، من جميع الطبقات والمذاهب، وكان يرثي لحالة العلماء الذين يمتهنون الوراقة مثله، فمن ذلك ما رواه عن «يحيى بن عدي» قائلاً: قال لي يوماً في الورّاقين ـ يقصد السوق ـ وقد أعتبته على كثرة نسخه، فقال: من أي شيء تعجب في هذا الوقت؟ من صبري! قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري، وحملتها إلى ملوك الأطراف، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى، ولعهدي بنفسي وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل(٢).

توفيّ النديم عن عمر يناهز التسعين سنة.

محمد بن سلميان البغدادي الوراق

هو محمد بن سليمان بن قطرمش بن تركان شاه، أبونصر، البغدادي المولد، والسمرقندي الأصل(٣).

---

(١) الزركلي: الأعلام ٦/ ٢٩ ـ الهامش رقم١.

(٢) الفهرست/ ص٣٦٩.

(٣) معجم الأدباء ١٨/ ٢٠٥ـ ٢٠٦ الترجمة رقم ٥٨.

ولد سنة ٥٤٣هـ في سمرقند، وتوفي ببغداد سنة ٦٢٠هـ[١].

كان عالماً في النحو واللغة والأدب، قال عنه ياقوت الحموي: أحد أدباء عصره، وأعيان أولي الفضل بمصرنا، تجمعت فيه أشتات الفضائل، وقد أخذ من كل فن من العلم بنصيب وافر، وهو من بيت الإمارة، وكانت له اليد الباسطة في حل إقليدس وعلم الهندسة، مع اختصاصه التام بالنحو واللغة وأخبار الأمم والأشعار.[٢]

ورثَ من أبيه أموالاً كثيرة، فضيعها بالقمار واللعب بالنرد، حتى احتاج إلى الوراقة، فكان يورق بأجرة بخطه المليح الصحيح المعتبر، حتى عرف بسوق الوراقين، وذاع صيته، نتيجة كتابته الكثير من الكتب، فذكر للإمام الناصر العباسي، فولاه منصب حاجب الحجاب، ولم يزل في هذه الوظيفة إلى أن مات[٣].

عرف أيضا بأن له شعراً رائقًا، ومما أورد منه ياقوت[٤] قوله:

لا والذي سخر قلبي لها ... عبداً كما سخّر لي قلبها

ما فرحى في حبها غير أن ... زين عندي هجرها قلبها

الترمذي الورّاق

هو محمد بن محمد أبوالحسن الورّاق، المعروف بالترمذي، قال ابن النجار: بغدادي، كان من أعيان الأدباء، وخطه مشهور بالصحة، مرغوب فيه، روى عن ثعلب، وروى عنه أبوعلي القالي في أماليه، مات في رجب سنة ٣٢٤هـ[٥].

---

(١) معجم الأدباء ١٨/٢٠٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) بغية الوعاة/ ص ١٠٣ ـ باب المحمدين.

ياقوت الحموي الورّاق(*)

هو أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله، يلقّب بشهاب الدين، من المؤرخين الثقات، وواحد من أئمة الجغرافيين.[1] عَلَم من أعلام الورّاقين المكافحين، ملأت شهرته الآفاق، وعرفته كل بلاد الإسلام، لم يستسلم لنائبات الزمان ولا لطوارق الحدثان، عرفته الدنيا بكتابيه الشهيرين **معجم البلدان**، و**معجم الأدباء**، وهاتان الموسوعتان، هما من الركائز الأساسية في علوم الأدب والجغرافيا، عند العرب والمسلمين، إضافة إلى أنهما من أهم المصادر التي اعتمد عليها المستشرقون وغيرهم، ممّن نقلت إليهم الآداب العربية.

مولده في بلاد الروم، حيث أصله كان من هناك، انفرد ابن خلكان والزركلي بذكر سنة مولده وهي ٥٧٤هـ/١١٧٨م[2]، فيما كان الإجماع عليه في بقية المصادر على أنه توفي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م.

تذكر مصادر ترجمة حياته أنه أسر صغيراً من بلاد الروم وجيء به إلى بغداد، فاشتراه رجل تاجر فيها يعرف باسم «عسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي» ومن هذا الرجل اكتسب اسمه لقب «الحموي». مولاه هذا كان ساكناً ببغداد، وتزوج بها وأولد عدة أولاد، وعندما اشترى ياقوتاً جعله في الكتّاب، لينتفع به في ضبط تجارته، حيث كان مولاه لا يحسن الخطّ، ولا يعلم شيئاً سوى التجارة، ولما كبر ياقوت، قرأ شيئاً من النحو واللّغة، وشغله مولاه بالأسفار في متاجره، فكان يتردد إلى كيش[3] وعمان، وتلك النواحي ويعود إلى الشام[4].

(*) وفيات الأعيان ٦/ ١٢٧ «٧٩٠»، النجوم الزاهرة ٨/ ١٨٧- إنباه الرواة ٤/ ٧٤. «٨٤٠» والأعلام للزركلي ٨/ ١٣١ - الوراقة والوراقون لحبيب زيات/ ص ٢٣-٢٤.

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٢٧ - والأعلام ٨/ ١٣١.

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ١٢٩ - والأعلام ٨/ ١٢٧.

(٣) كيش جزيرة في الخليج العربي.

(٤) وفيات الأعيان ٦/ ١٢٧ وإنباه الرواة ٤/ ٧٤-٧٥.

على مايبدو أن الفتى ياقوتاً أخذ يشعر بوجوده، ويدرك الحياة أكثر من سيّده التاجر، فلقد أكسبته جولاته وأسفاره خبرة كثيرة، ناهيك عن نباهته، وهو أمر يفجر طاقات الإنسان الغريب في ذاته، فيدرك ذاته بشكل سريع، مما يولّد لديه عزة الذات، وهكذا كان ياقوت، فبعد تلك السفرات والاتجار لمولاه، أحسّ بشيء من التعسّف والضيم عليه من قبل مولاه، وكثرة تشغيله إياه فجرت بينهما نبوة[1] أوجبت عتقه، فأبعده مولاه عنه[2]. وقعت هذه الجفوة بين ياقوت ومولاه سنة ٥٩٦هـ، فانحدر ياقوت من التجارة إلى الوراقة، فاشتغل بالنسخ بالأجرة[3]، وهو الأمر الذي عشقته روحه فيما بعد، حيث تحولت الوراقة عنده إلى شغف معرفي، وموقف ثقافي، جعله يكون في الطليعة الثقافية، لأنه اكتشف عالماً رحباً إنسانياً، لم يكن يعرفه من قبل، فاستسلمت جميع أحاسيسه لهذا العالم الجديد الذي ولج فيه، فقد حصلت له فوائد جمّة من وراء عملية الوراقة، لكن مولاه أدرك أهمية ياقوت، فعطف عليه بعد مُديدة، وألوى عليه واستسمحه وأعطاه شيئاً، وسفّره إلى كيش مرة ثانية[4]، ولما عاد، كان مولاه قد مات، فحصل شيئاً مما كان في يده، وأعطى زوجة مولاه وأولاده ما أرضاهم به، وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله، وسافر بها[5]، وقد تبدّلت بعض بضاعته هذه المرّة بعد وفاة مولاه، واستقلاله، حيث أخذ يتاجر بالكتب، وهذا التبدل في تجارته، أخضعه لحسّه المعرفي والحضاري، فلقد أصبحت الثقافة عنده هماً من الهموم اليومية، ترافقه أينما حل، وهذا

---

(١) النبوة: الجفوة = اللسان ـ مادة نبا.

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ١٢٧، وإنباه الرواة ٤/ ٧٥.

(٣) المصدران السابقان.

(٤) المصدران السابقان.

(٥) المصدران السابقان.

الأمر يتجلّى واضحاً في كتابيه الشهيرين معجم البلدان، ومعجم الأدباء فهذه حادثة معرفية تؤكد ما ذهبنا إليه أوردها القفطي، في ترجمته لياقوت، حيث ذكر فيها أنه التقى وياقوت واجتمع به في حلب ليعرض عليه الكتب، يقول: فكان اجتماعي به في شهور سنة تسع وستماية، أحضره لي أبوعلي القيلوي بحلب، ورأيت ما جلبه من الكتب على قلّتها فلم يكن فيها ما أرغب إليه سوى كتابين ابتعتهما منه[1].

نوازعه السياسية :

أدرك ياقوت حالة الصراع الفكري ـ السياسي ـ المحتدم في القرن السابع الهجري، وأهّلته مداركه لمعرفة كافة الأجواء والتيارات السياسية، وعلى مايبدو أنه قد تأثر بعض الشيء بأفكار الخوارج، فقد ذكر ابن خلكان أنه كان متعصّباً على علي ـ رضي الله عنه، وكان قد طالع شيئاً من كتب الخوارج، فاشتبك في ذهنه من طرف قوي، وتوجه إلى دمشق في سنة ٦١٣هـ، وقعد في بعض أسواقها، وناظر بعض من يتعصّب لعلي رضي الله عنه، وجرى بينهما كلام أدّى إلى ذكره علياً بما لا يسوّغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فيها، فسلم منهم وخرج من دمشق منهزماً، بعد أن بلغت القضية إلى والي البلد، فطلبه فلم يقدر عليه، ووصل إلى حلب خائفاً يترقّب، وخرج عنها في العشر الأول أو الثاني من جمادى الآخرة سنة ٦١٣هـ وتوصل إلى الموصل، ثمل انتقل إلى إربل، وسلك منها إلى خراسان، وتحامى دخول بغداد، لأن المناظر له بدمشق كان بغدادياً، وخشي أن ينقل قوله فيقتل، فلما انتهى إلى خراسان أقام بها يتجر في بلادها، واستوطن مدينة مرو مدّة[2]، ومن مرو خرج إلى نسا، ومنها إلى خوارزم.

---

(١) إنباه الرواة ٤/ ٧٥.

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ١٢٧ـ١٢٨.

وفي خوارزم لم تستقر به الحال، كما كان يتوقع، بل سارت الرياح بعكس ما تشتهي سفنه، فقد هبّت عليه رياح التتر، وهي تكتسح كل شيء يقع في طريقها، وكان ذلك في سنة ٦١٦هـ، فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه، وقاسى في طريقه من المضايقة والتعب، ما كان يكلّ عن شرحه إذا ذكره، ووصل إلى الموصل، وقد تقطعت به الأسباب[١]، ومن هناك وصل إلى سنجار، ومنها إلى حلب[٢].

حين وصوله إلى الموصل كان قد كاتب الوزير جمال الدين أبا الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم عبدالواحد الشيباني القفطي وزير صاحب حلب، وهو أديب كبير معروف، سبق أن تعرف إليه في رحلته الأولى إلى حلب وباعه بعض الكتب، كما أسلفنا، وفي اللقاء الأول يذكر القفطي تفاصيله على النحو التالي، مسقطاً انطباعاته على ياقوت، يقول: وتأملته في منظره ومخبره، فتوسّمت فيه أموراً لم يخل حدسي فيها، وعلمت أنه لايصلح للعشرة[٣]، وعندما وصلت رسالة ياقوت التي بعثها من الموصل إلى القفطي في حلب، إثر هزيمته من التتر، كشفها، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، كان المملوك ياقوت بن عبدالله الحموي، قد كتب هذه الرسالة من الموصل في سنة سبع عشرة وستماية، حين وصوله من خوارزم طريد التتر، أبادهم الله تعالى، إلى حضرة مالك رقه الوزير جمال الدين القاضي الأكرم أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالواحد الشيباني، ثم التيمي، تيم بني شيبان بن ثعلبة ابن عكابة، أسبغ الله عليه ظله، وأعلى في درج السيارة محلّه، وهو يومئذ وزير صاحب حلب والعواصم، شرحاً لأحوال خراسان وأحواله، وإيماء إلى بدء

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٢٨.

(٢) القفطي - إنباه الرواة ٤/ ٧٥-٧٦.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٧٥-٨٦.

أمره، بعدما فارقه ومآله، وأحجم عن عرضها على رأيه الشريف إعظاماً وتهيّبا، وفراراً من قصورها عن طوله وتجنبًا، إلى أن وقف عليها جماعة من منتحلي النظم والنثر، فوجدهم مسارعين إلى كتبها، متهافتين على نقلها، وما يشك أن محاسن مالك الرق حلتها، وفي أعلى درج الإحسان أحلتها، فشجعه ذلك على عرضها على مولاه وللآراء علوها في تصفحها والصفح عن زللها، فليس كل من لمس درهما صيرفياً، ولا كل من اقتنى دُراً جوهرياً، وهاهي ذي[1]:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أدام الله على العلم وأهليه، والإسلام وبنيه، ما سوغهم وحباهم، ومنحهم وأعطاهم، من سبوغ ظل المولى الوزير، أعز الله أنصاره، وضاعف مجده واقتداره، ونصر ألويته وأعلامه، وأجرى بإجراء الأرزاق في الآفاق أقلامه، وأطال بقاه، ورفع إلى عالمين علاه، في نعمة لا يبلى جديدها، ولا يحصى عددها ولا عديدها، ولاينتهي إلى غاية مديدها، ولا يفل حدها ولا حديدها، ولا يقل وادها ولاوديدها، وأدام دولته للدنيا والدين يلم شعثه ويهزم كرثه، ويرفع مناره، ويحسن بحسن أثره آثاره، ويفتق نوره وأزهاره، وينير نواره، ويضاعف أنواره، وأسبغَ ظله للعلوم وأهليها، والآداب ومنتحليها، والفضائل وحامليها، يشيد بمشيد فضله بنيانها، ويرصع بناصع مجده تيجانها، ويروض بيانع علائه زمانها، ويعظم بعلو همته الشريفة بين البرية شأنها، ويمكن في أعلى درج الاستحقاق إمكانها ومكانها، ويرفع بنفاذ الأمر قدره للدول الإسلامية والقواعد الدينية، يسوس قواعدها ويعزّ مساعدها، ويهيمن معاقدها، ويعضد بحسن الإيالة معاضدها، وينهج بجميل المقاصد مقاصدها، حتى تعود بحسن تدبيره غرّة في جبهة الزمان، وسنه يقتدي بها من طبع على العدل والإحسان، يكون له أجرها مادام الملوان

(١) وفيات الأعيان ٦/١٢٩-١٣٨.

وكر الجديدان، وما أشرقت من الشرق شمس، وارتاحت إلى مناجاة حضرته الباهرة نفس.

وبعد، فالمملوك ينهي إلى المقر العالي المولوي، والمحل الأكرم العلي، أدام الله سعادته مشرقة النور مبلغة السول، واضحة الغرر بادية الحجول، ما هو مكتف بالأريحية المولوية عن تبيانه، مستغن بما منحتها من صفاء الآراء عن أمضاء قلمه لإيضاحه وبيانه، قد أحسبه ما وصف به عليه الصلاة والسلام المؤمنين «وإن من أمتي لمكلّمين»، وهو شرح ما يعتقده من الولاء، ويفتخر به من التعبد للحضرة الشريفة والاعتزاء، قد كفته تلك الألمعية، عن إظهار المشتبه بالملق مما تجنه الطوية، لأن دلائل غلو السلوك في دين ولائه في الآفاق واضحة، وطبعة سكة إخلاص الوداد باسمه الكريم على صفحات الدهر لائحة، وإيمانه بشرائع الفضل الذي طبق الآفاق حتى أصبح بها بناء المكارم متين، وتلاوته لأحاديث المجد القريبة الأسانيد بالمشاهدة لديه مبين، ودعاء أهل الآفاق إلى المغالاة في الإيمان بإمامة فضله الذي تلقاه باليمين، وتصديقه بملة سؤدده الذي تفرّد بالتوخي لنظم شارده وضم متبدّده بعرق الجبين، حتى لقد أصبح للفضل كعبة لم يفترض حجها على من استطاع إليها السبيل، ويقتصر بقصدها من ذوي القدرة دون المعتر وابن السبيل، فإن لكل منهم حظاً يستمده، ونصيباً يستعد به ويعتده، فللعظماء الشرف الضخم من معينه، وللعلماء اقتناء الفضائل من قطينه، وللفقراء توقيع الأمان من نوائب الدهر وغض جفونه، وفرضوا من مناسكه للجبهة الشريف السلام والتبجيل، وللكف البسيطة الاستلام والتقبيل، وقد شهد الله تعالى للسلوك أنه في سفره وحضره وسره وعلنه، وخبرهِ ومخبره، شعاره تعطير مجالس الفضلاء، ومحافل العلماء بفوائد حضرته، والفضائل المستفادة من فضلته، افتخاراً بذلك بين الأنام، وتطريزا لما يأتي به في أثناء الكلام.

إذا أنا شرّفت الورى بقصائدي على طمع شرّفت شعري بذكره

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]. لا حرمنا الله ـ معاشر أوليائه ـ مولد فضائله المتتالية، ولا أخلانا كافة عبيده من أياديه المتوالية. اللهم ربّ الأرض المدحيّة، والسموات العلية، والبحار المسجرة، والرياح المسخرة، اسمع ندائي، واستجب دعائي، وبلغنا في معاليه، ما نؤمله ونرتجيه، محمد النبيّ وصحبه وذويه.

وقد كان المملوك لما فارق الجناب الشريف، وانفصل عن مقر العز اللّباب والفضل المنيف أراد استعتاب الدهر الكالح، واستدرار خلف الزمن الغشوم الجامع، اغتراراً بأن في الحركة بركة، والاغتراب داعية الاكتساب، والمقام على الإقتار ذل وأسقام، وجلس البيت في المحافل سُكيت:

وقفت وقوف الشك ثم استمرّ بي يقيني بأن الموت خير من الفقر
فودعت من أهلي وبالقلب ما به وسرت عن الأوطان في طلب اليسر
وباكية للبين قلت لها اصبري فلَلموتُ خير من حياة على عسر
سأكسب مالاً أو أموت ببلدة يقل بها فيض الدموع على قبري

فامتطى غارب الأمل إلى الغربة، وركب مركب التطواف مع كل صحبة، قاطعاً الأغوار والأنجاد، حتى بلغ السد أوكاد، فلم يصحب له دهره الحرون، ولا رق له زمانه المفتون:

إن الليالي َ والأيام لو سئلت عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا

فكأنه في جفن الدهر قذى، أو في حلقه شجا، يدافعه نيل الأمنية، حتى أسلمه إلى ربقة المنية:

لا يستقر بأرض أو يسير إلى أخرى بشخص قريب عزمه نائي
يوماً بحزوى ويوماً بالعقيق ويو ماً بالعذيب ويوماً بالخليصاء
وتارة ينتحي نجداً وآونة شعب الحزون وحيناً قصر تيماء

وهيهات مع حرفة الأدب، بلوغ وطر أو إدراك أرب، ومع عبوس الحظ، ابتسام الدهر الفظ، ولم أزل مع الزمان في تفنيد وعتاب، حتى رضيت من الغنيمة بالإياب، والسلوك مع ذلك يدافع الأيام ويزجيها، ويعلل المعيشة ويرجيها، متقنعاً بالقناعة والعفاف، مشتملاً بالنزاهة والكفاف، غير راض بذلك السمل، ولكن مكره أخاك لا بطل[1]، متسليا بإخوان قد ارتضى خلائقهم، وأمن بوائقهم، عاشرهم بالألطاف، ورضي منهم بالكفاف، لا خيرهم يرتجي، ولا شرهم يتقى:

إن كان لابدّ من أهل ومن وطن فحيث آمن من ألقى ويأمنني

قد زمّ نفسه أن يستعمل طرفاً طماحاً، وأن يركب طرفاً جماحاً، وأن يلحف بيض طمع جناحاً، وأن يستقدح زنداً وارياً أو شحاحاً:

وأدبني الزمان فلا أبالي هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بقائل ما عشت يوماً أسار الجند أم رحل الأمير

وكان المقام بمرو الشاهجان، المفسر عندهم بنفس السلطان، فوجد بها من كتب العلوم والآداب وصحائف أولي الأفهام والألباب ما شغله عن الأهل والوطن وأذهله عن كل خل صفي وسكن، فظفر منها بضالته المنشودة، وبغية نفسه المفقودة، فأقبل عليها إقبال النهم الحريص، وقابلها بمقام لا مزمع عنها ولا محيص، فجعل يرتع في حدائقها، ويستمتع بحسن خلقها، وخلائقها

---

(١) هكذا وردت بالأصل.

ويسرح طرفه في طرفها، ويتلذذ بمبسوطها ونتفها، واعتقد المقام بذاك الجناب، إلى أن يجاور التراب:

إذا ما الدهر بيتني بجيش ... طليعته اغتمام واغتراب
شننتُ عليه من جهتي كميناً ... أميراه الذبالة والكتاب
وبت أنصّ من شيم الليالي ... عجائب من حقائقها ارتياب
بها أجلو همومي مستريحاً ... كما جلّى همومهم الشراب

إلى أن حدث بخراسان ما حدث من الخراب والويل المبير والتباب، وكانت لعمر الله بلاداً مونقة الأرجاء، رائقة الأنحاء، ذات رياض أريضة، وأهوية صحيحة مريضة، قد تغنّت أطيارها، فتمايلت طرباً أشجارها، وبكت أنهارها، فتضاحت أزهارها، وطاب روح نسيمها، فصح مزاج إقليمها، ولعهدي بتلك الرياض الأنيقة، والأشجار المتهذلة الوريقة، وقد ساقت إليها أرواح الجنائب، زقاق خمر السحائب، فسقت مروجها مدام الطل، فنشأ على أزهارها حباب كاللؤلؤ المنحلّ، فلما رويت من تلك الصهباء أشجاره، رنحها من النسيم خمارة، فتدانت ولا تداني المحبين، وتعانقت ولاعناق العاشقين، يلوح من خلالها شقائق قد شابه اشتقاق الهوى بالعليل، فشابه شفتي غادتين دنتا للتقبيل، وربما اشتبه على النحرير بائتلاف الخمر، وقد انتابه رشاش القطر، ويريه بهاراً يبهر ناضره، غير متاح إليه ناظره، كأنه صنوج من العسجد، أو دنانير من الإبريز تنقد، ويتخلل ذلك أقحوان تخاله ثغر المعشوق إذا عضّ خدَّ عاشق، فلله درها من نزهة رامق ولون وامق، وجملة أمرها أنها كانت أنموذج الجنة بلا عين، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ العين، قد اشتملت عليها المكارم، وارجحنت في أرجائها الخيرات الفائضة للعالم، فكم فيها من حبر راقت حبره، ومن إمام توجت حياة الإسلام سيره، آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين محسوبة، وإلى كل قطر مجلوبة،

فما من متين علم وقويم رأي إلا ومن شرقهم مطلعه، ولا من مغربة فضل إلا وعندهم مغربه وإليهم منزعه، وما نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاق إلا وجدته فيهم، ولا إعراق في طيب أعراق إلا اجتليته من معانيهم، أطفالهم رجال وشبابهم أبطال، ومشايخهم أبدال، شواهد مناقبهم باهرة، ودلائل مجدهم ظاهرة، ومن العجب العجاب أن سلطانهم المالك هان عليه ترك تلك الممالك، وقال لنفسه الهوى لك، وإلا فأنت في الهوالك، وأجفل إجفال الرال، وطفق إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً بل رجال ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٧]. لكنه عز وجل لم يورثها قوماً آخرين، تنزيهاً لأولئك الأبرار عن مقام المجرمين، بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين، وبلاهم فألفاهم صابرين، فألحقهم بالشهداء الأبرار، ورفعهم إلى درجات المصطفين الأخيار ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد، وتحكم في تلك الأبشار أولو الزيغ والعناد فأصبحت تلك القصور كالمحو من السطور، وأمست تلك الأوطان مأوى الأصداء والغربان، تتجاوب في نواحيها البوم، وتتناوح في أراجيها الريح السموم، ويستوحش فيها الأنيس، ويرثي لمصابها إبليس:

كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى وأقيال ملك في بسالتهم أسد
فمن حاتم في جوده وابن مامة ومن أحنف إن عد حلم ومن سعد
تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا عبرة تدمي الحشا ولمن بعد

فإننا لله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر، وتهدم العمر، وتفت في العضد، وتوهي الجلد، وتضاعف الكمد، وتشيب الوليد، وتنخب لب الجليد، وتسوّد القلب وتذهل اللب. فحينئذ تقهقر المملوك على عقبه ناكساً،

ومن الأوبة إلى حيث تستقر فيه النفس بالأمن آيسا، بقلب واجب، ودمع ساكب، ولب عازب، وحلم غائب، وتوصل ـ وما كاد ـ حتى استقر بالموصل بعد مقاساة أخطار وابتلاء واصطبار، وتمحيص الأوزار وإشراف غير مرة على البوار والتبار، لأنه مرّ بين سيوف مسلولة، وعساكر مفلولة، ونظام عقود محلولة ودماء مسكوبة مطلولة، وكان شعاره كلما علا قتباً، أو قطع سبسباً ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، فالحمد لله الذي أقدرنا على الحمد، وأولانا نعما تفوت الحصر والعد. وجملة الأمر أنه لولا فسحة في الأجل، لعزّ أن يقال: سلم البائس أو وصل، ولصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون، وألحق بألف ألف ألف ألف هالك بأيدي الكفار أو يزيدون، وخلف خلفه جل ذخيرته ومستمد معيشته:

تنكر لي دهري ولم يدر أنني	أعزّ وأحداث الزمان تهون
وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه	وبت أريه الصبر كيف يكون

وبعد، فليس للمملوك ما يسلي به خاطره ويعزَى به قلبه وناظره، إلا التعلل بإزاحة العلل، إذا هو بالحضرة الشريفة مثل:

فاسلم ودم وتمل العيش في دعة	ففي بقائك ما يسلي عن السلف
فأنت للمجد روح والورى جسد	وأنت درّ فلا تأسى على الصدف

والمملوك الآن بالموصل مقيم، يعالج لما حَزَبَهُ من هذا الأمر المقعد المقيم يزجي وقته ويمارس حرفته وبخته يكاد يقول له باللسان القويم ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، يذيب نفسه في تحصيل أغراض، هي لعمر الله أعراض، من صحف يكتبها، وأوراق يستصحبها، نصبه فيها طويل، واستمتاعه بها قليل، ثم الرحيل، وقد عزم بعد قضاء نهمته، وبلوغ بعض وطرة قرونته، أن يستمد التوفيق، ويركب سنن الطريق، عساه أن يبلغ أمنيته،

من المثول بالحضرة، وإتحاف بصره من خلالها ولو بنظرة، ويلقي عصا الترحال بفنائها الفسيح، ويقيم تحت ظل كنفها إلى أن يصادفه الأجل المريح، وينظم نفسه في سلك مماليكها بحضرتها، كما ينتمي إليها في غيبتها، إن قُدّت السعادة بضبعه، وسمح له الدهر بعد الخفض برفعه، فقد ضعفت قواه عن درك الآمال، وعجز عن معاركة الزمان والنزال، إذ ضمت البسيطة إخوانه، وحجب الجديدان أقرانه، ونزل المشيب بعذاره، وضعفت منّة أوطاره، وانقض باز الشيب على غراب شبابه فقنَّصهُ، وأكبّ نهار الحلم على ليل الجهل فوقّصه، وتبدلت محاسنه عند أحبابه مساوئ وخصّصه، واستعاض من حلة الشباب القشيب خلق الكبر والمشيب:

وشباب بان مني وانقضى	قبل أن أقضى منه أربي
ما أرجّي بعده إلا الفنا	ضيّق الشيب عليّ مطلبي

ولقد ندب المملوك أيام الشباب بهذه الأبيات، وما أقل عناء الباكي على من عد في الرفات:

تنكر لي مذ شبت دهري وأصبحت	معارفه عندي من النكرات
إذا ذكرتها النضر حنت صبابة	وجادت شؤون العين بالعبرات
إلى أن أتى دهر يحسن ما مضى	ويوسعني تذكاره حسرات
فكيف ولما يبق من كأس مشربي	سوى جرع في قعره كدرات
وكل إناء صفوه في ابتدائه	وفي القعر مزجاً حمأة وقذاة

والمملوك يتيقين أنه لاينفق هذا الهذر الذي مضى، إلا النظر إليه بعين الرضا، ولرأي المولى الوزير الصاحب، كهف الورى في المشارق والمغارب، فيما يلاحظه منه بعاده مجده، مزيد مناقب ومراتب، والسلام.

وحينما انتهى الوزير القفطي من قراءة الرسالة أوعز بالرد لاستقدامه. ويشرح القفطي دخول ياقوت عليه، فيقول[1]:

«ولما دخل عليّ في حالة يسوء منظرها، ووصف من أمره أموراً لا يسرّ مخبرها، وقال: لقد ألقيت عصاي ببابك، وخيّم أملي بجانب جنابك، فقلت في جوابه: أقاسمك العيش، وسألت الله أن يرزقني الثبات على خلقه لا الطيش، فإن أخلاقه خلقة، ومخاريقه منخرقة، ولا أقع من دينه من حيث القاذورات، وإنما من حيث تصرفه الموجب له التفرّق والشتات، فأقام مشاركاً في المعلوم، باذلاً له كتب العلوم، فلفّق منها مجموعات لم يكملها، ونسخ وباع في عدة سنين أقامها عندي، محمول الكلفة، بحكمة اقتضاها حاله، وسافر ببضاعة من الخان إلى مصر، فأربحته ربحاً قريباً، وعاد بمعمول مصر، فأربح فيه، وأقام بالخان ظاهر، فمرض ومات في العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة رحمه الله»[2].

ثمة حنق واضح على ياقوت من قبل القفطي للموقف السياسي ـ الديني الآنف الذكر الذي كان يبديه ياقوت من شخصية الإمام علي، فقد كان انطباعه عنه في هذه المسألة بالذات مايلي: «وكان شديد الانحراف عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يرتكب في أمره ما لا يرتكبه أحد من مصنفي الفرق»[3].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، كان البعد المعرفي الثقافي عند ياقوت أمراً فاق به القفطي الوزير، وهذا له أبعاده الاجتماعية والطبقية، فياقوت مولىً، والقفطي وزيره، لذلك ـ بتقديرنا ـ كان حسداً وحنقاً منه على ياقوت، والنص واضح في ذلك.

---

(١) إنباه الرواة ٤/ ٧٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٧٦.

آثاره الأدبية والثقافية:

إن السمات المعرفيـة والثقافية التي تميّز بها ياقوت عن غـيره جعلته واسع الثقافة والاطلاع، وذا نـفس موسوعي في الأدب والجغرافيا، وسـاعدته الوراقة ورحلاتـه التجاريـة في تحصيـل وزيادة هذه الموسوعـية؛ فلقـد ذكرت مـصادر ترجمته الكتب التالية التي صنفها وهي[1]:

١ ـ معجم البلدان.

٢ ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ويعرف الآن باسم «معجم الأدباء».

٣ ـ معجم الشعراء.

٤ ـ المشترك وضعاً والمختلف صقعاً.

٥ ـ المبدأ والمآل ـ في التاريخ.

٦ ـ كتاب الدول.

٧ ـ مجموع كلام أبي علي الفارسي.

٨ ـ عنوان كتاب الأغاني.

٩ ـ المقتضب في النسب، يذكر فيه أنساب العرب.

١٠ـ أخبار المتنبي.

كما عـرف عنه أنه عالي الهمّة في تحـصيل المعارف[2]، إضافة إلى أنه كان مليح الشعـر، سلس العبارة، وقد أورد له ابن النجار مقطوعـة صغيرة في غلام تركي قد رمدت عينه وعليها وقاية سوداء، قال فيها[3]:

ومـولد لـلتـرك تحـسب وجـهـه	بدراً يـضيء سناه بـالإشـراق
أرخى على عـينيـه فـضل وقـايـة	ليـردّ فـتنـتـهـا عن العـشـاق
تالـله لو أن الســوابـغ دونهــا	نفـذت فــمـا لوقــاية من واق

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٢٩.

(٢) المصدر السابق ٦/ ١٢٩.

(٣) المصدر السابق ٦/ ١٣٨ـ١٣٩.

ومن جميل مآثره الحضارية والثقافية: أنه أوصى قبل موته إلى العز بن الأثير الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير ـ صاحب الكامل في التاريخ ـ والذي كان مقيماً بحلب، وعهد إليه أن يسيّر أوراقه وكتبه ومصنفاته ومكتبته إلى جامع الزيدي الواقع بدرب دينار ببغداد، ويسلّمها إلى الناظر فيه الشيخ عبدالعزيز بن دلف[1].

وقد علّق القفطي على هذه الوصية بقوله: «وأما ابن الأثير، فإنه تصرّف في الكتيبات التي له والأوراق المجمعة التي بخطه تصرفاً غير مرضي، ولم يوصلها بعد أن حصل بالموصل إلى الجهة المعيّنة برسمها، بل فرّقها على جماعة أراد انتفاعه بهم وبها عندهم، ولم ينفعه الله بشيء من ذلك، ولم يتملّ منها بأمل ولا مال، وقطع الله أجله، بعد أن قطع الانتفاع بتفرقتها أمله، فاكتسب خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وبلغني أن خبرها وصل إلى بغداد، وأنهم طالبوه من هناك بتسييرها إلى محل وقفها، فسيّر بعضها وأعرض عن بعض»[2].

فيما يذكر ابن خلكان أن ابن الأثير حملها إلى هناك ـ إلى بغداد ـ وقد قامت حلب للاشتغال بها في مستهل ذي القعدة سنة وفاته، وذلك عقيب موته، والناس يثنون عليه، ويذكرون فضله وأدبه، ولم يقدر لي الاجتماع به[3].

تلك هي حياة ورّاقنا الشهير ياقوت الحموي.

---

(١) إنباه الرواة ٤/ ٧٨ ووفيات الأعيان ٦/ ١٣٩.

(٢) إنباه الرواة ٤/ ٧٨.

(٣) وفيات الأعيان ٦/ ١٣٩.

ياقوت الموصلي الوراق

هو ياقوت بن عبدالله الرومي الأصل نزيل الموصل[1]. كان هذا الرجل كاتباً وأديباً ونحوياً وخطاطاً ووراقاً مشهوراً بالموصل. ولادته غير معروفة المكان، إلاّ أن ياقوتاً الحموي يذكر أنه توفي بالموصل سنة ٦١٨هـ[2].

تتلمذ في النحو والأدب علي يد ابن الدهان أبي محمد سعيد بن المبارك[3]، ولازمه وتتلمذ بالخط على طريقه ابن البواب علي بن هلال حتى كان واحد عصره في جودة الخط وإتقانه، فقصده الناس في البلاد، وكتب عليه خلق لا يحصون كثرة، قال ياقوت الحموي: اجتمعت به في الموصل سنة ثلاث عشرة وستمائة، فرأيته على جانب عظيم من الأدب والفضل والنباهة والوقار، وقد أسن وبلغ من الكبر الغاية، ورأيت كتبًا كثيرة بخطه يتداولها الناس ويتغالون باقتنائها، بينها عدّة نسخ من الصحاح للجوهري والمقامات الحريرية[4].

الأرزني الوراق

هو يحيى بن محمد. كنيته أبومحمد الأرزني[5]. بغدادي المنشأ والمسكن والوفاة، وقد وافاه الأجل سنة ٤١٥هـ[6].

كان إماماً في العربية، ومليح الخط، وسريع الكتابة، مما أهله أن يكون في طليعة الوراقين في بغداد، نتيجة هذه الخصال المعرفية والفنية، حتى عرف

---

(١) معجم الأدباء ١٩/ ٣١٢_٣١٣ الترجمة رقم ١٢٠.

(٢) المصدر السابق ١١/ ٣١٣.

(٣) المصدر السابق ١١/ ٢١٩.

(٤) المصدر السابق ١٩/ ٣١٣.

(٥) المصدر السابق ٢٠/ ٣٤_٣٥ الترجمة رقم ١٥.

(٦) المصدر السابق.

عنه أنه كان يخــرج في وقت العصر إلى ســوق الوراقين ببغداد، فــلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصيح لثعلب ويبيعه بنصف دينار، ويشــتري نبيذاً ولحماً وفاكهة، ولا يبيت حتى ينفق ما معه منه[1].

أشار ياقوت بأن له تأليفاً في النحو مختصراً، وأورد له هذه الأبيات[2]:

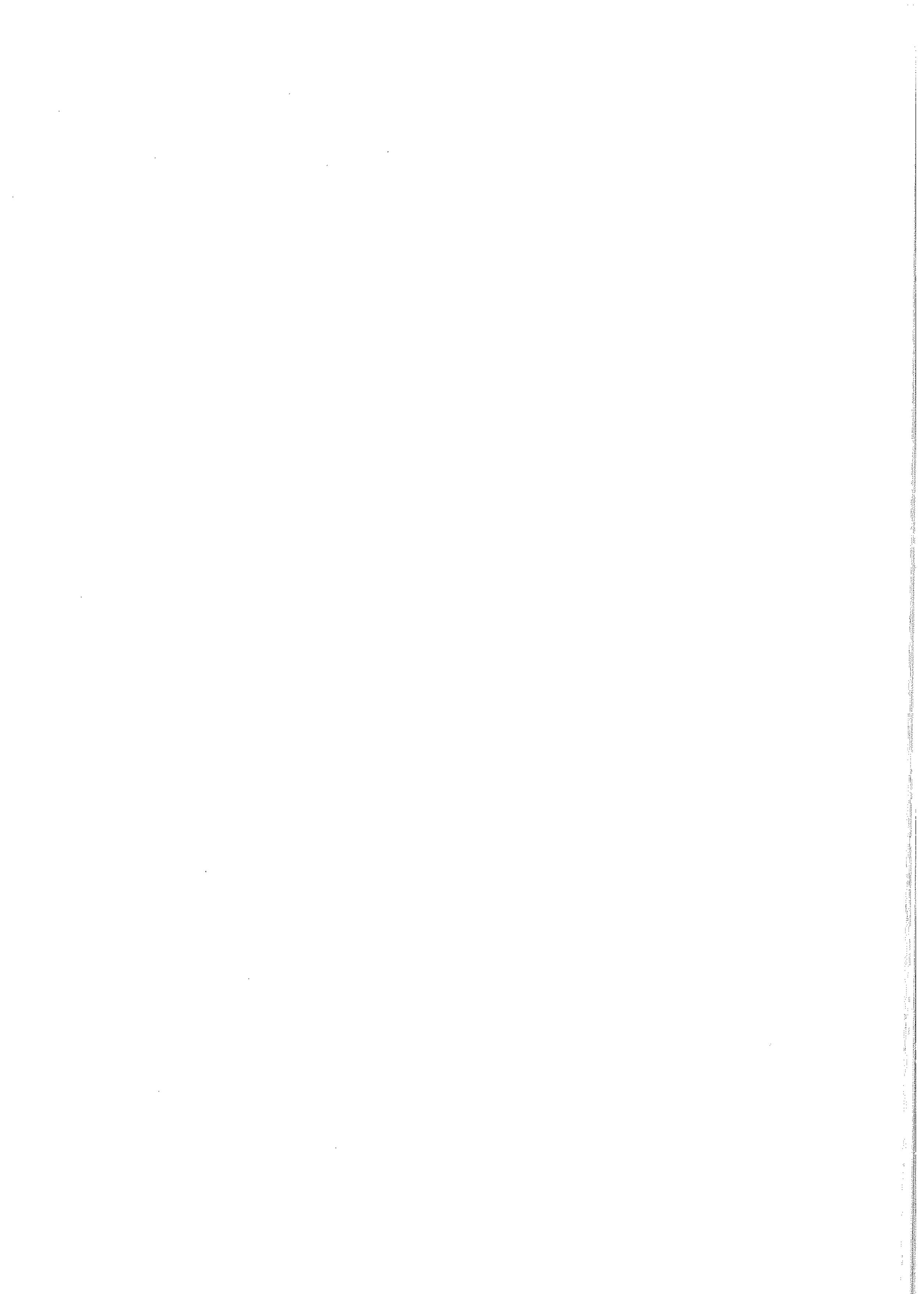
إن من أحـــوجك الـدهر إليـــه   وتـعلـقت بـه هنـت عـليـــــه

ليس يصـــفـو وُدُ مَنْ واخيــتَـهُ   إن تعـــــرّضت لشـيء في يـديه

* * *

(١) معجم الأدباء.

(٢) المصدر السابق.



الفصل الخامس
الوراقون الشعراء

بكر بن خارجة الورّاق

انفرد أبوالفرج الاصبهاني بترجمته، وقال عنه: كان بكر بن خارجة رجلاً من أهل الكوفة، مولى لبني أسد، وكان وراقاً ضيّق العيش، مقتصراً على كسب قوته من الوراقة[1].

تعاطى الخمر والنبيذ في مقتبل عمره، وظل يعاقره حتى أخلّ بعقله وأفسده في آخر عمره، وعرف عنه أن أكثر ما يكسبه من الوراقة يذهب إلى جيوب الخمّارين ومنازلهم في الكوفة، وكان طيّبَ الشعر، مليحاً، مطبوعاً طبعاً ماجناً[2].

ذكر أبو العنبس الصيري أن محمد بن الحجّاج حدّثه عنه، قال: رأيت بكر ابن خارجة يبكّر في كل يوم بقنينتين من شراب إلى خراب من خرابات الحيرة، فلا يزال يشرب فيه على صوت هُدهُد، كان يأوي إلى ذلك الخراب، إلى أن يسكر، ثم ينصرف، وهو مولّه بعشق ذلك الهدهد[3].

ونقل أبوالفرج عن عمّه عن ابن مهرويه، عن علي بن عبدالله بن سعد، قال: كان بكر بن خارجة يتعشّق غلاماً نصرانياً يقال له عيسى بن البراء العبادي الصّيرفي، وله فيه قصيدة مزدوجة، يذكر فيها النصارى وشرائعهم وأعيادهم، ويسمّي دياراتهم ويفضلهم.

---

(١) الأغاني ٢٣/ ١٨٩، ومختصر الأغاني لابن منظور، والمعروف بـ مختار الأغاني في الأخبار والتهاني طبعة عبدالستار أحمد فرّاج ـ إصدار الدار المصرية للتأليف والترجمة/ مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٨هـ/ ١٩٦٥م ـ ٢/١٢٨ـ١٢٩.

(٢) الأغاني ٢٣/ ١٨٩.

(٣) المصدر السابق.

حرّم بعض الأمراء في الكوفة بيع الخمر على خماري الحيرة، وركب وكسر نبيذهم، وكعادته اليومية، جاء بكر بن خارجة ليشرب عندهم، فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق، فبكى طويلاً، وقال[١]:

يالقومي لما جنى السلطان ... لا يكونن لما أهان الهوان

قهوة في التراب من حلب الكر ... م عقاراً كأنها الزعفران[٢]

قهوة في مكان سوء لقد صا ... دف سعد السعود ذاك المكان[٣]

من كميت يُبدي المزاج لها لؤ ... لؤ نظم والفصل منها جمان

فإذا ما اصطبحتها صغرت في الـ ... قدر عندي من أجلها الخيزران[٤]

كيف صبري عن بعض نفسي وهل ... يصبر عن بعض نفسه الإنسان؟

قال أبوالفرج: وحدّثني عمّي عن الكرّاني، أنه أنشد الجاحظ هذه الأبيات، فقال: إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً، وما أقدر على ذلك إلاّ أن تعمدني، وكان قد تقوّس، فعمدته فقام وكتبها قائماً[٥].

قال محمد بن الحجاج: كان بكر بن خارجة قد أفسدت عقله الخمر في آخر عمره، وكان يمدح ويهجو بدرهم وبدرهمين ونحو هذا فاطرح، وما رأيت قط أحفظ منه لكل شيء حسن، ولا أروى منه للشعر[٦].

قال من شاهده في هذه الحالة، من فساد العقل، وهو ينشد[٧]:

هب لي فديتك درهماً ... أو درهمين إلى الثلاثه

إني أحبّ بني الطفيـ ... ـل ولا أحبّ بني عُلاثه

---

(١) الأغاني ٢٣/ ١٩٠ ومختصر الأغاني ٢/١٢٨ـ١٢٩.

(٢، ٣) جاء بدل كلمة قهوة عند ابن منظور كلمة «صهبا».

(٤) هكذا جاءت عند ابن منظور، وعند أبي الفرج (تختالها الجرذان).

(٥) الأغاني ٢٣/ ١٩٠.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

ومن نوادره ومجونه: ما حكاه محمد بن القاسم بن مهروية، قال: حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي، وبتنا عنده فنمت فما أنبهني إلا صياح بكر يستغيث من العطش، فقلت له: مالك؟ فاشرب، فالدار مليئة ماء، قال: أخاف. قلت: من أيّ شيء؟ في الدار كلب كبير، فأخاف أن يظنني غزالاً، فيثب عليّ ويقطعني ويأكلني، فقلت له: ويحك يابكر، الحميرُ أشبه منك بالغزال، قم فاشرب إن كنت عطشان وأنت آمن، وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب(١).

شاهد بكر بن خارجة صديقاً له يقرأ رقعة من صديق له آخر ثمّ حرقها، فقال(٢):

لم يقو عندي على تحريق قرطاسي ... إلا امرؤ قلبه من صخرة قاسي
إن القراطيس من قلبي بمنزلة ... تحويه كالسمع والعينين في الراس

وذكر صاحب الأغاني أن إبراهيم بن المهدي غنّى لبكر بن خارجة هذه الأبيات، ثقيل أوّل، وفيه لعبدالله بن العباس هزج، وقيل: إن فيه لحناً لابن جامع(٣):

قلبي إلى ما ضرّني داعي ... يكثر أحزاني وأوجاعي
لقلّ ماأبقى على ماأرى ... يوشك أن ينعاني الناعي
كيف احتراسي من عدوّي إذا ... كان عدوّي بين أضلاعي؟
أسلمني الحبّ وأشياعي ... لما سعى بي عندها الساعي
لما دعاني حبّها دعوة ... قلت له: لبيك من داع

---

(١) الأغاني ٢٣/١٩١ ـ والمختصر ٢/١٢٩.

(٢) الأغاني ٢٣/١٩١.

(٣) المصدر السابق ٢٣/١٩٢ وذكر أن الصولي قد ذكر في أخبار العباس بن الأحنف وشعره أن هذه الأبيات للعباس بن الأحنف، فيما ذكر داود بن الجرّاح عن أبي هفّان أنها لبكر بن خارجة.

السَّرِيّ الرفاء الورّاق

هو السـري بن أحمد بن السـريّ، كنيتـه أبوالحسن الكنـدي، والمعروف بالسريّ الرفّاء الموصلي الشاعر المشهور(١).

كانت ولادتـه بالموصل، على مايبـدو من لقبـه، وبداية طفولتـه ووفاته كانت ببغداد سنة ٣٦٢هـ، وقيل غير ذلك(٢).

في صبـاه أسلمه أبوهُ للرفائين بالموصل، فـكان يرفو ويطرّز، ومع ذلك كان ينظم الشعر ويجيد فيه وهو في هذه السن المبكّرة، وقد كتب إليه في ذلك الحال صديق له يسأله عن خبره وحاله في حرفته ـ الرفو ـ فكتب إليه(٣):

يكفيـك من جـملـة أخبـاري	يُسـري مـن الحبّ وإعـسـاري
في سـوقـة أفـضلـهم مـرتدٍ	نقـصـاً فـفـضلي بينهم عـاري
وكـانت الإبرة فيـمـا مـضى	صـائنة وجـهي وأشـعـاري
فـأصـبح الرزق بهـا ضيّـقـاً	كـأنه مـن ثقـبـهـا جـاري

وعندما استوى عوده في الشعر، واستقامت له المعاني، ترك مهنة الرفو، وتحوّل إلى مهنة الأدب، إلاّ أن لقب «الرفاء» ظلّ لاصقاً به حتى وفاته.

وصفه ابن خلكان بأنه كان شاعراً مطبوعاً، عذب الألفاظ، مليح المأخذ، كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف، لم يكن له رواء ولا منظر، ولا يحسن من العلوم غير قول الشعر، وقد عمل شعره قبل وفاته، نحو ثلثمائة ورقة، ثم زاده بعد ذلك(٤).

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٩٤ الترجمة رقم ٤٧٧٢ ـ ومعجم الأدباء ١١/ ١٨٢ الترجمة رقم ٥٤ ووفيات الأعيان ٢/ ٣٥٩ الترجمة رقم ٢٥٧ وحبيب زيات/ ص٣٢.

(٢) معجم الأدباء ١١/ ١٨٩، وتاريخ بغداد ٩/ ١٩٤، وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٢.

(٣) معجم الأدباء ١١/ ١٨٣ـ١٨٤.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٠.

في مقتبل شبابه وشهرته الأدبية، دبّ خلاف بينه وبين الشاعرين الموصليين أبي بكر محمد، وأبي عثمان سعيد، ابنَي هاشم الخالديين، فهجياه وهجاهما، فآذاه الخالديان أذىً شديداً، وقطعا رسمه من سيف الدولة، بعد أن كان قد مدحه بقصائد جميلة، فانحدر إلى بغداد، ومدح الوزير المهلبي والأعيان والصدور، فارتفق وارتزق، وسار شعره في الآفاق، فلحقه الخالديان إلى هناك، ودخلا على المهلبي وثلبا سريّاً عنده، فلم يحظ منه بطائل، وصار الخالديان من ندماء المهلبي، وجعلا هِجّيراهما ثلب سري والوقيعة فيه، ودخلا إلى الرؤساء والأكابر ببغداد، وفعلا به مثل ذاك عندهم، فراح السري ببغداد يتظلّم منهما ويهجوهما، ويقال: إنه عدم القوت، ودفع إلى الوراقة، فجلس يورّق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجرة، وركبه الدين حتى مات ببغداد[1].

موقف الخالديين منه جعله يدعي عليهما سرقة شعره وشعر غيره، لاسيما شعر كشاجم، فراح يأخذ أحسن شعرهما، ويضيفه إلى ديوان كشاجم، وينسخه ليزيد في حجم ماينسخ من جهة، وينفق سوقه ويشنّع على الخالديين بذلك[2].

وهذه المسألة تعني أن هناك شعراً ليس لكشاجم في ديوانه، وقد تنبه إلى ذلك ابن خلكان، وقال: فمن هذه الجهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة[3].

أثرت عداوة الخالديين له كثيراً، لا سيما على حياته الأدبية، ومع ذلك استطاع أن يصنّف عدة كتب؛ منها[4]:

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٩٤.

(٢) معجم الأدباء ١١/ ١٨٤ـ وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٠.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٠.

(٤) معجم الأدباء ١١/ ١٨٥ـ وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٢.

١ ـ كتاب الديرة.

٢ ـ كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب.

٣ ـ ديوان شعر يقع في مجلدين.

شهرته الشعرية فاقت شهرته في الوراقة، فجميع المصادر التي ترجمت له ذكرت أنه كان مطبوعاً على الشعر، عذب الألفاظ، جزل العبارة، ومن شعره الذي كتب به إلى صديق كان أهدى إليه قدحاً حسناً، فسقط من يده وانكسر فقال(١):

يا من لديه العفاف والورع ... وشيمتاه العلاء والرفع

كأسك قد فرقت مفاصله ... بين الندامى فليس يجتمع

كأنما الشمس بينهم سقطت ... فجسمها في أكفهم قطع

لو لم أكن واثقاً بمشبهه ... منك لكاد الفؤاد ينصدع

فجد بهِ بدعة فعندي من ... جودك أشياء كلّها بدع

وعندما خرج من الموصل إلى حلب قاصداً سيف الدولة الحمداني مدحه بقوله(٢):

أعزمتكَ الشهاب أم النهار ... وراحتك السحاب أم البحار

خلقت منيّة ومنىً وتضحى ... تمورُ بك البسيطة أو تُمارُ

تحلّي الدين أو تحمي حماه ... فأنت عليه سور أو سوار

ومنها:

حشرنا والملوك له قيام ... تغضّ نواظر فيها انكسارُ

وزرنا منه ليث الغاب طلقاً ... ولم نر قبله ليثاً يزار

وضيفك للحيا المنهلّ ضيفٌ ... وجارك للربيع الطلق جار

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٤٩.

(٢) معجم الأدباء ١١/ ١٨٥ـ١٨٦.

ومن جميل شعره في الغزل قوله(١):

بلاني الحبّ فيك بما بلاني ... فشأني أن تفيض غروب شاني
أبيتُ الليل مرتقباً أناجي ... بصدق الوجد كاذبة الأماني
فتشهد لي على الأرق الثريا ... ويعلم ما أجنّ الفرقدان
إذا دنت الخيام به فأهلاً ... بذاك الخيم والخيم الدواني(٢)
فبين سجوفها أقمار تمٍّ ... وبين عمادها أغصان بان
ومذهبة الخدود بجلّنار ... مفضضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من ريّاك ريّا ... وحيّانا بأوجهك الحسان
ستصرف طاعتي عمّن نهاني ... دموع فيك تلحى من لحاني
ولم أجهل نصيحته ولكن ... جنون الحبّ أحلى من جناني
فيا ولع العواذل خلّ عني ... ويا كفّ الغرام خذي عناني

وقال في الورد(٣):

لو رحّبت كأس بذي زورة ... لرحّبت بالورد إذ زارها
جاء فخلناها خدوداً بدت ... مضرّمة من خجل نارها
وعطّر الدنيا فطابت به ... لا عدمت دنياه عطارها

وله أيضا(٤):

وروضة بات طل الغيث ينسجها ... حتى إذا نسجت أضحى يدبّجها
إذا تنفّس فيه ريح نرجسها ... ناغى جنى خزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفي يده ... كأس كشعلة نار إذ يؤججها
لا تمزجنّها بغير الريق منك وإن ... تبخل بذاك فدمعي سوف يمزجها
أقلّ ما بي من حُبّيك أن يدي ... إذا دنت من فؤادي كاد ينضجها

---

(١) معجم الأدباء ١١/١٨٦-١٨٧.
(٢) الخيم الأولى = الطبع والشيمة، والثاني السرادق - القاموس - مادة خيم.
(٣) معجم الأدباء ١١/١٨٨.
(٤) المصدر السابق ١١/١٨٨-١٨٩.

وأورد له ابن خلكان هذه المقطوعات[1]:

ألبستني نعما رأيت بها الدجى ... صبحاً وكنت أرى الصباح بهيما

فغدوت يحسدني الصديق وقبلها ... قد كان يلقاني العدوّ رحيما

وله أيضاً[2]:

بنفسي من أجود له بنفسي ... ويبخل بالتحية والسلامِ

وحتفي كامنٌ في مقلتيه ... كُمون الموت في حدّ الحسامِ

ومن شعره[3]:

وفتية زهر الآداب بينهم ... أبهى وأنضر من زهر الرياحين

راحوا إلى الراح مشي الرّخ وانصرفوا ... والراح تمشي بهم مشي الفرازين

وله أيضاً[4]:

انظر إلى الليل كيف تصرعه ... راية صبح مبيضّة العذب

كراهب جنّ للهوى طرباً ... فشقّ جلبابه من الطرب

ثمّة ملاحظة مستدركة على حياة هذا الشاعر الورّاق؛ هي أنه كان يتشيّع لعلي وآل البيت، وقد أورد النديم نادرة له تظهر هذا الانتماء، قال: كان السري الرفاء جاراً لأبي الحسن علي بن عيسى الرمّاني، بسوق العطش ـ ببغداد ـ وكان كثيراً ما يجتاز بالرماني وهو جالس على باب داره، فيستجلسه ـ الرماني ـ ويحادثه يستدعيه ـ أي يود كسبه إلى صفوف المعتزلة ـ إلى أن يقول

---

(1) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦١.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق ٢/ ٣٦١.

(4) المصدر السابق ٢/ ٣٦٢.

بالاعتزال، وكان سري يتشيّع، فلما طال ذلك عليه أنشد[1]:

أقـــارع أعـــداء الـنبي وآله	قـراعـاً يفل الـبـيض عند قـراعـه
وأعلـم كل الـعلم أن وليّـــهم	سيجـزي غداة البعث صاعـاً بصاعه
فــلا زال مـن والاهم في عـلوّه	ولا زال من عـاداهم في اتضـاعـه
ومـعــتـزليّ رام عــزل ولايتي	عن الشـرف العالي بهم وارتفـاعه
فما طاوعـتني النفس في أن أطيعه	ولا أذن القــرآن لي في اتبــاعـه
طبـعت على حبّ الوصيّ ولم يكن	لينقل مطبـوع الهـوى عن طبـاعـه

الشنتيرني الورّاق

هو عبـدالله بن محـمد بن سـارة ـ ويقال: صـارة ـ أبومحـمـد البكري الشنتيرني، قال عنـه الصفدي: كان لغوياً، شاعراً مُـفلِقاً، مليح الكتابة، قليل الحظ، نسخَ الكثيـر بالأجـرة، ومـات سنة ٥١٧هـ، ومن شـعـرهِ، وهو يذم الوراقة[2]:

أمـا الوراقـة فـهي أنكد حـرفـة	أوراقــهـا وثـمـارهـا الحـرمـان
شـبهت صـاحـبهـا بصـاحب إبرة	تكسـو العـراة وجـسـمـهـا عـريان

عمرو الورّاق

هو عمرو بن عبدالملك الورّاق العـتري، هكذا سماه ياقوت[3]، كان من الشعراء المعـدودين، ذكر النديم أن ديوانه كان في خمسين ورقة[4]، أصله من

---

(١) الفهرست/ ص٦ من تكملة الفهرست/ الطبعة المصرية ـ مذيلة بكتاب الفهرست نفسه.

(٢) السيوطي ـ بغية الوعاة/ ص٢٨٨. باب العين.

(٣) معجم البلدان ٢/ ٥٣٧ ـ مادة «دير مريحنا».

(٤) الفهرست/ ص٢٣٢.

البصـرة، ورحل إلى بغداد، وتعـرّف علَى أهلها، وعـاشرهم من خـلال مهنة الوراقة، وكانت له مع أبي نواس مطارحات شعرية.

طغت صفة الشـعر عليه أكثر من مهنة الوراقـة، وبالشعر عرف، إلاّ أن لقب الورّاق ظل لاصقاً به.

ذكره أبوالفرج الأصبهاني في سياق أخبار الفضل الرقاشي، قال: حدّث يوسف بن الداية قال: كان أبـونواس والفضل الرقاشي جالسين، فجـاء عمرو الوراق، فقال: رأيت جـارية خرجت من دار آل سليمان بن عـلي، فما رأيت أحسن منها، هيفاء، نجلاء، زجّاء، دعـجاء، كأنها خوط بان، أو جدل عنان، فخاطبتها فخاطبتني بأحلى لفظ وأفصح لسان وأجمل خطاب، فقال الرقاشي: قد والله عشقتها، قال أبونواس: أو تعرفها؟ قال: لا، ولكن بالصفة، ثم أنشأ يقول[1]:

صـفـات وظنّ أورثا القلب لوعـة ... تضـرّم في أحـشـاء قـلب متـيّم

تمثلهـا نفـسي لعـيني فـأنثني ... إليـهـا بطرف النـاظر المتـوسّم

يحـمّلني حـبي لهـا فـوق طاقـتي ... من الشـوق دأب الحـائر المتقـسّم

يبدو أن حياة عمرو الوراق قريبة جداً من حياة أبي نواس وأضرابه، فهو قد عاشرهم[2] وسلك سلوكهم، وكان واحداً من روّاد الحانات والديارات، قال عنه الشـابشتـي: كان عـمرو هذا من الخـلعاء المجّـان، المنهـمكين في البطالة والخسـارة والاستهتـار بالسرد، والتطرح في الديارات[3]، وله شعر كـثير في المجون ووصف الخمر، فمن شعره[4]:

(١) المرزباني ـ معجم الشعراء طبعة القدسي ـ القاهرة ١٣٥٤هـ/ ص٢١٨.

(٢) الأغاني ١٥/ ٣٦ بترجمة «الرقاشي».

(٣) ورغم ذلك لم تذكره المصادر بترجمة خاصة به، ولم تذكر تاريخ ولادته أو وفاته.

(٤) الديارات/ ص١١٠ دير مريحنا ـ وحبيب زيات/ ص٢٨ـ٢٩.

وحظيّة فيها العطب | غاليت فيها بالعطب
أتلفت فيها ماكسب | ت وماجمعت من النشب
مازلت حتى نلتها | في بيت مضطرب الخشب
ومدامة كرخية | حمراء من ماء العنب
عاقرتها في فتية | ليسوا على دين العرب
في معشر مهروا المجا | نة في اللذاذة والطرب
جعلوا المجانة سترة | للعاذلين على الرتب
تمضي الصلاة عليهم | والسكر منهم في العصب
فإذا تنبّه من تنب | ه كان منها في الطلب
وإذا مضت صلواتهم | صلوا جمادى في رجب

وصفة المجون ألصق به وبشعره، ويظهر أن الشعراء أميل إلى هذه الصفة وقتذاك.

موقفه الوطني:

في الحرب الأهلية في بغداد بين الأمين والمأمون، لم يكن الوراقون شهود عيان فقط، على ما يجري في وطنهم بغداد أيام الفتن والاضطرابات، بل كانوا مساهمين فيها، كل حسب طاقته وموقعه، فقد قيّض لعمرو الوراق أن يكون شاهداً ومشاركاً ومؤرخاً بشعره للحوادث اليومية التي جرت في بغداد أثناء الحرب الأهلية التي حصلت نتيجة الخصام على السلطة العباسية بين الأمين وأخيه المأمون، فقد خلع الأولُ الثاني، وحاصر الثاني الأولَ، وهو الأمر الذي انقلب وبالاً على الناس في بغداد، وانشقّ أهلها بين الفريقين، فقد حاصر جند المأمون بغداد بقيادة طاهر بن الحسين وهرثمة وزهير بن المسيّب[1]، وازداد التراشق بالمجانيق بين العسكرين، ومات الكثير من الناس، فقال عمرو الورّاق[2]:

(١) راجع تفاصيل ذلك عند الطبري ٨/ ٤٤٥ ومابعدها ـ حوادث سنة ١٩٧هـ.
(٢) المصدر السابق ٨/ ٤٤٦.

يا رماة المنجنيق ... كلكم غير شفيق

ماتبالون صديقاً ... كان أو غير صديق

ويلكم تدرون ما تر ... مون مرّارَ الطّريق

ربّ خود ذات دلّ ... وهي كالغصن الوريق

أخرجت من جوف دنـ ... ـياها ومن عيش أنيق

لم تجد من ذاك بدأ ... أبرزت يوم الحريق

يقول الطبري: وكثر الخراب والهدم حتى درست محاسن بغداد، ففي ذلك يقول العتري ـ والمقصود عمرو الوراق ـ[1]:

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ... ألم تكوني زمانا قرّة العين

ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم ... وكان قربهم زينا من الزيّن

صاح الغراب بهم بالبين فافترقوا ... ماذا لقيت بهم من لوعة البين

أستودع الله قوماً ما ذكرتهم ... إلا تحدّر ماء العين من عيني

كانوا ففرّقهم دهر وصدّعهم ... والدهر يصدع ما بين الفريقين

واتخذ أهل بغداد موقفاً وطنياً واضحاً ضد طاهر بن الحسين وجنده، فقد منع الملاحون إدخال أي شيء إلى بغداد، لأنه كان قد آذاهم بعد أن قتل من أصحابه الكثير في وقعة قصر صالح، فمضّه ذلك وشقّ عليه، فأمر بالهدم والإحراق[2]، لذلك اتخذ هذا الموقف، وفي ذلك يقول عمرو بن عبدالملك الوراق العتري[3]:

---

(١) الطبري ٨/٤٤٧، وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الشعراء قد رثوا بغداد مع عمرو الوراق من أمثال الحسين الخليع، والحربي ـ وغيرهم من الفتيان والشعراء ـ انظر حوادث هذه السنة ١٩٧هـ، وسوف نورد فقط أبيات عمرو الوراق، نظراً لأن الموضوع داخل في ترجمته.

(٢) المصدر السابق ٨/٤٥٨ـ٤٥٩.

(٣) المصدر السابق ٨/٤٥٩ـ٤٦٠.

لنا كلّ يوم ثلمة لا نسدّها ... يزيدون فيما يطلبون وننقص

إذا هدموا داراً أخذنا سقوفها ... ونحن لأخرى غيرها نتربّص

وإن حرصوا يوماً على الشرّ جهدهم ... فغوغاؤنا منهم على الشرّ أحرص

فقد ضيّقوا من أرضنا كل واسع ... وصار لهم أهل بها وتعرّضوا

يثيرون بالطبل القنيص فإن بدا ... لهم وجه صيد من قريب تقنّصوا

لقد أفسدوا شرق البلاد وغربها ... علينا فما ندري إلى أين نشخص

إذا حضروا قالوا بما يعرفونه ... وإن لم يروا شيئاً قبيحاً تخرّصوا

وماقتل الأبطال مثل محرّب ... رسول المنايا ليله يتلصّص

ترى البطل المشهور في كل بلدة ... إذا ما رأى العريان يوماً يبصبص

إذا ماراَه الشمّريّ مقزّلاً ... على عقبيه للمخافة ينكص

يبيعك رأساً للصبي بدرهم ... فإن قال إني مرخص فهو مرخص

فكم قاتل منّا لآخر منهم ... بمقتله عنه الذنوب تمحّص

تراه إذا نادى الأمان مبارزاً ... ويغمرنا طوراً وطوراً يخصّص

وقد رخّصت قراؤنا في قتالهم ... وماقتل المقتول إلا المرخّص

وقال أيضاً في ذلك(١):

الناس في الهدم وفي الانتقال ... قد عرّض الناس بقيل وقال

يا أيها السائل عن شأنهم ... عينك تكفيك مكان السؤال

قد كان للرحمن تكبيرهم ... فاليوم تكبيرهم للقتال

اطرح بعينك إلى جمعهم ... وانتظر الروح وعدّ الليالي

لم يبق في بغداد إلا امرؤ ... حالفه الفقر كثير العيال

لا أم تحمي عن حماها ولا ... خال له يحمي ولا غير خال

ليس له مال سوى مطرد ... مطرده في كفّه رأس مال

هان على الله فأجرى على ... كفيه للشقوة قتل الرجال

إن صار ذا الأمر إلى واحد ... صار إلى القتل على كلّ حال

مابالنا نقتل من أجلهم ... سبحانك اللهم ياذا الجلال

---

(١) الطبري ٨/ ٤٦٠.

وله أيضاً أبيات يظهر تشبّه ببغداد، فيقول[1]:

ولست بتارك بغداد يوماً ... ترحّل من ترحّل أو أقاما
إذا ما العيش ساعدنا فلسنا ... نبالي بعدُ من كان الإماما

وحاصر طاهر وجنده وقوّاده أهل بغداد، وضيّقوا عليهم أشهراً، ومنعوا عنهم الجرة والدقيق وصمد الفريقان، ثم كانت لهم وقعة شديدة عرفت بـ«وقعة الكناسة»، وقد باشر طاهر القتال بنفسه، فقتل فيها بشر كثير من أصحاب الأمين، فقال عمرو الورّاق[2]:

وقعة يوم الأحد ... صارت حديث الأبد
كم جسد أبصرته ... ملقى وكم من جسد
وناظر كانت له ... منية بالرّصد
أتاه سهم عائر ... فشك جوف الكبد
وصائح يا والدي ... وصائح ياولدي
وكم فريق سابح ... كان متين الجلد
لم يفتقده أحد ... غير بنات البلد
وكم فقيد بَئِسٍ ... عزّ على المفتقد
كان من النظاره الـ ... أولى شديد الحرد
لو أنه عاين ما ... عاينه لم يعد
لم يبق من كهل لهم ... فات ولامن أمرد
وطاهر ملتهم ... مثل التهام الأسد
خيّم لا يبرح في الـ ... عرصة مثل اللّبد
تقذف عيناه لدى الـ ... حرب بنار الوقد
فقائل قد قتلوا ... ألفاً ولمّا يزد
وقائل أكثر بل ... مالهم من عدد

(١) الطبري.
(٢) المصدر السابق ٨/ ٤٦١-٤٦٢.

وهارب نحوهم | يرهب من خوف غد
هيهات لا تبصر مِمَّ | نْ قد مضى من أحد
لا يرجع الماضي إلى الـ | باقي طوال الأبد
قلت لمطعون وفيـ | ـه روحه لم تبد
من أنت ياويلك يا | مسكين من محمّد
فقال لا من نسبٍ | دان ولا من بلد
لم أره قط ولم | أجد له من صفد
وقال لا للغيّ قا | تلت ولا للرّشد
إلاّ لشيء عاجل | يصير منه في يدي

وشدّ أصحاب محمد الأمين على جند طاهر في وقعهِ درب الجمارة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، فقال في ذلك عمرو بن عبدالملك العتري الوراق(١):

وقعة السبت يوم درب الحجارة | قطعت قطعة من النظاره
ذاك من بعد ماتفانوا ولكن | أهلكتهم غوغاؤنا بالحجاره
قدم الشورجين للقتل عمداً | قال إني لكم أريد الإماره
فتلقاه كل لصٍّ مريب | عمر السجن دهره بالشطاره(٢)
فتولّوا عنهم وكانوا قديماً | يحسنون الضّراب في كل غاره
هؤلاء مثل ّهؤلاء لدينا | ليس يرعون حق جار وجاره
كل من كان خاملاً صار رأساً | من نعيم في عيشه وغضاره
حامل في يمينه كل يوم | مطرداً فوق رأسه طيّاره
أخرجته من بيتها أم سوء | طلب النّهب أمة العيّاره
يشتم الناس ما يبالي بإفصا | ح لذي الشتم لا يشير إشاره
ليس هذا زمان حر كريم | ذا زمان الأنذال أهل الزعاره
كان فيما مضى القتال قتالاً | فهو اليوم يا عليّ تجاره

(١) الطبري ٨/ ٤٦٣-٤٦٤.

(٢) إشارة واضحة إلى العيّارين والشطار واشتراكهم في الدفاع عن بغداد في تلك الوقائع.

وقال أيضا وهو يصور حالة الأمين وهو محاصر[1]:

بـاريّة قُـيّـرت ظـاهرهـا   مـحـمـد فـيـهـا ومنصـور
العـزّ والأمن أحـاديثـهـم   وقـولـهم قـد أخـذ الـسـور
وأي نـفع لـك في سـورهـم   وأنت مـقـتـول ومـأمـور
قـد قـتلت فـرسـانكم عنوة   وهُـدِّمـت مـن دوركِـم دُور
يا أيهـا الـسـائل عن شـأننا   مـحـمّـد في القـصر مـحـصـور

وفي وقعة باب الشماسيّة، وفيها أسر هرثمة، وشدّ العيارون وأهل بغداد بقيادة حاتم بن الصقر على أصحاب طاهر، وأزالوا عبيدالله بن الوضاح من مكانه، بعد أن فاجأوه ليلاً، فولّى منهزماً، فأصابوا له خيلاً وسلاحاً ومتاعاً كثيراً، وانتصر أهل بغداد في هذه الوقـعة، وفي ذلك قيلت أشعار كثيرة، ومن ذلك قول عمرو الورّاق[2]:

عـريان ليس بـذي قـمـيص   يغـدو على طـلـب القـمـيص
يعـدو على ذي جـوشن   يعـمي العـيون من البـصـيص
فـي كـفّـه طـرّادة   حـمـراء تلمع كـالـفـصـوص
حـرصـاً عـلى طلب الـقـتـا   ل أشـدّ من حـرص الحـريص
سلس الـقـيـاد كـأنما   يغـدو على أكـلِ الخـبـيص
لـيـثـاً مـغـيـراً لـم يزل   رأسـا يعـدّ من اللصـوص
أجـرى وأثبت مـقـدمـاً   في الحـرب من أسـد رهيص
يدنو عـلـى سنن الهـوا   ن وعـيـصـه من شـرّ عـيص
ينـجـو إذا كـان النـجـا   ء عـلـى أخفّ من القـلـوص
مـا لـلكـميّ إذا لمقـ   تلـه تعـرّض من مـحـيص
كم مـن شـجـاع فـارس   قـد بـاع بالثـمن الرخـيص
يدعـو: ألا من يشـتـري   رأس الكـمّي بـكف شـيص

(١) الطبري ٨/ ٤٦٤.

(٢) المصدر السابق ٨/ ٤٦٤-٤٦٦.

يقول الطبري: وكان محمد «الأمين» أعطى بنقض قصوره ومجالسه الخيزرانية بعد ظفر الغزاة ألفي ألف درهم، فحرقها أصحاب طاهر كلّها، وكانت السقوف مذهبّة، وقتلوا من الغزاة والمنتهبين بشراً كثيراً، وفي ذلك يقول عمرو الوراق[1]:

ثقلان وطاهر بن الحسين صبّحونا صبيحة الإثنين

جمعوا جمعهم بليل ونادوا اطلبوا اليوم ثأركم بالحسين

ضربوا طبلهم فثار إليهم كل صلب القناة والسّاعدين

يا قتيلاً بالقاع ملقى على الشطّ هواه بطيء الجبلين

ما الذي في يديك أنت إذا ما اصطلح الناس أنت بالخلّتين

أوزير أم قائد بل بعيد أنت من ذين موضع الفرقدين

كم بصير غدا بعينين كي يبصرَ ماحالهم فعاد بعين

ليسَ يخطون مايريدون مايعمدُ راميهم سوى الناظرين

سائلي عنهم هم شرّ من أبصرت في الناس ليس غير كذين

شرّ باقٍ وشرّ ماضٍ من الناس مضى أو رأيت في الثقلين

وعندما انهزم أصحاب طاهر بن الحسين، وغرق بشر كثير في نهر الصراة، قال عمرو الوراق[2]:

نادى منادي طاهر عندنا ياقوم كفّوا أو اجلسوا في البيوت

فسوف يأتيكم غد فاحذروا ليثاً هربت الشدق فيه عيوت

فثارت الغوغاء في وجهه بعد انتصاف الليل قبل القنوت

في يوم سبت تركوا جمعه في ظلمة الليل سعوداً خفوت

---

(١) الطبري ٨/ ٤٦٦ـ٤٦٧.

(٢) المصدر السابق ٨/ ٤٦٩.

وعندما دارت الدائرة على أصحاب محمد الأمين، قال عمرو الوراق[1]:

كم قـتـيل قـد رأينا	مـا سـألناه لأيش
دارعـاً بلقـاء عَـريا	ن بجـهـل وبطـيش
إن تـلـقـاه بـرمح	يـتلـقـاه بـفـيـش
حـبـشـيّـاً يقـتل النا	س على قطـعـة خـيـش
مـرتد بـالشـمس راض	بـالمنى من كـل عـيـش
يحـمـل الحـمـلة لا يقـ	ـتـل إلا رأس جـيـش
كـعلي أفـرا همـرد[2]	أو عـلاء أو قـريـش
احـذر الرمـيـة يـا طا	هر من كف الحـبـيـش

ووقف عمرو الوراق بعد تلك الأحداث وهو يشاهد خراب بغداد بعينيه ويقول[3]:

ذهبت بهـجـة بـغـدا	د وكـانت ذات بهـجـه
فـلـهـا فـي كـلّ يـوم	رجّـة من بـعـد رجّـه
ضـجّت الأرض إلـى الله	مـن المـنكر ضـجّـه
أيهـا المقـتـول مـا أنت	عـلى ديـن المحـجّـه
ليت شـعـري مـا الذي نلت	وقـد أدلجـت دلجـه
ألإلى الـفـردوس وجّـهت	أم الـنـار تُـوَجّـه
حـجـر أرداك أم أر	ديت قـسـراً بالأزجـه
إن تـكـن قـاتلـت بـرّاً	فـعلينا ألف حـجّـه

وعندما اشتد الحصار على الأمين، خرج بأمّه وولده إلى مدينة أبي جعفر ـ الكرخ ـ وتفرق عنه عامة جنده، وتفرّق الغوغاء والسفلة، وفي ذلك يقول عمرو الوراق[4]:

---

(١) الطبري ٨/ ٤٦٩ـ٤٧٠.

(٢) هكذا وردت بالنص عند الطبري ٨/ ٤٦٩ ـ وربما كانت لاسم أعجمي.

(٣) المصد السابق ٨/ ٤٧٠.

(٤) المصدر السابق ٨/ ٤٧٤ ـ حوادث سنة ١٩٨هـ.

يا طاهر الظهر الذي	مثاله لم يوجد
يا سيّد ابن السيد اب	ن السيد ابن السيد
رجعت إلى أعمالها الأ	ولى غزاة محمّد
من بين نطاف وسوّ	اط وبين مقرد
ومجردٍ يأوي إلى	عبّارة ومجرد
ومقيّد نقب السجو	ن فعاد غير مقيّد
ومسوَّدٍ بالنهب سا	د وكان غير مسوّد
ذلّوا لعزّك واستكا	نوا بعد طول تمرّد

قال عليّ بن يزيد: كنت يوماً عند عمرو الوراق، أنا وجماعة، فجاء رجل فحدثّنا بوقعة طاهر بباب الكرخ، وانهزام الناس عنه، فقال عمرو: ناولني قدحا، ثم قال(١):

خذها فللخمرة أسماء	لها دواء ولها داء
يصلحها الماء إذا صفّقت	يوماً وقد يفسدها الماء
وقائل كانت لهم وقعة	في يومنا هذا وأشياء
قلت له: أنت امرؤ جاهل	فيك عن الخيرات إبطاء
اشرب ودعنا من أحاديثهم	يصطلح الناس إذا شاؤوا

قال، ونحن كذلك دخل علينا آخر، وقال: قاتل فلان الغزاة، وأقدم فلان، وانتهب فلان، فقال عمرو(٢):

أي دهر نحن فيه	مات فيه الكبراء
هذه السفلة والغو	غاء فينا أمناء
مالنا شيء من الأشـ	ـياء إلا ما يشاء

---

(١) الطبري ٨/ ٤٧٥.

(٢) المصدر السابق ٨/ ٤٧٥.

ضجت الأرض وقد ضجّـ ـت إلى الله السماء

رفع الدّين وقد ها نت على الله الدماء

يا أباموسى لك الخيـ ـرات قد حان اللقاء

هاكها صرفا عقاراً قد أتاك الندماء

وقال عمرو الوراق أيضا(١):

إذا ماشئت أن تغضـ ـب جنديًا وتستامر

فقل يامعشر الأجنا د قد جاءكم طاهر

عُمر الورّاق

لم تتوقف عنده المصادر الأدبية والتاريخية، وجاء اسمه عارضاً في ترجمة يزيد بن مزيد الشيباني عند ابن خلكان(٢) في سياق جملة أبيات شعرية، تواتر معناها من النابغة الجاهلي إلى أبي نواس العباسي، وردت عند مسلم بن الوليد مادح يزيد بن مزيد، وقد علّق ابن خلكان على الخبر بالشكل التالي: وقد وافقهُ في أخذ هذا المعنى جماعة منهم، أبونواس، قال عُمر الوراق: سمعت أبانواس ينشد قصيدته الرائية التي أولها(٣):

أيها المنتاب من عُفره لستُ من ليلى ولا سمره

لا أذود الطير عن شجر قد بلوتُ المرَّ من ثمره

---

(١) الطبري ٨/ ٤٧٥.

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ٣٢٧ الترجمة رقم ٨٢٠.

(٣) ديوان أبي نواس ص٤٢٧ تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي/ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ دون تاريخ ص ٤٢٧.

قال عمر الوراق: فحسدته عليها، فلما بلغ إلى قوله[1]:

وإذا مجَّ القنا علقاً ... وتراءى الموت في صوره
راح في ثِني مُفاضته ... أسدٌ يدمي شبا ظفره
تتأبى[2] الطير غدوته ... ثقة بالشبع من جَزرِه

فقلت له: ماتركت للنابغة شيئاً حيث يقول:

إذا ما غزوا بالجيش حَلَّقَ فَوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائبِ

فقال أبونواس: اسكت، فلئن أحسن الاختراع لما أسأت الاتباع[3].

ومن هذه الإشارة، يظهر أن عُمَرَ الوراق مِمَّن يحسنون قول الشعر وتتبعه ونقده، ومن الواضح أن مهنة الوراقة لديه جعلته أكثر تتبعاً لموضوع الشعر أكثر من سواه، على بقية الموضوعات.

*** مساور الوراق**

هو مساور بن سوار بن عبدالحميد، من آل قيس بن عيلان بن مضر[4]. ذكر صاحب الأغاني أنه كان مولى لخويلد بن عدوان، أصله من الكوفة، قليل الشعر، ومن أصحاب الحديث ورواته، حيث أنه روى عن صدر من التابعين، كما روى عنه وجوه أصحاب الحديث[5].

لم تشر المصادر إلى تاريخ ولادته أو وفاته، واكتفت بنقل الأخبار عنه وعن نوادره وشعره، فمن ذلك أن النديم ذكر أن له ديوان شعر من خمسين

---

(١) البيت ٢٩، ٣٠، ٣١/ ص٤٣١ من الديوان.

(٢) وردت «تتأي الطير غدوته» عند ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ٦/ ٣٣٥ـ وما أثبتناه من الديوان.

(٣) وفيات الأعيان ٦/ ٣٣٤ـ٣٣٥.

(٤) الأغاني ١٨/ ٢٤٩ ـ وحبيب زيات/ ص٧١.

(٥) المصدر السابق.

ورقة[1]، فيما استطرد أبوالفرج الأصبهاني في ذكر تفاصيل من حياته الاجتماعية والسياسية والأدبية، فقد ذكر خبراً عن الأصمعي، قال: كان قوم يجلسون إلى ابن أبي ليلى - وكان وقتذاك أحد أعيان العباسيين في الكوفة - فكتب ابن أبي ليلى أن يجعله فيهم، فلم يفعل، فأنشأ يقول[2]:

أراك تشير بأهل الصلاح	فهل لك بالشاعر المسلم
كثير العيال قليل السؤا	ل عف مطاعمه معدم
يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة	وقد حلق العام بالموسم
وأصبح - والله - في قومه	وأمسى وليس بذي درهم

قال: فقال ابن أبي ليلى: لا حاجة لنا فيه، فقال فيه مساور أبياتاً، لم يذكرها أبوبكر ابن دريد - ناقل الخبر - صيانة لابن أبي ليلى[3].

حدث التوزي، قال: كان مساور الوراق وحماد عجرد وحفص بن أبي قردة مجتمعين، فجعل حفص يعيب شعر المرقش الأكبر، فأقبل عليه مساور وقال[4]:

لقد كان في عينيك ياحفص شاغل	وأنف كثيل العود عما تتبع[5]
تتبعت لحناً في كلام مرقش	ووجهك مبني على اللحن أجمع

فقام حفص من المجلس خجلاً، وهاجره مدة.

قال أبوالفرج: نسخت من كتاب عبيدالله اليزيدي بخطه: حدثنا سليمان ابن أبي شيخ، قال: كان مساور الوراق من جديلة قيس، ثم من عدوان مولى

---

(1) الفهرست/ ص٣٠.

(2) الأغاني ١٠/١٤٩.

(3) المصدر السابق. نفس المكان.

(4) المصدر السابق ١٨/ ١٥٠.

(5) الثيل: قضيب البعير وغيره. القاموس المحيط - مادة ثيل.

لهم، فقال لابنه يوصيه(١):

شمر ثيابك واستعد لقائل ... واحكك جبينك للعهود بثوم

إن العهود صفت لكل مشمر ... دبر الجبين مصفر موسوم

أحسن وصاحب كل قارٍ ناسك ... حسن التعهد للصلاة صؤوم

من ضرب حماد هناك وشعره ... وسماك والعتكي وابن حكيم

وعليك بالغنوي فاجلس عنده ... حتى تصيب وديعة ليتيم

تغنيك عن طلب البيوع نسيئة ... وتكف عنك لسان كل غريم

وإذا دخلت على الربيع مسلماً ... فاخصص شبابة منك بالتسليم

قال: ففعل ماأوصاه به أبوه، فلم يلبث مساور أن ولاه عيسى بن موسى عملاً، ودفع إليه عهده، فانكسر عليه الخراج، فدفع إلى بطين صاحب عذاب عيسى يستأديه، فقال مساور(٢):

وجدت دواهر البقال أهنى ... من الفرني والجدي السمين(٣)

وخيراً في العواتب حين تبلى ... إذا كان المرد إلى بطين

فكن يا ذا المطيف بعارضينا ... غداً من علم ذاك على يقين

وقل لهما إذا عرضا بعهد ... برئت إلى عرينة من عرين

فإنك طالما بهرجت فيها ... بمثل الخنفساء على الجبين

مر مساور بمقبرة حميد الطوسي، وكان له صديقاً، فوقف عليها مستعبراً وقال(٤):

أبا غانم أما ذراك فواسع ... وقبرك معمور الجوانب محكم

وما ينفع المقبور عمران قبره ... إذا كان فيه جسمه يتهدم

---

(١) الأغاني ١٨/ ١٥٠.

(٢) المصدر السابق ١٨/ ١٥٠.

(٣) دواهر = الشدائد. الفرني = نوع من الخبز.

(٤) المصدر السابق ١٨/ ١٥١.

عرف عن مساور أنه لا يضيع حقاً لصاحبه، فماتت بنته، فلم يشم دمعاً من جيرانه إلا نفر يسير، فقال مساور في ذلك[1]:

تغـيب عني كل جـاف ضـرورةً	وكل طفـيلي من القـوم عـاجـز
سـريع إذا يدعى ليـوم وليـمـةٍ	بطيء إذا مـاكـان حـمـل الجنائز

ومن نوادره الاجتماعية. أن جاراً له قدم مـن سفر، فجاءه مساور ليسلم عليه، فـقال الجار: هاتي لأبي القـاسم غداءً، فجاءت برغـيف فوضعـته على الخوان، فمد يده يأكل مع مساور، وقال له: يا أبا القاسم، كل من هذا الخبر، فما أكلت خبزاً أطيب منه، فقال مساور في ذلك[2]:

ما كنت أحـسب أن الخبـز فاكـهة	حـتى رأيتك يا وجه الطبـرزين[3]
كـأن لحـيـتـه في وجـهـه ذنب	أو شعـرة فوق بـظر غيـر مختـون

ودخل مساور على أبي العيص الجرمي يعـوده، وكان صديقاً له، فكلمه فلـم يجبه، فبكـى مسـاور جـزعـاً عليـه، وأدنـى رأسـه مـنه يكلمـه، فقـال أبو العيص[4]:

أفي كل عـام مـرضة بـعد نقـهـة	وتَنعى ولا تنُعى مـتى ذا إلى مـتى
سـيـوشك يومـاً أن يجـيء وليلة	يسوقـان حـتـفاً راح نحـوك أوغدا
فـتـمـسي صريعـاً لا تجيب لدعـوة	ولا تسمع الداعي وإن جـد في الدعا

ثم لم يلبث أن مات رحمه الله.

* * *

(١) الأغاني.

(٢) المصدر السابق ١٨/١٥٣.

(٣) الطبرزين = آلة من الملاح تشبه الفأس.

(٤) المصدر السابق ١٨/١٥٣.

الفصل السادس
الوراقون النسّاخون

أحمد بن محمد الأديب

هو أحمد بن محمد بن الحسن، الخلاّل الوراق الأديب. تفرّد ياقوت الحموي بترجمته. فقال: صاحب الخط المليح الرائق، والضبط المتقن الفائق، أظنه ابن أبي الغنائم الأديب[1]، وأورد ذكراً لأخيه علي بن محمد بن الخلال أبي الحسن في **معجم الأدباء** أيضاً[2].

لم يشر ياقوت إلى تاريخ ولادته ولا سنة وفاته، بل أشار إلى أنه وجد بخطه على كتاب قد كتبه في سنة خمس وستين وثلاثمائة[3].

سندي بن علي الوراق

لم توجد ترجمة وافية لهذا الوراق، بل ذكرت المصادر اسمهُ عرضاً أثناء الحديث عن كتاب **الأغاني** لأبي الفرج الأصفهاني، وكان أوّل مصدر ذكره هو **الفهرست** للنديم ورّاق بغداد المشهور، فقد جاء فيه ما يلي:

«حدثني أبوالفرج الأصفهاني قال: حدثني أبوبكر محمد بن خلف وكيع قال: سمعتُ حماد بن إسحاق يقول: ماألف أبي هذا الكتاب قط، يعني كتاب **الأغاني** الكبير ولا رآه، والدليل على ذلك أن أكثر أشعاره المنسوبة إنما جمعت لما ذكر معها من الأخبار، وما يحيي فيها إلى وقتنا هذا، وأن أكثر نسبة

---

(١) معجم الأدباء ٤/ ٢٦٤.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٤٥، وسوف نأتي على ذكره بترجمة خاصة به.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٦٤.

المغنين خطأ، والذي ألفهُ أبي من دواوين غنائهم يدل على بطلان هذا الكتاب، وإنما وضعه ورّاق كان لأبي بعد وفاته، سوى الرخصة التي هي أوّل الكتاب، فإن أبي ألّفها، إلاّ أن أخباره كلها من روايتنا. وقال لي أبوالفرج هذا سمعتهُ من أبي بكر وكيع حكاية محفظته، واللفظ يزيد وينقص. وأخبرني جحظة أنه يعرف الورّاق الذي وضعه، وكان يورق لإسحاق، فاتفق هو وشريك له على وضعه. وهذا الكتاب يعرف في القديم بكتاب الشركة، وهو أحد عشر جزءًا، لكل جزء أول يعرف به، فالجزء الأول من الكتاب الرخصة، وهو تأليف إسحاق لا شك فيه ولا خلف[1].

وهذه هي الإشارة الوحيدة لذكر هذا الوراق، ولم نعثر على زيادة في المظان التي بين أيدينا، والتي تحدثت عن ظاهرة الوراقة والوراقين.

علاّن الشعوبي الورّاق

هكذا ورد اسمه عند النديم، وعنه أخذ ياقوت الحموي، ولم يذكر اسم أبيه[2].

أصله من الفرس، وكان راوية عارفاً بالأنساب والمثالب والمنافرات، منقطعاً إلى البرامكة، وكان ينسخ في «بيت الحكمة» للرشيد والمأمون والبرامكة[3].

لم تذكر المصادر تاريخ ولادته أو وفاته، بل ذكرت أنه كان شعوبياً، يميل إلى غير العرب، وكان له دكان وراقة يشتغل به الفيرزان، يبيع فيه الكتب، وينسخ به[4].

حملته نزعته الشعوبية إلى تأليف عدّة كتب في ذمّ العرب، أوردها النديم على النحو التالي:

---

(١) الفهرست للنديم/ ص٢٠٣ ـ وراجع الأغاني لأبي الفرج ١/ ٥ـ٦. كما أن هذا الخبر أورده حبيب زيات/ في الوراقة والوراقين/ ص٤١.

(٢) الفهرست/ ص١٥٢ـ١٥٤ ومعجم الأدباء ١٢/ ١٩١ الترجمة رقم ٤٨ ـ وحبيب زيّات ص٤٤.

(٣) الفهرست/ ص١٥٢ـ ١٥٤.

(٤) ياقوت ـ معجم الأدباء ١٢/ ١٩٢.

١ ـ كتاب الميدان في المثالب، الذي هتك فيه العرب، وأظهر مثالبها.

٢ ـ كتاب الحلية، لم يتمّه.

٣ ـ كتاب المثالب ـ ابتداء بقريش ـ قبيلة بعد قبيلة إلى آخر قبائل اليمن.

٤ ـ كتاب فضائل كنانة.

٥ ـ كتاب نسب النمر بن قاسط.

٦ ـ كتاب نسب تغلب بن وائل.

٧ ـ كتاب فضائل ربيعة.

٨ ـ كتاب المنافرة.

كانت له مواقف محمودة في احترام مهنته كورّاق، فقد نقل ياقوت عنه خبراً قال فيه: كان بعض أصحاب أحمد بن أبي خالد الأحول ـ تولى الوزارة للمأمون ـ قد مدح له علاناً الشعوبي الوراق، فأمر بإحضاره وبأن يستكتب له، فأقام في داره ـ ذات يوم ـ دخل أحمد بن أبي خالد، فقام إليه جميع من فيها غير علاّن الوراق، فإنه لم يقم له، فقال أحمد: ما أسوأ أدب هذا الورّاق. وسمعه علاّن فقال: كيف أنسب أنا إلى سوء الأدب ومني تتعلّم الآداب، وأنا معدنها، ولماذا أردت منّي القيام لك، ولم آتك مستميحاً لك، ولا راغباً إليك، ولا طالباً منك، وإنما رغبت إليّ في أن آتيك فأكتب عندك، فجئتك لحاجتي إلى ما آخذه من الأجرة، وقد كنت بغير هذا منك أولى، ثم حلف أيماناً مؤكدة أن لا يكتب بعد يومه حرفاً في منزل أحد من خلق الله.

وذكر ياقوت أن علاّناً كان قبيحاً، ونقل على لسانه الطرفة التالية، قال: مررت بمخنّث يغزل على حائط، فقال لي: من أين؟ قلت: من البصرة، قال: لا إله إلا الله، تغيّر كل شيء حتى هذا، كانت القرود تجلب من مكّة واليمن، والآن تجيء من العراق[1].

---

(١) معجم الأدباء ١٢/ ١٩٣ ـ وانظر هناك تعليقات ياقوت الحموي على الخبر.

قال المرزباني: علاّن الشعوبي، هو مأموني، أي ممّن يتنصرون للمأمون، ويرى أحقيته بالخلافة من أخيه الأمين، لـمّا قال عبدالله بن طاهر قصيدته التي أولها:

مدمن الإغضاء موصول وقديم العتب مملول

وفخر فيها بقتل أبيه طاهر محمداً الأمين، أجابه محمد بن يزيد الحصني بقصيدة أولها:

لا يرعك القال والقيل كلّ ما بلّغت تحميل

ورد عليه فيها وهجاه هجاء قبيحاً، قال علاّن الشعوبي قصيدة ردّ فيها على السلمي[1]، وهجاه، ومدح عبدالله بن طاهر، وفضّل العجم على العرب، يقول فيها[2]:

أيها اللاطي[3] بحفرته في قرار الأرض مجعول
قد تجالت على دَخَلٍ واستخفتك التهاويل
وأبوالعباس غادية لعزاليه الأهاليل
تمطر العقيان راحته وله بالجود تهطيل
رستميّ في ذرى شرف زانه تاج وإكليل
وعليه من جلالته كرم عدّ وتبجيل
إن لي فخراً مباءته في قرار النجم مأهول
ورجالاً شربهم غدق هم لما حازوا مباذيل
كسرويات أبوّتنا غرر زهر مقاويل

---

(١) هو محمد بن يزيد الأموي الحصني، من ولد مسلمة بن عبدالملك ـ المصدر السابق ١٢/ ١٩٤ ـ الهامش رقم ٢.

(٢) معجم الأدباء ١٢/ ١٩٤ـ١٩٦.

(٣) اللاّطي = اللاصق بالشيء. اللسان ـ مادة لَوَطَ.

ابن أبي دجانة المصري الوراق:

هو أبوالحسن علي بن أحمد بن أبي دجانة المصري[1]. أصله من مصر لكنه أقام ببغداد وبها كتب الكثير، وكان جيد الخط كثير الضبط، إلاّ أنه مع ذلك لا يخلو خطه من السقط وإن قل[2].

قال ياقوت: وجدت بخطه «زحر سور الذنب» وقد كتبه ببغداد سنة ٣٨٤هـ[3].

ولم يزد على ذلك شيئاً.

علي بن محمد بن الخلاّل

هو الآخر، كأخيه أحمد بن محمد بن الحسن الخلاّل، لم يذكره سوى ياقوت الحموي، وقال عنه: هو علي بن محمد بن الخلاّل أبو الحسن، الأديب الناسخ، صاحب الخط المليح والضبط الصحيح، معروف بذلك مشهور، مات سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.[4]

علي بن محمد الوراق

كثيرون هم الوراقون الذين لم يترجم لهم، ولكن المصادر تأخذ برواياتهم لاسيما إذا كانت هذه المصادر تترجم شخصيات هامة وكبيرة ومعروفة على الصعيد الأدبي والثقافي والسياسي. فالورّاق علي بن محمد، جاء ذكره في سياق الحديث عن الجاحظ وأدبه. نقل عنه ياقوت الحموي[5]، «حدّث علي بن محمد الورّاق من كتاب الجاحظ إلى ابن الزيّات: لا والله ما عالج الناس داء

---

(١) معجم الأدباء ١٢/ ٢٢٣ الترجمة رقم ٥٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ١٤/ ٢٤٥.

(٥) المصدر السابق ١٦/ ١٧٧ في ترجمة الجاحظ.

قط أدوى من الغيظ، ولا رأيت شيئا هو أنفذ من شماتة الأعداء، ولا أعلم باباً أجمع لخصال المكروه من الذل»[1].

ومن هذه الإشارة يتضح أن ورّاقنا هذا هول أميل إلى الورّاقين الأدباء، فحفظ مثل هذا النص الأدبي ينبئ عن مكنون حافظه، ولكن المومى إليه لم يكن معروفاً سوى بمهنة الوراقة «النسخ» لذلك أهمل الكثير غيره، وكُنّا نتأمّل أن النديم وياقوتًا الحموي وابن أيبك الصفدي يُعرّجون على مثل هؤلاء المجهولين، نظراً لقرب الهَمّ الثقافي ولشراكة «الكار»، ولكن لم نعثر على شيء من ذلك.

الأعرابي الورّاق

هو أبومالك عمر بن كركرة، قال عنه النديم: أعرابي، كان يعلم في البادية، ويورق في الحضر، وكان مولى بني سعد، راوية أبي البيداء الرباحي، وكانت أمه تحت أبي البيداء، ويقال: إنه كان يحفظ اللغة كلها، وكان بصري المذهب[2].

قال عنه الجاحظ: كان أحد الطياب، يزعم أن الأغنياء عند الله أطيب من الفقراء، ويقول: إن فرعون عند الله أكرم من موسى، ويلتقم المحاد الممتنع ولا يورطه، وله من الكتب[3]:

١ ـ كتاب خلق الإنسان.

٢ ـ كتاب الخيل.

---

(١) راجع البقية في معجم الأدباء، نفس المكان.

(٢) الفهرست/ ص٦٦.

(٣) المصدر السابق.

الفاشوشة الكتبي

هو الشيخ الفاضل إبراهيم بن شمس الدين المعروف بالفاشوشة الكتبي[(١)].

واحدٌ من الذين اشتغلوا بالوراقة وعلوم العربية والآداب، ونال الشهرة فيها. لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، بل ذكرت تاريخ وفاته في سنة ٧٣٣هـ[(٢)].

أورد له ابن العماد الحنبلي بيتين من الشعرِ هما:[(٣)]

قد أتى سيّد الفواكه في ثو ... بِ نضارٍ والشهد منه يفور

يشبه العاشقَ المُتيَّم حالاً ... أصفر اللَّونِ قلبه مكسور

القمحدرة القرشي الوراق

هو كمال الدين أبوعلي الحسن، المعروف بالقمحدرة القرشي الوراق الناسخ[(٤)]. كتب الكثير لنفسه، وورّق الأكثر منه للناس، قتل سنة ٦٨٩هـ[(٥)].

الأسدي الوراق

هو أبوالحسن محمد بن عبدالله بن صالح[(٦)]. خرج من بغداد، وكان منقطعاً به، وخطه مليح صحيح[(٧)]، ولم يزد النديم على ذلك شيئاً.

النرسي الورّاق

هو محمد بن علي، كنيته أبوالغنائم النرسي، ويعرف بأُبَي الكوفي[(٨)] عُرِف عنه أنه كان يُورق للناس بالأجرة، مات سنة ٥١٠هـ[(٩)].

---

(١) شذرات الذهب ٦/١٠٤، وحبيب زيّات ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق، نفس المكان.

(٣) المصدر السابق.

(٤) هكذا ورد اسمه عند حبيب زيات/ الوراقة والوراقون في الإسلام/ ص٥.

(٥) المرجع السابق ص٦.

(٦) ورد النديم (ابن الحكيم والكتابة تأتي دائما بـ(أبو) وربما كان هذا تصحيفاً عن الناشر أو الوراق الذي نسخ الفهرست لذلك أثبتنا أبوالحسن).

(٧) الفهرست/ ص١٢٠.

(٨) حبيب زيات/ ص٦.

(٩) المرجع السابق/ص٦.

أبو هفان الوراق

هكذا ذكرته المصادر التي جاءت على ذكره «أبوهفان». وعلى ما يبدو أنه كان يجتمع إليه كبار الأدباء في العصر العباسي، وأن دكان وراقته كان مقصوداً من قبل هذه النخبة، لاسيما الجاحظ، وهو أمر يشير إلى تفرده بنسخ كتب الأدب أكثر من غيرها. وقد استشهد برأيه كثير من مؤرخي الأدب ورجالاته، فقد نقل عند النديم مايلي: قال أبوهفان: ثلاثة لم أر قط ولا سمعت أحبَّ إليهم من الكتب والعلوم: الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي[1]. ونقل ياقوت الحموي عن أبي حيان التوحيدي قوله: حدثنا ابن مقسم وقد طال ذكر الجاحظ لأبي هفان، فقيل له: لم لا تهجو الجاحظ وقد ندد بك وأخذ بمخنقك؟ فقال: أمثلي يخدع عن عقله. والله لو وضع رسالته في أرنبة أنفي لما أمست إلا بالصين شهرة، ولو قلت فيه ألف بيت، لما طن منها بيت في ألف سنة[2].

تلك هي المعلومات التي وصلتنا عن هذا الوراق، وهناك ترجمة عند الخطيب البغدادي باسم عبدالله بن أحمد بن حرب «أبوحفان المهزمي الشاعر»[3] ليس له صِلة بوراقنا المذكور، وقد أخذ عن ترجمة الخطيب كل من ياقوت الحموي[4] والزركلي[5].

* * *

(١) الفهرست/ ص١٦٩.

(٢) معجم الأدباء ١٦/ ٩٩ بترجمة الجاحظ.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٠ الترجمة رقم ٤٩٤٥.

(٤) معجم الأدباء ١٢/ ٥٤ الترجمة رقم ٢١.

(٥) الأعلام ٤/ ٦٥.

الفصــل السابع
وراقو العلماء والأدباء والوزراء

ابن صالح الوراق ـ وراق الجوهري

هو أبو إسحاق إبراهيم بن صالح الورّاق، تلميذ الجوهري. قال عنه ياقوت: عندما توفي إسماعيل بن حماد الجوهري، وكان قد صنف كتاب الصحاح، وبقي منه بقية الكتاب مُسودة غير منقحة، ولا مبيّضة، فبيضه أبوإسحاق إبراهيم بن صالح، فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً[1].

الساسي ـ وراق المبرد

هو إبراهيم بن محمد، ويعرف بالساسي. قال عنه النديم: كان من وراقي المبرد، ولم يزد على ذلك بشيء[2].

وراقا الطبري ـ المؤرخ المشهور (علي بن عمران وإبراهيم بن محمد)

ذكرهما ياقوت الحموي في ترجمة ـ محمد بن جرير الطبري ـ في سياق حديث عن إجازة الطبري لوراقيه، قال: وجدت على جزء من كتاب التفسير لابن جرير بخط الفرغاني ما ذكر فيه قطعة من تصانيف ابن جرير، فنقلته على صورته لذلك، وهو: «قد أجزت لك يا علي بن عمران وإبراهيم بن محمد ماسمعته من أبي جعفر الطبري ـ رحمه الله ـ من كتاب التفسير المسمى بجامع البيان عن تأويل القرآن»[3].

---

(١) معجم الأدباء ٦/١٥٦ـ ١٥٧ الترجمة رقم ٢٢.

(٢) الفهرست/ ص٨٩.

(٣) معجم الأدباء ١٨/٤٤ الترجمة رقم ١٧.

أحمد بن أحمد بن أخي الشافعي الوراق. وراق الجهشياري

ذكرت المصادر، أنه رجل من أهل الأدب[١] تفاخر بعض العلماء بخطه وهو يورق لهم، قال ياقوت: ورأيت خطه، وليس بجيد المنظر، لكنه مُتقن الضبط. ولم أر أحداً ذكر شيئاً من خبره، لكني وجدت خطه في آخر كتاب، وقد قال فيه: كتبه أحمد بن أحمد المعروف بابن أخي الشافعي، وراق ابن عبدوس الجهشياري[٢].

ابن أيوب الوراق

هو أحمد بن محمد بن أيوب، يكنى بأبي جعفر الوراق[٣]، اختصّ بالوراقة للوزير الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك.

أهملت المصادر تاريخ ولادته، وأشارت إلى تاريخ وفاته، حيث وافاه الأجل ببغداد في شهر ذي الحجة سنة ٢٢٨هـ[٤].

اشتغل في علوم الحديث وكتابة المغازي والسير، واختلفت الآراء فيه في كلا البابين ـ الحديث والسير ـ وربما كان ذلك حسدا وغيرة منه.

قال الخطيب البغدادي: ذكر أنه سمع معه إبراهيم بن سعد مغازي محمد ابن إسحاق، فأنكر ذلك يحيى بن معين عليه، وأساء القول فيه، إلاّ أن الناس حملوا المغازى عنه، وحدّث عن أبي بكر بن عياش. وكان أحمد بن حنبل جميل الرأي فيه، ومنه سمع ابنه عبدالله، وروى عنه حنبل بن إسحاق وأبوبكر ابن أبي خثيمة، ويعقوب بن شيبة، وأبوبكر بن أبي الدنيا، ومحمد بن يحيى المروزي وغيرهم[٥].

---

(١) معجم الأدباء ٢/ ١٣٧ الترجمة رقم ١٧ وحبيب زيات/ ص٣٨.

(٢) المصدر السابق ـ نفس المكان. وابن عبدوس هذا صاحب كتاب/ الوزراء والكتاب.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٩٣ الترجمة رقم ٢٢٨٦.

(٤) المصدر السابق ٤/ ٣٩٦.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٣٩٣ـ٣٩٤.

قادَ فريق المتحاملين عليه والطعن في صدق رواياته المحدّث يحيى بن معين، وهو واحد من أئمة الحفاظ الكبار في بغداد[1]، وله سطوة على كبار المحدثين من الحنابلة وغيرهم، وربما كان هناك عداء شخصي بينه وبين هذا الوراق، انعكس على سمعة الأخير، مع العلم أن الفريق الثاني الذي أنصف ابن أيوب الوراق بقيادة إبراهيم الحربي لا يقل شأناً عن الفريق الأول، وسوف نتطرق إلى ذلك في سياق الترجمة.

ينقل الخطيب البغدادي ـ وبشكل محايد ـ آراء الفريقين في ابن أيوب الوراق، على النحو التالي: عن بكر بن سهل، حدّثنا عبدالخالق بن منصور، قال: سألت يحيى بن معين عن صاحب المغازي، فقال: ما سمعها الفضل بن يحيى من إبراهيم وهو غير ثقة. وقال ـ إن كان صاحب المغازي سمعها من إبراهيم، فقد سمعتها أنا من ابن إسحاق[2].

ومن هذه العبارة يتضح الاختلاف بين ابن معين وابن أيوب الوراق؛ لأن كليهما قد سمع الرواية (المغازي)، ولكن الناس كانوا قد أخذوها ونسخوها عن ابن أيوب، وعن طريقه نشرت، وربما كان هذا السبب الرئيس للبغضاء بين الرجلين، علماً أن سمعة يحيى بن معين أكبر بكثير من سمعة ابن أيوب الوراق بما لا يقاس، وهذا مجرد افتراض للسبب.

تصاعدت شحنة الطعن ضد ابن أيوب الورّاق من قبل هذا الفريق، فقد حدّث إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد، قال: سئل يحيى بن معين ـ وأنا أسمع ـ عن أحمد بن محمد بن أيوب صاحب ـ مغازي إبراهيم بن سعد ـ فقال: «كذّاب ماسمع هذه الكتب قط»[3]. وقال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة:

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ٧١ـ٩٦ الترجمة رقم ٢٨.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٣٩٤.

(٣) المصدر السابق.

قال جدي: ليس من أصحاب الحديث، ولا يعرفه أحد بالطلب، وإنما كان وراقاً، فذكر أنه نسخ كتاب المغازي الذي رواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق لبعض البرامكة، وأنه أمره أن يأتي إبراهيم بن سعد فيصححها، فزعم أن إبراهيم بن سعد قرأها عليه وصححها، وقد ذكر أنه سمعها من الفضل بن يحيى بن خالد من إبراهيم بن سعد، وأنه هو الذي كان يلي تصحيحها، فسئل عنه علي بن المديني وأحمد، فلم يعرفاه، وقالا: لا يسأل عنه، فإن كان لا بأس به حمل عنه. وسئل عنه يحيى بن معين فطعن في صدقه، وأنكر أن إبراهيم بن سعد لم يقرأ هذا الكتاب على الفضل بن يحيى، وأنه قد كان نسخ له، فلم يسمعه ولم يقرأه إبراهيم بن سعد إلاّ على ولد نفسه، وكان يحيى يحكي هذا الكلام عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد[1].

وقال الخطيب: وسمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول: أتيت أحمد بن أيوب وأنا أريد أن أسمعها منه ـ يعني المغازي ـ فقلت له: كيف أخذتها، سماعاً أو عرضاً؟ فقال لي: سمعتها، فاستحلفته، فحلف لي، فسمعتها منه، ثم رأيت أشياء اطلعت منه فيها على أشياء فيما ادعى، فتركتها، فلست أحدّث عنه شيئاً[2].

يعلق الخطيب البغدادي على هذا الجدل الدائر حول رواية ابن أيوب الوراق للمغازي، فيقول: أخبرني محمد بن محمد بن علي الوراق عن إبراهيم ابن هاشم بن مشكان، قال: قلت ليعقوب بن إبراهيم بن سعد: كيف سمعت المغازي؟ قال: قرأها أبي عليّ وعلى أخي، وقال: يا بني ما قرأتها على أحد.

وبتقديرنا أن العبارة الأخيرة تحتمل التأويل والشك، حيث إن مغزاها يريد التكذيب على الوراق ابن أيوب، وقد استدرك الخطيب البغدادي بعض

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٤٩٤.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٩٤ـ٤٩٥.

هذا الشك، فقال: قلت: يحتمل أن يكون إبراهيم قرأها لولديه قديما وقال هذا القول، ثم قرأها آخراً فسمعها منه ابن أيوب[١].

ويضيف على ذلك خبراً مفاده أن أحمد بن زهير قال: سمعت يحيى بن معين ـ سئل عن صاحب مغازي إبراهيم بن سعد ـ يعني أحمد بن أيوب، فقال: قال لنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد: كان أبي كتب نسخة ليحيى البرمكي، فلم يقدر يسمعها[٢] وهنا يكون الخطيب قد أظهر لنا حالة من التناقض بين روايتين، لكنه لم يحكم عليهما، نتيجة موضوعيته المشهور بها، ومن يدقق النظر في ذلك يشم رائحة العداء والتحامل على هذا الوراق.

ثم إن الخطيب يستدرك أمرًا على الروايتين، فيقول: قلت غير ممتنع أن يكون ابن أيوب صحح النسخة، وسمع بها من إبراهيم بن سعد ولم يقدر ليحيى البرمكي سماعها، والله أعلم[٣]. وهنا وضوح الأمر.

أما الفريق الثاني والذي أنصف ابن أيوب الوراق، فكان على رأسه المحدّث الكبير إبراهيم الحربي، فقد ذكر الخطيب البغدادي أن أبا أيوب سليمان ابن إسحاق الجلاب قال: سئل إبراهيم الحربي عن أحمد بن أيوب، فقال: كان وراق الفضل بن الربيع، ثقة، لو قيل له: اكذب، ما أَحسنَ أن يكذب[٤]. وروى العتيقي عن عبدالله بن أحمد، قال: سمعت أبي ـ وسئل عن كامل بن طلحة وأحمد بن محمد بن أيوب، فقال: ما أعلم أحداً يدفعهما بحجة[٥].

---

(١) تاريخ بغداد.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق ٤/ ٣٩٥.
(٥) المصدر السابق.

إسحاق بن الجنيد البزاز البصري الوراق اللغوي

هكذا جاء اسمه عند القفطي[١]. وقال عنه السيوطي: كان وراقاً لابن دريد[٢]. وعده الزبيدي في الطبقة السابعة من علماء البصرة في النحو، وأدرجه ضمن قائمة أصحاب ابن دريد، وقال عنه: وراقة[٣]. ولم تزد تلك المصادر على ذلك شيئاً.

ابن الزجاجي وراق المبرد

هو إسماعيل بن أحمد، لم يتطرق ابن النديم إلى تفاصيل حياته، بل ذكر فقط أنه من وراقي المبرد[٤].

ابن أبي ثابت الكوفي وراق أبي عبيد

ورد اسمان بهذا الرسم؛ الأول اسمه: ثابت بن أبي ثابت، واسم أبي ثابت سعيد، قال النديم: ومن خط السكري اسم أبي ثابت محمد[٥]. وأضاف النديم: لغوي، لقي فصحاء الأعراب، وأخذ عنهم. وهو من كبار الكوفيين، توفي وله من الكتب:

١ ـ كتاب خلق الإنسان.
٢ ـ كتاب الفروق.
٣ ـ كتاب الزجر والدعاء.
٤ ـ كتاب خلق الفرس.
٥ ـ كتاب أبي نواس.
٦ ـ كتاب مختصر العربية[٦].

---

(١) إنباه الرواة ١/ ٢٢٠ الترجمة رقم ١٣٩.

(٢) بغية الوعاة/ ص١٩١.

(٣) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي/ ٢٠٢.

(٤) الفهرست/ ص٨٩.

(٥) المصدر السابق ص١٠٤.

(٦) المصدر السابق ـ نفس المكان.

ونقل ياقوت الحموي هذه الترجمة كاملة، مع إضافة على اسم أبيه ـ ابن علي بن عبدالله الكوفي. قال الزبيدي، كان من أجمل أصحاب أبي عبيد القاسم بن سلام[1]. وكذلك نقل السيوطي هذه الترجمة عن ياقوت.

الاسم الثاني هو: ثابت بن أبي ثابت، عبدالعزيز اللغوي[2]، ذكر ياقوت الحموي جملة في بدء الترجمة تفيد بأنه الاسم الأول، حيث قال: «الذي له خلق الإنسان» من علماء اللغة. يروي عن أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم، واللحياني، وأبي نصر أحمد بن حاتم، وسلمة بن عاصم التميمي، وأبي عبدالله محمد بن زياد وآخرين. روى عنه أبوالفوارس داود بن محمد بن صالح المروزي النحوي المعروف بصاحب ابن السكيت، وابنه عبدالعزيز بن ثابت، واسم أبي ثابت أبيه، عبدالعزيز. وأضاف: من أهل العراق، جليل القدر، موثوق به، مقبول القول في اللغة، يعرف بوراق أبي عبيد[3]. وكذلك نقل السيوطي هذه الترجمة كاملة تقريبا[4].

وراقو الكندي الفيلسوف

هم جملة من الوراقين والتلاميذ. ذكرهم النديم على النحو التالي: حسنويه، ونفطويه، وسلمويه، وآخر على هذا الوزن. ومن تلامذته أحمد بن الطيب[5].

وقد ترجمنا لهم سوية نظراً لعدم توفر المعلومات الكافية عن كل واحد منهم، إضافة إلى كونهم اختصوا بالكندي.

---

(١) معجم الأدباء ٧/ ١٤٠ـ١٤١ الترجمة رقم ٣٠.

(٢) بغية الوعاة/ ص ٢١٠.

(٣) معجم الأدباء ٧/ ١٤١ـ١٤٢.

(٤) بغية الوعاة/ ص ٢١٠.

(٥) الفهرست/ ص٣٦٥.

حوار الوراق المكنى بأبي عبدالله وراق داود الأصبهاني

ذكره الخطيب البغدادي في ترجمة داود بن علي بن خلف ـ الفقيه الظاهري[1] في سياق نادرة، قال: حدثني الأزهري، حدثنا محمد بن حميد اللخمي، حدثنا القاضي ابن كامل ـ إملاء ـ قال: حدثني أبوعبدالله الوراق المعروف بحوار، قال: كنت أورق على داود الأصبهاني، وكنت عنده يوماً في دهليزه مع جماعة من الغرباء، فسئل عن القرآن، فقال: القرآن الذي قال الله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، وقال: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٨] غير مخلوق، وأما الذي بين أظهرنا، يمسه الحائض والجنب فهو مخلوق، قال القاضي: هذا مذهب يذهب إليه الناشئ المتكلم[2].

رَفيع ورّاق المُبرّد

هو رفيع بن سلمه، بن مسلم بن رفيع العبدي كنيتهُ أبوغسان، ويُعرف بـ«رَماد»[3]. كان من أصحاب المبرد وتلاميذه، وكان يُورّق لَهُ كتبه وروى عنه، وأخذ منه الأنساب والأخبار والمآثر.

زكريا بن يحيى وراق الجاحظ

لصق اسمه باسم شيخه الجاحظ وغطت شهرة الشيخ عليه، ولم يترجم له، وتناسته المصادر التي ترجمت للجاحظ، سوى أن ياقوتاً الحموي عرج عليه في سياق ذكر مؤلفات الجاحظ، وقال على لسان النديم: ورأيت أنا هذين الكتابين ـ يقصد كتاب النساء وكتاب النعل ـ بخط زكريا بن يحيى وراق الجاحظ والمكنى أبا يحيى[4].

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٦٩ الترجمة رقم ٤٤٧٣

(٢) المصدر السابق ٨/ ٣٧٤.

(٣) ابن النديم ـ الفهرست/ ص٨١.

(٤) معجم الأدباء ١٦/ ١٠٦ ترجمة الجاحظ.

وهناك خبر آخر أورده القالي في الأمالي قال فيه ما يلي: وقرأت على أبي بكر بن دريد لليلى الأخيلية وقال لي: كان الأصمعي يرويها لحميد بن ثور الهلالي، قال أبوعلي: فكذا وجدته بخط ابن زكريا وراق الجاحظ في شعر حميد[1].

يا أيها السدم الملوّي رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما

وهذا الخبر، مرّج عليه عبدالسلام هارون في مقدمته لكتاب الحيوان للجاحظ[2]، ولم نعثر على مصادر أو أخبار أخرى ذكرت هذا الوراق.

وراقا الفرّاء سلمة وأبونصر

ذكرهما الخطيب البغدادي في معرض حديثه عن دخول الفرّاء على المأمون، وساق الخبر على النحو التالي: وصير له ـ يقصد المأمون ـ الوراقين، وألزمه الأمناء المنفقين، فكان يُملي الفرّاء والوراقون يكتبون حتى صنف الحدود في سنين، وأمر المأمون بكتبه في الخزائن، وبعد أن فرغ من ذلك، خرج إلى الناس، وابتدأ يملي كتاب المعاني، وكان وراقه سلمة وأبونصر[3].

ولم يذكر عنهما شيئاً آخر قط.

عبدالوهاب بن عيسى وراق الجاحظ

هذا الوراق أشهر من صاحبه ـ زكريا بن يحيى ـ والذي زامله في الوراقه للجاحظ، فقد أفرد له الخطيب البغدادي ترجمة قصيرة[4]. وذكره الزبيدي في تاج العروس[5]، كما ذكره محقق الحيوان[6].

---

(١) أمالي القالي ١/٢٤٨ طبعة دار الكتب المصرية الثانية ـ القاهرة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م وانظر بقية القصيدة هناك.

(٢) الحيوان ١/١٢ـ١٣ من المقدمة طبعة البابي الحلبي ـ ط٢.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ١٥٠ ترجمة الفراء رقم ٧٤٦٧.

(٤) انظرها في تاريخ بغداد ١١/٢٨ـ٢٩ الترجمة رقم ٥٦٩٥.

(٥) انظر ـ التاج ـ مادة حُبيٍّ ـ فصل الحاء من باب الواو والباء.

(٦) عبدالسلام هارون ـ الحيوان ١/١٣ المقدمة.

عَرَّفَهُ الخطيب بقوله: عبدالوهاب بن عيسى بن عبدالوهاب بن أبي حية، أبوالقاسم وراق الجاحظ(١)، وعده في طبقة المحدثين، فسمع إسحاق بن إسرائيل، ومحمد بن معاوية بن مالج، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، ومحمد ابن شجاع الثلجي، ويعقوب بن شيبة السدوسي. روى عنه أبوعمر بن حيوة، والدارقطني، وابن شاهين وأبوحفص الكتابي. وكان صدوقاً في روايته، ويذهب إلى الوقف في القرآن، وعُدَّ من الثقاة(٢).

لم يذكر أي من المصادر تاريخ ولادته، بل ذكر تاريخ وفاته، حيث قالوا: إنه مات في شعبان سنة تسع عشرة وثلاثمائة(٣).

الدريدي وراق ابن دريد

هو علي بن أحمد الدريدي، يكنى أبا الحسن. والدريدي لقب أُلحِقَ بهِ بعد طول مصاحبته لأبي بكر بن دريد، حيث كان وراقاً له وأكثر من صحبته حتى عرف به كما يقول القفطي(٤).

أصله من فارس. عُدَّ من الطبقه السابعة من علماء البصرة في اللغة والنحو(٥)، وإليه صارت كُتُب ابن دريد بعد وفاته بناء على وصية منه(٦).

لم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ ولادته أو تاريخ وفاته، كما أنها أحجمت عن ذكر نشاطاته العلمية ومؤلفاته فيها، فشخص كهذا تتلمذ على يد

(١) تاريخ بغداد ١١/٢٨.

(٢) المصدر السابق ١١/٢٩.

(٣) المصدر السابق، نفس المكان.

(٤) إنباه الرواة ٢/٢٢٢.

(٥) أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي/ طبقات النحويين واللغويين/ ص٢٠٢ والسيوطي ـ بغية الوعاة/ ص٢٢٨ الأولى سنة ١٣٢٦هـ.

(٦) إنباه الرواة ٢/٢٢٢ـ الترجمة رقم ٤٢٨ـ ومعجم الأدباء ١٢/٢٢٣.

ابن دريد وعد من طبقة إسحق بن الجنيد وأبي سعيد السيرافي وأبي علي القالي البغدادي[١] . إضافة إلى كـونه ورّاقاً، من المحتمل جداً أن تـكون له مصنفات في اللغة والنحـو، وأن تكون له مجـالس إملاء، قد أملاهـا على طلاب اللغة والنحو، فليس اعتباطاً أن يوصي ابن دريد بعائدية كتبه له، لولا أنه تلمس فيه شيئاً من النباهة والمعرفة، ولكن المظان التي اطلعنا عليها لم ترو ضمناً ما نريد.

ابن الليث الوراق

هو علي بن أحمـد بن اللّيث، وراق ابن مخلد[٢]، ذكر ابن الثلاّج أنه حدّثه عن إبراهيم بن الهيثم البلدي[٣]. ولم يزد الخطيب في ترجمته.

أبوذكوان وراق المبرد

هو القاسم بن إسماعيل، كنيته أبوذكوان، من وراقي المبرد المعدودين[٤]. كان من أبرز تلاميذ المبرد، فقد نقل النديم عن أبي سعيد أن جماعة نظرت في كتـاب سيبويه في عصـره، ولم يكن لهم كتب «هتّة» يعني المبـرد ـ مثل أبي ذكوان، فقد كان عَلاّمة عصره نحوياً إخبارياً، ألف الكتب والنادرة منها: كتاب معاني الشعر وغيره[٥].

أبو نصر الوراق

هو القاسم بن عـبدالوارث، كنيتـه أبونصر الوراق[٦]. لزم الوراقه طوال حياته واختـص بالتوريق لأحمد الدورقي، وفي علوم الحديث أكثـر من غيرها

---

(١) طبقات الزبيدي ص ٢٠٢.

(٢) تاريخ بغداد ١١/٣٢١ الترجمة رقم ٦١٣١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الفهرست/ ص٨٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تاريخ بغداد ١٢/٤٣٩ الترجمة رقم ٦٩٠٤.

في بقية العلوم.

عرفته بغداد محدثاً ووراقاً، وبها عاش وتوفي سنة٢١٤هـ، حدّث بها عن أبي الربيع الزهراني، وعمر بن علي الباهلي. وروى عنه محمد بن مخلد والطبراني(١).

ورد اسمه في سند الحديث المروي عن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة العشاء في جماعة تعدل بقيام ليلة، وصلاة الفجر في جماعة تعدل بقيام ليلة»(٢).

محمد بن أبي حاتم وراق البخاري

ذكره الخطيب البغدادي في ترجمة محمد بن إسماعيل البخاري(٣)، ونقل عنه الخبر التالي: أخبرنا محمد بن أبي حاتم وراق البخاري، قال: سمعت البخاري يقول: لو نشر بعض إسنادي هؤلاء لم يفهموا كيف صنّفت كتاب التاريخ ولا عرفوه(٤).

الأحول الورّاق (*)

هو أبوالعباس محمد بن الحسن بن دينار الأحول، اهتمت مصادر ترجمته بعلمه وفنّه، وأهملت تاريخ ميلاده ووفاته.

توسّع ياقوت بعض الشيء في ترجمته، وقال عنه: كان غزير العلم، واسع الفهم، جيّد الدراية، حسن الرواية، روى عنه أبوعبدالله محمد بن

---

(١) تاريخ بغداد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤ الترجمة رقم ٤٢٤.

(٤) المصدر السابق٢/ ٧ وراجع حبيب زيات/ ص٣٨.

(*) الفهرست/ ١١٧ ـ معجم الأدباء ١٨/ ١٢٥ ـ إنباه الرواة ٣/ ٩١ ـ بغية الوعاة ص ٣٣.

العباس اليزيدي، وقرأ عليه ديوان عمر بن الأهتم في سنة خمسين ومائتين[1]، وبهـذه الإشـارة يكـون الأحـول الـورّاق ممّن يحق لهـم إعطاء «الإجـازة» للورّاقين[2].

غلبت صفة الأحول عليه، وبها عرف ككناية له، وامتاز بنزعة «أرشيفية»، فقد تصدّى لمتابعة ١٢٠ شاعراً، وجـمع الكثير من شعرهم، وقال عنه نفطويه ـ النحوي المعـروف ـ جمع أبوالعبـاس الأحول أشعار مـائة وعشرين شـاعراً، وعملت أنا خمسين شاعراً[3].

وهذه النزعة ترجّح الميل لديـه نحو الأدب، رغم ماتصفـه به المصادر من أنه كـان عالماً بالعـربية، وعـدّ من أئمتـها[4]، وعدّه الزبيـدي في طبقـة المبرد وثعلب[5].

اتخـذ من الوراقـة مهنة لـه، واختص بالتـوريق لحنين بن إسـحـاق في منقولاته لعلوم الأوائل[6]، وكان عاثر الحظ ومحدوداً بين الناس، ولكن نباهته جعلتـه واحداً من أعلام اللغـة والأدب، فقد اسـتفاد من مـهنة الوراقة، وراح يجـمع العلوم بدفاتر خـاصة به، ثم كـان ينفرد مع ذاته ويؤلـف ما يراه أفـيد للناس، وقد ذكرت المصادر[7] بأنه ألّف المصنفات التالية:

١ ـ كتاب الدواهي.

---

(١) معجم الأدباء ١٨/ ١٢٥.

(٢) راجع باب/ منهج الوراقة/ من كتابنا هذا.

(٣) معجم الأدباء ١٨/ ١٢٥ ـ وبغية الوعاة ص ٣٣.

(٤) بغية الوعاة/ ص٣٣ ـ وإنباه الرواة ٣/ ٩١ ـ والفهرست/ ص١١٧.

(٥) معجم الأدباء ١٨/ ١٢٥ وبغية الوعاة/ ص٣٣.

(٦) معجم الأدباء ١٨/ ١٢٥ـ وإنباه الرواة ٣/ ٩١.

(٧) الفهرست/ ص١١٧ـ معجم الأدباء ١٨/ ١٢٦ ـ إنباه الرواة ٣/ ٩٢ ـ بغية الوعاة/ ص ٣٣.

٢ ـ كتاب السلاح.

٣ ـ كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه.

٤ ـ كتاب فعل وأفعل.

٥ ـ كتاب الأشباه.

٦ ـ جمع لديوان ذي الرمّة.

٧ ـ جمع شعر ١٢٠ شاعراً من شعراء العرب.

تفاكه مع العلماء والأدباء في مجالسهم، وتطارح معهم النادرة والمعرفة، قال علي بن سليمان الأخفش: حدّثني محمد بن الحسن الأحول، قال: اجتمعنا مع أبي العباس ثعلب في بيته، وحضر ابن بوكران، وهو رجل من أهل الأدب، فقال بعض أصحابنا: عرّفوني ألقابكم!

فقال ثعلب: أنا ثعلب. وقال الآخر: أنا كذا، والآخر: أنا كذا، فلما بلغوا إليّ قالوا: وأنت ما لقبك؟ فقلت: منعت العاهة من اللّقب[1].

وفي علوم اللغة العربية، حدثت له هذه المحاورة: حدّث المرزباني عن نفطويه، قال: كان أبوالعباس الأحول يقول: «لمْ يزالوا» وكذا ردّ علي، فقلت له «لم يزالوا» أراد أنه كان لحّاناً[2].

بخست أثمان وراقته، وهذا من المعاناة التي كان يشكو منها الوراقون، فلقد ذكر أبوعبدالله اليزيدي أن الأحول كان يكتب له مائة ورقة بعشرين درهماً[3].

---

(١) معجم الأدباء ١٨/١٢٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

ابن قتيبة الوراق

هو منصور بن محمد بن قتيبة بن معمر، كنيته أبونصر[١]. تفقّه بعلوم الحديث واختص بوراقته ولازم الفقيه أبا نور حتى عرف بأنه ورّاقه[٢].

لم يذكر الخطيب البغدادي تاريخ ولادته ووفاته.

حدّث في بغداد عن أحمد بن حنبل، وداود بن رشيد، روى عنه عبدالله ابن عدي الجرجاني وغيره[٣].

وقد سمع منه شيوخ الحديث في بغداد وجرجان[٤].

* * *

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٨٣ الترجمة رقم ٧٠٥٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

الفصل الثامن
الورّاقون الدلالون

الدلال السمرقندي

هو إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث أبوالقاسم السمرقندي.

ولد بدمشق سنة ٤٥٤هـ، وتوفي سنة ٥٣٦هـ[١]. ورغم ولادته ونشأته في دمشق، إلاّ أنه شد الرحال إلى بغداد، وأنس بأهلها، واشتغل في سوق الوراقين دلالاً للكتب[٢]، وعلى ما يبدو أن الرجل كان من علماء الحديث، فقد سبق له أن سمع الحديث عن شيوخ دمشق ثم شيوخ بغداد، واستقر به المقام هناك حتى دفن بها بعد موته. يقول عنه ابن الجوزي: كان دلالاً في بيع الكتب، فدار على يده حديث بغداد بأشياخ، فادخر للأصول، وسمع منه الشيوخ والحفاظ، وكان له يقظة ومعرفة بالحديث، وأملى بجامع المنصور زيادة على ثلثمائة مجلس.

ويضيف ابن الجوزي: «وسمعت منه الكثير بقراءة شيخنا أبي الفضل بن ناصر وأبي العلاء الهمذاني وغيرهم»[٣]. وعندما وافته المنية ببغداد ليلة الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة دفنه أهلها في مقابر الشهداء[٤].

---

(١) ابن الجوزي ـ المنتظم ٩٨/١٠.

(٢) المصدر السابق ـ وكوركيس عواد/ خزائن الكتب القديمة في العراق/ ص ٢٤.

(٣) المنتظم ٩٨/١٠.

(٤) المصدر السابق.

خَيران الورّاق

لم تتحدث عنه المصادر التي تناولت الأدباء والشعراء، والعلماء والفقهاء، وهو كغيره من عـامة الوراقين، الذين ينتمون ـ طبقياً ـ إلى القـاع الاجتماعي، فلم يتوقف عنده أحد، وجاء ذكره في سـياق حادثة بيع مكتبة «ثعلب»، ولولا ذلك ما ذكر، فقـد ذكر ياقوت الحموي أن أحمد بن يحـيى أباالعباس (ثعلب) أوصى إلى علي بن محمـد الكوفي، أحد أعيان تلاميـذه، وتقدم إليه في دفع كتبه إلى أبي بكر أحمد بن إسحاق القَطربليِّ، فقال الزجاج للقاسم بن عبيدالله (الوزير): هذه كتب جليلة، فلا تفوتنَّك، فأحضر خيران الوراق، فقوّم ما كان يُساوي عـشرة دنانيـر ثلاثةً، فبلغت أقل من ثلاثمـائة دينار، فأخـذها القاسمُ بها[1]. وبتقديرنا أن هناك حالة تواطؤ بين الوزير والوراق على هذه العملية.

أبوالمعالي الحظيري الدلال

هو أبوالمعـالي سعد بن علي بن الـقاسم بن علي بن القـاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الحظيري، المعروف بدلاّل الكتب[2].

ينسب إلى موضع فوق بغداد يقال له «الحظيرة»[3]، ولكنه سكن بغداد، وعرف بهـا بـ«دلاّل الكتب»، حتى إن الوهراني يذكـره بأول «منامة» له، وهو يدخل بغداد[4] نتيجة سمعته المعروفة في دلالة الكتب.

توفي ببغداد يوم الإثنين ١٥صفر سنة ٥٦٨هـ ودفن بمقبرة باب حرب[5].

---

(١) معجم الأدباء ٥/١٢٧. وانظر حبيب زيات/ الوراقة والوراقون ـ ص ٣٦ وقد نقل الخبر نفسه.

(٢) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان٢/٣٦٦ الترجمة رقم ٢٥٩ ومعجم الأدباء ١١/١٩٤ الترجمة رقم ٥٩ ـ وحبيب زيات/ الوراقة والوراقون في الإسلام/ ص٣٦.

(٣) عبدالقادر بن عمر البغدادي ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ طبعة بولاق ١٢٩٩/٣/١١٩.

(٤) منامات الوهراني ـ المنامة الاولى/ ص١.

(٥) وفيات الأعيان ٢/٣٦٨ ـ ومعجم الأدباء ١١/١٩٦ ـ وخزانة الأدب ٣/١١٨ ـ وزيات/ ص ٣٦.

عشق مهنة الوراقة من خلال عشـقه للأدب والأدباء، فقد ذكرت المصادر أنه كان أديبـاً فاضلاً، شاعـراً رقيق الشعـر، إضافة إلى سـعة معارفـة الأدبية الأخرى، ألّف مجاميع، ما قصر فيها، كما يقول ابن خلكان، منها[1]:

١ ـ كتاب زينة الدهر، وعصرة أهل العصر في ذكر لطائف شعراء العصر ـ ذيّله على «دُمية القصر» للباخرزي، الذي جعله ذيلاً على «يتيمة الدهر» للثعالبي.

٢ ـ كتاب لمح الملح.

٣ ـ ديوان شعر.

وفي «زينة الدهر» جمع طائـفة كبيـرة من أهل عصره ومن تقـدمهم، وأورد لكل واحد طرفاً من أحواله وشيئاً من شعره، وقد ذكره العمـاد الأصبهاني الكاتب في الخريدة، وأنشد له عدة مقاطع، وكان مُطَّلِعاً على أشعار الناس وأحوالهم[2].

كل المصادر التي ترجمت له، ذكرت له مقاطع شعرية جميلة، منها[3]:

اشـرب على طـرب من كفّ ذي طرب	قد قـام في طرب يسعى إلى طرب
من خندريس كـعين الدّيك صافـية	مما تخيّـرها كـسـرى من العنب
فالراح من ذهب والكأس من ذهب	يامن رأى ذهبـاً يسـقى على ذهب

وقال:

ومـعـذر في خـدّه	ورد وفي فـمـه مـدام
مـا لان لي حـتى تغـشّـ	ـى صـبح طلعتـه ظلام[4]
كـالمهـر يـجـمع تحت را	كـبـه ويعطـفـه اللجّـام

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٣٦٦ ـ ومعجم الأدباء ١١/١٩٥.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٣٦٦ وراجع «فريدة القصر» قسم شعراء العراق ـ في أكثر من جزء.

(٣) معجم الأدباء ١١/١٩٦.

(٤) جـاءت عند ابن خلكان البـغدادي «صـبح سالفـه الظلام»، ومـا أثبتناه من ياقـوت ـ معجم الأدباء ١١/١٩٦.

وقال أيضاً:

وددت من الشوق المبرّح أنني أعار جناحَيْ طائر فأطير
فما لنعيم لست فيه لذاذة ولا لسرور لست فيه سرور(١)

وقال أيضاً:

قل لمن عاب شامة لحبيبي دون فيه دع الملامة فيه
إنما الشامة التي قلت عنها فصّ فيروز بخاتم فيه(٢)

وأورد له البغدادي هذه الأبيات(٣):

أحدقت ظلمة العذار بخدّيـ ـه فزادت في حبه حسراتي
قلت ماء الحياة في فمه العذ ب، دعوني أخوض في الظلمات

فيما أورد له ابن خلكان هذه الطائفة(٤):

لئن قيل أبدع في شبهة ولم يكن معناه لفظاً سليما
فمن عنب الكرم يجنى السلاف وإن لم يكن غصنها مستقيما

وله أيضاً:

لما حنى الشيب ظهري صحت واحربا دنا أوان فراق الروح والجسد
أما ترى القوس أحنى ظهرها فدنى ترحل السهم عنها وهي في الكبد

واختار ابن خلكان من شعره الوارد في كتابه زينة الدهر هذه الأبيات(٥):

هذا كتاب قد غدا روضة ونزهة للقلب والعين
جعلت من شعري له عوذة خوفاً وإشفاقاً من العين

---

(١) معجم الأدباء ١١/١٩٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) خزانة الأدب ٣/١١٨.
(٤) وفيات الأعيان ٢/٣٦٦.
(٥) المصدر السابق ٢/٣٦٨.

وله أيضاً:

مـدّ على مـاء الـشبـاب الذي ... في خـدّه جسـر من الشَّعـرِ
صـار طريقـاً لي إلى سلـوتي ... وكنت فـيـه مـوثـق الأسـرِ

وله من الشعر الرقيق:

شكوت هوى من شفّ قلبي بعـده ... توقّـد نار ليس يـطفي سـعـيـرها
فـقـال بعـادي عنك أكـثـر راحـة ... ولولا بعـاد الشـمس أحـرق نورها

وله أيضاً في الغزل:

ومهـفهف شبـهته شـمس الضحى ... في حـسن بهجـتهـا وبعد مكانهـا
قـد زاده نقـش العـذار محـبّـة ... نقش الفـصوص يزيـد في أثمانهـا

وتشبّب، فقال:

ومسـتحسن أصبـحت أهذي بذكره ... وأمسيت في شغل من الوصـل شاغل
وعـارضني من سـحر عـينيـه جنة ... فـقـيـدني من صـدغـه بسـلاسل

* * *

الفصل التاسع
الورّاقون القضاة

القاضي ابن حرب الورّاق

هو عليّ بن الحسين بن حرب، ويقال له: حربويه، ابن عيسى البغدادي[1] كان من فقهاء الشافعية، من أهل المائة الرابعة، يكنّى أبا عُبيد، ويقال له: ابن حربويه وهو بها أشهر.

ولد سنة ٢١٢هـ، وتوفي في بغداد سنة ٣١٩هـ، وسمع الكثير من ابن أبي الأشعث العجلي، وأحمد بن المقدام البصري العجلي، وحفص بن عمر الربالي، والحسن بن محمد الزعفراني، والحسن بن عرفة، وزهير بن أحزم الطائي، وابن السكين زكريا بن يحيى، ويوسف بن موسى القطان، وحسين بن أبي يزيد الدبّاغ[2].

تفقّه على داود بن علي، ثم تفقّه على مذهب أبي ثور صاحب الشافعي، وقرأ الكلام على أبي محمد العباسي[3].

حكى ابن زولاق عن ابن الحداد، قال: قلت لأبي عبيد: هل سمعت من يعقوب بن إبراهيم الدّورقي؟ قال: لا، منعني أبي من سماع الحديث قبل أن أستظهر القرآن حفظاً، فلما حفظته قال لي: خذ المحفظة واذهب إلى

---

(١) الكندي/ كتاب الولاة وكتاب القضاة/ ص ٥٢٢ وص٥٣١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر.

يعقوب بن إبراهيم الدورقي فاكتب عنه، فتوجهت، فإذا الناس يقولون: «مات يعقوب الدورقي»، وسمع من الزعفراني كتاب الحجة للشافعي، وحدّث به عنه[1].

وسئل عنه الدارقطني فقال: كان فاضلاً جليلاً، حدّث عنه أبو عبدالرحمن النسائي، ومات قبله[2].

ذكر ابن زولاق أن له تصنيفاً في إثبات القياس والرد على منكريه، وكتاب الكنى، وقال: إن النسائي سمع منه سنة ٣٠٠هـ بعد أن قدم أبوعبيد مصر[3].

عرف عنه أنه كان فقيهاً عالماً بالاختلافات، فصيحاً عاقلاً، عفيفاً، منقبضاً، قوّالاً بالحق، وكان من أهل الستر، وأبوه كان من شهود إسماعيل القاضي[4].

قال أبوسعيد بن يونس: قدم ابن حربويه مصر قاضياً بعد صرف ابن عبيد محمد بن عبده في يوم الاثنين لليلتين من شعبان، ويقال: لليلتين بقيتا من صفر سنة ٢٩٣هـ[5].

مسيرته إلى مصر من بغداد:

قال بعض شيوخ الرملة: قدم علينا أبوعبيد متوجهاً إلى قضاء مصر، فصادف ابن الخليج، وكان جماعة من أهل العلم ينقطعون إليه، فكلموه في أن يسلّم على أحمد بن محمد بن بسطام ـ عامل الشام ـ وكان عظيم الرياسة يقوم

---

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة.

(٢) المصدر السابق ص٥٢٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ص٥٢٤.

(٥) المصدر السابق.

عن يمينه وعن شماله نحو مائة حاجب، فقال أبوعبيد: ما لي عنده حاجة، فقالوا له: إن محمد بن العباس الجمحي ـ قاضي الرملة ـ يركب إليه في كل يوم، فلم يزالوا به حتى ركبَ إليه متخففاً، دخل إليه في هيئة بذّة، ولم يكن وجهه حسناً، بل كان كثير الجدري، فرأى الجمحي جالساً على يمين ابن بسطام في هيئة حسنة، فسلّم أبوعبيد وجلس عن يساره، وابن بسام يكتب في رقعة، فلم يزد ابن بسطام أباعبيد على قوله: «وعليكم السلام»، بل استمر في كتابته، فجلس أبوعبيد جلسة خفيفة، ثم نهض، فقال ابن بسطام للجمحي: من هذا؟ قال: هذا قاضي مصر، فقال ابن بسطام: والله مايدري هذا أيش تولّى، ولا يدري من ولاّه أيش ولاّه، فبلغ ذلك أباعبيد، فعاد في يوم آخر إلى مجلس ابن بسطام، فلما دخل وجد ابن بسطام يكتب فسلم وجلس أيضاً، فأخذ أبوعبيد في الكلام، فسمع ابن بسطام ما أدهشه فأغلق الدواة واستدار إليه، وبادر الغلمان مخدّة فوضعوها خلفه، وصار الجمحي خلف ابن بسطام، واستمر أبوعبيد في الخوض في كثير من العلوم والفنون، حتى قال له ابن بسطام: أيّد الله القاضي، أقل استحقاق القاضي أن يكون قاضي الدنيا كلها، ولقد ظلمه من ولّى معه غيره، فلما عزم القاضي على القيام، قام ابن بسطام فأخذ بيدهِ ومشى مَعَهُ حتى ركب، واستمرَّ قائماً حتى غاب القاضي[1]. قيل لأبي عبيد وقد رأوا تقشفه وزهادته: لماذا دخلت في القضاء؟ فقال: تقرّبوا إليّ بإقامة الحق، ورأيت من لا يصلح يطلبه فدخلت فيه[2].

قال أبوبكر بن الحدّاد: دخل القاضي أبوعبيد مصر، فما أعجبني منظره، فبينما نحن عند أبي القاسم بشر بن نصر الفقيه، غلام عرق، إذ دخل منصور

---

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٥٢٤ـ٥٢٥.

(٢) المصدر السابق ص ٥٢٦.

ابن إسماعيل الفقيه، فقال: كنت عند القاضي، فقلت له: كيف رأيت، قال: يا أبا بكر رأيت رجلاً عالماً بالقرآن والحديث والفقه والاختلاف ووجوه المناظرة، عالماً باللغة العربية، عاملاً ورعاً متمكناً، متكلماً، قال: فقلت له: هذا يحيى ابن أكثم. قال: قلت: الذي عندي فيه، قال ابن الحداد: ثم دخلت على أبي عبيد بعد ذلك وخالطته، فإذا منصور قد قصّر في صفته[1].

وقال ابن الحداد: كنت في مجلس أبي عبيد القاضي بمصر، إذ أقبل خادم حسن الصورة، جميل الهيئة، طيّب الرائحة، مسرعاً، فوقف على رأسه، وطرح في حجره رقعة، ثم أنشأ يقول[2]:

أنكرت حبّي وأيّ شيء ... أبين من ذلة المحبّ
أليس شوقي وفيض دمعي ... وضعف جسمي شهود حبّي

فقال أبوعبيد: هؤلاء شهود ثقات، ثم قرأ الرقعة، وقال: اللهم اجمع بيننا على رضاك، ثم رمى إليّ الرقعة، فإذا فيها:

عفا الله عن عبد أعان بدعوة ... خليلين كانا دائمين على الودّ
إلى أن وشى واشي الهوى بنميمة ... إلى ذاك من هذا فحال عن العهد

وقال: كان بمصر أخوان توأمان، تكهّلا ولايعرف بينهما من رآهما من قوة الشبه بينهما، فوجب على أحدهما دين، فحبسه القاضي، وكان أخوه يجيء إليه زائراً فيجلس في الحبس عوضه، ويتوجه ذلك، فاشتهر هذا حتى بلغ أباعبيد، فأحضرهما، وقال لهما: أيكما المحبوس؟ فبادر كل منهما، فقال: «أنا هو»، فأطرق القاضي، ثم طلب الغريم، فدفع إليه الدين الذي ثبت له فراراً من الشفعة والغلط في الحكم[3].

---

(1) كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٥٢٧.

(2) المصدر السابق/ ص٥٢٧.

(3) المصدر السابق/ ص٥٢٨.

جلس أبوعبيد في قضاء مصر عشرين سنة[1]، وكان فيها قاضي الأحكام والعزيمة. قال ابن الحدّاد: تظلّمت امرأة من محمد بن علي الماذرائي - أحد وجهاء مصر المعروفين - في مطالبته بشفعة، فأرسل إليه أبوعبيد، فدافع ولم يحضر، واتفق أنه حجّ في تلك السنة، فما ودّعه أبوعبيد ولا تلقّاه، وماتت أمّه، فما ركب إليه ولا عزّاه، فرفعت إليه المرأة قصّة «عريضة» أن تردادها قد كثر وأن أمرها قد طال، فوقّع القاضي على ظهرها؛ أيتها المرأة المتظلّمة من محمد بن علي، إن خصمك رجل مقرف عجول، قد غلبت عليه الأهواء، وأنا مرسل إليه برجلين فظّين غليظين يقيمانه من مجلسه ويجيئان به، فإن خرج من الحق الذي عليه، وإلا أغلقت بابي، واستعفيت إلى السلطان من عمله والسلام. فبلغ ذلك محمد بن علي، فاغتاظ وأرسل إسحاق بن إبراهيم الرازي إليه في فصل القضيّة أو الحضور، فأجابه بأن «لي على باب القاضي وكيلاً»، فأعاد إليه القاضي: «إن الوكيل لا يحلف عنك»، فقال محمد بن علي: إذا وجبت اليمين يرسل إليّ شاهدين، فأحلف أو أرد اليمين، فرد القاضي: لا سبيل إلى إرسال الشاهدين، فقال: قد أرسلت إلى غيري بشاهدين، فقال القاضي: ما صنعت هذا إلا برجل واحد، وهو زيادة الله بن الأغلب، أمرت بإحضاره مع خصمه، فجاءني أبومنصور تكين[1]، فقال: إن هذا في صورة الخراج، وإني أخشى أن يغلط عليه، فيمتنع أو يختفي أو يهرب أو تلحقه آفة، فنقع في العتب مع السلطان، فيقال لنا: «ما كانت لكما سياسة»، فإن تقمّصت بقميص زيادة الله، وخيف منك ماخيف منه، أرسلت إليك بشاهدين. قال: وكان الطحاوي هو الذي يلقّن محمد بن علي الأجوبة، فالتمس منه جواباً على هذا الأخير، وكان الطحاوي بلغه أن أبا عبيد أرسل إلى محمد بن علي

---

(١) كان والي مصر وقتذاك.

يقول له: «تعس من لقّنك» فامتنع الطحاوي بعد ذلك من الكلام، فقال محمد ابن علي ـ لرسول القاضي: «قل له ما أحضر وليصنع ما شاء». عندها أمر القاضي المرأة أن تأخذ بلجام محمد بن علي، ففعلت به ذلك، فتوسط أحمد ابن محمد الماذرائي بين المرأة وبين محمد بن علي، حتى اشترى حصتها بألف دينار، وكان قد اشترى قدرها بثلاثمئة، وأنقدها الثمن، وأشهد عليها حسين بن محمد مأمون، ومحمد بن الربيع الجيزي، فشهدا عند القاضي بذلك بحضرة المرأة ومعها المال. فلما علم القاضي بذلك ركب في الحال إلى محمد بن علي، وهنأه بالحجّ، وعزّاه بأمه[1].

وقال ابن زولاق: حدّثني أبوعلي بن أبي جبلة كاتب تكين، قال: «ارتدّ نصراني، فاستتيب فلم يرجع، فشاور تكين القاضي في قتله، فركب القاضي إلى تكين هو وجماعته، فعرضوا عليه التوبة، فلم يرجع، فعاودوه، فأقرّ، فأشار القاضي بقتله فقتل، فقال تكين للقاضي: اكتب إلى السلطان بهذه القصة. فقال: أفعل، وأمرني أن أكتب محضراً بذلك فكتبت: حضر مجلس الأمير أبي منصور تكين من يشهد فيه، فلمح القاضي الكتابة، فصاح: قطع الله يدك، اكتب: حضر تكين، مولى أمير المؤمنين مجلس القاضي علي بن حسين. فقال تكين: صدق القاضي، المجلس له حيث حلّ، اكتب بما قال[2].

في عام ٣١١هـ كتب إلى السلطان يستعفي من أمر القضاء، فأجيب طلبه، بعد أن أرسل رسولاً إلى بغداد بهذا الشأن، وأغلق بابه، وامتنع عن الحكم، فأعفي، وعندما جاء عزله، أملى مجالسه، ورجع إلى بغداد، ودخل سوق الورّاقين، وراح يشتغل بالنسخ والتوريق، حتى سمع يقول: مالي

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة ص٥٣٠.

(٢) المصدر السابق ص٥٣٠ـ٥٣١.

وللقضاء، لو اقتصرت على الوراقة ما كان حظّي بالرديّ، وكان رزقه في الشهر ـ من الوراقة ـ مائة وعشرين ديناراً. حتى قال عنه ابن زولاق: سمعت أبا عبيد القاضي يقول: ما تقلّد ـ يقصد أمر القضاء ـ إلا عصبي أو غبي[1].

ونقل عنه الذهبي: قد تسرّى بمصر بجارية، فتجنّت عليه، وطلبت البيع؛ لأنه كان به فتق[2].

محمد بن أبي الليث الخوارزمي ـ الوراق ـ

واحد من القضاة المشهورين، ولي القضاء بمصر للمعتصم سنة ٢٢٠هـ، وكان دخوله إليها سنة ٢٠٥هـ[3].

ذكر الكندي أن هذا القاضي كان ورّاقاً قبل دخوله مصر، على باب الواقدي، وكان فقيهاً بمذهب الكوفيين[4]. وأسهب في ترجمته كقاض.

* * *

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة ص٥٣١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) االمصدر السابق ص٤٤٩.

(٤) المصدر السابق.

الفصـــل العاشـر
الورّاقون الفولكلوريون

تنويـــــه :

الفولكلور: اصطلاح علمي: مشـتق عن الإنجليزية: أدخله العالم «وليم تومس» لأول مرّة على المصطلحـات العلمية سنة ١٨٤٦م، والتـرجمة الحرفـية للكلمة تعني: حكمة الشعب، أو المعرفة الشعبية، والفولكور يطمح لأن ينشئ من جديد التـاريخ الفكري للإنسان، لا كـما تمثله كـتابات الشعـراء والمفكرين المرموقـة، بل كما تصـوره أصوات العامة الأقل جـهارة(*). ومن هذا الإيجاز نفهم أن ورّاقي العـصر العباسي قـد أدركوا بحسّـهم المعرفي الأهمية القـصوى للتـراث الشعـبي، فجـمّعـوه ودونوه، وهو أمر في غـاية الأهميـة الإنسانـية والتاريخـية، حيث يُثبت هؤلاء الوراقـون أن ثقافتهم العـربية الإسلاميـة كانت تشمل كل مناحي الحياة في الصيرورة والتـاريخ والتكوين الثقافي، وقد تعمدنا إدخال المصطلح في هذا الفصل، ولذا وجب التنويه والتعريف.

(*) للاسـتزادة في الموضـوع، راجع ـ يوري مـاكلوف: الفـولكلور وتاريخه ترجـمة حلـمي شعـراوي وعبدالحميد حواش، منشورات الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م، ص ١٧ وما بعدها، وكـذلك يراجع؛ الكسندر هجرتي كـراب: علم الفـولكلور ترجـمة رشدي صـالح، منشورات دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧م، ص ١٧.

ابن دلأن الوراق وجماعته

هو أحمد بن محمد بن دلأن، قال عنه النديم: كانت الأسمار والخرافات مرغوباً فيها، مُشتهاة في أيام خلفاء بني العباس، وسيّما في أيام المقتدر ـ مستهل القرن الرابع الهجري ـ فصنف الوراقون وكذّبوا، فكان ممّن يفعل ذلك، رجل يُعرف بابن دلأن، وآخر يعرف بابن العطّار[1]، وأضاف النديم: أن هناك جماعة كانوا يعملون الخرافات والأسمار على ألسنة الحيوان وغيره، وهم سهل بن هارون وعلي بن داود، والعتابي، وأحمد بن طاهر[2].

الطرسوسي الورّاق

قال عنه حبيب زيات: من ورّاقي بغداد، جمّاعي الطرائف والنوادر: الطرسوسي الوراق، أهدى أبانصر سهل بن المزربان مجلّدة بخط السّري الرفّاء، فاستصحبها أبونصر، وأنفذها إلى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب[3].

الفضل بن العباس الوراق وجماعته العشرة

واحد من الوراقين الذين عرفوا بنقل الأخبار وروايتها، أشارت المصادر والمراجع[4] إلى أنه كان جملة من الأخباريين الذين تخصصوا بهذا الفن، وهم[5]:

١ ـ عيسى بن يحيى.

٢ ـ أبومحذورة.

---

(١) الفهرست/ ص ٤٢٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الوراقة والوراقون في الإسلام/ ص٣٧.

(٤) راجع عنه ـ الأغاني ٥/ ١٢٠ـ١٢١ ـ وحبيب زيات/ ص١٨.

(٥) راجع عنهم ـ حبيب زيات/ ص١٨.

٣ ـ غانم الوراق.[1]

٤ ـ عثمان الوراق.

٥ ـ علي بن الحسين بن عبدالسميع المروزي.

٦ ـ مُطير الوراق.

٧ ـ عبدالله بن عمر.

٨ ـ عيسى بن الحسين.

٩ ـ أبوالحسن محمد بن علي الوراق الأنطاكي، المعروف بابن الغنوي الفقيه.

١٠ـ إبراهيم بن محمد.

١١ـ ابن أبي المدوّر.

* * *

---

(١) راجع بعض أخباره عند الأصبهاني ـ الأغاني ٧/ ٢٣٨ـ٢٣٩ ـ بترجمة السيد الحميري.

الفصل الحادي عشر
تراجم عارضة

الأعسر الوراق

هكذا ورد اسمه عند الثعالبي في خاص الخاص باللّقب دون أن يذكر اسمه، ونقل عنه تشاؤمه من الوراقة وضجره منها، قائلاً: ما خلق الله أشقى من الوراق ولا أشأم من الوراقة؛ فالألف آفة، والباء بخس، والتاء تعس، والثاء ثلم، والجيم جحد، والحاء حرقة، والخاء خوف، والدال داء، والذال ذل، والراء رسب، والزاى زجر، والسين سم، والشين شين، والصاد صد، والضاد ضر، والطاء طر، والظاء ظلام، والعين عيب، والغين غم، والكاف كسر، والفاء فقر، والقاف قبر، واللام لوم، والميم مرق، والنون نوح، والواو ويل، والهاء هوان، والياء يأس. قيل له: فلام الألف؟ قال: هو والله جلم يقطع الرزق ويجلب الحرق(1).

أبوبكر القنطري. وأبوالحسين بن الخراساني

هكذا ذكرهما ياقوت بالكنية، دون أن يذكرهما باسميهما، في سياق خبرٍ يتحدث عن خبر أبي سعيد، وكيفية بيع كتبه، وجاء ذلك في ترجمة الحسن بن عبدالله المرزباني، قال فيه: وأما إعطاء أبي سعيد خطه، فيوشك أن يكون من جنب ما حدثني به المعروف الخزار الوراق ببغداد وأبوبكر القنطري، وأبوالحسين بن الخراساني، وهما وراقان أيضاً من جلّة أهل هذه الصنعة(2).

---

(1) الثعالبي: خاص الخاص، طبعة بيروت ١٩٦٦م ص٧٥.

(2) معجم الأدباء ٨/ ١٨٩ في ترجمة الحسن بن عبدالله المرزباني الترجمة رقم١٤.

أبوالفتح بن الخراز الوراق

ورد ذكره عند ياقوت الحموي في ترجمة علي بن الحسين أبي الفرج الأصبهاني على النحو التالي: «قال ابن عبدالرحيم: حدثني أبونصر الزجاج، قال: كنت جالساً مع أبي الفرج الأصبهاني في دكان في سوق الوراقين، وكان أبوالحسين علي بن يوسف البقال الشاعر جالساً عند أبي الفتح بن الخَرّاز الوراق وهو ينشد أبيات إبراهيم بن العباس الصولي:

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّت[1]

ابن حبيش الوراق

هو أبوالقاسم الحسين بن حبيش الوراق. ذكره ياقوت الحموي في ترجمة الطبري[2] على النحو التالي: قال أبوالقاسم الحسين بن حبيش الوراق: كان قد التمس مني أبوجعفر ـ الطبري ـ أن أجمع له كتب الناس في القياس، فجمعت له نيفاً وثلاثين كتاباً، فأقامت عنده مديدة[3].

أبوحفص الوراق

لم تذكر المصادر عنه شيئاً ما، وورد اسمه عند ابن الرومي في جملة أبيات هجاهُ فيها هي:[4]

قالوا هجاك أبوحفص فقلت لهم	لاشبَّ قرن أبي حفص ولا زرعا
لئن هجاني وفرط الجهل أوقعه	لقد تزوج أيضاً بعدما صلعا
قد قلت إذ قيل: قد زفت حليلته	صبراً كأني بقرن الشيخ قد طلعا
طلقتها منه إن عفت له أبدا	ما أبصرت منه ذات المنظر الشنعا
أقبح بوجه أبي حفص وعفتها	هذان شيئان لا والله ما اجتمعا

(١) معجم الأدباء ١٣/ ١١٢.

(٢) معجم الأدباء ١٨/ ١هـ الترجمة رقم ١٧.

(٣) المصدر السابق. نفس المكان.

(٤) ديوان ابن الرومي ٤/ ١٤٧٢ تحقيق حسين نصار ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م وراجع كذلك محاضرات الراغب الأصبهاني ٢/ ١٢٨ تحقيق حسين أفندي شرف.

حماد بن الحسين الوراق

ورد ذكره عند الخطيب البغدادي في ترجمة عبدالله بن العباس الشمعي على النحو التالي: يقصد الشمعي - عن علي بن حرب الطائي وحماد بن الحسين الوراق وأحمد بن ملاعب وغيرهم[١].

سذاب الوراق

ذكرتهُ الكثير من المصادر بهذا اللقب، ولم تشر إلى اسمه الصريح، وذكره جاء في ترجمة المُبرّد، وفي سياق نادرة حصلت للمبرد معه، على النحو التالي: قال المبرد: ما تنادر أحد علي بمثل ما تنادر به سذاب الوراق، فإني اجتزت يوماً به وهو قاعد على باب داره، فقال لي: إلى أين، ولاطفني وعرض عليَّ القِرى، قلت له: ما عندك؟ فقال: عندي أنت وعليه أنا، يشير إلى اللحم المبرد بالسذاب[٢].

صالح الوراق

ذكره ياقوت الحموي في ترجمة أبي حيان التوحيدي، في سياق حادثة رواها أبوحيان نفسه، قال: وقال لي يوماً أحد - يقصد الصاحب بن عباد - وهو قائم في صحن داره والجماعة قيام، منهم الزعفراني، وكان شيخاً كثير الفضل، جيد الشعر، ممتع الحديث، والتميمي المعروف بسطل، وكان من مصر، والأقطع، وصالح الوراق، وابن ثابت وغيرهم من الكتاب والندماء[٣].

---

(١) تاريخ بغداد ٢٧/١٠.

(٢) ابن خلكان - وفيات الأعيان ٣١٧/٤ - ترجمة المبرد - والخبر أورده الثعالبي في خاص الخاص، وجئنا على ذكره في: نوادر الوراقين/ من هذه الدراسة.

(٣) معجم الأدباء ٢٩/١٥.

عبدالحميد الوراق

ورد عند ابن الجوزي في سياق الحديث عن ابن بنت منيع الخبر الخاص بالسهو في أحد أسماء أسانيده، وورد على النحو التالي: أخبرنا عبدالغني بن سعيد الأسدي، قال: سألت أبا بكر محمد بن علي النقاش: تحفظ شيئاً مما أخذ على ابن بنت أحمد بن منيع؟ فقال لي: كان غلط في حديث عن محمد ابن عبدالوهاب عن ابن شهاب، عن أبي إسحاق الشيباني، عن نافع، عن ابن عمر، فحدث به محمد بن عبدالوهاب، وإنما سمعه إبراهيم بن هاني عن محمد بن عبدالوهاب، فأخذه عبدالحميد الوراق بلسانه، ودار على أصحاب الحديث، وبلغ ذلك أبا القاسم ابن بنت أحمد بن منيع... إلخ(١).

أبومسحل الوراق

ذكره ياقوت في معرض حديثه عن علي بن المغير الأثرم الوراق، قال: حدّث أبومسحل عبدالوهاب، قال: كان إسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أباعبيد من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد وأحضر الأثرم، وهو يومئذ وراق، وجعله في دار مِنْ دوره، وأغلق عليه الباب، ودفع إليه كتب أبي عبيد وأمره بنسخها، وكنت أنا وجماعة من أصحابنا نصير إلى الأثرم، فيدفع إلينا الكتاب والورق الأبيض من عنده، ويسألنا نسخه وتعجيله، ويوافقنا على الوقت الذي نرده إليه فكنا نفعل ذلك(٢).

علي بن بقاء الوراق

ورد اسمه عند ابن الجوزي في سياق حديثه عن أبي القاسم عبدالله بن محمد البغوي وهو ينقل حديثه الذي أخطأ في أسماء إسناده، وورد على النحو التالي: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثني العلاء بن أبي المغيرة

---

(١) المنتظم ٦/ ٢٢٩ـ ٢٣٠.

(٢) معجم الأدباء ١٥/ ٧٧ـ٧٨ في ترجمة الأثرم.

الأندلسي، أخبرنا علي بن بقاء الوراق، أخبرنا عبدالغني الأزدي، قال: سألت أبابكر محمد بن علي النقاش: تحفظ شيئاً مما أخذ على ابن بنت أحمد بن منيع؟ . . . إلخ[1].

علي بن عبدالعزيز الوراق

ذكره وكيع قال: أخبرنا ابن عبدالعزيز الوراق، قال: حدثنا إسحق بن إسماعيل قال: حدث جرير، عن ابن شبرما قال: قال: الحسن لابن سيرين: سفعاً سفعاً ودفعاً دفعاً عنا للخازم، وأراك لأهل تعبير الرؤية كأنك من آل يعقوب[2].

الدينوري الوراق

هو أبوسعيد عمر بن الدينوري الوراق، ذكره ياقوت الحموي في معرض حديثه عن كتاب الطبري المسمى كتاب **أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة**، وقال: وقع ذلك الكتاب إلى أبي سعيد الدينوري الوراق، وخرج به إلى الشام، فقطع عليه[3] ولم يبق معه إلا جزءان، فيهما الكلام في حقوق الله الواجبة على الإنسان في بصره والحقوق الواجبة في سمعه[4].

عيسى بن أحمد الهمذاني الوراق

ورد اسمه عند الخطيب البغدادي في ترجمة الحسن بن شهاب العكبري، في سياق خبر قال فيه: حدثني عيسى بن أحمد الهمذاني، قال: قال لي أبوعلي بن شهاب يوماً: أرني خطك، فقد ذكر لي أنك سريع الكتابة، فنظر فيه فلم يرضه[5].

---

(١) المنتظم ٦/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) وكيع: أخبار القضاة ٣/ ٥٣.

(٣) يعني الطريق.

(٤) معجم الأدباء ١٨/ ٧٦-٧٧ الترجمة رقم ١٧.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٣٢٩.

الفيرزان الوراق

ذكره ياقوت في ترجمة ـ علان الشعوبي ـ على النحو التالي: ذكر محمد بن الأزهر، قال: كان في جوارنا بباب الشام ـ منطقة ببغداد ـ فتى يعرف بالفيرزان، وكان يورق في دكان علان الشعوبي[1].

أبو القاسم بن عقيل الوراق

جاء ذكره عند ياقوت الحموي في ترجمة محمد بن جرير الطبري على النحو التالي:

«حدث القاضي أبو عمر عبدالله بن أحمد السمسار وأبو القاسم بن عقيل الوراق أن أباجعفر الطبري قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن، قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال لهم: أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره، فذكره نحو فيما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله ماتت الهمم! فاختصره في نحو ما اختصر التفسير»[2].

محمد بن علي الوراق ـ الأول ـ

ورد ذكره عند وكيع على النحو التالي: وذكر محمد بن علي الوراق عن وليد بن أبي بدر، قال: سمعت وكيعاً يقول: لما عزل حفص (بن غياث) عن القضاء ذهب القضاء بعد حفص[3].

---

(١) معجم الأدباء ١٢/ ١٩٢ـ ترجمة علان الشعوبي ـ رقم٤٨.

(٢) معجم الأدباء ١٨/ ٤٢.

(٣) وكيع ـ محمد بن خلف بن حيان ـ أخبار القضاة ٣/ ١٨٤.

محمد بن علي الوراق ـ الثاني ـ

ورد اسمه عند الخطيب البغدادي في خبر بناء قصر الخلد وبناء الأسواق في الكرخ سنة ١٥٨هـ من قبل المنصور، وجاء الخبر على النحو التالي: أخبرنا محمد بن علي الورّاق وأحمد بن علي المحتسب، قالا: أخبرنا محمد بن جعفر النحوي، قال: أنبأنا الحسن بن محمد السكوني، قال: قال محمد بن خلف، قال الخوارزمي ـ يعني محمد بن موسى ـ: وحوّل أبوجعفر الأسواق إلى الكرخ وبناها من ماله بعد سنة مائة وست وخمسين، وخمسة أشهر وعشرين يوماً، ثم بدأ بعد ذلك في بناء قصر الخلد على شاطئ دجلة بعد شهر وأحد عشر يوماً[١].

محمد بن علي بن مخلد الوراق

جاء ذكره عند الخطيب البغدادي في خبر بناء الرصافة، على النحو التالي: أخبرنا محمد بن علي بن مخلد الوراق... عن أحمد بن محمد القروي الشروي، عن أبيه، قال: قدم المهدي من المحمّدية بالري سنة ١٥١هـ، ووفدت عليه الوفود، وبنى له المنصور الرصافة، وعمل لها سوراً وخندقاً وبستاناً، وأجرى لها الماء[٢].

محمود الوراق

هكذا ورد اسمه عند أبي الفرج الأصفهاني[٣] في ترجمة أبي الشبل البرجمي، وورد اسمه في سياق حادثة يرويها البرجمي على النحو التالي: قال: دخلت أنا ومحمود الوراق إلى حانة يهودي خمار، فأخرج إلينا شيئاً

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٨٠.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٨٢.

(٣) الأغاني ١٤/ ١٩٧-١٩٨.

عجيباً، فقلت له: اشرب معنا، فقال: لا أستحل شرب الخمر، فقال لي محمود الوراق: ويحك! رأيت أعجب مما نحن فيه، يهودي يتحرج من شرب الخمر، ونشربها ونحن مسلمون؟ فقلت له: أجل، والله لانفلح أبداً، ولا يعبأ الله بنا، ثم شربنا حتى سكرنا.

معلى الوراق

ذكره الذهبي في ترجمة مالك بن دينار في سياق خبر جاء على النحو التالي: قال مُعلّى الوراق: سمعت مالك بن دينار يقول: خلطت دقيقي بالرماد فضعفت عن الصلاة[1].

* * *

* *

*

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤.

الكشافات العامة

ـ أ ـ

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- ص -

- ض -

- ط -

- ع -

- غ -

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

- و -

- ي -

ثبت المصادر والمراجع

ـ أ ـ

١ ـ ابن الأبّار: أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي.

ـ التكملة لكتاب الصلة ـ تحقيق ـ عزّت عطّار الحسيني ـ مصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

٢ ـ الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح.

ـ المستطرف في كل فن مستظرف ـ منشورات دار الفكر، بيروت ـ دون تاريخ، والمطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣١٤هـ.

٣ ـ الأتابكي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي.

ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ١٦ مجلد ـ طبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٦٣م.

٤ ـ ابن الأثير: عز الدين أبو المحاسن علي بن أبي الكرم الشيباني.

ـ الكامل في التاريخ ـ ١٢ جزءاً ـ منشورات دار صادر، بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

ـ اللباب في تهذيب الأنساب ـ طبعة القدسي، القاهرة ١٣٥٧هـ.

٥ ـ الأدفوي: محمد بن علي بن أحمد، أبوبكر.

ـ الطالع السعيد لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد. طبعة القاهرة ١٩١٤م.

٦ ـ الأزدي: أبوالمطهر محمد بن أحمد.

ـ حكاية أبي القاسم البغدادي، بعناية آدم ميتز، طبعة هايدلبرج سنة ١٩٠٢م.

٧ ـ الأزدي: أبو زكريا بن إياس.

ـ تاريخ الموصل ـ مخطوط في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٧٥.

٨ ـ إسماعيل: د. أحمد.
ـ الحركات السرية في الإسلام ـ طبعة بيروت ١٩٧٣م.
٩ ـ الأصبهاني: أبوالفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم
ـ كتاب الأغاني ـ ٢٤جزءاً ـ طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م وطبعة الهيئة المصرية العامة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.
١٠ـ الأصبهاني: أبوعبدالله عماد الدين الكاتب.
ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ القسم العراقي ـ جزءان ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
١١ـ الراغب الأصبهاني: أبوالقاسم حسين بن محمد.
ـ محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء ـ منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦١م.
١٢ـ الأصبهاني: أبونعيم أحمد بن عبدالله.
ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ ١٠مجلدات ـ المطبعة المصرية ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.
١٣ـ الأصفهاني: حمزة بن حسن.
ـ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ـ طبعة بيروت ـ مكتبة الحياة ـ ١٩٦١م.
١٤ـ الأعسم: د. عبد الأمير.
ـ أبوحيان التوحيدي في كتاب «المقابسات» منشورات دار الأندلس ـ بيروت ـ ط١ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٥ـ إخوان الصفا ـ رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ـ تحقيق خيرالدين الزركلي ـ الطبعة المصرية ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م.

١٦ـ أمين: أحمد.

ـ ضحى الإسلام ـ طبعة القاهرة ط٧ ـ ١٩٦٤م.

١٧ـ الأمين: محسن عبدالكريم الحسيني العاملي.

ـ أعيان الشيعة ـ ١٠ أجزاء ـ منشورات دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.

١٨ـ ابن الأنباري: أبوالبركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد.

ـ نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء. تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٩م.

١٩ـ ابن أبي أُصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي.

ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ تحقيق د. نزار رضا ـ منشورات مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥م.

٢٠ـ الإصطخري: أبوإسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي.

ـ مسالك الممالك، بعناية دي غوية، ليدن ـ ١٩٢٧م.

ـ ب ـ

٢١ـ ابن بسام: محمد بن أحمد المحتسب.

ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة. تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨م.

٢٢ـ ابن بسام: أبوالحسن علي الشنتريني.

ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. منشورات لجنة التأليف والترجمة ـ القاهرة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٢٣ـ البحتري: أبوعبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي.

ـ ديوان البحتري ـ ٤ أجزاء ـ تحقيق حسن كامل الصيرفي ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٣م.

٢٤ـ البخاري: أبوعبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي.
ـ صحيح البخاري ـ ٨ أجزاء ـ منشورات دار الطباعة العامرة ـ القاهرة ١٣١٥هـ.
٢٥ـ ابن بشكوال: أبوالقاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن داحة الأنصاري.
ـ كتاب الصلة ـ جزءان ـ منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦م.
٢٦ـ البغدادي: عبدالقادر بن عُمر.
ـ خزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب ـ ٨ مجلدات، ٤ أجزاء ـ طبعة بولاق ١٢٩٩هـ.
٢٧ـ البغوي: الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفرّاء.
ـ شرح السنة ـ ٨ أجزاء ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ـ منشورات المكتب الإسلامي ـ ط١ ـ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.
٢٨ـ البكري: عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد.
ـ سمط اللآلي ـ تحقيق عبدالعزيز الميمني ـ القاهرة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.
٢٩ـ البلاذري: أبوالعباس أحمد بن يحيى بن جابر.
ـ فتوح البلدان ـ تحقيق عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، منشورات دار النشر للجامعيين ـ ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.
٣٠ـ بيدرسون: يوهانس.
ـ الكتاب العربي، منذ نشأته حتى عصر النهضة. ترجمة د. حيدر غيبة، منشورات دار الأهالي ط١ ـ دمشق ١٩٨٩م.
٣١ـ البيروني: أبوالريحان محمد بن أحمد.
ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، طبعة حيدر آباد ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، وطبعة لايبسك ١٩٤٥م.

٣٢ـ البيهقي: ظهير الدين أبوالحسن علي بن زيد.
ـ تاريخ حكماء الإسلام. نشرة محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.
ـ المحاسن والمساوئ. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، منشورات مطبعة النهضة القاهرة ١٩٦١م.

ـ ت ـ

٣٣ـ التعاويذي: سبط بن التعاويذي، أبوالفتح محمد بن عبدالله.
ـ ديوان سبط بن التعاويذي، طبعة مارجليوث وطبعة المقتطف المصرية سنة ١٩٠٣م.
٣٤ـ أبوتمام: حبيب بن أوس الطائي.
ـ ديوان أبي تمام ـ ٤ أجزاء ـ بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبدو عزام، منشورات دار المعارف المصرية ١٩٦٤م.
٣٥ـ التوحيدي: أبوحيان علي بن محمد بن العباس.
ـ المقابسات ـ نشرة حسن السندوبي ـ منشورات المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، ونشرة توفيق حسين، بغداد ١٩٧٠م.
ـ الإمتاع والمؤانسة ـ ٣ أجزاء ـ تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٣٩م.
ـ رسالة في الصداقة والصديق ـ تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، منشورات دار الفكر، دمشق ١٩٦٤م.
ـ رسائل التوحيدي ـ تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، ط١ ـ دار طلاس، دمشق ١٩٨٥م.
ـ الهوامل والشوامل ـ مع مسكويه ـ، نشرة أحمد أمين وأحمد صقر، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

٣٦ـ التنوخي: القاضي أبوعلي الحسن بن علي.
ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ـ ٨ أجزاء ـ تحقيق عبّود الشالجي ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، وطبعة مارجليوث.
ـ الفرج بعد الشدة ـ ٥ أجزاء ـ تحقيق عبّود الشالجي ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

ـ ث ـ

٣٧ـ الثعالبي: أبومنصور عبدالملك النيسابوري.
ـ من غاب عنه المطرب ـ تحقيق عبدالمعين الملوحي. منشورات دار طلاس ـ دمشق ١٧.
ـ خاص الخاص ـ منشورات مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٦م.
ـ يتيمة الدهر ـ ٤ أجزاء ـ طبعة الصاوي المصرية ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م.
ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ منشورات دار النهضة المصرية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.
ـ لطائف المعارف ـ تحقيق إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي ـ طبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٠م.
٣٨ـ ثعلب: أبوالعباس يحيى بن زيد بن سيار الشيباني.
ـ مجالس ثعلب ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ منشورات دار المعارف بمصر.

ـ ج ـ

٣٩ـ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب.
ـ الحيوان ـ ٧ أجزاء ـ طبعة البابي الحلبي ـ ط٢ ـ تحقيق عبدالسلام هارون.
ـ المحاسن والأضداد ـ طبعة فان فلوتن ـ ليدن ١٨٩٨م.
ـ التاج في أخلاق الملوك ـ تحقيق أحمد زكي باشا ـ ط١ ـ القاهرة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

- البيان والتبيين - ٣ أجزاء - تحقيق عبدالسلام هارون، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر - ط١ - القاهرة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.
- رسائل الجاحظ - جزءان - بعناية عبدالسلام هارون، منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.
٤٠- الجبوري: سهيلة ياسين.
- الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق، بغداد ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.
٤١- الجبوري: محمود شاكر.
- نشأة الخط العربي - منشورات مكتبة الشرق الجديد - بغداد ١٩٧٤م.
٤٢- الجرجاني: أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن.
- أسرار البلاغة - بعناية هـ. ريتر - استانبول ١٩٥٤م.
٤٣- ابن جماعة: بدر الدين ابن الشيخ العارف أبي إسحاق إبراهيم بن السيد بن جماعة.
- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم - طبعة حيدر آباد ١٣٥٢هـ.
٤٤- جواد: د. مصطفى. وأحمد سوسة.
- دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً. مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.
٤٥- الجواليقي: أبومنصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر.
- المُعرَّب - تحقيق أحمد محمد شاكر - منشورات دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦١هـ.
٤٦- الجلبي: د. داود.
- مخطوطات الموصل - طبعة بغداد ١٩٢٧م.
٤٧- ابن الجوزي: أبوالفرج عبدالرحمن بن علي.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - ١٠ أجزاء - ط١ - حيدر آباد سنة ١٣٥٨هـ.

ـ مناقب بغداد ـ تحقيق محمد بهجت الأثري ـ منشورات مطبعة دار السلام ـ بغداد ١٣٤٢هـ.
ـ صيد الخاطر ـ بعناية محمد أمين الخانجي ـ ط١ ـ مصر سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.
ـ تلبيس إبليس ـ نشرة محمد منير الدمشقي ـ مطبعة النهضة بمصر ـ ١٩٢٨م.
ـ أخبار الظراف والمتماجنين ـ نشرة القدسي، مطبعة التوفيق ـ دمشق ١٣٤٧هـ.
٤٨ـ ابن الجوزي: السبط ـ أبومحمد يوسف سبط أبي الفرج عبدالرحمن.
ـ مرآة الزمان ـ مخطوطة شيكاغو ـ ١٩٠٧م ـ محفوظة نسخة منها في «الظاهرية» بدمشق تحت رقم ـ ب ١٩٤٤.
٤٩ـ الجهشياري: أبوعبدالله محمد بن عبدوس.
ـ الوزراء والكتاب ـ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي ـ ط١ ـ البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.
٥٠ـ ابن الجهم: علي الشاعر.
ـ ديوان علي بن الجهم ـ تحقيق خليل مردم بك ـ منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٤٦٩هـ/ ١٩٤٩م.
٥١ـ جارالله: زهدي حسن.
ـ المعتزلة ـ طبعة القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

ـ ح ـ

٥٢ـ ابن الحاج: الإمام أبوعبدالله محمد بن محمد بن العبدري الفاسي المالكي.
ـ مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة ـ ٤ أجزاء ـ منشورات المطبعة المصرية بالأزهر ـ ط١ ـ ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

٥٣ـ حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله.
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ ٦ أجزاء مع الذيل ـ منشورات مكتبة المثنى ببغداد وبيروت.
٥٤ـ حسنين: د. عبدالنعيم محمد.
ـ القاموس الفارسي ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ـ ط١ ـ بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٥٥ـ الحريري: أبومحمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي.
ـ مقامات الحريري ـ منشورات المطبعة الحسينية بمصر ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.
٥٦ـ الحفني: د. عبدالمنعم ـ معجم طبقات الصوفية ـ منشورات دار المسيرة ـ ط٢ ـ بيروت ١٩٨٧م.
٥٧ـ الحموي: ابن حجة، تقي الدين أبو بكر علي بن محمد.
ـ خزانة الأدب وغاية الأرب ـ الطبعة المصرية ـ ط١ ـ سنة ١٣٠٤هـ.
ـ ثمرات الأوراق في المحاضرات ـ مسطر على هامش «المستطرف للأبشيهي» منشورات دار الفكر ـ بيروت ـ دون تاريخ.
٥٨ـ الحموي: ياقوت/ شهاب الدين أبو عبدالله الرومي البغدادي.
ـ معجم الأدباء ـ ٢٠ جزءاً ـ تحقيق د. أحمد فريد رفاعي ـ منشورات دار المأمون المصرية ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
ـ معجم البلدان ـ منشورات دار صادر دار بيروت ـ بيروت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
٥٩ـ الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ـ تحقيق محمد تاويت الطنجي، القاهرة ١٣٧١هـ.
٦٠ـ الحنبلي: ابن العماد، أبوالفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد الدمشقي.
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ ٨ أجزاء ـ منشورات دار المسيرة ـ ط٢ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦١ـ الحنفي: الإمام قطب الدين محمد بن أحمد المكي.
ـ الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. منشورات المكتبة العلمية بمكة ـ ١٣٧٠هـ.
٦٢ـ ابن حوقل: أبوالقاسم محمد البغدادي الموصلي ـ الرحالة.
ـ صورة الأرض ـ طبعة ليدن ـ ١٩٣٨م.

ـ خ ـ

٦٣ـ الخالديان: أبوبكر محمد وأبوسعيد ابنا هشام.
ـ ديوان الخالديين ـ تحقيق د. سامي الدهان. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.
ـ التحف والهدايا ـ تحقيق د. سامي الدهان ـ منشورات دار المعارف بمصر.
٦٤ـ خسرو: الرحالة ناصر أبوالمعين القُبادياني المروزي.
ـ سفر نامة ـ تعريب وتحقيق د. يحيى الخشاب ـ ط١ ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.
٦٥ـ الخطيب البغدادي: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي.
ـ تاريخ بغداد ـ ١٤ مُجلدًا ـ ط١ ـ منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد ومطبعة السعادة بمصر، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م.
٦٦ـ ابن خلدون: العلامة عبدالرحمن بن محمد المغربي.
ـ مقدمة ابن خلدون ـ ٤ أجزاء ـ تحقيق د. علي عبدالواحد وافي، ط ١، لجنة البيان العربي، مصر سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
ـ مقدمة ابن خلدون ـ جزء واحد ـ منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـ ٧ أجزاء، طبعة بولاق المصرية ١٢٨٤هـ.

٦٧ـ ابن خلكان: أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر.

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ ٨ أجزاء ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ منشورات دار صادر ـ بيروت، دون تاريخ.

ـ د ـ

٦٨ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ ترجمة أحمد الشنتاوي وجماعته.

٦٩ـ ابن الداية: أحمد بن يوسف الكاتب.

ـ كتاب المكافأة وحسن العقبى ـ تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة القاهرة ١٩٤٠م.

٧٠ـ الدمشقي: أبوالفضل جعفر بن علي.

ـ الإشارة إلى محاسن التجارة ـ منشورات مطبعة المؤيد ـ دمشق ١٣١٨هـ.

٧١ـ الدوري: د. عبدالعزيز.

ـ مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ـ ط٢ ـ بيروت ١٩٧٨م.

ـ التكوين التاريخي للأمة العربية ـ ط١ ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٨٤م.

ـ تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ـ منشورات مطبعة المعارف بغداد ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

٧٢ـ الدينوري: ابن قتيبة، أبومحمد عبدالله بن مسلم.

ـ أدب الكاتب ـ تحقيق محمد الدالي ـ ط٢ ـ منشورات مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ـ ذ ـ

٧٣ـ الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.

ـ سير أعلام النبلاء ـ ٢٤ جزء ـ منشورات مؤسسة الرسالة ـ ط١ ـ بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ـ تذكرة الحفاظ ـ ٤ أجزاء ـ طبعة حيدر أباد ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

ـ العبر في خبر من غبر ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ الكويت ١٩٦٠م.

ـ ر ـ

٧٤ـ ابن رستة: أبوعلي أحمد بن عمر.

ـ الأعلاق النفيسة ـ طبعة ليدن ١٨٩١م.

٧٥ـ رضا: الشيخ أحمد.

ـ متن اللغة ـ منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

٧٦ـ رفاعي: د. أحمد فريد.

ـ عصر المأمون ـ منشورات دار الكتب المصرية ـ ط ٢ ـ القاهرة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

٧٧ـ روزنتال: فرانتز.

ـ مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ـ ترجمة د. أنيس فريحة، منشورات دار الثقافة ـ بيروت ـ ومؤسسة فرنكلين ـ نيويورك ـ عام ١٩٦١م.

٧٨ـ ابن الرومي: أبوالحسن علي بن العباس بن جريج.

ـ ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار ـ منشورات دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٧٤م.

ـ ز ـ

٧٩ـ الزُبيدي: أبوبكر محمد بن الحسن

ـ **طبقات النحويين واللغويين** ـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ ط١ ـ مصر ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

٨٠ـ الزَّبيدي: محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي.

ـ **تاج العروس** ـ ط١ـ المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦هـ.

ـ **حكمة الإشراق** ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ منشورات نوادر المخطوطات ـ المجموعة الخامسة ـ ط١ ـ مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤.

٨١ـ الزجاجي: أبوالقاسم، عبدالرحمن بن إسحاق.

ـ **مجالس العلماء** ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ طبعة الكويت ١٩٦٢م.

٨٢ـ الزركلي: خير الدين.

ـ **الأعلام** ـ ٨ أجزاء ـ ط٥ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٨٠م.

٨٣ـ زيات: حبيب.

ـ **الوراقة والوراقون في الإسلام** ـ منشورات المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٤٧م.

٨٤ـ زيدان: جرجي.

ـ **تاريخ آداب اللغة العربية** ـ ٤ أجزاء ـ نشرة دار الهلال ـ القاهرة ١٩٥٧م.

٨٥ـ ابن زولاق: الحسن بن إبراهيم بن زولاق المصري.

ـ **أخبار سيبويه المصري** ـ ط١ ـ القاهرة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

٨٦ـ زين الدين: ناجي المهندس.

ـ **مصور الخط العربي** ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

ـ س ـ

٨٧ـ ابن الساعي: تاج الدين علي بن أنجب بن عبدالله.

ـ مختصر أخبار الخلفاء ـ تحقيق د. مصطفى جواد ـ طبعة بولاق ١٣٠٩هـ.

٨٨ـ السبكي: تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي.

ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ ٦ أجزاء ـ ط٢ ـ المطبعة الحسينية بمصر.

٨٩ـ السراج: الشيخ أبومحمد جعفر بن أحمد بن الحسين.

ـ مصارع العشاق ـ ط١ ـ مطبعة الجوائب ـ القسطنطينية ١٣٠١هـ.

٩٠ـ سعد: فهمي عبدالرازق.

ـ العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، منشورات ـ الأهلية للنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٨٣م.

٩١ـ السقطي: أبوعبدالله محمد بن أبي محمد

ـ آداب الحسبة ـ بعناية كولن وليفي بروفنسال ـ باريس ١٩٣١م.

٩٢ـ السُلمي: أبوعبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى... بن سُراقة.

ـ طبقات الصوفية ـ تحقيق نورالدين شُريبة ـ منشورات جماعة الأزهر للنشر والتأليف ـ القاهرة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

٩٣ـ السكتواري: علاء الدين علي دَدَة بن مصطفى.

ـ محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر ـ ط١ ـ المطبعة العامرة الشرقية ـ القاهرة ١٣١١هـ.

٩٤ـ السمعاني: أبوسعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي.

ـ الأنساب ـ ١٠ أجزاء ـ تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، منشورات محمد أمين دمج ـ بيروت ـ دون تاريخ.

٩٥ـ السوداني: د. مزهر.
ـ جحظة البرمكي، حياته وشعره، طبعة النجف، العراق ـ ط١ ـ ١٩٧٧م.
٩٦ـ د. سهيل أنور.
ـ الخطاط البغدادي علي بن هلال ـ ترجمة محمد بهجت الأثري وعزيز سامي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
٩٧ـ سيبويه: أبوبشر عمر بن عثمان.
ـ كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون ـ طبعة عالم الكتب، بيروت.
٩٨ـ السيوطي: الحافظ جلال الدين عبدالرحمن الشافعي.
ـ تارخ الخلفاء ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ ط١ ـ مصر سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ مطبعة السعادة ـ ط١ ـ مصر ١٣٢٦هـ.
ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ـ طبعة القاهرة ١٣٢٧هـ.
ـ الأشباه والنظائر ـ ٣ أجزاء ـ طبعة حيدر آباد سنة ١٣٦٠هـ.

ـ ش ـ

٩٩ـ الشابشتي: أبوالحسن علي بن محمد
ـ الديارات ـ تحقيق ـ كوركيس عواد ـ مطبعة المعارف ببغداد ١٩٥١م.
١٠٠ـ أبوشامة: شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل ـ المؤرخ.
ـ الذيل على الروضتين ـ تحقيق عزت العطار الحسيني، منشورات دار الجليل ـ ط٢ ـ بيروت ١٩٧٤م.
١٠١ـ الشريف المرتضى: الإمام علي بن الحسين بن موسى.
ـ ديوان الشريف المرتضى ـ ٣ أجزاء ـ بعناية رشيد الصفار ومطفى جواد ومحمد رضا شبيبي ـ طبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥٨م.

١٠٢ـ الشعراني: عبدالوهاب الشعراني.

ـ الطبقات الكبرى ـ جزءان المطبعة الشرقية بمصر سنة ١٢٩٩هـ.

ـ ص ـ

١٠٣ـ الصابئ: أبوالحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم الكاتب.

ـ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ـ تحقيق عبدالستار أحمد فراج، طبعة البابي الحلبي، مصر ١٩٥٨م.

ـ رسوم دار الخلافة ـ تحقيق ميخائيل عواد ـ منشورات مطبعة العاني ببغداد ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

١٠٤ـ الصابئ: غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال.

ـ الهفوات النادرة ـ تحقيق د. صالح الأشتر ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٠٥ـ صاعد الأندلسي: أبوالقاسم صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن.

ـ طبقات الأمم ـ طبعة لويس شيخو اليسوعي ـ بيروت ١٩١٢م.

١٠٦ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك.

ـ الوافي بالوفيات ـ ٢٥ جزءاً ـ بعناية هـ. ريتر، طبعة استانبول ١٩٣١م.

١٠٧ـ نكت الهميان في نكت العميان ـ بعناية أحمد زكي ـ منشورات المطبعة الجمالية بمصر، سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

١٠٨ـ الصولي: أبوبكر محمد بن يحيى الشطرنجي الكاتب.

ـ أدب الكُتّاب ـ تحقيق محمد بهجت الأثري منشورات المكتبة العربية ببغداد والمطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ.

ـ الأوراق ـ أو ـ أخبار الراضي والمتقي ـ جزءان ـ بعناية ج. هيورث دن، مطبعة الصاوي بمصر ـ ط١ ـ ١٩٣٤م.

ـ ض ـ

١٠٩ـ الضبي: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الكوفي اللغوي.

ـ المفضليات ـ تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ـ ط٣ ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.

١١٠ـ الضبّي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة.

ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ـ نشرة الكاتب العربي.

ـ ط ـ

١١١ـ الطبري: أبوجعفر محمد بن جرير.

ـ تاريخ الرسل والملوك ـ ١٠ أجزاء ـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ منشورات دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م.

١١٢ـ الطرابلسي: علاء الدين بن الحسن.

ـ معين الحكام في ما يتردد بين الخصمين من أحكام ـ القاهرة ـ ١٣٠٠هـ.

١١٣ـ ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا.

ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق محمد توفيق الكتبي، منشورات المطبعة الرحمانية بمصر ـ دون تاريخ.

١١٤ـ الطهراني: آقا بزرك.

ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ ٢٤ جزءاً ـ منشورات دار الأضواء ـ ط٣ ـ بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١١٥ـ ابن طيفور: أبوالفضل أحمد بن طاهر الخراساني.

ـ كتاب بغداد ـ بعناية كلر ـ طبعة لايبسك ١٩٠٨م.

ـ ع ـ

١١٦ـ العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي.

ـ نزهة الجليس ومنّة الأديب الأنيس ـ جزءان ـ بدون تاريخ ومكان الطبع.

١١٧ـ ابن عبدربه: أبوعمر بن محمد الأندلسي.

ـ العقد الفريد ـ ٧ أجزاء ـ تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م.

١١٨ـ ابن العبري: غريغوريوس الملطي.

ـ تاريخ مختصر الدول ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٨٠م.

١١٩ـ أبوعبيد: القاسم بن سلام.

ـ الأموال: تحقيق خليل محمد هراس ـ دار الشرقية للطباعة ـ القاهرة ـ ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٢٠ـ عريب: ابن سعد القرطبي.

ـ صلة تاريخ الطبري ـ طبعة ليدن ١٨٩٧م.

١٢١ـ ابن عساكر: الحافظ أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي.

ـ تهذيب تاريخ دمشق ـ ٧ أجزاء ـ طبعة روضة الشام ١٣٣٢هـ.

١٢٢ـ عساكر: د. خليل محمود.

ـ رسالة الخط المنسوب ـ معهد المخطوطات العربية.

١٢٣ـ العسكري: أبوهلال الحسن بن عبدالله بن سهل.

ـ كتاب الصناعتين ـ الكتابة والشعر ـ ط١ ـ الآستانة ١٩٢٠م.

١٢٤ـ العسقلاني: شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن حجر.

ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، طبعة حيدر أباد ـ ط١ ـ ١٣٤٩هـ.

ـ لسان الميزان ـ ٦ أجزاء ـ طبعة حيدر أباد ١٣٢٩هـ/ ١٣٢٠م.

١٢٥ـ العلموي: الشيخ عبدالباسط بن موسى بن محمد.
ـ المعيد في آدب المفيد والمستفيد ـ ط١ ـ بإشراف أحمد عبيد، نشرة المكتبة العربية بدمشق ١٣٤٩هـ.
١٢٦ـ ابن عنبة: جمال الدين أحمد بن علي الحسيني.
ـ عمدة الغالب في نسب آل أبي طالب، ط٢، بإشراف محمد ناظم الكتبي ـ المطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٨١هـ/ ١٩٥٢م.
١٢٧ـ عواد: كوركيس.
ـ خزائن الكتب القديمة في العراق ـ مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٨م.
١٢٨ـ عواد: كوركيس وميخائيل.
ـ مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، نشرت في مجلة المورد العراقية ـ العدد ٤ـ المجلد ٨ـ سنة ١٩٧٩م.

ـ غ ـ

١٢٩ـ غي ليسترانج: المستشرق.
ـ بغداد في عهود الخلافة العباسية ـ ترجمة بشير يوسف فرنسيس، ط١ـ بغداد ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

ـ ف ـ

١٣٠ـ أبوالفداء: الملك المؤيد عمادالدين، أبوالفداء إسماعيل ـ صاحب حماة ـ
ـ المختصر في أخبار البشر ـ ٤ أجزاء ـ منشورات المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٥هـ.
١٣١ـ ابن الفوطي: كمال الدين أبوالفضل عبدالرزاق تاج الدين بن أحمد.
ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ـ القسم ٤ ـ ٤مجلدات ـ تحقيق د. مصطفى جواد، منشورات وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ـ بدون تاريخ.

ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، منشورات المكتبة العربية ـ بغداد ١٣٥١هـ.

١٣٢ـ فهد ـ بدري محمد.

ـ العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري ـ طبعة بغداد ١٩٦٧م.

١٣٣ـ الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ـ العلامة اللغوي ـ

ـ القاموس المحيط، ط٢، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ـ ق ـ

١٣٤ـ القالي: أبوعلي إسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون.

ـ الأمالي ـ جزءان ـ طبعة دار الكتب المصرية ـ ط١ ـ القاهرة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م.

١٣٥ـ القدسي: أبو زيد أحمد بن سهل البلخي.

ـ البدء والتاريخ: بعناية كلمان هور ـ طبعة باريس ١٨٩٩م.

١٣٦ـ القرشي: ابن أبي الوفاء، محمد بن محمد بن نصرالله بن سالم.

ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية ـ ط١ ـ حيدر آباد ـ بدون تاريخ.

١٣٧ـ القرشي: ابن الأخوة، محمد بن علي.

ـ معالم القربة في طلب الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٦م.

١٣٨ـ القزويني: زكريا بن محمد بن محمود.

ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ منشورات دار صادر بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

١٣٩ـ القشيري: أبوالقاسم عبدالكريم بن هوازن.

ـ الرسالة القشيرية في علم التصوف ـ طبعة سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٥٧م.

١٤٠ـ القفطي: الوزير، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف.
ـ **إنباه الرواة على أنباه النحاة** ـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، منشورات دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.
١٤١ـ القلقشندي: الشيخ أبو العباس أحمد.
ـ **صبح الأعشى في كتابة الإنشا** ـ ١٣ جزء ـ طبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٠م.
١٤٢ـ القيرواني: الحصري، أبوإسحاق أبوالحسن علي بن عبدالغني الفهري، المقرئ الضرير.
ـ **زهر الآداب وثمر الألباب** ـ ٤ أجزاء ـ تحقيق د. زكي مبارك، منشورات المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ ط١ ـ ١٩٢٥م.

ـ ك ـ

١٤٣ـ الكتبي: محمد شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن بن شاكر.
ـ **فوات الوفيات** ـ ٥ أجزاء ـ تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت ـ دون تاريخ.
١٤٤ـ كحالة: عُمر رضا.
ـ **معجم المؤلفين** ٥ أجزاء ـ منشورات المكتبة العربية بدمشق ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
١٤٥ـ ابن كثير: أبوالفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي.
ـ **البداية والنهاية** ـ ١٤ جزء ـ منشورات مكتبة المعارف بيروت، ومكتبة النصر ـ الرياض، ١٩٦٦م.
١٤٦ـ كرد علي: محمد.
ـ **أمراء البيان** ـ جزءان ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.

١٤٧ـ الكردي: محمد طاهر بن عبدالقادر المكي الخطاط.
ـ حسن الدعابة فيما ورد في الخط وأدوات الكتابة، طبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
ـ تاريخ الخط العربي وآدابه ـ ط١ ـ مصر ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
١٤٨ـ كشاجم: أبوالفتح محمود بن الحسين السندي بن شاهين.
ـ ديوان كشاجم ـ تحقيق خيرية محمد محفوظ ـ منشورات وزارة الإعلام العراقية ـ بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
١٤٩ـ الكندي: أبوعمر محمد بن يوسف.
ـ كتاب الولاة وكتاب القضاة ـ بعناية فن كست ـ طبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨م.
١٥٠ـ كونل: ارنست.
ـ الفن الإسلامي، ترجمة الدكتور أحمد موسى، منشورات دار صادر بيروت ١٩٧٦م.
١٥١ـ الكيلاني: د. إبراهيم.
ـ المختار من كتاب المقابسات ـ منشورات وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ١٩٨٤م.

ـ ل ـ

١٥٢ـ لومبار: موريس.
ـ الإسلام في فجر عظمته ـ ترجمة حسين العودات، منشورات وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ١٩٧٩م.
١٥٣ـ ليسنر: يعقوب.
ـ خطط بغداد في العصور العباسية الأولى ـ ترجمة أحمد صالح العلي ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٨٤م.

ـ م ـ

١٥٤ـ مالك بن أنس ـ الإمام.

ـ المدونة الكبرى ـ ط١ ـ المطبعة الخيرية بمصر ـ ١٣٢٤هـ.

ـ الموطأ ـ جزءان ـ طبعة البابي الحلبي ـ مصر سنة ١٣٣٩هـ.

١٥٥ـ الماوردي: علي بن محمد بن حبيب.

ـ الأحكام السلطانية ـ طبعة البابي الحلبي ـ مصر ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

١٥٦ـ ابن مخلوف: محمد.

ـ شجرة النور الزكية في طبقات الحنفية ـ دار الكاتب العربي ـ طبعة بالأوفست.

١٥٧ـ المدور: جميل نخلة.

ـ حضارة الإسلام في دار السلام ـ طبعة بولاق ١٩٣٥م.

١٥٨ـ المرزباني: أبوعبدالله محمد بن عمران.

ـ معجم الشعراء ـ منشورات مكتبة القدسي ـ القاهرة ـ ١٣٥٤هـ.

١٥٩ـ مرزوق: د. محمد عبدالعزيز.

ـ العراق مهد الفن الإسلامي ـ منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد ١٩٧١م.

١٦٠ـ المسعودي: أبوالحسن علي بن الحسين بن علي.

ـ التنبيه والإشراف ـ بعناية عبدالله إسماعيل الصاوي، طبعة القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

ـ مروج الذهب ـ ٤ أجزاء ـ طبعة الجامعة اللبنانية، بعناية شارل بلا، بيروت ١٩٧٤م وطبعة باريس، وطبعة دار المعرفة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

١٦١ـ مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب.

ـ تجارب الأمم ـ جزءان ـ نشرة آمدروز ـ القاهرة ١٣١٤هـ/ ١٩١٥م.

ـ السعادة في فلسفة الأخلاق ـ نشرة محمد علي صبح، المطبعة العربية، مصر ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

ـ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ـ منشورات مكتبة الحياة ـ ط٢ ـ بيروت ١٣٩٨هـ.

١٦٢ـ مروة: د. حسين.

ـ النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ـ ط٢ ـ جزءان ـ منشورات دار الفارابي، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٦٣ـ المعري: أبوالعلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي.

ـ رسالة الغفران ـ تحقيق إبراهيم اليازجي ـ القاهرة ١٩٠٣م.

ـ سقط الزند ـ ٤ أجزاء ـ طبعة القاهرة ١٣٠١هـ/ ١٩٠٥م.

١٦٤ـ معروف: د. ناجي.

ـ تاريخ علماء المستنصرية ـ طبعة بغداد ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

١٦٥ـ المغربي: القاضي النعمان بن حيون ـ قاضي قضاة الدولة الفاطمية.

ـ المجالس والمسايرات ـ تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٨م.

١٦٦ـ المقدسي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري.

ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ طبعة ليدن ـ ١٩٠٩م.

١٦٧ـ مقدسي: د. جورج.

ـ خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ترجمة أحمد صالح العلي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٤٨م.

١٦٨ـ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد.

ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ المعروف بالخطط المقريزية ـ ٤ أجزاء ـ منشورات مطبعة النيل بمصر ـ ١٣٦٤هـ.

١٦٩ـ المقرّي التلمساني: أحمد بن محمد المغربي المالكي الأشعري.
ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ـ ٨ أجزاء ـ تحقيق د. إحسان عباس دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
١٧٠ـ المكي: التقي الفاسي، أبوالمعالي محمد بن رافع السلامي.
ـ تاريخ علماء بغداد ـ طبعة عباس العزاوي، بغداد ١٩٣٨م.
١٧١ـ ابن المُلقِّن: سراج الدين، أبوحفص عمر بن علي بن أحمد المصري.
ـ طبقات الأولياء ـ تحقيق نورالدين شربية ـ ط١ ـ منشورات مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م.
١٧٢ـ ابن منظور: أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري.
ـ لسان العرب، طبعة دار صادر.
ـ مختار الأغاني في الأعياد والتهاني ـ تحقيق عبدالستار أحمد فراج ـ منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ـ طبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
١٧٣ـ مؤلف مجهول.
ـ الذخاير والتحف في بير الصنايع والحرف، مخطوطة مكتبة غوتا ـ المانيا ـ تحت رقم/ ٩٠٣ عربيات/ أوردتها صباح الشيخلي في «الأصناف الإسلامية في العصر العباسي».
١٧٤ـ مؤلف مجهول.
ـ أخبار الدول العباسية، تحقيق عبدالعزيز الدوري وعبدالعزيز المطلبي، بيروت ١٩٧١م.
١٧٥ـ ميتز: آدم المستشرق.
ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ـ جزءان ـ ط٣ـ ترجمة عبدالهادي أبوريدة، القاهرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

— ن —

١٧٦ـ ابن نباتة: جمال الدين بن نباته المصري.

ـ سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ـ طبعة المليجي الكتبي ـ ط٤ـ القاهرة ١٣٥٧هـ.

١٧٧ـ ابن النجّار: محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله، أبوعبدالله، مُحب الدين.

ـ ذيل تاريخ بغداد ـ طبعة حيدر آباد ـ ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٧٨ـ النجاشي: أبوالعباسي أحمد بن علي.

ـ رجال النجاشي ـ الطبعة الإيرانية سنة ١٣١٧هـ.

١٧٩ـ النجفي: الشيخ جعفر آل محبوب.

ـ ماضي النجف وحاضرها ـ مطبعة العرفان ـ صيدا ـ ١٣٥٣هـ.

١٨٠ـ النديم: أبوالفرج محمد بن إسحاق.

ـ الفهرست ـ منشورات المطبعة الرحمانية بمصر.

١٨١ـ أبونواس: الحسن بن هانئ.

ـ ديوان أبي نواس ـ تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي ـ منشورات دار الكتاب العربي ـ بيروت، بدون تاريخ.

١٨٢ـ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب.

ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ـ ٣٠ جزءاً ـ طبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ طبع منها ١٨ جزءاً فقط.

— و —

١٨٣ـ ابن الوردي: سراج الدين أبو حفص عمر.

ـ خريدة العجائب ـ طبعة محمد شاهين ـ القاهرة ١٢٨٠هـ.

١٨٤ـ الوشاء ـ أبوالطيب محمد بن إسحاق بن يحيى.
ـ الموشى ـ تحقيق كمال مصطفى ـ ط٢ ـ منشورات مكتبة الخانجي بمصر ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.
١٨٥ـ وكيع: محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد ـ القاضي المعروف بوكيع.
ـ أخبار القضاة، جزءان، منشورات عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ.
١٨٦ـ الوهراني: ركن الدين محمد بن محمد بن محرز.
ـ منامات الوهراني ـ تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نعش، منشورات دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

ـ هـ ـ

١٨٧ـ الهَمَذاني: ابن الفقيه، أبوبكر أحمد بن محمد.
ـ بغداد مدينة السلام ـ تحقيق د. أحمد صالح العلي، منشورات وزارة الإعلام العراقية ـ بغداد ـ دون تاريخ.
١٨٨ـ هواري: كليمان.
ـ خطط بغداد ـ ترجمة د. ناجي معروف ـ منشورات مطبعة العاني ـ ط١ـ بغداد ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ـ ي ـ

١٨٩ـ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن واضح.
ـ البلدان ـ طبعة ليدن ١٨٩١م، وطبعة النجف ط٣ـ ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.
ـ تاريخ اليعقوبي ـ جزءان ـ منشورات دار صادر، ودار بيروت ١٩٦٠م.

المجلات والدوريات

١ ـ مجلة الحضارة ـ العدد/ ٣٤ ـ بغداد.

٢ ـ مجلة عالم الغد العراقية ـ العدد ١٠عام ١٩٤٥م.

٣ ـ مجلة سومر العراقية التراثية، العدد١، عام ١٩٤٥م ـ ج١ـ والعدد ١ العام ١٩٤٩م المجلد ٥، وكذلك المجلدات ١، ٢، ٣، ٤ للسنوات ١٩٤٦ ـ٤٧ ـ ٤٨م.

٤ ـ مجلة الناشر العربي الليبية ـ العدد (٢) شباط فبراير ـ ١٩٨٤م.

٥ ـ مجلة المورد ـ العراقية ـ العدد ٤ ـ المجلد ٨ ـ لعام ١٩٧٩م. ـ عدد خاص عن بغداد.

٦ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد ١٣ ـ السنة ١٩٦٥م.

٧ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ المجلد ٢٣ ـ ج٣ ـ تموز/ ١٩٤٨م.

٨ ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد ـ العدد ٤ ـ آب ـ ١٩٦١م.

٩ ـ مجلة دراسات عربية ـ بيروت ـ العدد ١٢ـ السنة ٢٦/ ١٩٩٠م.

١٠ـ مجلة لغة العرب ـ العدد ٤ ـ تموز ـ ١٩١٤م.

* * *

